

أَجُودُ الْبَيَّازِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الجزء الأول

تأليف

آية الله الأستاذ الشيخ هادي النجفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَهَيِّدٌ

الحمد لله ربّ العالمين الذي أنزل القرآن والصلاة والسلام على من خوطب به ومبلّغ آياته وبشير رحمته محمّد رسول الله وعلى وصيّيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي عنده علم الكتاب وعلى أحد عشر من ولده أئمة المؤمنين الذين هم يعلمون تفسير كتاب الله وتأويله ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وحلاله وحرامه ولا يعلمه أحدٌ غيرهم.

كما ورد في معتبرة زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال لقتادة: ويحك يا قتادة، إنّما يَعْرِفُ القرآنَ مَنْ خُوِطِبَ به. ١.

وقال أبي عبد الله عليه السلام لأبي حنيفة في حديث: أنت فقيه العراق؟ قال: نعم.

قال: يا أبا حنيفة! لقد ادّعت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلّا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلّا عند الخاصّ من ذرية نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله،

١. الكافي ٦٩٩/١٥، ح ٤٨٥ (٨/٣١٢).

وما ورّثك الله من كتابه حرفاً، الحديث. ١.

فلما رأيت الروايات الواردة في ذيل الآيات الشريفة من الكتاب المجيد أحببتُ أن أذكرها وأجمعها حتّى يعلم الناس ما معنى القرآن وآياته وتفسيرها وأضفت إليها توضيحاً في ذيل الآيات وسميتها بـ «أجود البيان في تفسير القرآن» وقد ابتدأتُ به في ليلة نزول القرآن يعني الثلاث والعشرين، ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ١٤٢٢ وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لإتمامه وبلوغ مرامه بمحمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين عليهم السلام.

اصفهان

هادي النجفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستعاذة

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

اتفق^١ القُرَّاءُ على التلفظ بها قبل قراءة القرآن الكريم وقبل تسمية الرب الرحيم وقد أمر الله تعالى بها وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^٢ وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٣. ونقلها عن لسان أنبيائه: نوح^٤ ويوسف^٥ وموسى^٦ وإسماعيل^٧ في كتابه الكريم.

﴿أَعُوذُ﴾ أي استجير، الاستعاذة: الاستجارة.

﴿بِاللَّهِ﴾ أي بالذات المستجمع لجميع صفات الكمال دون غيره.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الشيطان في اللغة كُلُّ متمرّدٍ من الجنّ والإنس والدواب ولذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^٨. قال الشيخ: «وإنما سمّي المتمرّد من كلّ شيء شيطاناً؛ لفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق جميع جنسه، وبُعده من الخير.

وقيل: هو مُشتقٌّ من قولهم: شَطَنْتُ داري من دارك، أي: بُعدتُ»^٩. «فيكون

١. التبيان ١/ ٧٠ طبعة مؤسسة آل البيت ﷺ ١٤٣١.

٢. سورة النحل / ٩٨.

٣. سورة الأعراف / ٢٠٠.

٤. سورة هود / ٤٧.

٥. سورة يوسف / ٢٣.

٦. سورة البقرة / ٦٧.

٧. سورة مريم / ١٨.

٨. سورة الأنعام / ١١٢.

٩. التبيان ١/ ٧٠.

«شيطانا» على هذا: فَيَعَالاً من شَطَنَ، على وزن يَبْطَارُ وَعَيْدَاقُ^١.
﴿الرَّجِيمِ﴾ «فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ، كَقَوْلِهِمْ: كَفَّ خَضِيبٌ، وَلَحِيَّةٌ دَهِيْنٌ، وَرَجُلٌ لَعِيْنٌ، يُرَادُ مَخْضُوْبَةٌ، وَمَذْهُوْنَةٌ، وَمَلْعُوْنٌ». ومعنى المرجوم: المشتوم، فكلُّ مُشْتَوَمٍ بقولٍ رَدِيٍّ فهو مَرْجُوْمٌ. وأصلُ الرجم الرَّمْيُ بقولٍ كان أو بفعلٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾^٢.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْطَانُ رَجِيْماً؛ لِأَنَّ اللَّهَ طَرَدَهُ مِنْ سَمَائِهِ وَرَجَمَهُ بِالشَّهْبِ الثَّاقِبَةِ^٣.

وقال الفيض: «الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من غير ذكر الله ليستعد لذكر الله والتلاوة والتنظيف للقلب من تلوث الوسوسة، ليتهيأ للحضور لدى المذكور ويجد الحلاوة»^٤.

أقول: قد كتبتُ مقالة حولها بالفارسية في كتابي «معراج مؤمن»^٥ فراجعها إن شئت.

رواية

خبر عبدالعظيم بن عبدالله الحسيني قال: سمعت أباالحسن عليّ بن محمد العسكري عليه السلام يقول: معنى الرَّجِيمِ أَنَّهُ مَرْجُومٌ بِاللَّعْنِ، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلا لعنه، وأنَّ في علم الله السابق أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللَّعْنِ^٦.

١. التبيان ١ / ٧١.

٢. سورة مريم / ٤٦.

٣. التبيان ١ / ٧٢.

٤. الصافي ١ / ٧٩.

٥. معراج مؤمن / ٥٩ و ٦٠.

٦. معاني الأخبار / ١٣٩.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

مَكِّيَّة
آياتها ٧

«سورة الحمد مكّية في قول قتادة ومدنيّة في قول مجاهد»^١.

والصحيح أنّها مكّية ويدلّ عليها دليلان:

«الأوّل: أنّ فاتحة الكتاب هي السبع المثاني^٢ وقد ذكر في سورة الحجر أنّ السبع

المثاني نزلت قبل ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^٣.

وسورة الحجر مكّية بلا خلاف، فلا بد وأن تكون فاتحة الكتاب مكّية أيضاً.

الثاني: أنّ الصلاة شرعت في مكة، وهذا ضروري لدى جميع المسلمين ولم تعهد

في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب، وقد صرح النبي ﷺ بذلك بقوله: «لا صلاة

إلا بفاتحة الكتاب» وهذا الحديث منقول عن طريق الإمامية وغيرهم.^٤

وذهب بعض: إلى أنّها نزلت مرّتين، مرّة في مكة، وأخرى في المدينة تعظيماً

لشأنها، وهذا القول محتمل في نفسه وإن لم يثبت بدليل، ولا يبعد أن يكون هو الوجه

في تسميتها بالسبع المثاني، ويحتمل أن يكون الوجه هو وجوب الإتيان بها مرّتين في كلّ

١. التبيان ١/ ٧٣.

٢. راجع التهذيب: ٢/ ٢٨٩، باب ١٣، ح ١٣ وصحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ح ٤١١٤ و ٤٣٣٤.

٣. سورة الحجر / ٨٧.

٤. التهذيب ٢/ ١٤٦، باب ٢٣، ح ٣١ وصحيح البخاري، كتاب الأذان، ح ٧١٤.

صلاة: مرّة في الركعة الأولى ومرّة في الركعة الثانية»^١.

فضلها

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو قرئت الحمد على ميت سبعين مرّة ثم ردتّ فيه الرّوح ما كان ذلك عجباً.^٢

صحيحة عبد الله بن الفضل النوفلي رفعه قال: ما قرئت الحمد على وجع سبعين مرّة إلا سكن.^٣
ولكنها مقطوعة مضمرة.

خبر سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء.^٤

رواها العياشي مرفوعاً في تفسيره.^٥

العياشي رفعه عن محمّد بن سنان عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال لأبي حنيفة ما سورة أوّلها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دُعاء؟ فبقي متحيّراً، ثمّ قال: لا أدري.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: السورة التي أوّلها تحميد وأوسطها إخلاص وآخرها دُعاء، سورة الحمد.^٦

العياشي رفعه عن يونس بن عبد الرحمن عمّن رفعه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام

١. البيان / ٤٢٠ و ٤٢١، المطبوعة في المجلّد الخمسين من موسوعة الإمام الخوئي رحمته الله.

٢. الكافي ٢/ ٦٢٣، ح ١٥.

٣. الكافي ٢/ ٦٢٣، ح ١٦.

٤. الكافي ٢/ ٦٢٦، ح ٢٢.

٥. تفسير العياشي ١/ ٩٩، ح ٢.

٦. تفسير العياشي ١/ ٩٩، ح ٢.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^١ قال: هي سورة الحمد وهي سبع آيات منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إنما سُمِّيت المثنائي لأنها تُثْنِي في الركعتين.^٢

العياشي رفعه عن عبد الملك بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبليس رَنَّ أربع رنَّات: أولهنَّ يوم لُعِن، وحين هَبَطَ إلى الأرض، وحين بُعث محمد صلى الله عليه وآله على فِترَةٍ من الرُّسل، وحين أُنزلت أم الكتاب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ونخر نَخْرَتَيْن: حين أكل آدم عليه السلام من الشجرة، وحين أُهبط آدم إلى الأرض. قال: ولُعِن مَنْ فعل ذلك.^٣

الرَّثَّة: الصيحة الحزينة. النَّخِير: مدّ الصوت والنفس في خياشمه.

العياشي رفعه عن إسماعيل عن أبان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى - بأبي أنت و أمي يا رسول الله - علّمنيها، قال: فعَلَّمَهُ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أم الكتاب.

قال: ثمَّ قال له: يا جابر ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى - بأبي أنت و أمي - فأخبرني، قال: هي شفاء من كلِّ داءٍ، إلَّا السام، يعني الموت.^٤

العياشي رفعه عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كانت لك حاجة فأقرأ المثنائي وسورة أخرى وصلَّ ركعتين وادع الله.

قلت: أصلحك الله وما المثنائي؟ قال: فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ *
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.^٥

١. سورة الحجر / ٨٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ٩٩، ح ٣.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٠١، ح ٨.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٠١، ح ٩.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٠١، ح ١١.

خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين عليه السلام عن الحسن عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إِنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدٌ **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾** ١** فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم.

وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله ﻻ خصّ محمدًا وشرّفه بها. ولم يُشرك معه فيها أحدًا من أنبيائه، ما خلا سليمان عليه السلام، فإنه أعطاه منها **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾**، ألا تراه يحكى عن بلقيس حين قالت **﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** ٢.

ألا فمن قرأها معتقدًا لموالة محمد وآله الطيبين، منقادًا لأمرهما، مؤمنًا بظاهرهما وباطنهما أعطاه الله ﻻ بكلّ حرفٍ منها حسنة، كلّ واحدة منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئٍ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرض لكم، فإنه غنيمةٌ، لا يذهب أوانه، فتبقى في قلوبكم الحسرة. ٣

رواها الطبرسي في مجمع البيان. ٤.

خبر علي بن أبي حمزة البطائني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اسم الله الأعظم مقطّع

١. سورة الحجر / ٨٧.

٢. سورة النمل / ٢٩ و ٣٠.

٣. أمالي الصدوق، المجلس الثالث والثلاثون ح ٣/ ٢٤٠، رقم ٢٥٥؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٣٠١، ح ٦٠.

٤. مجمع البيان ١/ ١٨.

في أم الكتاب. ١

خبر الحسن بن عبدالله عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنت الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.... إلى أن قال:- أعطاني الله ﷻ فاتحة الكتاب والأذان والجماعة في المسجد ويوم الجمعة والإجهار في ثلاث صلوات والرخصة لأمتي عند الأمراض والسفر والصلاة على الجنائز والشفاعة لأصحاب الكبائر من أمتي.

قال اليهودي: صدقت يا محمد فما جزاء من قرأ فاتحة الكتاب؟

قال رسول الله ﷺ: من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله بعدد كل آية أنزلت من

السماء فيجزئ بها ثوابها، الحديث. ٢

الطوسي عن أبي محمد الفحام عن المنصوري عن عم أبيه عن الإمام الهادي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق عليه السلام قال: من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات، فإن ذهب العلة وإلا فليقرأ سبعين مرة، وأنا الضامن له العافية. ٣

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ أنه سمّاها (أي الفاتحة) أم القرآن وفاتحة الكتاب

والسبع المثاني. ٤

السروي رفعه وقال: أبين إحدى يدي هشام بن عدي الهمداني في حرب صفين فأخذ عليّ يده وقرأ شيئاً وألصقها، فقال: يا أمير المؤمنين ما قرأت؟ قال: فاتحة الكتاب،

١. ثواب الأعمال / ١٣٠، ح ١.

٢. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثلاثون، ح ١ / ٢٦١، رقم ٢٧٩.

٣. أمالي الطوسي، المجلس العاشر، ح ٩١ / ٢٨٤، رقم ٥٥٣.

٤. التبيان / ١ / ٦٧.

كأنه استقلها، فانفصلت يده نصفين، فتركه علي ومضى.^١

القطب الراوندي رفعه وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعتل الحسين عليه السلام فاحتملته فاطمة عليها السلام فأنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله ادع الله لإبنك أن يشفيه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنية إن الله هو الذي وهبه لك وهو قادر على أن يشفيه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تعالى جده لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها «فاء» وكل «فاء» من آفة ما خلا الحمد، فإنه ليس فيها «فاء» فادع بقدر من ماء فاقراً فيه الحمد أربعين مرة، ثم صب عليه فإن الله يشفيه، ففعل ذلك فعوفي بإذن الله.^٢

١. المناقب ٢/ ٣٣٦ ونقل عنه في بحار الأنوار ٨٩/ ٢٢٣، ح ١.

٢. الدعوات / ١٨٨، ح ٥٢٣.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

آية من سورة الحمد ومن كلِّ سورةٍ بخلاف عندنا^١ تسمّى «البسملة» و التسمية» و «كلمة التقوى».

قال السيّد الخوئي: «اتفقت الشيعة الإمامية على أن البسملة آية من كل سورة بدأت بها، وذهب إليه ابن عباس، وابن المبارك، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم، والكسائي، وغيرهما ما سوى حمزة وذهب إليه أيضاً غالب أصحاب الشافعي^٢ وجزم به قراء مكة والكوفة^٣، وحكي هذا القول عن ابن عمر، وابن الزبير وأبي هريرة، وعطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام^٤ وعن البيهقي نقل هذا القول عن الثوري ومحمد بن كعب^٥، واختاره الرازي في تفسيره ونسبه إلى

١. كما يظهر من التبيان ١/ ٧٣.

٢. تفسير الألوسي ١/ ٣٩.

٣. تفسير الشوكاني ١/ ٧.

٤. تفسير ابن كثير ١/ ١٦.

٥. تفسير الخازن ١/ ١٣.

قرأء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز، وإلى ابن المبارك والثوري، واختاره أيضاً جلال الدين السيوطي مدعياً تواتر الروايات الدالة عليه معني^١.

وقال بعض الشافعية وحمة: «إنها آية من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها» ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل، كما نسب إليه القول الأول^٢.

وذهب جماعة: منهم مالك، وأبو عمرو، ويعقوب إلى أنها آية فذة وليست جزءاً من فاتحة الكتاب ولا من غيرها، وقد انزلت لبيان رؤوس السور تيمناً، وللфصل بين السورتين، وهو مشهور بين الحنفية^٣.

غير أن أكثر الحنفية ذهبوا إلى وجوب قراءتها في الصلاة قبل الفاتحة وذكر الزاهدي عن المجتبى أن وجوب القراءة في كل ركعة هي الرواية الصحيحة عن أبي حنيفة^٤.

وأما مالك فقد ذهب إلى كراهة قراءتها في نفسها، واستحبها لأجل الخروج من الخلاف^٥.

أدلة جزئية البسملة للقرآن

وفي هذه المسألة أقوال أخر شاذة لا فائدة في التعرض لها، ولكن المهم بيان الدليل على المذهب الحق ويقع ذلك في عدة أمور:

١- أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

وهي الروايات الصحيحة المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام الصريحة في ذلك وبها

١. الانتقان ١/ ١٣٥ و ١٣٦، النوع ٢٢-٢٧.

٢. تفسير الآلوسي ١/ ٣٩.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

٥. الفقه على المذاهب الأربعة ١/ ٢٥٧.

الكفاية عن تجشم أي دليل آخر بعد أن جعلهم النبي ﷺ عدلاً للقرآن في وجوب التمسك بهم والرجوع إليهم^١.

عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إذا قمت للصلاة اقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في فاتحة القرآن؟ قال: نعم. قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن اقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مع السورة، قال: نعم^٢.

عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما تقول في رجل ابتداء: بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في صلاته وحده في أم الكتاب فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها؟ فقال العباسي: ليس بذلك بأس، فكتب بخطه: يعيدها - مرتين - على رغم أنفه يعني العباسي^٣.

وفي صحيحة ابن أبي أذينة: ... فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله إليه سم باسمي فمن أجل ذلك جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول السورة ثم أوحى الله إليه أن احمدي فلما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال النبي ﷺ في نفسه شكراً فأوحى الله ﷻ إليه قطعت حمدي فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد:

١. مسند أحمد ٣/ ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ عن أبي سعيد الخدري و ٣٦٦/ ٤ و ٣٧١ عن زيد بن أرقم و ١٨٢/ ٥ و ١٨٩ عن زيد بن ثابت؛ وسنن الترمذي، كتاب المناقب، ح ٣٧٢٠؛ وسنن الدارمي في كتاب فضائل القرآن ٢/ ٤٣١.

وقال العلامة المناوي في شرح الجامع الصغير ٣/ ١٥ للسيوطي: قال الهيثمي: «رجاله موثقون». ورواه أيضاً أبو يعلى بسند لا بأس به، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر وزاد أنه قال في حجة الوداع «وهم من زعم وضعه كابن الجوزي» قال السهوي «وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة».

ورواه الحاكم في المستدرک ٣/ ١٠٩ عن زيد بن أرقم وصححه ولم يعقبه الذهبي. وفي ألفاظ الروايات اختلاف في التعبير لكنها متفقة في المقصود.

٢. الكافي ٣/ ٣١٢، ح ١؛ والاستبصار ١/ ٣١١، باب ١٧٠، ح ٢.

٣. الكافي ٣/ ٣١٣، ح ٢؛ والتهذيب ٢/ ٦٩، ح ٢٠.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مرتين، فلما بلغ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال النبي ﷺ ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ﴾ شكراً فأوحى الله إليه قطعت ذكرى فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في أول السورة ثم أوحى الله ﷻ إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك
 تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
 أَحَدٌ﴾ ١.

٢- أحاديث أهل السنة:

وقد دلت على ذلك أيضاً روايات كثيرة من طرق أهل السنة نذكر جملة منها:
 مارواه أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم
 رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ:
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...﴾ ٢.

ما أخرجه الدارقطني بسند صحيح عن علي بن أبي طالب: أنه سئل عن السبع المثاني،
 فقال: ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقليل له: إنما هي ست آيات، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية ٣.

ما أخرجه الدارقطني أيضاً بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال
 رسول الله ﷺ إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها أم القرآن،
 وأم الكتاب، والسبع المثاني. و ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إحدى آياتها. ٤
 ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثاني

١. الكافي ٣/ ٤٨٥، ح ١.

٢. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ح ٦٠٧؛ وسنن النسائي، ١/ ١٤٣؛ كتاب الافتتاح، ح ٨٩٤؛ وسنن
 أبي داود ١/ ١٢٥؛ كتاب السنة، ح ٤١٢٢.

٣. الاتقان ١/ ١٣٦، النوع ٢٢-٢٧؛ ورواهما البيهقي في سننه ٢/ ٤٥، باب الدليل على أن البسملة
 آية تامة.

٤. نفس المصدر السابق.

فاتحة الكتاب. قيل: فأين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^١.

ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٢.

ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علموا أن السورة قد انقضت.^٣

ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبرئيل فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أن ذلك سورة.^٤

ما رواه ابن جريح قال: أخبرني أبي أن سعيد بن جبير أخبره، قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾^٥ قال: هي أم القرآن، قال أبي: وقرأ عليّ سعيد بن جبير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال سعيد بن جبير: وقرأها عليّ ابن عباس كما قرأتها عليك، ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال ابن عباس: فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.^٦

إلى غير ذلك من الروايات، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع مظانها^٧.

أقول: أضفت لك بعضاً آخر من الروايات العامة الدالة على الجزئية:

منها: «ما رواه أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى

١. نفس المصدر، ورواه الحاكم في المستدرک ١ / ٥٥١.

٢. نفس المصدر / ١٣٥، ورواه البيهقي في سننه ٢ / ٥٠، باب افتتاح القراءة في الصلاة.

٣. مستدرک الحاكم ١ / ٢٣٢، قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين.

٤. مستدرک الحاكم ١ / ٢٣١.

٥. سورة الحجر / ٨٧.

٦. نفس المصدر السابق / ٥٥٠، كتاب فضائل القرآن.

٧. البيان / (٤٤٥ - ٤٤٠).

إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ أنفأ سورة» فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ...﴾ ٢.١

ومنها: ما أخرجه الدارقطني بسند صحيح عن علي بن أبي طالب: أنه سئل عن السبع المثاني، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ف قيل له: إنها هي ست آيات؟! فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية ٣.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني أيضاً بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأتم الحمد فاقروا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني. و ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إحدى آياتها. ٤

ومنها: ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثاني فاتحة الكتاب. قيل: فأين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ٥

ومنها: ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. ٦

ومنها: ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علموا أن السورة قد انقضت. ٧

١. سورة الكوثر / ١.

٢. صحيح مسلم ١٢/٢، باب حجة من قال البسملة آية؛ سنن النسائي ١٤٣/١، باب قراءة البسملة؛ سنن أبي داود ١٢٥/١، باب الجهر بالبسملة.

٣. سنن البيهقي ٤٥/٢؛ الاتقان ١٣٦/١.

٤. سنن البيهقي ٤٥/٢؛ الاتقان ١٣٦/١.

٥. الاتقان ١٣٦/١؛ المستدرک ٥٥١/١ للحاكم النيسابوري.

٦. سنن البيهقي ٥٠/٢؛ الاتقان ١٣٥/١.

٧. المستدرک ٢٣٢/١ للحاكم النيسابوري.

قال الحاكم النيسابوري: هذا صحيح على شرط شيخين.

ومنها: ما رواه سعيد عن ابن عباس: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان إذا جاءه جبرائيل فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أن ذلك سورة ١.

ومنها: ما رواه ابن جريح قال: أخبرني أبي أَنَّ سعيد بن جبير أخبره، قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي أم القرآن، قال أبي: وقرأ عليّ سعيد بن جبير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال سعيد بن جبير: وقرأها عليّ ابن عباس كما قرأتها عليك، ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السابعة. قال ابن عباس: فأخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم ٢.

ومنها: عن عبدالله بن عباس قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية ٣.

ومنها: عن طلحة بن عبيدالله قال: قال رسول الله ﷺ من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ترك آية من كتاب الله ٤.

ومنها: عن ابن عمر، قال: نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كل سورة ٥.

ومنها: عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة - وفي لفظ: خاتمة السورة - حتى ينزل عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. زاد البزاز والطبراني: فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى ٦.

قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

١. المستدرک ١ / ٢٣١ للحاكم النيسابوري.

٢. المستدرک ١ / ٥٥٠ للحاكم النيسابوري.

٣. الدر المنثور ١ / ٧.

٤. الدر المنثور ١ / ٧.

٥. الدر المنثور ١ / ٧.

٦. سنن أبي داود ١ / ٢٠٩؛ سنن البيهقي ٢ / ٤٣؛ المستدرک ١ / ٢٣٢ للحاكم النيسابوري؛ مجمع الزوائد ٦ / ٣١٠؛ الدر المنثور ١ / ٧.

ومنها: في رواية ابن مسعود: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّى تنزل:
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^١.

ومنها: قال سعيد بن جبیر: في عهد النبي ﷺ كانوا لا يعرفون انقضاء
السورة حتّى تنزل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت علموا أن قد انقضت
السورة ونزلت أخرى.^٢

ومنها: عن ابن عباس قال: سألت عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لم لم تُكتب في براءة
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: لأنّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أمان، وبراءة نزلت
بالسيف.^٣

ثمّ ليس بإزاء هذه الروايات إلّا روايتان دلّتا على عدم جزئية البسملة للسورة:
إحدهما: رواية قتادة عن أنس بن مالك، قال: صليت مع رسول الله ﷺ
وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.^٤
ثانيهما: ما رواه ابن عبد الله بن مغفل بن يزيد بن عبد الله، قال: سمعني أبي وأنا
أقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال: أي بني! إياك - قال: ولم أر من أصحاب
رسول الله ﷺ كان أبغض إليه حدثاً في الإسلام منه - فإنّي قد صليت مع
رسول الله ﷺ ومع أبي بكر وعمر، ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا
تقلها، إذا أنت قرأت فقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.^٥

والجواب عن الرواية الأولى: مضافاً إلى مخالفتها للروايات المأثورة عن
رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام - أنّها لا يمكن الاعتماد عليها من وجوه:

١. الدر المنثور ١/٧.

٢. الدر المنثور ١/٧؛ المصنف ٢/٩٢ لعبد الرزاق.

٣. الدر المنثور ٣/٢٠٩ في بداية سورة التوبة.

٤. صحيح مسلم ٢/١٢؛ سنن النسائي ١/١٤٤؛ مسند أحمد ٣/١٧٧ و ٢٧٣ و ٢٧٨.

٥. مسند أحمد ٤/٨٥؛ سنن الترمذي ٢/٤٣.

الوجه الأول: معارضتها بالروايات المتواترة معنىً، المنقولة عن طريق أهل السنة، ولا سيما أن جملة منها صحاح الأسانيد، فكيف يمكن تصديق هذه الرواية؟ مع شهادة ابن عباس، وأبي هريرة، وأم سلمة على أن رسول الله ﷺ كان يقرأ البسملة ويعدها آية من الفاتحة، وأن ابن عمر كان يقول: «لَمْ تَكُتْ فِي الصَّحْفِ إِنْ لَمْ تُقْرَأْ؟»^١. وإن علياً عليه السلام كان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص» وكان يقول: «هي تمام السبع المثاني»^٢.

الوجه الثاني: مخالفتها لما اشتهر بين المسلمين من قراءتها في الصلاة، حتى أن معاوية تركها في صلاته في يوم من أيام خلافته، فقال له المسلمون: أسرقت أم نسيت؟^٣

ومع هذا كيف يمكن التصديق بأن رسول الله ﷺ ومن بعده لم يقرأوها؟! **الوجه الثالث:** مخالفتها لما استفاض نقله عن أنس نفسه: أ: روى قتادة عن أنس: إنَّ قراءة رسول الله ﷺ كانت مداً، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمدّ ﴿الرَّحْمَنِ﴾، ويمدّ ﴿الرَّحِيمِ﴾^٤. ب: وروى شريك عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٥. قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات.

ج: وروى العسقلاني قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبل فاتحة الكتاب وبعدها،

١. سنن البيهقي ٤٣/٢.

٢. الدر المنثور ٧/١.

٣. سنن البيهقي ٤٩/٢.

٤. سنن البيهقي ٤٦/٢؛ المستدرک ٢٣٣/١ للحاكم النيسابوري.

٥. المستدرک ٢٣٣/١ للحاكم النيسابوري.

وسمعت المعتمر يقول: ما ألو أن أقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما ألو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك: ما ألو أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ. ١.
قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات.

والجواب عن الرواية الثانية: وهي رواية ابن عبد الله بن مغفل - يظهر مما تقدم في الجواب عن الرواية الأولى، على أنها تضمنت ما يخالف ضرورة الإسلام، فإنه لا يشك أحد من المسلمين في استحباب التسمية قبل الحمد والسورة، ولو بقصد التيمن والتبرك، لا لأن البسملة جزء ٢ فكيف ينهى ابن مغفل عنها بدعوى أنها حديث في الإسلام؟! ٣.

﴿ب﴾ حرف جر، متعلق بمحذوف تقديره هنا: أبتدأ أو أقرأ أو أبدأ وفي غيره «قرينة تعيين المحذوف هو ما يقع بعده، وهو القراءة والعمل الواقع بعده، فيناسب في المقام تقدير «أقرأ» متأخرة عن الجار والمجرور، لا القراءة، ولا مقدماً لوجوه ذكرها المفسرون. وفي عطف «أعمل» على «أقرأ» إشعار بأن في كل مقام يقدر ما يكون التسمية لأجله. فالمسافر إذا حلّ وارتحل فقال: «بسم الله والبركات» كان المعنى: بسم الله أحل وأرتحل وكذلك...» ٤.

﴿س﴾ مجروره، حذفت ألفها اختصاراً من الخط لأنها ألف وصل ساقطة لفظاً والسبب في حذفها كثرة استعمالها على الألسنة عند الأكل والشرب والقيام والقعود ولهذا كتبت من دون الألف ولفظت كذلك ولا تحذف ألف الوصل إلا في البسملة

١. المستدرك ١ / ٢٣٤ للحاكم النيسابوري.

٢. التفسير الكبير ١ / ٢٠٩ للفخر الرازي.

٣. جزئية البسملة من القرآن وحكمها في الصلاة / (٢٣-١٦) من منشورات المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ.

٤. مجد البيان في تفسير القرآن / ٢١٢ للعلامة الجدّ آية الله العظمى الشيخ محمد حسين النجفي ﷺ المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ. ق.

الكاملة.

والجار والمجرور ﴿بِسْمِ﴾ في محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: أبتدأ تلاوتي مستعينا باسم الله أو خبر مقدم لمبتدأ مؤخر وهو هنا «أقرأ» وفي غيره ما يناسب المقام من العمل الذي يريده.

«الاسم»: في اللغة بمعنى العلامة مأخوذ من «السمو» بمعنى الارتفاع والرفعة لا من «السمة» بمعنى العلامة. لأن «المعنى يرتفع به فيخرج من الخفاء إلى الظهور»^١. وأما أنه لم يكن مشتقاً من «السمة» فلاّ جمعه يأتي على «أسماء» لا «أوسام» وتصغيره يكون «سمياً» لا «وسيم» والنسبة إليه «سموي واسمي» لا «وسمي» وعند التعديّة يقال: «سميت وأسميت» لا «وسّمت وأوسمت» كما عليه السيّد الخوئي^٢. ﴿الله﴾ مضاف إليه، علم للذات المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال والأسماء الحسنی وليس في لغة العرب لفظ موضوع لها غير لفظ الجلالة.

أصله «الإله» حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وإله من أله الرجل يأله بمعنى عبد، أو من إله الرجل أو وله الرجل أي تحير^٣ و «هو: فعال بمعنى مفعول؛ كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله بمعنى عبد، كما صرح به جماعة وأصل العبودية الخضوع والتذلّل، كما صرح به الجوهري، وربّما فسّر بغاية التذلّل، ولعلّه لانصراف اللفظ إلى الفرد الكامل، فيكون الإله هو: المعبود الذي لأجله يقع الخضوع والتذلّل الكامل»^٤.

فلا يتم ما نسب إلى الخليل اللغوي من بساطة لفظ الجلالة وأنّه ليس بمشتق

١. البيان / ٤٢٦.

٢. البيان / ٤٢٦.

٣. الميزان / ١ / ١٨.

٤. مجد البيان / ٢٣٣.

واللام جزء اللفظ وأنّ الواضع له هو الله تعالى. ١

وقد اعترف العرب بالله تعالى في جاهلية أيضاً كما نقل الله جوابهم في قوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ٢ وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ ٣.

﴿الرَّحْمَنُ﴾ صفة لـ ﴿اللَّهِ﴾، صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، مأخوذ من الرحمة وهي الرحمة العامة ضد القسوة والشدة. لأنّ متعلّقها محذوفة فيستفاد منها العموم وأنّ رحمته وسعت كلّ شيء وكلمة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بمنزلة اللقب من الله تعالى فلا تطلق على غيره تعالى.

وبالجملة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم خاص لصفة عامة. فالرحمة الرحمانية تشمل جميع الممكنات وليس لها حد ونهاية.

﴿الرَّحِيمُ﴾ صفة أخرى لـ ﴿اللَّهِ﴾، صفة مشبهة تدلّ على الثبات والبقاء، واسم عام لصفة خاصة فالرحمة الرحيمية لخصوص أهلها على تفاوتهم ودرجاتهم.

ولكن يمكن أن يقال: الرحمة الرحيمية أيضاً تدلّ على العمومية لأنّها قد استعمل في الكتاب العزيز من غير اختصاص بالمؤمنين أو بالآخرة كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٤ ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٦ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ

١. كما في مواهب الرحمن ١ / ١٤ واختاره.

٢. سورة الزخرف / ٨٧.

٣. سورة الأنعام / ١٣٦.

٤. سورة إبراهيم / ٣٦.

٥. سورة الحجر / ٤٩.

٦. سورة الحج / ٦٥.

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا^١ ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^٢ إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، وفي بعض الأدعية والروايات: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما^٣ ٤.

والحاصل: الرحمة الرحيمية باقية بقاء الله وثابتة بثبوتها، لا يزال ولم يزل جارية سارية في المخلوقات. فالرحمة التي لا نهاية لها ولا حد لها باقية وثابتة إلى أبد الآبد بالنسبة إلى جميع المخلوقات والعوالم.

الروايات

خبر جميل بن دراج قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تدع ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان بعده شعر.^٥

خبر فرات بن أحنف عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أول كل كتاب نزل من السماء ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فلا تبالي إلا تستعيز، وإذا قرأت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سترتك في ما بين السماء والأرض.^٦

خبر عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله، وروى بعضهم الميم ملك

١. سورة الاسراء / ٦٦.

٢. سورة الأحزاب / ٢٤.

٣. الصحيفة السجادية في دعائه عليه السلام في استكشاف المهموم؛ بحار الأنوار ٨٩ / ٣٨٣، ح ٧٨، باب ٤ في الدعاء بعد صلاة الأعراي؛ المستدرک ١ / ١٥٥ للحاكم النيسابوري.

٤. البيان / ٤٣٢.

٥. الكافي ٢ / ٦٧٢، ح ١.

٦. الكافي ٣ / ٣١٣، ح ٣.

الله، والله إله كل شيء، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بجميع خلقه و ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين خاصة.^١
 صحيحة هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله
 مما هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مألوهاً والاسم غير
 المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى
 فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟
 قال: قلت: زدني، قال: لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل
 اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم
 للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحروق،
 أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع الله غيره؟ قلت: نعم،
 فقال: نفعلك الله [به] وثبتك يا هشام، قال: فو الله ما قهرني أحدٌ في التوحيد حتى
 قمت مقامي هذا.^٢

معتبرة محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام أنه قال: إنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.
 قال: وقال الرضا عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا خرج من منزله قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ﴾ خرجت بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي بل بحولك وقوتك يا رب متعرضاً
 به لرزقك فأتني به في عافية.^٣

خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول
 الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد
 كل مخلوق وعند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه،

١. الكافي ١/ ١١٤، ح ١.

٢. الكافي ١/ ١١٤، ح ١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٥، ح ١١.

تقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي استعين على أموري كلها بالله الذي لا تحقّ العبادة إلاّ له، المغيـث إذا استغيـث والمجيب إذا دُعي.

وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو فقد أكثر عليّ المجادلون وحَيَّروني، فقال له: يا عبدالله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم. قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تُنْجيك، ولا سباحة تُغْنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنا لك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا مغـيـث.

ثم قال الصادق عليه السلام: ولربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه الله بمكروهٍ لِيُنَبِّهَهُ على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصير، عند تركه قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال: وقام رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: أخبرني عن معني ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي عليه السلام عن أخيه الحسن عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً قام إليه، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ما معناه؟ فقال: إنّ قولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أعظم اسم من أسماء الله تعالى وهو الاسم الذي لا ينبغي أن سُمي به غير الله ولم يتسم به مخلوق. فقال الرجل: فما تفسير قوله ﴿اللَّهُ﴾؟ قال: هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه وتقطع الأسباب من كلّ من سواه وذلك أنّ كلّ مُتَرَسِّسٍ في هذه الدنيا ومتعظّم فيها وإنّ عظم غناؤه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه إليه فإنّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعظّم وكذلك هذا المتعظّم يحتاج حوائج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته حتّى إذا كفى همّه عاد إلى شركه، أما تسمع الله يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ

أَتَتَكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ^١ فقال الله ﷻ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حالٍ، وذلة العبودية في كلّ وقت، فإلّيّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته فإني إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحقّ من سئلكم وأولى من تُضَرَّع إليه، فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير أو عظيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحقّ العبادة لغيره، المُغِيث إذا استُغِيث، المُجِيب إذا دُعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خَفَّفَ علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه ثم قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ حَزَنَهُ أَمْرٌ تَعَاطَاهُ فَقَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ يَقْبَلُ إِلَيْهِ لَمْ يَنْفَكْ مِنْ إِحْدَى اثْنَيْنِ: إِمَّا بَلُوغَ حَاجَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا يُعَدُّ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُدْخَرُ لَدَيْهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلْمُؤْمِنِينَ^٢.

خبر الحسن بن راشد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئل عن معنى ﴿اللَّهُ﴾ ﷻ، فقال: استولى على مادق وجَلَّ^٣.

هذا من قبيل تفسير الشيء بلازمه، يعني من لوازم الألوهية، الإستيلاء على جميع الأشياء دقيقتها وجليلها، صغيرها وكبيرها.

معتبرة علي بن فضال قال: سألت الرضا عليه السلام عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، فقال: معنى القائل ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي أسم على نفسي سمة من سمات الله ﷻ وهي العبادة، قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: العلامة^٤.

١. سورة الأنعام / ٤٠ و ٤١.

٢. التوحيد / ٢٣٠، ح ٥ ونقل أولها في معاني الأخبار / ٤، ح ٢.

٣. معاني الأخبار / ٤، ح ١؛ التوحيد / ٢٣٠، ح ٤.

٤. التوحيد / ٢٢٩، ح ١.

صحيحة صفوان بن يحيى عمن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله، قال: قلت: ﴿اللَّهُ﴾؟ قال: الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام الله خلقه ولايتنا، قلت: فالهاء؟ قال: هوان لمن خالف محمداً وآل محمد صلوات الله عليهم، قال: قلت: ﴿الرَّحْمَنِ﴾؟ قال: بجميع العالم، قلت: ﴿الرَّحِيمِ﴾؟ قال: بالمؤمنين خاصة.^١

الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أهى من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم كان رسول الله ﷺ يقرأها ويَعُدُّها آيةً منه. ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني.^٢

العياشي رفعه عن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وإنما كان يُعَرَفُ انقضاء السورة بنزول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ابتداءً للأخرى.^٣

العياشي رفعه عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ويرفع صوته بها، فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين فأُنزل الله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.^٤

العياشي رفعه عن الحسن بن خُرزاد قال: وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أمَّ الرجل القوم، جاء شيطان إلى شيطان الذي هو قرين الإمام، فيقول: هل ذكر الله؟ يعني هل قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإن قال: نعم، هرب منه، وإن قال: لا، ركب

١. التوحيد / ٢٣٠، ح ٣.

٢. أمالي الصدوق، المجلس الثالث والثلاثون، ح ٢ / ٢٤٠، الرقم ٢٥٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام / ٣٠١، ح ٥٩.

٣. تفسير العياشي / ١ / ١٠٠، ح ٥.

٤. سورة الإسراء / ٤٦.

٥. تفسير العياشي / ١ / ١٠٠، ح ٦.

عُنق الإمام ودِّيَ رجله في صدره، فلم يزل الشيطان إمام القوم حتَّى يفرغوا من صلاتهم^١.

العياشي رفعه عن عيسى بن عبدالله عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: بلغه أنّ أناساً ينزعون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: هي آية من كتاب الله أنساهم إيّاها الشيطان^٢.

العياشي رفعه عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سرقوا أكرم آية في كتاب الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٣.

العياشي رفعه عن خالد بن المختار قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: ما لهم - قاتلهم الله - عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها، وهي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٤.

العياشي رفعه عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إذا أتى أحدكم أهله، فليكن قبل ذلك ملاطفة، فإنّه أبرّ لقلبها وأسلّ لسخيمتها، فإذا أفضى إلى حاجته قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ ثلاثاً، فإن قدر أن يقرأ أيّ آية حَضَرَتْهُ من القرآن فعل، وإلا كَفَّتْهُ التسمية، فقال له رجل في المجلس: فإن قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أُجِرَ به؟ فقال: وأيّ آية في كتاب الله أكرم من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٥.

الطبرسي رفعه وقال: روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا قال المعلم للصبي قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال الصبي ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

١. تفسير العياشي ١/ ١٠٠، ح ٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٠٢، ح ١٢.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٠٠، ح ٤.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٠٣، ح ١٦.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٠٢، ح ١٤.

كتب الله برأة للصبي وبرأة لأبويه وبرأة للمعلم^١.

رواها صاحب جامع الأخبار في كتابه^٢ مرفوعاً عن النبي ﷺ .

صاحب جامع الأخبار عن ابن مسعود عن النبي ﷺ : من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم^٣.

رواها صاحب مجمع البيان^٤ مرفوعاً وموقوفاً عن ابن مسعود.

صاحب جامع الأخبار رفعه عن النبي ﷺ قال: من قال ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بنى الله له في الجنة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كل قصر سبعون ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء، فوق كل سرير سبعون ألف فراش من سندس واستبرق، وعليه زوجة من الحور العين ولها سبعون ألف ذوابة مكللة بالدر والياقوت، مكتوب على خدّها الأيمن محمد رسول الله وعلى خدّها الأيسر عليّ ولي الله وعلى جبينها الحسن وعلى ذقنها الحسين وعلى شفتيها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

قلت: يا رسول الله لمن هي هذه الكرامة؟ قال: لمن يقول بالحرمة والتعظيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٥.

١. مجمع البيان ١/ ١٨.

٢. جامع الأخبار / ١١٩، ح ٢.

٣. جامع الأخبار / ١١٩، ح ٣.

٤. مجمع البيان ١/ ١٩.

٥. جامع الأخبار / ١٢٠، ح ٥.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ﴾ مبتدأ. ومعناه: الثناء على الجميل الاختياري و «ال» في أوله للجنس أو الاستغراق بمعنى أن كل حمد يصدر من أيِّ حامدٍ اختياريًّا كان أو غيره يرجع إلى الله تعالى لأنَّه خالق الكلِّ وربُّه فيرجع ما سواه إليه تعالى.

وبعبارة أخرى: حيث أنَّه تعالى مبداء الكلِّ فيرجع محامد الكلِّ إليه. كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١ وقال: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^٢ وقال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾^٣ ثمَّ الحمد أخص من المدح ولم يرد لفظة المدح في القرآن الكريم كما لم يستعمل الحمد فيه إلاَّ الله سبحانه.

والنسبة بين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه، محلّ اجتماعهما ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في مقام الشكر له تعالى، وما يختص بالحمد هو الذكر الجميل الاختياري والثناء عليه ولو كان لغير المحمود وما يختص بالشكر نحو الشكر القلبي أو العملي فهذان شكر وليسا بحمد، لأنَّ الحمد لا بدَّ وأن يذكر باللسان. فلا يتم ما ذكره الراغب؛ من أنَّ الحمد أعم من الشكر.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ وتقديره ﴿الْحَمْدُ﴾ مختص ﴿لِلَّهِ﴾. واللام فيه للاختصاص ومرر معنى ﴿اللَّهُ﴾ جلاله.

﴿رَبِّ﴾ بدل من لفظ الجلالة أو صفة منه. و ﴿رَبِّ﴾ مأخوذ من ربب وهو

١. سورة الروم / ١٨.

٢. سورة القصص / ٧٠.

٣. سورة التغابن / ١.

٤. المفردات / ١٣٠.

المالك والمصلح والمربي ومنه التربية وهي «تبليغ الشيء كماله تدريجاً»^١ فعلية «الرب هو القائم بأمر المربوب من خلق وهداية، ورزق وإعطاء ما يحتاج إليه، ودفع ما يضره»^٢.
«وهو لا يطلق على غيره تعالى إلا مضافاً إلى شيء فيقال: رب السفينة، رب الدار»^٣. كما ذهب إليه الشيخ.^٤

﴿الْعَلَمِينَ﴾ مضاف إليه. جمع العالم وهو «جمع لا مفرد له كرهط وقوم، وهو قد يطلق على مجموعة من الخلق متماثلة، كما يقال: عالم الجهاد، عالم النبات، عالم الحيوان. وقد يطلق على مجموعة يؤلف بين أجزائها اجتماعها في زمان أو مكان، فيقال: عالم الصبا، عالم الذر، عالم الدنيا، عالم الآخرة. وقد يطلق ويراد به الخلق كله على اختلاف حقائق وحداته، ويجمع بالواو والنون، فيقال: عالمون ويجمع على فواعل، فيقال: عوالم، ولم يوجد في لغة العرب ما هو على زنة فاعل، ويجمع بالواو والنون غير هذه الكلمة»^٥.

ويظهر من ﴿رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ أنه تعليل لما ورد قبله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ والله العالم. والجملة الأولى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تدلّ على توحيد الحمد وتخصيص بالله تعالى والجملة الثانية ﴿رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ تدلّ على توحيد الرب و«أنه لا ربّ في الحقيقة سواه، ولا يتّصف غيره بشيء من شئون الربوبية، وهو توحيد غامض بحسب العلم، صعب المنال بحسب الحال، والاستقامة على العمل بها عسير. وربّها يشير إليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْنَوْا﴾^٦.

١. كما في العروة الوثقى / ٩٤ للشيخ بهاء الدين محمد العاملي رحمته الله.

٢. مجد البيان / ٢٨٢.

٣. البيان / ٤٥٦.

٤. التبيان / ٩٨ / ١.

٥. البيان / ٤٥٦.

٦. سورة فصلت / ٣٠ والأحقاف / ١٣.

وهو التوحيد الذي يبنى عليه أساس التوكل، ويتخلص به من الشرك في الطاعة من المندرج فيها الرياء والسمعة»^١.

الروايات

خبر مُيسَّر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

خبر عمر بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شكر كل نعمة وان عظمت أن تحمد الله عليها^٣.

صحيحة معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: من حمد الله على النعمة فقد شكره وكان الحمد أفضل من تلك النعمة^٤.

صحيحة صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها^٥.

معتبرة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله بها الجنة، ثم قال: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسمى ثم يشرب فينحّيه وهو يشتهي فيحمد الله، ثم يعود فيشرب ثم ينحّيه فيحمد الله ثم يعود فيشرب ثم ينحّيه فيحمد الله، فيوجب الله بها له الجنة^٦.

حسنة حماد بن عثمان قال: خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد وقد ضاعت دابّته،

١. مجد البيان / ٢٨٧.

٢. الكافي ٢/ ٩٥، ح ١٠.

٣. الكافي ٢/ ٩٥، ح ١١.

٤. الكافي ٢/ ٩٦، ح ١٣.

٥. الكافي ٢/ ٩٦، ح ١٤.

٦. الكافي ٢/ ٩٦، ح ١٦.

فقال: لئن ردّها الله عليّ لأشكرنّ الله حقّ شكره، قال: فها لبث أن أتى بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل: جعلتُ فداك أليس قلت: لأشكرنّ الله حقّ شكره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟^١

خبر المثني الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمرٌ يسُرّه قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمرٌ يَغْتُمُّ به قال: الحمد لله على كلّ حال.^٢

صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تُسمعه: «الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به ولو شاء فعل»، قال: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً.^٣

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» قال: الشكر لله.^٤ خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ما تفسيره؟

فقال: لقد حدثني أبي عن جدي عن الباقر عن زين العابدين عن أبيه عليه السلام أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله ﷻ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ما تفسيره؟

فقال: الحمد لله هو أن عرف عباده بعض نعمه جملاً، إذ لا يقدرّون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنّها أكثر من أن تُحصى أو تُعرف.

١. الكافي ٢/ ٩٧، ح ١٨.

٢. الكافي ٢/ ٩٧، ح ١٩.

٣. الكافي ٢/ ٩٧، ح ٢٠.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٨.

فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا ربُّ العالمين وهم الجماعات من كلِّ مخلوق من الجمادات والحيوانات، وأما الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبرُّ كلاً منها بمصلحته، وأما الجمادات فهو يُمسكها بقدرته ويُمسك المتصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره أنه بعباده لرؤف رحيم.

وقال ﷺ: ربُّ العالمين مالِكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، فالرزق مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أيِّ سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى مُتقى بزايدة ولا فجور فاجر بناقصه وبينه وبينه ستر وهو طالبه، فلو أن أحدكم يفرّ من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت.

فقال الله ﷻ: قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا وذكرنا به من خير في كتب الأولين قبل أن نكون ففي هذا إيجاب على محمد ﷺ وآل محمد ﷺ وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضلهم وذلك أن رسول الله ﷺ قال: لما بعث الله ﷻ موسى ابن عمران ﷺ واصطفاه نجياً وخلق له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح رأى مكانه من ربه ﷻ، فقال: يا ربِّ لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أن محمدًا عندي أفضل من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟

قال موسى ﷺ: يا ربِّ إن كان محمدًا ﷺ أكرم عندك من جميع خلقك فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟

قال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين؟

فقال موسى ﷺ: يا ربّ فإن كان آل محمد كذلك فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؟ ظلّلت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المنّ والسلوى وفلّقت لهم البحر.

فقال الله ﷻ: يا موسى أما علمت أنّ فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي؟

فقال موسى ﷺ: يا ربّ ليتني كنت أراهم، فأوحى ﷻ إليه: يا موسى إنّك لن تراهم وليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنان، جنات عدن والفردوس بحضرة محمد في نعيمها يتقلّبون وفي خيراتها يتبحّجون أفتحبّ أن أسمعك كلامهم؟ فقال: نعم يا الهي.

قال الله ﷻ: قم بين يدي واشدّد متزرك قيام العبد الذليل بين يدي ملك الجليل، ففعل ذلك موسى ﷺ: فنادى ربنا ﷻ يا أمة محمد، فأجابوه كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إنّ الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إنّ الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك، قال: فجعل الله ﷻ تلك الاجابة شعار الحاج.

ثم نادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد أنّ قضائي عليكم، إنّ رحمتي سبقت غضبي وعفوي قبل عقابي فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهاد، أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله محقّ في أفعاله، وأنّ علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليّه يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وأنّ أوليائه المصطفين الطاهرين المطهرين المنبئين بعجايب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه أدخلته جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال عليه السلام: فلما بعث الله صلى الله عليه وسلم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾^١ أمتك بهذه الكرامة، ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد صلى الله عليه وسلم قل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ على ما اختصني به من هذه الفضيلة، وقال لأمته: قولوا أنتم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما اختصنا به من هذه الفضائل^٢.

كف الله: رحمته وستره وحفظه. التهافت: التساقط قطعة قطعة. الغمام: السحاب الأبيض
المن: شيء حلو. السلوى: طائر. بجيح في الشيء: توسع، وبجیح في الدار: تمكّن في المقام والحلول بها
وبجیح الدار: توسّطها.

خبر العباد بن عبد الخالق عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله صلى الله عليه وسلم اثني
عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين، ما ترى عالم منهم
أنّ لله صلى الله عليه وسلم عالماً غيرهم، وأنا الحجة عليهم^٣.
رواها الشيخ الحسن بن سليمان الحلبي في مختصر البصائر^٤.

خبر عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ من وراء عين شمسكم
هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإنّ من وراء قمركم أربعين قمراً فيها خلق
كثير، لا يدرون أنّ الله خلق آدم أم لم يخلقه، ألهموا إلهاماً لعنة فلان وفلان^٥.
صحيحة عبد الصمد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ من وراء هذه
أربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس أربعون عاماً فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ
الله خلق آدم أو لم يخلقه، وإنّ من وراء قمركم هذا أربعين قمراً ما بين قمر إلى قمر
مسيرة أربعين يوماً فيها خلق كثير، ما يعلمون أنّ الله خلق آدم أو لم يخلقه، قد ألهموا

١. سورة القصص / ٤٦.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٤ / ٢٨٢، ح ٣٠.

٣. الخصال ٢ / ٦٣٩، ح ١٤.

٤. مختصر البصائر / ٧٦، ح ٤٧.

٥. بصائر الدرجات / ٤٩٠، ح ٣.

كما أُلهمت النحل لعنة الأول والثاني في كل وقت من الأوقات، وقد وكل بهم ملائكة متى ما لم يلعنوها عذبوا.^١

وروى مثلها في مختصر البصائر^٢.

خبر عجلان أبي صالح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قبة آدم، فقلتُ له: هذه قبة آدم، فقال عليه السلام: نعم والله قباب كثيرة، أما إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً أرضاً بيضاء ومملوءة خلقاً يستضيئون بنورنا، لم يعصوا الله طرفة عين لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه يبرؤون من فلان وفلان.

قيل له: كيف هذا يتبرؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟

فقال للسائل: أتعرف إبليس؟

قال: لا، إلا بالخبر.

قال: فأمرت باللعنة والبراءة منه.

قال: نعم.

قال: فكذلك أمر هؤلاء^٣.

رواه في مختصر البصائر^٤.

وفي العوالم وخلقتها ورواياتها راجع بحار الأنوار^٥.

قال ابن طاوس الحسيني: ذكر أبو عمر الزاهد واسمه محمد بن عبد الواحد في كتابه بإسناده أن علي بن أبي طالب قال: يا أبا عباس إذا صليت العشاء الآخرة فالحقني

١. مختصر البصائر / ٧٣، ح ٤٤.

٢. بصائر الدرجات / ٤٩٣، ح ٨.

٣. بصائر الدرجات / ٤٩٣، ح ٨.

٤. مختصر البصائر / ٧٢، ح ٤٣.

٥. بحار الأنوار / ٥٤ / (٣١٦-٣٥٥) = [٢٢ / (١٨٥-٢٠٨)]. كلاهما من طبع بيروت قديماً وحديثاً.

إلى الجبّان: قال: فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة، قال: فقال لي: ما تفسير الألف من ﴿الْحَمْدُ﴾؟ قال: فما علمت حرفاً أجيبه، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامة، قال: ثم قال لي: فما تفسير اللام من ﴿الْحَمْدُ﴾؟ قال: فقلت: لا أعلم، فتكلّم في تفسيرها ساعة تامة، [قال: ثم قال: فما تفسير الحاء من ﴿الْحَمْدُ﴾؟ قال: فقلت: لا أعلم، قال: فتكلّم في تفسيرها ساعة تامة] ١ ثم قال: فما تفسير الميم من ﴿الْحَمْدُ﴾؟ فقلت: لا أعلم، قال: فتكلّم فيها ساعة تامة، قال: ثم قال: فما تفسير الدال من ﴿الْحَمْدُ﴾؟ قال: قلت: لا أدري قال: فتكلّم فيها إلى أن برق عمود الفجر، قال: فقال لي: قم أباعباس إلى منزلك وتأهب لفرضك.

قال: أبو العباس عبد الله بن العباس: فقمْتُ وقد وعيتُ كلَّ ما قال ثم تفكرْتُ فإذا علمي بالقرآن في علم عليٍّ كالقرارة في المُنْعَنَجِرِ ٢.
قال الفيروزآبادي: المُنْعَنَجِر: السائل من ماء أو دمع، وبفتح الجيم: وسط البحر وليس في البحر ما يشبهه. ٣.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّحْمَنِ﴾ قد مرّ معناه صفة أخرى للفظ الجلالة.
﴿الرَّحِيمِ﴾ قد مرّ معناه صفة ثالثة للفظ الجلالة.
وأما سرّ تكريرهما لعلّ «للتنبية بهما في جملة الصفات المذكورة لاستحقاقه

١. زيادة من تفسير النقاش كما نقل عنه في سعد السعود / ٢٨٦ ونقل عن السعد في بحار الأنوار ٧٣/٣٧ من الطبعة الحديثة في بيروت عام ١٤٢١ و ٨٩/١٠٥ من الطبعة السابقة ببيروت.
٢. سعد السعود / ٢٨٥ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٧/٧٢ (٨٩/١٠٤).
٣. القاموس المحيط ٣٩٦/١.

الحمد، أو لإفادة التأكيد وبسط رجاء العباد في رحمته، أو لأنَّ الرحمتين في البسملة مأخوذتان في حدّ نفسيهما كليّتين من دون اعتبار نزولهما وظهورهما في المرحومات، ومن أجله إتصلتا بكلمة الجلالة على وجه التبعية لهما من دون لحاظ متعلّق لهما، وهيهنا اعتبرت في مقام الظهور والتعلّق بالمرحومات باعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، ولذا تأخّرتا عن ربّ العالمين المذكور فيه المتعلّقات، وصار من جملة الاوصاف التي وقعت في حيز الحمد المختصّ بالنعمة، أو الجميل الاختياري على ما سبق^١.

وذكر الشيخ إسماعيل حقي البروسوي المتوفى سنة ١٣٧ هـ. ق وجوهاً ستة في سرّ تكرارها في تفسيره روح البيان^٢ فراجع.

وإن كان بعضها لا يتم عندنا كالوجه الثاني وقد ذكرتها في كتابي «معراج مؤمن»^٣ باللغة الفارسية وعليك بمراجعته فإنّه لطيف جداً.

ولكن الظاهر أنّ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الوارد في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ناظر إلى الله الخالق للكون خلق العوالم على الرحمانية والرحيمية وأنّ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بعد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ناظر إلى أنّ الربّ يدير العوالم على الرحمانية والرحيمية والصفتان للخلق والربوبية مختلفان فلا تكرار في سورة أصلاً وهذا ما ظهر ببالي الفاتر والحمد لله العالم بحقايق كتابه الكريم.

الروايات

خبر عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: ... والله إله كلّ شيء، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بجميع خلقه و ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين

١. مجد البيان / ٢٩١.

٢. روح البيان ١/ ١٣ و ١٤ طبع دار الفكر بيروت.

٣. معراج مؤمن / ٧٢.

خاصة ١.

قد مرّ الحديث بتمامه في ذيل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الصدوق بإسناده إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال في حديث طويل: ... ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي يرحم ببسط الرزق علينا، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بنا في أدياننا وديننا وآخرتنا وخَفَّفَ علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه، الحديث ٢.

قد مرّ الحديث بتمامه في ذيل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الصدوق بإسناده إلى علل الفضل عن الرضا عليه السلام في حديث: ... ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه، الحديث ٣.
القمي في الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال بعد أن شرح ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بجميع خلقه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين خاصة ٤.
الطوسي رفعه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: رحمن الدنيا، و﴿الرَّحِيمُ﴾: رحيم الآخرة ٥.
الطبرسي رفعه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم خاص بصفة عامة و﴿الرَّحِيمُ﴾ اسم عام بصفة خاصة ٦.

الطبرسي رفعه عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنّ الله عز وجل مائة رحمة وأنّه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه بها يتعاطفون ويتراحمون وأخر تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة.

١. الكافي ١/ ١١٤، ح ١.

٢. التوحيد ٢٣٢.

٣. الفقيه ١/ ٣١٠، ح ٩٢٦.

٤. تفسير القمي ١/ ٢٨.

٥. التبيان ١/ ٨٩؛ مجمع البيان ١/ ٢١.

٦. مجمع البيان ١/ ٢١.

وروي: أن الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة.^١

ورد نظيرها في كتب حديث العامة وسموها حديث الرحمة وهي:

قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار.^٢

المجلسي نقلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «الرَّحْمَنُ»: العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته. «الرَّحِيمُ»: بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته وبعاده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.^٣

الميرزا محمد المشهدي قال: وفي الحديث: إذا قال العبد: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قال الله تعالى: شهدي بآني «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»، أشهدكم لأوفرن من رحمتي حظّه، ولأجزلن من عطائي نصيبه.^٤

وقد ورد في الصحيفة المباركة السجادية: وكان من دعائه عليه السلام في استكشاف الهموم: يا فارج الهم وكاشف الغم يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد وآل محمد واخرج همي وإكشِف غمّي، الدعاء.^٥

١. مجمع البيان ١/ ٢١.

٢. صحيح البخاري ٧/ ١٨٣؛ كنز العمال ٤/ ٢٥١، ح ١٠٣٩٢؛ الجامع الصغير ١/ ٢٦٦، ح ١٧٣٩؛ الدر المنثور ٤/ ١٠٢؛ اللمع ٧٢ للسيوطي؛ فتح القدير ٣/ ١٣٧ للشوكاني.

٣. بحار الأنوار ٨٩/ ٢٤٨؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ١٢.

٤. تفسير كنز الدقائق ١/ ٥٠.

٥. الدعاء الرابع والخمسين من الصحيفة السجادية.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿مَلِكِ﴾ صفة رابعة للفظ الجلالة.

«قرأ عاصمٌ والكسائيُّ وخلفٌ ويعقوبُ: ﴿مَلِكِ﴾ بألف. الباقون ﴿مَلِكِ﴾ بغير ألف؛ ولم يُملْ أحدُ ألف ﴿مَلِكِ﴾؛ وكسرَ جميعُهُم الكاف. ورؤيَ عن الأعمش أنه فتحها على النداء. وربيعَةُ بن زرارٍ يُخَفِّفُونَ «مالك» ويُسَقِطُونَ الألفَ، فيقولون: «مَلِك» بتسكين اللام وفتح الميم، كما قال أبو النجم:

تَمَسَّى الْمَلِكُ عَلَيْهِ حُلُّهُ

والألفُ ساقطة في الخطِّ في القراءتين.

والمعولُ على الأَوَّلَتَيْنِ دُونَ النَّصْبِ وإِسْكَانِ اللَّامِ»^١.

و «هذه المادة ﴿مَلِكِ﴾ بأيِّ هيئة استعملت تكون بمعنى الاستيلاء والإحاطة والاحتواء، سواء أكان بالنسبة إلى الخلق والإيجاد، أو بالنسبة إلى النظم أو الانتظام. نعم، هي في المخلوق محدودة لفرض محدودية ذاته وصفاته، وفي الخالق لا وجه للتحديد فيه بوجه من الوجوه»^٢.

﴿يَوْمِ﴾ اسم زمان، مفعول، مضاف إليه والمراد به هو قطعة من الزمان والوقت.

ويمكن أن يكون مقداره لا ينطبق مع اليوم المعهود عندنا كما قال تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^٣.

١. التبيان ١/ ١٠٢.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٣٨.

٣. سورة المعارج / ٤.

﴿الَّذِينَ﴾ مضاف إليه ثان، معناه الجزاء فالمراد بـ ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم القيامة والجزاء ومالكية يوم الدين تستلزم مالكية جميع العوالم السابقة عليه كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^١.

«وإنما ذكر ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بعد ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ترغيباً لعباده، وحناناً عليهم بأن لا تغلبهم دهشة اليوم، فإنَّ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ معهم في أيِّ عالم وردوا عليه، وحاضر فيهم في ما إذا أحاطت بهم الدهشة»^٢. ويكون ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قبله رافعاً لوحشة العبد من يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ﴾^٣.

الروايات

خبر الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مات بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان عليه السلام إذا قرأ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يكررها حتى كاد أن يموت.^٤

رواه العياشي مرفوعاً في تفسيره.^٥

العياشي رفعه عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^٦.

العياشي رفعه عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله يقرأ ما لا أحصي ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^٧.

١. سورة غافر / ١٦.

٢. مواهب الرحمن / ١ / ٤٢.

٣. سورة الفرقان / ٢٦.

٤. الكافي / ٢ / ٦٠٢، ح ١٣.

٥. تفسير العياشي / ١ / ١٠٥، ح ٢٣.

٦. تفسير العياشي / ١ / ١٠٤، ح ٢١.

٧. تفسير العياشي / ١ / ١٠٤، ح ٢٢.

المجلسي نقلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في قوله عليه السلام: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الإمام (يعني أمير المؤمنين عليه السلام): قادر على إقامة يوم الدين وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه على وقته، وتأخيرته بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق لا يملك الحق والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور، كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام.

وقال: هو يوم الحساب سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيسين وأحق الحمقي؟ قالوا: بلي يا رسول الله، قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، وأحق الحمقي من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه في ما أفنيته، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدته؟ أفضيت حق أخ مؤمن؟ أنفست عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه.

فإن ذكر الله جرى منه خير حمد الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله صلى الله عليه وآله وسلم على ترك معاودته، ومحى ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين وعرض بيعة أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه وقبولها وإعادة لعن شائيه وأعدائه ودافعيه عن حقوقه، فإذا فعل ذلك قال الله صلى الله عليه وآله وسلم: لست أناقشك في شيء من الذنوب مع مولاتك أوليائي ومعاذتك أعدائي^١.

الميرزا محمد المشهدي قال: وفي الحديث: إذا قال العبد ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأني مالك يوم الدين لأسهلنَّ يوم الحساب حسابه

١. بحار الأنوار ٨٩ / ٢٥٠؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٣.

وَلَا تُقَلِّنْ حَسَنَاتِهِ وَلَا تُجَاوِزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ١.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

﴿إِيَّاكَ﴾ ضمير منفصل، مفعول به مقدّم. والضمير الخطاب يرجع إلى الله تعالى وتقديم ما حقّه تأخير يفيد الحصر.

وفي الآية التفات «من الغيبة إلى الخطاب لعلّه إشارة إلى أنّ القراءة ينبغي أن يكون عن قلب حاضر وتوجّه كامل، بحيث كلّما أجرى القارئ اسماً من تلك الأسماء العليا والنعوت العظمى على لسانه، ونقشه على صفحة جنانه حصل للمطلوب مزيد انكشاف وانجلاء، وأحسّ هو بتزايد قرب واعتلاء. وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يصير الخبر له عياناً، والغيبة حضوراً، والبرهان مشاهدة، فيستدعي المقام العدول إلى الخطاب، وإلى علوّ مرتبة هذه الآيات القرآنيّة حيث أنّها تصيّر قارئها وتاليها بلسانه وقلبه أهلاً لمجلس الخطاب، فائزاً بسعادة الحضور والاقتراب. فكيف لو لازم وظائف الأذكار، وواظب على تلاوته وتدبّر معانيه بالليل والنهار، مع ما فيه من جبر كلفة العبادة بلذّة الحضور والمخاطبة وان عرض الهدية الحقة حضوراً أقرب إلى القبول من عرضه بدون المواجهة عند الأكابر والملوك، وهو آية لكون هدايا الحاضرين لديه سبحانه على ما ورد في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»^٢ أقرب إلى القبول.

فعلى التالي صرف الهمّ على تحصيل الحضور بين يدي من هو حاضر لا يغيب،

١. تفسير كنز الدقائق ٥٣/١؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١.

٢. رواه الصدوق عليه السلام في العيون ٤٦/٢، ح ١٧٥، عن الرضا عليه السلام ... عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ ونقله المجلسي عليه السلام في البحار، ١٥٦/٩٣، ح ٢٥، باب ذكر الله تعالى.

وهو أقرب من حبل الوريد»^١.

﴿نَعْبُدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». معناه: نعبدك ولا نعبد سواك.

«العبادة: في اللغة تأتي لأحد معاني ثلاثة:

الأول: الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٢.

فإن عبادة الشيطان المنهي عنها في الآية المباركة إطاعته.

الثاني: الخضوع والتذلل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلَنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾^٣. أي خاضعون متذللون،

ومنه أيضاً إطلاق «المعبد» على الطريق الذي يكثر المرور عليه.

الثالث: التأله^٤، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾^٥.

وإلى المعنى الأخير ينصرف هذا اللفظ في العرف العام إذا أُطلق دون قرينة^٦.

ويمكن استفادة حصر العبادة لله من الآيات السابقات «لأنَّ مَنْ كَانَ ﴿رَبِّ آَعْلَمِينَ﴾ و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا وجه لعبادة غيره، فإنَّ غيره مطلقاً مملوك له تعالى ومحتاج إليه، ولا وجه أن يدع مَنْ له تلك الصفات في

١. مجدالبيان / ٣٠٦.

٢. سورة يس / ٦٠.

٣. سورة المؤمنون / ٤٧.

٤. بالفارسية: پرستش.

٥. سورة الرعد / ٣٦.

٦. البيان / ٤٦١.

عبادته ويعبد غيره»^١.

والعبودية لله تعالى توجب تحرّر العابد من عبودية غير الله تعالى ودخوله في عنوان الأحرار الواقعيين الذين لا يعبدون غير الله تعالى ولا يخضون لغيره سبحانه. ﴿وَ عَاطِفَةٌ.

﴿إِيَّاكَ﴾ معطوفة على سابقتها. مفعول به مقدّم.

﴿نَسْتَعِينُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر. الاستعانة: طلب المعونة أي نطلب منك المعونة فقط لا من غيرك على طاعتك وعبادتك وعلى غيرهما من أمورنا الدنيوية والأخروية.

وَمَنْ حَصَرَ الْعِبَادَةَ فِي اللَّهِ، لَا بَدَّ لَهُ أَنْ يَحْصِرَ الْإِسْتِعَانَةَ بِهِ سُبْحَانَهُ. وحصر الاستعانة هو نتيجة حصر العبودية، والتوحيد في اسم الربّ «إِذْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ سِوَى الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ كَيْفَ يَسْتَعِينُ بغيره ولم يجد معطياً سواه، ولا مغيث ولا مفزع ولا مهرب، ولا ملجأ ولا منجاً منه إلا إليه؟ وهذا توحيد غامض بحسب العلم، صعب المنال حالاً وعملاً، وبدونه لا تكمل حصر الاستعانة»^٢.

«إِنَّ الْمُمْكِنَ لَمَّا كَانَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْفَقْرِ، بِحَيْثُ يَمْتَنِعُ امْتِنَاعاً عَقْلِيّاً ارْتِفَاعَ الْحَاجَةِ مِنْهُ فِي مَرْتَبَةِ ذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ وَوُجُودِهِ وَبَقَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ، وَفِي أَفْعَالِهِ وَمَقَدِّمَاتِ أَفْعَالِهِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَتَهْيِئَةِ الْأَسْبَابِ الْخَارِجِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَبِالْجُمْلَةِ هُوَ فَقِيرٌ مُطْلَقٌ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِهِ، وَكُلُّ حَيْثِيَّةٍ مِنْ حَيْثِيَّاتِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، فَكُلُّ فِعْلٍ عِبَادَةٍ وَغَيْرِهَا أَرَادَ صَدُورَهُ كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى جَمِيعِ مَا أَشْرْنَا إِلَى جُمْلَةٍ حَتَّى يَسْتَمَّ لَهُ ذَلِكَ، وَلَيْسَ وَجُودُهُ قَبْلَ زَمَانِ الْفِعْلِ رَافِعاً لاحتياجه، بل هو محتاج إلى الوجود حال الفعل من دون فرق بين أن

١. مواهب الرحمن ١/ ٤٣.

٢. مجد البيان / ٣١١.

يكون قبله موجوداً أو لا، وليس حال الممكن في بقائه إلا كحاله حين الحدوث من جهة الافتقار إلى المؤثر. فكلّ آن فرض للممكن فهو مفتقر إلى علّة وجودها في ذلك الآن من دون فرق بين وجوده سابقاً وعدمه؛ إذ لا ربط لوجوده سابقاً في وجوده لاحقاً. وحينئذ فما أُعطي من النعم والمقدمات ليس مغنياً للممكن بحيث يرفع حاجته، بل هو في كلّ آن محتاج مطلق، وكلّ آن رفع حاجته بإغناء الغنيّ له صورة في مرتبة متأخرة عن ذاته بقي بالنسبة إلى الحال اللاحق فقيراً مطلقاً، وهكذا يمتدّ الفقر منه والعطاء من الحق بقدر ما شاء من إغنائه.

فإذا عرف العبد حاله بالنسبة إلى جميع شؤونه وأموره من عبادة وغيرها على ما وصفنا تحقّق الشرط الأول إذا كان متذكّراً لحاله، وإذا تذكّر الأوصاف الأربعة للحقّ من الألوهية والربوبية والرحمانية والرحيمية علم أنّ الحقّ عالم به وباستعانه، وقادر على إعانته، وجواد لا يبخل، وأنّ من شأنه إجابة دعاء المحتاجين؛ إذ جميع صفات كماله يندرج تحت كلمة الجلالة، ولو لا العلم بالحال والقدرة على الإعانة والجود المطلق لم يستحقّ له إثبات ربوبية العالمين، وإجابة الدعاء ظاهر من صفة الرحمة، بل ومن الربوبية أيضاً. وإذا لاحظ مع ذلك وقوع يوم الدين ظهرت شدّة فاقتة إلى أمور دينه، وتمّ ظهور فقره واضطراره إلى تحصيله. وإذا لاحظ أنّ مالكة هو الله سبحانه يقيم على كلّ أحد على ما يشاء ظهر أنّ السعادة والشقاوة تحت حكمه ومملكه، فلا بدّ من الاستعانة به لتحصيل السعادة ودفع الشقاوة عن نفسه. وإذا لاحظ شدّة خطر طريق الآخرة ودقّة صراطه وأسرار دينه ونكاته علم أنّه لا ينجو من مهالكه أحد إلاّ بإعانة الحقّ سبحانه؛ «لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك»^١.

وبقدر ظهور هذه المعارف في القلب يكون كمال الاستعانة وضعفها وعمومها للأحوال والشؤون كلّها، واختصارها وانصراف قلب المستعين نحو المستعان منه.

١. دعاء أبي حمزة الثمالي، راجع مصباح المتعبد / ٥٢٤.

وفي هذا المقام يتفاوت درجات العابد تفاوتاً لا تحدد، فأعلاها درجة الفقر المطلق، الذي اتصف بصفة الالتجاء والاعتصام الكليّ بربه، الذي لا يخرج منه فرد، وشأن الداعي ربه أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً في شأن من شئونه.

ومما ذكرنا ظهر وجه ارتباط هذه الآية بالآيات السابقة مفصلاً، وأنّ القارئ بقلبه الآيات الثلاث يصل إلى مقام العبادة مع التوحيد والاستعانة المطلقة منه سبحانه، ونفي الاستعانة بغيره. وظهر إجمالاً أنّ غير الحق لا يليق الاستعانة، ولو فرض تحقّق هذه الشرائط في غير الحق فلم يترك الاستعانة بربه الموسوم بتلك الأسماء العظام، ويستعين بمن فيه هو مثله في صفات الإمكان والجهل والعجز وقلة الجود الصوريّ المشغول همّه بنفسه عن غيره. فقايس بين الحالين، وانظر فيه قبائح الاستعانة بغيره سبحانه»^١.

أقول: والحاصل: يجوز الاستعانة من غير الربّ كما مرّ ولكن جميع الاستعانات ترجع إلى الله تعالى كما أنّ جميع المحامد يرجع إليه سبحانه، علّم المستعين أو لم يعلم لأنّ الذي قدر المستعان على الاستعانة وأعطى هذه القدرة له هو الله تعالى. فلا استعانة من كلّ أحد يرجع إلى استعانة الله تعالى، اللهم إلا أن يرى المستعين استقلاله في الوجود عن الله تعالى وهو كما ترى واضح البطلان.

فلا معنى لانهصار الاستعانة هنا في الاستعانة على العبادة بل الآية الشريفة تشمل جميع الاستعانات كما بيّناه لك والحمد لله.

تنبيه

ومن هنا يظهر أنّ هذه الآية تبطل الجبر بالشرط الأوّل، والتفويض بالشرط الثاني، وأنّ تمسك كلّ منهما على بطلان الآخر به صحيح، وعلى صحّة مذهبه باطل بل

هو نصّ في نسبة فعل العبادة والاستعانة إلى العبد، وفي كون المعونة من الله سبحانه، وإنّما يطلبها العبد منه سبحانه، فليست في يده وتحت قدرته وإلا لما طلبه من غيره. فالعبد عابد بعون الله سبحانه، وفاعل كذلك، والله سبحانه معين له، لا يوجد الفعل عليه قهراً بالمعنى. فالشطر الآخر نفى الجبر أيضاً، كما أنّ باقي السورة نفى لهما معاً، بل كلمة الجلالة بالمعنى المتقدّم تدلّ على نفيهما، إذ المعبود لا يكون معبوداً بالفعل ما لم يكن عابد يعبدّه باختياريه. ومن يستقلّ العباد عنه ويستغنون عنه في أفعالهم ليس معبوداً بعنوان مطلق، وكذلك ربّ العالمين ينفي التفويض؛ إذ المربوب بقول مطلق لا يستقلّ عن ربّه وربوبيّته في جهة من الجهات، وباعتبار أن إعطاء الاختيار للمربوب من الشؤون الداخلة تحت الربوبية ينتفي الجبر، كما أنّها من الرحمة الرحمانية، فلو لم يعط نقصت الرحمة، ولو استقلّ العبد بها لم يكن كلّ رحمة منه حدوثاً وبقاءً وكمالاً. وفعل الخيرات من آثار الرحمة الرحيمية أو موجباتها، ولو لا الاختيار لاستوت العباد كلّها في استحقاق الرحمة الأخروية. ولم يكن للدين والحساب والجزاء معنى حتّى يوصف الحقّ بكونه مالِكاً أو مَلِكاً له، فتبصّر.^١

الروايات

العياشي رفعه عن الحسن بن محمّد الجَمّال عن بعض أصحابنا قال: بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وَجّه إليّ محمّد بن علي بن الحسين ولا تُهَيّجه ولا تروّعه واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القَدَرِيّة فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلّا محمّد بن علي، فكتب إلى صاحب المدينة أن يَحْمِلَ محمّد بن علي عليه السلام إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: إني شيخٌ كبيرٌ، لا أقوى على الخروج وهذا جعفر ابني يقوم مقامِي،

فَوَجَّهْهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْأُمَوِيِّ اَزْدَرَاهُ لِصَغَرِهِ، وَكَرِهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَدَرِيِّ،
مُخَافَةً أَنْ يَغْلِبَهُ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِالشَّامِ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ لِمُخَاصَمَةِ الْقَدَرِيِّ.
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ لِمُخَاصَمَتِهِمَا، فَقَالَ الْأُمَوِيُّ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّهُ
قَدْ أَعْيَانَا أَمْرُ هَذَا الْقَدَرِيِّ وَإِنَّمَا كَتَبْتُ إِلَيْكَ لِأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَمْ يَدَعْ عِنْدَنَا أَحَدًا إِلَّا
خَصِمَهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَاهُ. قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَالَ الْقَدَرِيُّ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَلْ
عَمَّا شِئْتَ: فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ سُورَةَ الْحَمْدِ. قَالَ: فَقَرَأَهَا، وَقَالَ الْأُمَوِيُّ - وَأَنَا مَعَهُ - مَا فِي
سُورَةِ الْحَمْدِ عَلَيْنَا، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! فَجَعَلَ الْقَدَرِيُّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْحَمْدِ حَتَّى بَلَغَ
قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ عليه السلام: قَفْ مَنْ
تَسْتَعِينُ وَمَا حَاجَتُكَ إِلَى الْمَعُونَةِ إِنْ الْأَمْرُ إِلَيْكَ؟! فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ.^١

الْقَدَرِيَّةُ: قَوْمٌ يَنْكُرُونَ الْقَدَرَ وَيَقُولُونَ إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَالِقٌ لِنَفْسِهِ. اَزْدَرَيْتُهُ: أَيَّ حَقَرْتُهُ.
وَفِي التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: إِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
قَالَ اللَّهُ: صَدَقَ عَبْدِي أَيَّايَ يَعْبُدُ، أَشْهَدُكُمْ لِأُثْبِيهِ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَابًا يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ
فِي عِبَادَتِهِ لَهُ، فَإِذَا قَالَ: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ اللَّهُ: بِي اسْتَعَانَ وَإِلَيَّ التَّجَا أَشْهَدُكُمْ
لَأُعِينَهُ فِي شِدَائِهِ وَلَأُخَذْتُ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ.^٢

المجلسي نقلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قَوْلُهُ عليه السلام: ﴿إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ الْإِمَامُ عليه السلام: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُولُوا أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ:
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أَيُّهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْنَا، نَطِيعُكَ مُخْلِصِينَ مَعَ التَّذَلُّلِّ وَالْخُشُوعِ، بِلَا رِيَاءٍ
وَلَا سَمْعَةٍ، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مِنْكَ نَسْأَلُ الْمَعُونَةَ عَلَى طَاعَتِكَ لِنُؤَدِّيَهَا كَمَا أَمَرْتَ،
وَنَتَّقِيَ مِنْ دُنْيَانَا مَا عَنْهُ نَهَيْتَ، وَنَعْتَصِمُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ سَائِرِ مَرَدَةِ الْأَنْسِ

١. تفسير العياشي ١/ ١٠٥، ح ٢٤.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١؛ ونقل عنه في تفسير كنز الدقائق ١/ ٥٦.

من المضلّين، ومن المؤذنين الضالين بعصمتك.^١

المجلسي نقلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام الحسن عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: قولوا ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعبادتك، وعلى رفع شرور أعدائك، وردّ مكائدهم، والمقام على ما أمرت به.

وقال ﷺ عن جبرئيل عن الله ﷻ: يا عبادي كلّكم ضالّ إلا من هديته، فاسألوني الهدى أهدكم وكلّكم فقير إلا من أغنيت، فاسألوني الغنا أرزقكم وكلّكم مذنب إلا من عافيته فاسألوني المغفرة أغفر لكم، الحديث.^٢

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿أَهْدِنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به أوّل، طلب في مقام تضرع ودعاء.

الهداية ضد الضلالة وهي الإرشاد والدلالة والهداية من أفعال الله تعالى وهي على قسمين:

١- هداية عامة تشمل جميع المخلوقات والنّاس وهي على نوعين:

أ: أمّا الهداية العامة التكوينية: «فهي التي أعدها الله تعالى في طبيعة كل موجود سواء أكان جماداً أم كان نباتاً أو حيواناً، فهي تسري بطبعها أو باختيارها نحو كمّالها، والله هو الذي أودع فيها قوة الاستكمال»^٣.

١. بحار الأنوار ٨٩ / ٢٥١.

٢. بحار الأنوار ٨٩ / ٢٥٢.

٣. البيان / ٤٩٦.

وتدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^١.

ب: وأما الهداية العامة التشريعية «فهي الهداية التي بها هدى الله جميع البشر بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم، فقد أتمَّ الحجة على الإنسان بإفاضته عليه العقل وتمييز الحق من الباطل، ثم بإرساله رسلاً يتلون عليهم آياته، ويبينون لهم شرائع أحكامه، وقرن رسالتهم بما يدل على صدقها من معجز باهر، وبرهان قاهر، فمن الناس من اهتدى، ومنهم من حقَّ عليه الضلالة»^٢.

وتدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^٣.

٢- هداية خاصة «فهي هداية تكوينية، وعناية ربانية خصَّ الله بها بعض عباده حسب ما تقتضيه حكمته، فيهييء له ما به يهتدي إلى كماله ويصل إلى مقصوده، ولو لا تسديده لوقع في الغي والضلالة، هذا وقد أُشير إلى هذا القسم من الهداية في غير واحد من الآيات المباركة، قال عزَّ من قائل: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^٤. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٥. ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^٦. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٧. ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٨. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبَتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾^٩. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

١. سورة طه / ٥٠.

٢. البيان / ٤٩٦.

٣. سورة الإنسان / ٣.

٤. سورة الأعراف / ٣٠.

٥. سورة الأنعام / ١٤٩.

٦. سورة البقرة / ٢٧٢.

٧. سورة الأنعام / ١٤٤.

٨. سورة البقرة / ٢١٣.

٩. سورة القصص / ٥٦.

فِينَا لَهْدِيَّيْهِمْ سُبُلَنَا» ١. ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢/٣. والهداية الخاصة هي التي يطلبها المسلم الموحد من الله تعالى في هذه الآيات و «المسلم بعد ما اعترف بأن الله قد منّ عليه بهدأيته هدايةً عامةً تكوينيةً وتشريعيةً طلب من الله تعالى أن يهديه بهدأيته الخاصة التكوينية التي يختص الله بها من يشاء من عباده» ٤.

وبالجملة: العبد في كلّ وقتٍ وحالٍ وأنّ يحتاج إلى الهداية فيطلبها من ربّها الجليل.

﴿الصِّرَاطُ﴾ مفعول به ثانٍ. ومعناه: الواضح من الطريق والسبيل المؤدي إلى المطلوب وهو الذي يتوصل بالسير فيه إلى المقصود «وقد يكون غير حسيّ فيقال: الاحتياط طريق النجاة، وإطاعة الله طريق الجنة، وإطلاقه على الطريق غير الحسيّ إمّا لعموم المعنى اللغوي وإمّا من باب التشبيه والاستعارة» ٥.

ثمّ اعلم «أنّ لكلّ مقصد من مقاصد الانسان وسائل ومقدّمات لا يصل إليه إلّا بها، ويعبر عنها بالطريق وما يرادفه لها، فيقال: طريق تحصيل الغنى هو التجارة، وطريق حصول الصّحة للمريض شرب الدواء، وطريق قرب السلطان خدمته، ووجه المناسبة واضح، فإنّ الانسان كما لا يصل إلى المكان الذي قصده إلّا بطيّ طريقه ومسافته، كذلك لا يصل إلى تلك المقاصد إلّا بطيّ تلك الوسائل والمقدّمات، فهي واسطة بين الانسان ومقصوده، وكلّ جزء من أجزاء هذه الواسطة حصل قرب حصول المقصود له، كما يقرب الغاية المكانيّة بطيّ جزء المسافة.

١. سورة العنكبوت / ٦٩.

٢. سورة إبراهيم / ٤.

٣. البيان / ٤٩٦.

٤. البيان / ٤٩٧.

٥. البيان / ٤٨٨.

وحيثُذ فنقول: لاشكَّ أنَّ الوصول إلى نعيم البرزخ والآخرة بأقسامها وأنواعها موقوفة على معارف وإخلاق وأعمال هي الموصلة إليها، ويعبر عن مجموعها بالدين والشرعية^١.

﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ صفة أو نعت لـ ﴿الصِّرَاطَ﴾. و ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ من الاستقامة وأصله: «الاستواء في جهة الانتصاب وهو ضد الاعوجاج»^٢. فالاستقامة: هي «الاستواء في مقابل الانحراف والاعوجاج»^٣ أو «الاعتدال وهو ضد الانحراف إلى اليمين والشمال»^٤.

ويمكن أن يقال توصيف الصراط بالاستقامة «إمّا باعتبار التوسّط وترك الافراط والتفريط فيه، وإمّا باعتبار كون سلوكه كسلوك الطريق المستقيم في سرعة الوصول إلى المقصود وقربه، إذ بين كلّ مكانين خط مستقيم واحد هو أقصر الخطوط المتصورة، وخطوط معوجة هي أطول منه على حسب بعده من الاستقامة وقربه إليها، وسالك المستقيم أسرع وصولاً من سالك كلّ منها، وكذلك بين الانسان والوصول إلى المقصد طريقة هي أقرب الطرق إليه فهو المستقيم، وطرق بعيدة لعدم تحصنها من المقرب، بل هو بين تقرب وتبعد، كما أنَّ الطريق المنحرف مشتمل على توجّه نحو المقصود وانحراف عنه، وكأنّه مركّب من المستقيم وغيره وبقدر ما فيه من المستقيم يوصل إلى المقصود. وحيثُذ فسالك طريق العبوديّة والطاعة المحضة هو السالك للصراط المستقيم، والآخرون الذين خلطوا بينه وبين غيره سالكون طرقاً منحرفة، لكن بقدر ما فيه من الطريق المستقيم يقربون إلى المقصود. فان كان غالباً أدّاه بالآخرة

١. مجدالبيان / ٣٢٠.

٢. التبيان ١ / ١٣٠.

٣. مواهب الرحمن ١ / ٥٢.

٤. البيان / ٤٨٨.

إلى المطلوب، وإلا فهالك أو مرجي لأمر الله، إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ، وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ^(١).
ثم «قد بين الله تعالى معنى «الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»، الذي يطلبه الإنسان في عدة آيات:

- منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا﴾^٣.
فجعل الدين هو «الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ».
ومنها: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٤.
فجعل اتباع النبي ﷺ هو «الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ».
وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾^٥.
ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^٦.
وجميع هذه الآيات المباركة بيان لأمر واحد، وهو الدين أرادَه الله تعالى لخلقه^٧.

الروايات

خبر الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى نبيه ﷺ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١ قال: إنك على ولاية عليّ وعليّ هو الصراط

١. كما يشهد له قوله تعالى في آية ١٠٦ من سورة التوبة وهي: ﴿وَأَخْرُوجَ مُرْجُونَ لَأَمْرٍ اللَّهُ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

٢. مجد البيان / ٣٢١.

٣. سورة الأنعام / ١٦١.

٤. سورة الزخرف / ٦١.

٥. سورة المؤمنون / ٧٣ و ٧٤.

٦. سورة يس / ٦١.

٧. مواهب الرحمن / ١ / ٥٢ و ٥٣.

١. سورة الزخرف / ٤٣.

المستقيم. ١

خبر محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في حديث: قلت: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢، قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية عليٍّ كم يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم، و﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام الحديث. ٣
 حسنة هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هذا صراطُ عليٍّ مستقيمٌ. ٤
 وفيها إشارة لطيفة إلى سورة الحجر.

خبر عبيد الله [بن] الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
 أمير المؤمنين علي عليه السلام. ٦

حسنة حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾^٧ وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله عليه السلام: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ٨
 رواها القمي في تفسيره^١.

خبر سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي إذا

١. الكافي ١/ ٤١٦، ح ٢٤.

٢. سورة الملك / ٢٢.

٣. الكافي ١/ ٤٣٢، ح ٩١.

٤. الكافي ١/ ٤٢٤.

٥. سورة الحجر / ٤١.

٦. معاني الأخبار / ٣٢، ح ٢.

٧. سورة الزخرف / ٤.

٨. معاني الأخبار / ٣٢، ح ٣.

١. تفسير القمي ١/ ٢٨.

كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحداً إلا من كان معه كتاب فيه براءة بولايتك. ١

معتبرة ثابت الثمالي عن سيّد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب فلا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ونحن عيبة علمه ونحن تراجمة وحيه ونحن أركان توحيده ونحن موضع سرّه. ٢.٥

خبر المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط. فقال: هو الطريق إلى معرفة الله تعالى وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة. وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم. ٣

علي بن إبراهيم بسنده الموثق عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الطريق ومعرفة الإمام. ٤

العياشي رفعه عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه. ٥

القمي باسناد إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: والله نحن ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ١

١. معاني الأخبار / ٣٥، ح ٥.

٢. معاني الأخبار / ٣٥، ح ٦.

٣. معاني الأخبار / ٣٢، ح ١.

٤. تفسير القمي / ٢٨ / ١.

٥. تفسير العياشي / ١ / ١٠٦، ح ٢٥.

١. تفسير القمي / ١ / ١٣٩ ونقل عنه في تفسير نور الثقلين / ١ / ٣٦، ح ٨٩ ونقل عن نور الثقلين في تفسير كنز الدقائق / ١ / ٦٠.

الثعلبي بإسناده في قوله الله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: صراط محمد ﷺ وآله ﷺ ١.

وفي تفسير وكيع بن الجراح، بإسناده عن عبد الله بن عباس، في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال: قولوا معاشر العباد: أرشدنا إلى حبِّ محمد وأهل بيته ٢.

الحموي بإسناده عن خيثمة الجعفي، عن أبي جعفر ﷺ، قال: سمعته يقول: نحن جنبُ الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أُمماء الله ﷺ، ونحن حجة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الاسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تأخر عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله ﷺ على خلقه، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عرى الإسلام، ونحن الجسور والقناطر، من مضى عليها لم يسبق، ومن تحلف عنها محق، ونحن السنام الأعلى والأعظم، ونحن بنا ينزل الله ﷺ الرحمة، وبنا يسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا وأبصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا وإلينا ٣. أنت تجد ثلاثين رواية طبقت ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في كتاب عوالم العلوم^١ فراجعها.

١. الكشف والبيان ١/ ١٢٠؛ شواهد التنزيل ١/ ٥٧، ح ٨٦؛ مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ٧٣.
٢. شواهد التنزيل ١/ ٥٧، ح ٨٧؛ مناقب ابن شهر آشوب ٣/ ٧٣؛ غاية المرام ١/ ٣٢٨، ح ٦٠٦.
٣. فرائد السمطين ٢/ ٢٥٣، ح ٥٢٣؛ غاية المرام ١/ ٣٢٧، ح ٦٠٤.
١. عوالم العلوم، القسم الثاني من المجلد ١٥/ (٣٠-١٩).

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

﴿صِرَاطَ﴾ بدل من ﴿الصِّرَاطَ﴾ وبيان للصراط المستقيم في الآية السابقة، على نحو «بدل الكل، وهو في حكم تكرير العامل من حيث أنه المقصود بالنسبة، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكد وجه وأبلغه لأنه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه أن الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين»^١.

«وإنما كرّر لفظ ﴿الصِّرَاطَ﴾، لأهمية الموضوع، وأن المطلوب ليس مجرد حدوث الهداية فقط، بل بقاءها وابقاؤها؛ وقد بين تعالى الصراط المستقيم بنفسه، لأن صراطاً يكون مبدؤه من الله تعالى، ومنتهاه إليه، كيف يمكن وصفه، بأي وجه يتحقق نعتة؟! فلا يقدر المخلوق أن يصفه، إلا بما وصفه الخالق بالقول الجامع في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾»^٢.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر بالاضافة.

﴿أَنْعَمْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. «النَّعْمَةُ التي أنعم بها على المذكورين وإن لم تُذكر في اللفظ، فالكلام يدل عليها؛ لأنه لما قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وبيّنا المراد بذلك، ثم بين أن هذا صراط من أنعمت عليهم بها، فلم يحتج إلى إعادة اللفظ»^٣. والإنعام هو «الإفضال بالنعمة وزيادتها، ومن أنعم الله عليهم هم الذين سلكوا ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولم يمل بهم الهوى إلى طاعة الشيطان، ولذلك قد فازوا

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ١/ ٣٢.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٥٤.

٣. التبيان ١/ ١٣٦.

بالحياة الدائمة والسعادة الأبدية، وفوق ذلك كله فازوا برضوان من الله»^١.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْعَمْتَ﴾، والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ﴾ أنعم الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^٢.

﴿عَمَّرَ﴾ صفة لـ ﴿الَّذِينَ﴾ أو بدل من الضمير ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

﴿الْمَغْضُوبِ﴾ مضاف إليه، «الغضب: السخط وتقابله الرحمة، و ﴿الْمَغْضُوبِ﴾ هم الذين توغلوا في الكفر وعندوا عن الحق، ونبذوا آيات الله، وراء ظهورهم، ولا يراد به مطلق الكافر: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٣»^٤.

قال الشيخ: «هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام؛ لأنه تعالى قد أخبر أنه غضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير»^٥.

أقول: أشار الشيخ إلى قوله تعالى في شأن اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^٦.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور [شبه الجملة] في محل رفع نائب فاعل لاسم المفعول ﴿الْمَغْضُوبِ﴾ أو لفعله بتقدير: غضب عليهم.

«ولعل النكتة في إتباع الصراط المستقيم بصراط الذين أنعمت عليه هي: أن

١. البيان / ٤٨٩.

٢. سورة النساء / ٦٩.

٣. سورة النحل / ١٠٦.

٤. البيان / ٤٩٠.

٥. التبيان ١ / ١٤٠.

٦. سورة المائدة / ٦٠.

الصرط المستقيم لما كان أمراً معنوياً دقيقاً لا يكاد يظهر في هذا العالم إلا باعتبار حال سالكيه المتحققين بحقائقه واتباع بصراتهم، كما أن سائر السبل المنحرفة غير ظاهرة إلا في أصحابها، فناسب إتباع ذكر المنعم عليهم الذين هم أهل الحق بالمغايرة للطائفتين الآخرين، الذين هم سالكوا السبل المنحرفة حتى يتضح حال الصراط المطلوب والطرق المبعوضة.

ولعل فيه إشارة إلى طلب الاقتداء بأئمة الهداية والهرب عن مخالفيهم، فيشتمل الآية على متابعة أوليائه، ومخالفة أعدائه، وتولي أوليائه سبحانه، والتبري عن أعدائهم، وبهما يكمل الهداية المطلوبة؛ إذ لا يتم الايمان إلا بالتولي والتبري»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة جاءت تأكيداً للنفي أو بمعنى غير.

﴿الضَّالِّينَ﴾ معطوفة على ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أو مضاف إليه.

«الضلال: التيه ويقابله الهدى، والضالون هم الذين سلكوا غير طريق الهدى فأفضى بهم إلى الهلاك الأبدي والعذاب الدائم، ولكنهم دون المغضوب عليهم في شدة الكفر، لأنهم وإن ضلوا الطريق المستقيم عن تقصير في البحث والفحص، إلا أنهم لم يعاندوا الحق بعد وضوحه»^٢.

قال الشيخ: «هم النصاري؛ لأنه قال: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^٣ وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^٤ يعني النصاري. وروي ذلك عن النبي ﷺ^٥.

١. مجدالبيان / ٣٤١.

٢. البيان / ٤٩٠.

٣. سورة المائدة / ٧٧.

٤. سورة المائدة / ٧٨.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٢٢ و ٢٤ ت ١٧ و ٢٧؛ تفسير القمي / ١ / ٢٩؛ تفسير الشهيد زيد بن علي / ٨٧؛ تنوير المقباس / ٢؛ النكت والعيون / ١ / ٦؛ غريب القرآن لابن قتيبة / ٣٨؛ غريب القرآن للسجستاني (نزهة القلوب) / ٣٠٩؛ غريب القرآن لابن الملقن / ٤٥؛ تفسير المشكل / ٨٤؛ تفسير القرآن العظيم

تنبيه

قال الجديدي: «أصل الغضب ثوران النفس لإرادة الانتقام، وإذا أُسند إلى الحق فهو باعتبار الغاية، كالرحمة، عندهم. والظاهر عندنا تحقق مبدء الغاية في حقائق الأسماء المخلوقة.

و «الضلال» هو العدول عن الصراط السوي ولو خطأً، وأصله على ما قيل الغيوبة، ضلّ الماء في اللبن إذا غاب فيه، وضلّ الكافر غاب عنه؛ قال الله تعالى: ﴿أَيُّدَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾^٢.

فيدخل في ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ كلّ تفريط وتقصير موجب للغضب؛ إذ المفرط هو المعرض المدبر، فهو البعيد، كما فعلت اليهود بموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهما، وفي ﴿الضَّالِّينَ﴾ كلّ إفراط وغلو؛ إذ المفرط هو المجاوز الذي غاب عنه المطلوب؛ كالنصارى بالنسبة إلى عيسى عليه السلام؛ يدخل في صراط المنعم عليهم كلّ وسط واستقامة في عمل أو اعتقاد. كذا قيل.

ولعلّ الأولى أن يعدّ الجاحد للحقّ، والمعاند له، والعاصي له عن علم وما بحكمه من المقصّر الذي تهيأ له أسباب الهداية والرشاد، وأعرض عنه وعاند، وأمر على خلافه مغضوباً عليهم، والمريد للحقّ والطاعة المقبل عليه الذي أخطأه واعتقد خلافه، أو بقي حيراناً ضالاً، فإنّ الضالّ مريد للمقصود ولكنّه أخطأ، ولو عرض له تقصير ما في طلب الهداية فالمتوجّه إلى الصراط المستقيم المخطئ عنه، ولو بسبب عدم بذل الجهد بكماله في تحصيل المقصود ضالّ عنه، والمدبر عنه دالّ لاستكبار أو عناد أو

لابن أبي حاتم الرازي ١/ ٣١، ت ٤٢-٤٠؛ جامع البيان ١/ (٦٤-٦٢)؛ الدر المنثور ١/ (٨٧-٨٣) و ٣٩٥/٥ ومصادره؛ سنن الترمذي ٥/ ٢٠٤، ح ٢٩٥٤؛ مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٧٨ و ٥/ ٧٧؛ مجمع الزوائد ٦/ ٣١٠؛ فتح الباري ٨/ ١٣٠.

١. التبيان ١/ ١٤٠.

٢. سورة السجدة / ١٠.

عصبيّة هو المغضوب عليهم بقرينة المقابلة، ولأنّهم المستكملون لاستحقاق الغضب. وهذا هو الظاهر من حال اليهود، كما يظهر من تصفّح أحوالهم المذكورة في الآيات والأخبار والآثار. والأوّل هو الظاهر من حال النصارى، كما أنّ الظاهر من حال النصاب هو الثاني، ومن الشكّك الذين لا يعرفون الإمام هو الأوّل، فينطبق بما ذكر الروايات المذكورة كلّها سوى عدّ اليهود من الضالّين في الرواية التالية... .

ويمكن أن يكون ذلك باعتبار عدم قبولهم الولاية عن جهلهم بها، وإن كانوا معاندين في جحد النبوة لكنّهم ضالّون عن الإمامة؛ إذ من لم يدخل تحت الدين كيف يظهر له صحة الولاية، بل لعلّ كثيراً منهم لم يتصوروا الولاية نفيّاً وإثباتاً لبعدهم عن الأصل. ويقرّب التقييد لسبق النصاب، وبه يجمع بينها وبين الرواية الأولى.

علّة عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه

هذا، ولعلّ في عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه جلّ شأنه مع التصريح بإسناد مقابله وهو الإنعام إليه سبحانه تشبيهاً لمعالم العفو والرحمة، وتأسيساً لمباني الجود والكرم، حتّى كأنّ الصادر عنه هو الإنعام لا غير، مع أنّ قضية المقابلة أن يقول غير الذين غضبت عليهم كجملة من المواضع التي جمع فيها الخير والشرّ مع التفكيك بينهما.

وأيضاً نسبة الخير إلى الله سبحانه ابتدائيّاً؛ لأنّه مقصود لنفسه، ونسبة خلق الشرّ إليه باعتبار صدور سبب اقتضى خلقه وهو تبعيٌّ، فالموجب لوقوع الشرّ هو سوء حال العبد، والموجب للخير هو صفات الربّ وعنايته ورحمته، كما ورد في دعاء التوجّه على ما ببالي: «والخير في يديك والشرّ ليس إليك»^(١) ٢.

١. رواه الكليني رحمه الله في الكافي ٣/ ٣١٠، باب افتتاح الصلاة، ح ٧؛ والشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب ٢/ ٦٧، باب كيفية الصلاة، ح ١٢؛ وهكذا في الوسائل ٤/ ٧٢٣، باب ٨ من أبواب تكبير الإحرام، ح ١. ٢. مجد البيان / (٣٣٨-٣٤٠).

تذكرة: لا يجوز التأمين في الصلاة

قال الشيخ رحمته الله: «ولا يجوز عندنا أن يقول القاريء عند خاتمة الحمد: «أمين»، فإن قال ذلك في الصلاة متعمداً بطلت صلاته؛ لأنه كلام لا يتعلق بالصلاة، ولأنه كلام لا يستقل بنفسه، وإنما يفيد إذا كان تأمينا على ما تقدم. ومتى قصد بها تقدم الدعاء لم يكن تالياً للقرآن، فتبطل صلاته. وإن قصد التلاوة لا يكون داعياً فلا يصح التأمين. وإن قصدتهما فعند كثير من الأصوليين أن المعنيين المختلفين لا يصح أن يُرادا بلفظ واحد، ومن أجاز ذلك - وهو الصحيح - منع منه؛ لقيام الدلالة على المنع من ذلك.

فلأجل ذلك لم يجز (٢١).

الروايات

خبر حنان بن سدير عن جعفر بن محمد رحمته الله قال: قول الله رحمته الله في الحمد ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم. ٣
خبر محمد بن الحسين عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله رحمته الله في قول الله رحمته الله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: شيعة علي رحمته الله الذين أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب رحمته الله لم يغضب عليهم لم

١. تفصيل ذلك في: العدة في أصول الفقه ١/ ٤٩، فصل ٦؛ الذريعة إلى أصول الشيعة ١/ ١٧. ومن العامة: البرهان في أصول الفقه ٢٣٦-٢٣٥، مسألة ٢٤٧-٢٤٦؛ المعتمد ١/ ٢٢؛ ولاحظ الانتصار للسيد المرتضى / ١٤٤، مسألة ٤١؛ الحقائق الناطقة ٨/ ١٩٦؛ جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام ١٠/ ٢؛ مفتاح الكرامة ٢/ ٣٦٧ وغيرها كثير لدى الفريقين.

٢. التبيان ١/ ١٤٤.

٣. معاني الأخبار / ٣٦، ح ٧.

يُضَلُّوا^١.

خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^٢. وحكى هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة ألا ترون أنّ هؤلاء قد يكونون كفاراً أو فساقاً؟ فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم وإنّا أمرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالايان [بالله] وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد وآله الطاهرين وأصحابه الخيرين المنتجبين وبالتقية الحسنة التي يسلم بها من شرّ عباد الله ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تعزيهم بأذاك وأذى المؤمنين وبالمعرفة بحقوق الإخوان من المؤمنين، الحديث^٣.

العياشي رفعه عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هم اليهود والنصارى^٤.
الكراجكي روى مرفوعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ أنّه قال: ثمان خصال من عمل بها من أمتي حشره الله تعالى في جملة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
قيل: ما هي يا رسول الله؟ فقال: من زود حاجاً، وأغاث ملهوفاً، وأعتق

١. معاني الأخبار / ٣٦، ح ٨.

٢. سورة النساء / ٦٩.

٣. معاني الأخبار / ٣٦، ح ٩.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٠٦، ح ٢٧.

مملوكاً، وربّي يتيماً، وهدى ضالّاً، وأطعم جائعاً، وأروى عطشاناً، وصام يوماً شديداً
الحرّ. ١

المجلسي نقلاً من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام قال: قال
أمير المؤمنين عليه السلام: كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضالٌّ عن سبيل الله. ٢

١. معدن الجواهر ورياضة الخواطر / ١٨١، ح ١، باب ثمانية، رقم ٢٥٧.

٢. بحار الأنوار ٨٩ / ٢٥٦؛ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري / ٢٤.

الروايات الواردة حول تفسير جميع سورة الحمد

معتبرة الفضل بن شاذان في ما سألته من العلل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: أمر الناس بالقرأة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً، وليكن محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل، وأنما بدء بالحمد دون سائر السور لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك أن قوله سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إنما هو أداء لما أوجب الله سبحانه على خلقه من الشكر وشكر لما وفق عبده من الخير.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد له وتحميد وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب ملك

الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رغبة وتقرب إلى الله تعالى ذكره وإخلاص له بالعمل دون غيره.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم الله عليه

ونصره.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ استرشاد لدينه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة

لربه سبحانه.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما قد تقدم من

نعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين

المستخفين به وبأمره ونهيه.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء.^١

خبر محمد بن زياد و محمد بن سيار عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: قَسَمْتُ فاتحه الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله ﷻ: بدأ عبدي باسمي وحق عليّ أن أتمّم له أموره وأبارك له في أحواله.

فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله ﷻ: حمدني عبدي وعلم أنّ النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي دُفِعَتْ عنه فبتَطَوُّلي، أُشهدكم أنّي أُضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعْتُ عنه بلايا الدنيا.

فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله ﷻ: شهد لي بأنّي الرحمن الرحيم، أُشهدكم لأفُرنّ من رحمتي حظّه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه.

فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله ﷻ: أُشهدكم كما اعترف لي أنّي أنا مالك يوم الدين لأسهلنّ يوم الحساب حسابه ولأقبلنّ حسناته ولأجاوزنّ عن سيئاته.

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال الله ﷻ: صدق عبدي أيّاي يعبد، أُشهدكم لأُثبِنّه على عبادته ثواباً يَغِيْطُه كلّ من خالفه في عبادته لي.

فإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله ﷻ: بي استعان وإلى التجاء، أُشهدكم لأُعِينّه على أمره ولأُغِيْثّه في شدائده ولأخذن بيده يوم نوائبه.

فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، قال الله ﷻ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، قد استجبت لعبدي وأعطيته ما أَمَل، وآمنتُه ممّا منه وَجَل.^٢

١. الفقيه ١/ ٣١٠، ح ٩٢٦.

٢. أمالي الصدوق، المجلس الثالث والثلاثون ح ٢٣٩/١، رقم ٢٥٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام

العياشي رفعه عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^١ فقال: فاتحة الكتاب [يُشْنَى فيها القول، قال: وقال رسول الله ﷺ: إن الله من علي بفاتحة الكتاب] من كنز الجنة فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية التي يقول فيها: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾^٢.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دعوى أهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب، و ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال جبرئيل: ما قالها مسلم قط إلا صدقه الله وأهل سماواته. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ اخلاص العبادة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أفضل ما طلب به العباد حوائجهم. ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الأنبياء وهم الذين أنعم الله عليهم. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود. ﴿الضَّالِّينَ﴾ النصارى.^٣

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: الشكر لله. وفي قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: خالق الخلق. ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بجميع خلقه. ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين خاصة.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم الحساب والدليل على ذلك قوله: ﴿وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^٤ يعني يوم الحساب.

١/ ٣٠٠، ح ٥٩.

١. سورة الحجر / ٨٧.

٢. سورة الإسراء / ٤٦.

٣. تفسير العياشي / ١، ١٠٣، ح ١٧.

٤. سورة الصافات / ٣٧.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مخاطبة الله ﷻ.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مثله.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: الطريق ومعرفة الإمام.^١

الطوسي رفعه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فله ما سأل فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال: اثنى علي عبدي. وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي،

ثم قال: هذا لي وله ما بقي.^٢

المجلسي نقلاً من كتاب إرشاد القلوب للدليمي رفعه وقال: في ما كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملك الروم حين سألته عن تفسير فاتحة الكتاب كتب إليه: أما بعد فإنني أحمد الله الذي لا إله إلا هو عالم الخفيات ومنزل البركات من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، ورد كتابك وأقرانيه عمر بن الخطاب، فأما سؤالك عن اسم الله تعالى فإنه اسم فيه شفاء من كل داء وعون على كل دواء، وأما ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فهو عوذة لكل من آمن به وهو اسم لم يسم به غير الرحمن تبارك وتعالى، وأما ﴿الرَّحِيمُ﴾ فرحم من عصي وتاب وآمن وعمل صالحاً. وأما قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فذلك ثناء منا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا.

وأما قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة وكل من كان في الدنيا شاكاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله ﷻ شك ولا جبار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إياه أدخله الجنة برحمته.

١. تفسير القمي ١/ ٢٨.

٢. التبيان ١/ ١٤٣.

وأما قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فَإِنَّا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً.

وأما قوله ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَإِنَّا نستعين بالله ﷻ على الشيطان الرجيم لا يضلنا كما أضلكم.

وأما قوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فذلك الطريق الواضح من عمل في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة.

وأما قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فتلك النعمة التي أنعمها الله ﷻ على من كان قبلنا من النبيين والصديقين فنسأل الله ربنا أن ينعم علينا كما أنعم عليهم.

وأما قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله كفراً، فغضب عليهم فجعل منهم القردة والخنازير فنسأل الله تعالى أن لا يغضب علينا كما غضب عليهم.

وأما قوله ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فأنت وأمثالك يا عابد الصليب الخبيث ظَلَلْتُمْ من بعد عيسى بن مريم فنسأل الله ربنا أن لا يضلنا كما ظَلَلْتُمْ.^١

العلامة الجد آية الله الحاج الشيخ محمد حسين النجفي الاصفهاني رحمته الله رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كلّم في القرآن في الحمد وكلّم في الحمد في البسملة وكلّم في البسملة في الباء وكلّم في الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء.^٢

وهذا تمام الكلام في تفسير سورة الحمد والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

١. بحار الأنوار ٨٩ / ٢٥٩، ح ٥٣.

٢. مجد البيان في تفسير القرآن / ٣٤٧.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

مَدَنِيَّةٌ
آيَاتُهَا ٢٨٦

فضلها

- ١- خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ البقرة وآل عمران جاءتا يوم القيامة تظلاله على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين.^١
- الغيابة: العرب تسمى ما لم تصبه الشمس من النبات كله، الغيان بتخفيف الياء، والغيابة كالغيان، ورواها العياشي في تفسيره^٢ والطبرسي في مجمع البيان^٣ والبحراني في البرهان^٤ والفيض في الصافي^٥ من طبع الحجري والمجلسي في بحار الأنوار^٦ وغيرهم في غيرها.
- ٢- خبر عمرو بن جميع رفعه إلى علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن.^٧

١. ثواب الأعمال / ١٣٠.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٠٧، ح ٢.

٣. مجمع البيان ١/ ٣٢.

٤. البرهان ١/ ١٢١.

٥. الصافي / ٨٣.

٦. بحار الأنوار ٨٩/ ٢٦٥، ح ٨.

٧. ثواب الأعمال / ١٣٠.

رواها العياشي في تفسيره.^١

٣- خبر إبراهيم بن مهزوم عن رجل سمع أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله ومن قرأها بعد كل صلاة لم يضره ذو حمة.^٢

٤- معتبرة عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا وألف مكروه من مكروه الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر.^٣

٥- خبر الحسين بن يزيد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سمع بعض آبائي عليه السلام رجلاً يقرأ أم القرآن فقال: شَكَرَ وَأُجِرَ، ثم سمعه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^٤ فقال: آمِنَ وَأَمِنَ، ثم سمعه يقرأ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾^٥ فقال: صدق وغُفِرَ له، ثم سمعه يقرأ آية الكرسي فقال: بخ بخ نزلت براءة هذا من النار.^٦

٦- الصدوق بإسناده المتصل إلى أبي ذر في ما سألته من رسول الله ﷺ في حديث: قلت: فأي آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال ﷺ: آية الكرسي الحديث.^٧

٧- خبر عبد الله التميمي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ آية الكرسي مائة مرة كان كمن عبد الله طول
٨- الصدوق بإسناده إلى حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام: ... إذا اشتكى

١. تفسير العياشي ١/ ١٠٨، ح ٣.

٢. ثواب الأعمال / ١٣١.

٣. أمالي الصدوق، المجلس الحادي والعشرون، ح ٦/ ١٥٨، رقم ١٥٥.

٤. سورة الإخلاص / ١.

٥. سورة القدر / ١.

٦. أمالي الصدوق، المجلس الثامن والثمانون، ح ١٠/ ٧٠٣، رقم ٩٦٢.

٧. معاني الأخبار / ٣٣٣.

٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٦٥، ح ٢٨٩.

أحدكم عينيه فليقرأ آية الكرسي وليضمّر في نفسه أنّها تبرأ فإنه يعافي إن شاء الله، ... من قرأ قل هو الله أحد من قبل أن تطلع الشمس [إحدى عشرة مرّة] ومثلها إنّنا أنزلناه ومثلها آية الكرسي منع ماله ممّا يخاف، ... إذا أراد أحدكم حاجة فليكرّر في طلبها يوم الخميس فإن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس» وليقرأ إذا خرج من بيته الآيات من آخر آل عمران وآية الكرسي وإنّا أنزلناه وأم الكتاب فإنّ فيها قضاء لحوائج الدنيا والآخرة الحديث.^١

٩- مرفوعة عبد الحميد بن فرقّد عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قلت للحسن: إنّ لكل شيء ذرّة وذروة القرآن آية الكرسي.^٢

١٠- خبر يونس بن عبد الرحمن عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في سمك البيت إذا رفع فوق ثمانيه أذرع صار مسكوناً، فإذا زاد على ثمانية أذرع، فليكتب على رأس الثماني آية الكرسي.^٣

رواها الكيني في الكافي.^٤

١١- معتبرة محمد بن اسماعيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان البيت فوق ثمانيه أذرع فاكتب عليه آية الكرسي.^٥
وروى مثلها في الكافي.^٦

١٢- خبر أبي خديجة قال: رأيت مكتوباً في بيت أبي عبد الله عليه السلام آية الكرسي قد

١. الخصال / ٦١٦ و ٦٢٢ و ٦٢٣.

٢. تفسير العياشي ١/ ٢٥٦، ح ٤٥٢ ونقل عنه في بحار الأنوار ٨٩/ ٢٦٧، ح ١٤.

٣. المحاسن ٢/ ٤٤٧، ح ١١.

٤. الكافي ٦/ ٥٢٩، ح ٤.

٥. المحاسن ٢/ ٤٤٧، ح ١٢.

٦. الكافي ٦/ ٥٢٩، ح ٧.

أُديرَت بالبيت، وقد رأيت في قبلة مسجده مكتوباً آية الكرسي.^١

١٣- خبر أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شكَا إليه رجل عبث أهل الأرض بأهل بيته وبعياله، فقال: كم سمك بيتك؟ فقال: عشرة أذرع، فقال: إذرِع ثمانية أذرع ثم اكتب آية الكرسي في ما بين الثمانية إلى العشرة كما يدور، فإن كان بيت سمكه أكثر من ثمانية أذرع فهو محتضر والجن تكون فيه تسكنه.^٢

رواها الكيني في الكافي.^٣

١٤- خبر زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ العفاريت من أولاد الأبالسة تتخلَّل وتدخل بين محامل المؤمنين فتتفرَّ عليهم إبلهم فتعاهدوا ذلك بآية الكرسي.^٤

١٥- خبر إبراهيم بن نعيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلت مدخلاً تخافه فاقراً هذه الآية ﴿رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^٥ وإذا عاينت الذي تخافه، فاقراً آية الكرسي.^٦

١٦- خبر أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى أخوان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالا: إنَّا نريد الشام في تجارة فعلَّمنا ما نقول؟ فقال عليه السلام: نعم إذا أويتما إلى المنزل، فصلِّيا العشاء الآخرة فإذا وضع أحدكم جنبه على فراشه بعد الصلاة فليستبِح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم ليقرأ آية الكرسي، فإنه محفوظ من كل شيء حتى يصبح. وإنَّ لصوصاً تبعوهما حتى إذا نزلا، بعثوا غلاماً لهم ينظر كيف حالهما؟ ناما أم مُسْتَيْقِظَيْن

١. المحاسن ٢/ ٤٤٧، ح ١٣.

٢. المحاسن ٢/ ٤٤٨، ح ١٥.

٣. الكافي ٦/ ٥٢٩، ح ٣.

٤. المحاسن ٢/ ١٣١، ح ١٦٢.

٥. سورة الاسراء / ٨٠.

٦. المحاسن ٢/ ١١٦، ح ١٢٠.

فانتهى الغلام إليهما، وقد وضع احدهما جنبه على فراشه وقرأ آية الكرسي وسبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام قال: فإذا عليهما حائطان مبنيان، فجاء الغلام فطاف بهما فلما دار لم ير إلا الحائطين مبنيين.

فقالوا له: أخزأك الله لقد كذبت، بل ضعفت وجبت، فقاموا فنظروا فلم يجدوا إلا حائطين، فداروا بالحائطين فلم يسمعوها ولم يروا إنساناً فانصرفوا إلى منازلهم، فلما كان من الغد جاؤوا إليهما، فقالوا: أين كنتم؟ فقالا: ما كنّا إلا هاهنا وما برحنا. فقالوا: والله لقد جئنا وما رأينا إلا حائطين مبنيين، فحدّثونا ما قصتكم؟ قالوا: أتينا رسول الله ﷺ فسألناه أن يعلمنا، فعلمنا آية الكرسي وتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فقلنا، فقالوا: إنطلقوا لا والله ما نتبعكم أبداً ولا يقدر عليكم لص أبداً بعد هذا الكلام.^١

١٧- خبر صديّ أبي أُمّامة الباهلي عن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ما أرى رجلاً أدرك عقله الإسلام وولد في الإسلام يبيت ليلة سوادها - قلت: وما سوادها يا أبا أُمّامة؟ قال: جميعها - حتّى يقرأ هذه الآية «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» فقرأ الآية إلى قوله «الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^٢. ثم قال: فلو تعلمون ما هي - أو قال: ما فيها - لما تركتموها على حالٍ، إنّ رسول الله ﷺ أخبرني قال: أعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش ولم يؤت بها نبيّ كان قبلي.

قال علي عليه السلام: فما بتّ ليلة قطّ منذ سمعتها من رسول الله ﷺ حتّى أقرأها. ثم قال عليه السلام: يا أبا أُمّامة، إنّني أقرأها ثلاث مرات في ثلاثة أحيان من كل ليلة. فقلت: وكيف تصنع في قرائتك لها يا بن عمّ محمد ﷺ؟ قال: أقرأها قبل الركعتين بعد صلاة عشاء الآخرة، فو الله ما تركتها مذ سمعت هذا الخبر عن

١. المحاسن ٢/ ١١٧، ح ١٢٢.

٢. سورة البقرة / ٢٥٥.

نبيكم ﷺ حتى أخبرتك به.

قال أبوأمامة: ووالله ما تركت قراءتها مذ سمعت هذا الخبر من علي بن أبي طالب عليه السلام حتى حدثتك - أو قال: أخبرتك - به.

قال القاسم: وأنا ما تركت قراءتها كل ليلة منذ حدثني أبوأمامة بفضلها حتى الآن.

قال علي بن يزيد: وأخبرك أنني ما تركت قراءتها كل ليلة مذ حدثني القاسم في فضلها.

قال ابن أبي العاتكة: فما تركت قراءتها في كل ليلة مذ بلغني في فضل قراءتها ما بلغني.

قال ابن شابور: وأنا ما تركت قراءتها في كل ليلة منذ بلغني عن رسول الله ﷺ قوله في فضل قراءتها.

قال إبراهيم بن عمرو بن بكر: وأنا فما تركت قراءتها منذ بلغني هذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

قال أبو محمد عبدالله بن أبي سفيان: وأنا فما تركت قراءتها منذ كتبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ في فضل قراءتها.

قال أبوالمفضل: وأنا بنعمة ربي ما تركت قراءتها منذ سمعت هذا الحديث عن عبدالله بن أبي سفيان عن النبي ﷺ حتى حدثكم به.^١

١٨- مرفوعة الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد القمي عن النبي ﷺ قال لرجل: آية آية أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فأعاد القول، فقال: الله ورسوله أعلم، فأعاد، فقال: الله ورسوله أعلم.

١. أمالي الطوسي، المجلس الثامن عشر ح ١٩/٥٠٨، رقم ١١١٢.

فقال رسول الله ﷺ: أعظم آية آية الكرسي.^١

١٩- مرفوعة أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: من قرأها (أي قرأ سورة البقرة) فصلوات الله عليه ورحمته وأعطى من الأجر كالمرباط في سبيل الله سنة لا تسكن روعته. وقال لي: يا أباي مَرُّ المسلمين أن يتعلّموا سورة البقرة فإن تعلّمها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة.

قلت: يا رسول الله ما البطلة؟ قال: السحرة.^٢

٢٠- مرفوعة سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة، مَنْ قرأها في بيته نهراً لم يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ليال.^٣

٢١- الطبرسي رفعه وقال: روى أن النبي ﷺ بعث بعثاً ثم تتبعهم يستقرئهم، فجاء إنسان منهم، فقال: ماذا معك من القرآن؟ حتّى أتى على أحدثهم سنّاً، فقال له: ماذا معك من القرآن؟ قال: كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: اخرجوا وهذا عليكم أمير، قالوا: يا رسول الله هو أحدثنا سنّاً! قال: معه سورة البقرة.^٤

٢٢- الطبرسي رفعه وقال: سئل النبي ﷺ أي سور القرآن أفضل؟ قال: البقرة، قيل: أي آية البقرة أفضل؟ قال: آية الكرسي.^٥

٢٣- الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه: وقال: وفي الخبر الآخر: وإن أصغر البيوت من الخير بيت لا تُقرأ فيه سورة البقرة، سورة البقرة فسقاط القرآن.^٦

١. الغايات / ١٨١.

٢. مجمع البيان / ١ / ٣٢.

٣. مجمع البيان / ١ / ٣٢.

٤. مجمع البيان / ١ / ٣٢.

٥. مجمع البيان / ١ / ٣٢.

٦. روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن / ١ / ٩٢.

- ٢٤- الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث: سيّد الكلام القرآن وسيّد القرآن سورة البقرة وسيّد سورة البقرة آية الكرسي، يا علي فيها خمسون كلمة، في كل كلمة شرفاً وذكرًا.^١
- ٢٥- صاحب جامع الأخبار رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَنْ قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه دخول الجنة إلّا الموت، ومن قرأها حين نام آمنه الله وجاره وأهل الدويرات حوله.^٢
- ٢٦- صاحب جامع الأخبار رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنه قال: من قرأ آية الكرسي وهو ساجد لم يدخل النار أبداً.^٣
- ٢٧- صاحب جامع الأخبار رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنه قال: من قرأ على أثر وضوء آية الكرسي مرّة اعطاه الله ثواب أربعين عاماً، ورفع له أربعين درجةً وزوجه الله تعالى أربعين حوراء.^٤
- ٢٨- صاحب جامع الأخبار رفعه عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جدّه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنْ فَاتَحَ الْكِتَابَ وَآيَةَ الْكَرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^٥ و ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلَمْلِكِ﴾^٦ إِلَى آخِرِهِمَا مَعْلَقَاتِ بِالْعَرْشِ مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى حِجَابٌ، فَقُلْنَ: يَا رَبِّ تَهَبُّنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ؟
- فقال الله تعالى: لَا يَقْرَأُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ

١. روض الجنان وروح الجنان ١/ ٩٣؛ وفي المصدر ترجمة الحديث بالفارسية وقد نقلته إلى العربية.

٢. جامع الأخبار / ١٢٥، ح ٣٠.

٣. جامع الأخبار / ١٢٥، ح ٣١.

٤. جامع الأخبار / ١٢٤، ح ٢٧.

٥. سورة آل عمران / ١٨.

٦. سورة آل عمران / ٢٦.

على ما كان فيه، ولأسكنته حظيرة القدس، ولأنظرن إليه في كل يوم سبعين نظرة.^١
٢٩- الفيض الكاشاني رفعه عن جابر عن رسول الله ﷺ قال في حديث: قال
الله تبارك وتعالى: واعطيت لك ولأمتك كنزاً من كنوز عرشي فاتحة الكتاب وخاتمة
سورة البقرة.^٢

٣٠- الفيض رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: أنزل الله آيتين من كنوز الجنة
كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة، من قرأهما بعد العشاء الآخرة
أجزأته عن قيام الليل.

وفي رواية: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه.^٣

١. جامع الأخبار / ١٢٥، ح ٢٨.

٢. تفسير الصافي / ٨٣ من طبع الحجري.

٣. تفسير الصافي / ٨٣ من طبع الحجري.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قد مرّ في أوّل سورة الحمد، فلا نعيد.

﴿الْم﴾

﴿الْم﴾ مبتدأ، أو خبر لمبتدأ محذوف أو في محلّ جرّ على حرف القسم المحذوف أو في محلّ نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره: اقرأ ﴿الْم﴾.
«ثمّ إنّ الحروف المقطّعة في أوائل السور، أسماءٌ باتّفاق أئمّة أهل اللغة وليست بحروف، وهي تقرأ مقطّعة بذكر أسمائها، لا مسمّياتها، فيقال: ألف لام ميم، ساكنة الأواخر، والسور التي فيها هذه الكلمات المقطّعة، تسع وعشرون سورة، وأصل الحروف الهجائية أيضاً كذلك، بناءً على عدّ الهمزة حرفاً مستقلاًً.
وأما بناءً على عدّها مع الألف واحدة، فثمان وعشرون، وجميع الأحرف المقطّعة بعد حذف المكرّرات نصف الحروف الهجائية، وإنّا ذكر تبارك وتعالى نصفها استغناءً بذلك عن الجميع، وهذا من جهات البلاغة أيضاً.

ولا ريب في أنّ هذه الحروف ليست من المهملات، بل هي مستعملة في معانٍ
اختلف في فهم المراد منها، وقد تعدّدت أقوال المفسّرين في ذلك، ربما تبلغ إلى عشرة أو
أكثر^١.

«اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتحة بها السور فذهب بعضهم إلى انها
من التشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلّا هو وهذا هو المروي
عن أئمتنا عليهم السلام.

وروت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: إنّ لكل كتاب صفوة وصفوة هذا
الكتاب حروف التهجي وعن الشعبي قال: لله في كل كتاب سرٌّ وسره في القرآن سائر
حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور.
وفسرها الآخرون على وجوه:

أحدها: إنها أسماء السور ومفاتيحها عن الحسن وزيد بن أسلم.

وثانيها: إنّ المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى فقوله تعالى ﴿الَمْ﴾^٢ معناه انا
الله أعلم و ﴿الَمْ﴾^٣ معناه انا الله أعلم وارى و ﴿الَمْص﴾^٤ معناه انا الله أعلم وأفصل
والكاف في ﴿كَهَيْعَص﴾^٥ من كافٍ والهاء من هاءٍ والياء من حكيمة والعين من عليم
والصاد من صادق عن ابن عباس. وعنه أيضاً: إنّ ﴿الَمْ﴾ الألف منه تدل على اسم الله
واللام تدل على اسم جبرائيل والميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره مسنداً إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال
سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله ﴿الَمْ﴾ فقال: في الألف ست صفات من

١. مواهب الرحمن ١ / ٧٧.

٢. سور: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

٣. سورة الرعد.

٤. سورة الأعراف.

٥. سورة مريم.

صفات الله تعالى (الابتداء) فان الله ابتداء جميع الخلق والألف ابتداء الحروف و (الاستواء) فهو عادل غير جائر والألف مستوفي ذاته و (الانفراد) فالله فرد والألف فرد و (اتصال الخلق بالله) والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون إلى الله والله غني عنهم وكذلك الألف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله ﷻ باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الألفة فكما ان الله ﷻ سبب ألفه الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها.

وثالثها: إنها أسماء الله تعالى منقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم تقول ﴿الر﴾^١ و ﴿حم﴾^٢ و ﴿رب﴾^٣ فيكون الرحمن وكذلك سائرهما إلا أنا لانقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير.

ورابعها: إنها أسماء القرآن عن قتادة.

وخامسها: إنها أقسام أقسم الله تعالى بها وهي من أسمائه عن ابن عباس وعكرمة. قال الاخفش: وإنما أقسم الله تعالى بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزلة باللسنة المختلفة وأسمائه الحسنی وصفاته العليا وأصول كلام الأمم كلّها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه ويوحدونه فكأنه هو أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه وكلامه.

وسادسها: إن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى وليس فيها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه وليس فيها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجال آخرين عن أبي العالية وقد ورد أيضاً مثل ذلك في أخبارنا.

وسابعها: إن المراد بها مدة بقاء هذه الأمة عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل

١. سور: يونس، هود، يوسف، ابراهيم، الحجر.

٢. سور: غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

٣. سورة القلم.

حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبع مائة وأربعاً وأربعين سنة وهي بقية مدة هذه الأمة قال علي بن فضال المجاشعي النحوي: وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثة آلاف وخمساً وستين فخذفت المكررات فبقي ستائة وثلاث وتسعون والله أعلم بها فيها. وأقول: قد حسبتها انا أيضاً فوجدتها كذلك.

ويروي أن اليهود لما سمعوا ألم قالوا: مدة ملك محمد ﷺ قصيرة. إنها تبلغ إحدى وسبعين سنة فلما نزلت ﴿الر﴾ [و] ﴿المر﴾ و ﴿المرص﴾ و ﴿كهيعص﴾ اتسع عليهم الأمر. هذه أقوال أهل التفسير.

وثامنها: ان المراد بها حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانية والعشرين حرفاً كما يستغني بذكر قفانك عن ذكر باقي القصيدة وكما يقال أب في أبجد وفي ا ب ت ث ولم يذكروا باقي الحروف قال الراجز.

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا فِي حُطِّي أَخَذْتُ مِنْهَا بِقُرُونٍ شُمُطِ

وانما أراد الخبر عن المراءة بانها في أبجد فأقام قوله حطي مقامه لدلالة الكلام عليه.

وتاسعها: انها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا في ما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ الآية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليغلطوا النبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئاً غريباً استمعوا إليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليظه فيقع القرآن في مسامعهم ويكون ذلك سبباً موصلاً لهم إلى درك منافعهم.

وعاشرها: ان المراد بها ان هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس

هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لأن العادة لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وهو المحكي عن قطرب واختار أبو مسلم محمد ابن بحر الإصفهاني.

أجود هذه الأقوال القول الأول المحكي عن الحسن لأن أسماء الأعلام منقولة إلى التسمية عن أصولها للتفرقة بين المسميات فتكون حروف المعجم منقولة إلى التسمية ولهذا في أسماء العرب نظير قالوا^١ أوس بن حارثة بن لام الطائي ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يمسى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمع نحو تابط شرا وبرق نحره وكل كلمة لم تكن على معنى الأصل فهي منقولة إلى التسمية للفرق نحو جعفر إذا لم يرد به معنى النهر لم يكن إلا منقولاً إلى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بالم لحكيت جميع ذلك وأما قول ابن عباس انه اختصار من أسماء يعلم النبي ﷺ تمامها فنحوه قول الشاعر:

نَادُوهُمْ إِنْ أَلْجُمُوا أَلَاتًا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَلَفَا

يريد ألا تركبون قالوا ألا فاركبوا وقول الآخر:

قُلْنَا لَهَا قِفِي قَالَتْ قَاف لَا تَحْسَبِي أَنَا نَسِينَا الْإِيحَاف

يريد قالت أنا واقفة»^٢.

وقد عدّ ابن عاشور^٣ في المقام الحادي والعشرين قولاً لا يهمننا ذكرها. والمختار أن الحروف المقطعات الواردة في تسع وعشرين سورة وأكثرها في السور المكية إلا

١. في بعض النسخ قال وفي مختصر مجمع البيان مانصه وسمي في العرب لام الطائي والمناسب كذلك هنا ان تكون قالوا.

٢. مجمع البيان ١/ (٣٤-٣٢).

٣. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ (٢١٣-٢٠٥).

البقرة وآل عمران والوارد فيها أربعة عشر حرفاً وهي نصف حروف الهجاء وهي: أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، هـ، ي. وهي تُقرأ بمسمياتها، رموز وإشارات بين الله تعالى وحبيبه محمد المصطفى ﷺ لا يطلع عليها الأغيار، ولا يُتقضى بأن الكتاب لهداية الناس والرمز واللغز لا يتناسبها، لأنّ ورود ٢٩ رمزاً في أكثر من ستة آلاف الآية لا يضر بالهداية والإرشاد والله العالم بحائق كتابه العزيز.

إليك جدول الحروف المقطعة الواردة في سور القرآن الكريم أهدها إلينا الشيخ أكبر وزنّي

حفظه الله مشكوراً:

الرقم	اسم السورة	عددتها	الحرف المقطعة	الرقم	اسم السورة	عددتها	الحرف المقطعة
١	البقرة	٢	الم	١٦	الروم	٣٠	الم
٢	آل عمران	٣	الم	١٧	لقمان	٣١	الم
٣	الأعراف	٧	المص	١٨	السجدة	٣٢	الم
٤	يونس	١٠	الر	١٩	يس	٣٦	يس
٥	هود	١١	الر	٢٠	ص	٣٨	ص
٦	يوسف	١٢	الر	٢١	غافر	٤٠	حم
٧	الرعد	١٣	المر	٢٢	فصلت	٤١	حم
٨	إبراهيم	١٤	الر	٢٣	الشورى	٤٢	حم عسق
٩	الحجر	١٥	الر	٢٤	الزخرف	٤٣	حم
١٠	مريم	١٩	كهيعص	٢٥	الدخان	٤٤	حم
١١	طه	٢٠	طه	٢٦	الجاثية	٤٥	حم
١٢	الشعراء	٢٦	طسم	٢٧	الأحقاف	٤٦	حم
١٣	النمل	٢٧	طس	٢٨	ق	٥٠	ق
١٤	القصص	٢٨	طسم	٢٩	ن	٦٨	ن
١٥	العنكبوت	٢٩	الم				

الروايات

خبر سفيان بن السعيد الثوري، قال: قلت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب عليه السلام: يا ابن رسول الله ما معنى قوله الله تعالى: ﴿الْمَ ١﴾ ﴿الْمَصَ ٢﴾
 ﴿الرَّ ٣﴾ ﴿الْمَرَّ ٤﴾ ﴿كَهَيْعَصَ ٥﴾ ﴿طه ٦﴾ ﴿طس ٧﴾ ﴿طسَمَ ٨﴾ ﴿يس ٩﴾ ﴿ص ١٠﴾
 ﴿حَم ١١﴾ ﴿حَمَّ * عَسَقَ ١٢﴾ ﴿ق ١٣﴾ ﴿رَبَّ ١٤﴾؟ قال عليه السلام: أَمَّا ﴿الْمَ﴾ في أول البقرة
 فمعناه أنا الله الملك؛ وأَمَّا ﴿الْمَ﴾ في أول آل عمران فمعناه: أنا الله المجيد؛ و ﴿الْمَصَ﴾
 فمعناه: أنا الله المقتدر الصادق؛ و ﴿الرَّ﴾ فمعناه: أنا الله الرؤوف؛ و ﴿الْمَرَّ﴾ فمعناه: أنا
 الله المحيي المميت الرازق؛ و ﴿كَهَيْعَصَ﴾ معناه: أنا الكافي الهادي الولي العالم الصادق
 الوعد؛ وأَمَّا ﴿طه﴾ فاسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله ومعناه: يا طالب الحق الهادي إليه مَّا
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ١٥ بل لتسعد به؛ وأَمَّا ﴿طس﴾ فمعناه: أنا الطالب السميع؛
 وأَمَّا ﴿طسَمَ﴾ فمعناه: أنا الطالب السميع المبديء المعيد؛ وأَمَّا ﴿يس﴾ فاسم من أسماء
 النبي صلى الله عليه وآله، ومعناه: يا أيها السامع للوحي ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ *

١. سور: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

٢. سورة الأعراف.

٣. سور: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

٤. سورة الرعد.

٥. سورة مريم.

٦. سورة طه.

٧. سورة النمل.

٨. سور: الشعراء، القصص.

٩. سورة يس.

١٠. سورة ص.

١١. سور: غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

١٢. سورة الشورى / ١ و ٢.

١٣. سورة ق.

١٤. سورة القلم.

١٥. سورة طه / ٢.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^١؛ وَأَمَّا ﴿ص﴾ فعين تنبع من تحت العرش وهي التي توضحها منها النبي ﷺ لما عرج به، ويدخلها جبرئيل عليه السلام كل يوم دخلة فيغتمس فيها ثم يخرج منها فينفض أجنحته فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً يسبح الله ويقدّسه ويكبره ويحمده إلى يوم القيامة؛ وَأَمَّا ﴿حَم﴾ فمعناه: الحميد المجيد؛ وَأَمَّا ﴿حَم * عَسَق﴾ فمعناه: الحليم الميثب العالم السميع القادر القوي؛ وَأَمَّا ﴿ق﴾ فهو الجبل المحيط بالأرض وخضرة السماء منه وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها؛ وَأَمَّا ﴿ر﴾ فهو نهر في الجنة قال الله ﷻ: «أجهد» فجمد فصار مداداً، ثم قال ﷻ: للقلم: «اكتب» فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور. وقال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله بين لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان، وعلمني مما علمك الله، فقال: يا ابن سعيد لولا أنك أهل للجواب ما أجبتك، فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك، والقلم يؤدّي إلى اللوح وهو ملك، واللوح يؤدّي إلى إسرافيل، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل، وميكائيل يؤدّي إلى جبرئيل، وجبرئيل يؤدّي إلى الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم. قال: ثم قال لي: قم يا سفيان فلا آمن عليك.^٢

خبر أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿الْم﴾ هو حرف من حروف اسم الله الأعظم، المقطع في القرآن. الذي يؤلفه النبي ﷺ والإمام فإذا دعا به أُجيب. ﴿ذَلِكَ﴾ أَلَكْتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ^٣ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ^٤ قال: بيان لشيعتنا ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^٥ قال: مما علمناهم ينبؤون ومما علمناهم من

١. سورة يس / (٤-٢).

٢. معاني الأخبار / ٢٢، ح ١.

٣. سورة البقرة / ٢.

٤. سورة البقرة / ٣.

القرآن يتلون. ١

قال الفيض الكاشاني بعد نقل قطعة من هذه الرواية: «وفيه دلالة على أنّ الحروف المقطعات أسرار بين الله تعالى. وبين حبيبه ورموز لم يقصد بها إفهام غيره وغير الراسخين في العلم من رسوله وذريته والتخاطب بالحروف المفردة سنة الأحاباب في سنن المحابّ فهو سرّ الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب:

بين المحيّن سرّ ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه»^٢

صحيحة محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث أنّ حُيَّاً وأبا ياسر ابني أخطب ونفراً من يهود نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له: أليس في ما تذكر في ما أنزل الله عليك ﴿المر﴾؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله تعالى؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعثت أنبياء قبلك وما نعلم نبياً منهم أخبرنا مدّة ملكه وما أجل أُمّته غيرك قال: فأقبل حييّ بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون. فهذه إحدى وسبعون سنة، فعجب ممّن يدخل في دين مدّة ملكه وأجل أُمّته إحدى وسبعون سنة! قال: ثمّ أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال هاته. قال: ﴿المص﴾ قال: هذه أثقل وأطول، «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الصاد» تسعون، فهذه مائة وإحدى وستون سنة. ثمّ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال صلى الله عليه وآله: ﴿الر﴾. قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الراء» مائتان: ثمّ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: ﴿المر﴾. قال: هذه أثقل وأطول. «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الراء» مائتان. ثمّ قال له: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قالوا: قد التبس

١. معاني الأخبار / ٢٣، ح ٢.

٢. الصافي / ٢٣ طبع الحجري، ١ / ٥٧ طبع الحروفي ونقل عنه في مجد البيان / ٣٥٨.

علينا أمرك فما ندري ما أعطيت! ثم قاموا عنه، ثم قال أبو ياسر للحبيي أخيه: ما يدريك. لعل محمداً قد جمع له هذا كله وأكثر منه.

قال: فذكر أبو جعفر عليه السلام أن هذه الآيات أنزلت فيهم منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. قال: وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حبيي وأبي ياسر وأصحابهما.^١

خبر أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد و أبي الحسن علي بن محمد بن سيار، عن أبيهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين أنه قال: كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: سحر مبین تقوله، فقال الله: ﴿الَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^٢ أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها «الف، لام، ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بين أنهم لا يقدرّون عليه بقوله: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^٣ ثم قال الله: ﴿الَمْ﴾ هو القرآن الذي افتتح بـ ﴿الَمْ﴾^٤ هو ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^٥ الذي أخبرت به موسى فمن بعده من الأنبياء فأخبروا بني إسرائيل أن سأنزل عليك يا محمد كتاباً عزيزاً ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^٦ تنزيل من حكيم حميد^٦ ﴿لَا رَيْبَ

١. معاني الأخبار / ٢٣، ح ٣.

٢. سورة البقرة / ١ و ٢.

٣. سورة الاسراء / ٩١. وقوله تعالى ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة.

٤. سورة البقرة / ١.

٥. سورة البقرة / ٢.

٦. سورة فصلت / ٤٢.

فيه^١ لاشك فيه لظهوره عندهم كما أخبرهم به أنبياءهم أن محمداً ينزل عليه كتاب لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو وأُمته على سائر أحوالهم ﴿هُدًى﴾^٢ بيان من الضلالة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٣ الذين يتقون الموبقات ويتقون تسليط السفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم. قال: وقال الصادق عليه السلام: ثم «الألف» حرف من حروف قول الله دلّ بالألف على قولك الله ودلّ باللام على قولك الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين، ودلّ بالميم على أنه المجيد المحمود في كل أفعاله وجعل هذا القول حجة على اليهود وذلك أن الله لما بعث موسى بن عمران ثم من بعده من الأنبياء إلى بني إسرائيل لم يكن فيهم أحد إلا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليؤمنن بمحمد العربي الأمي المبعوث بمكة الذي يهاجر إلى المدينة، يأتي بكتاب من الحروف المقطعة افتتاح بعض سوره، يحفظه أمته فيقرؤنه قياماً وعوداً ومشاة وعلى كل الأحوال يسهل الله حفظه عليهم ويقرنون بمحمد صلى الله عليه وآله أخاه ووصيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأخذ عنه علومه التي علمها، والمتقلد عنه لأمانة التي قدّرها، ومذلل كل من عاند محمداً صلى الله عليه وآله بسيفه الباتر ويفحم كل من جادله وخاصمه بدليله الظاهر يقاتل عباد الله على تنزيل كتاب الله حتى يقودهم إلى قبوله طائعين وكارهين، ثم إذا صار محمد صلى الله عليه وآله إلى رضوان الله وارتد كثير ممن كان أعطاه ظاهر الإيمان وحرّفوا تأويلاته وغيّروا معانيه ووضعوها على خلاف وجوها قاتلهم بعد [ذلك] على تأويله حتى يكون إبليس الغاوي لهم هو الخاسر الدليل المطرود المغلول. قال: فلما بعث الله محمداً وأظهره بمكة ثم سيّره منها إلى المدينة وأظهره بها. ثم أنزل إليه الكتاب وجعل افتتاح سورته الكبرى بـ ﴿الْم﴾ يعني ﴿الْم﴾ * ذَلِكَ الْكِتَابُ وهو ذلك الكتاب

١. سورة البقرة / ٢.

٢. سورة البقرة / ٢.

٣. سورة البقرة / ٢.

الذي أخبرت أنبيائي السالفين أنني سأنزل عليه يا محمد، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فقد ظهر كما أخبرهم به أنبياءهم أن محمداً ينزل عليه كتاب مبارك لا يمحوه الباطل، يقرؤه هو وأُمَّته على سائر أحوالهم، ثم اليهود يحرفونه عن جهته، ويتأولونه على غير وجهه، ويتعاطون التوصل إلى علم ما قد طواه الله عنهم من حال آجال هذه الأمة وكم مدة ملكهم، فجاء إلى رسول الله ﷺ منهم جماعة، فولى رسول الله ﷺ علياً ﷺ فخطبهم، فقال قائلهم: إن كان ما يقول محمد - ﷺ - حقاً لقد علمناكم قدر ملك أُمَّته، هو إحدى وسبعون سنة؛ «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون؛ فقال عليّ ﷺ: فما تصنعون بـ ﴿الْمَصِّ﴾ وقد أنزل عليه؟ قالوا: هذه إحدى وستون ومائة سنة. قال: فماذا تصنعون بـ ﴿الرَّ﴾ وقد أنزلت عليه، فقالوا: هذه أكثر، هذه مائتان وإحدى وثلاثون سنة. فقال عليّ ﷺ: فما تصنعون بما أنزل عليه ﴿الْمَرِّ﴾؟ قالوا: هذه مائتان وإحدى وسبعون سنة فقال عليّ ﷺ: فواحدة من هذه له أو جميعها له؟ فاخلط كلامهم فبعضهم قال له: واحدة منها وبعضهم قال: بل يجمع له كلها وذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة، ثم يرجع الملك إلينا يعني إلى اليهود. فقال عليّ ﷺ: أ كتاب من كتب الله نطق بهذا، أم آراؤكم دلتكم عليه؟ قال بعضهم: كتاب الله نطق به؛ وقال آخرون منهم: بل آراؤنا دلت عليه؛ فقال عليّ ﷺ: فأتوا بالكتاب من عند الله ينطق بما تقولون. فعجزوا عن إيراد ذلك، وقال للآخرين: فدلونا على صواب هذا الرأي. فقال: صواب رأينا دليله أن هذا حساب الجمل. فقال عليّ ﷺ: كيف دل على ما تقولون وليس في هذه الحروف إلا ما اقترحتم بلا بيان! رأيتم إن قيل لكم: إن هذه الحروف ليست دالة على هذه المدة لملك أمة محمد ولكنها دالة على أن كل واحد منكم قد لعن بعدد هذا الحساب أو أن عدد ذلك لكل واحد منكم ومثلاً بعدد هذا الحساب دراهم أو دنائير أو أن لعليّ على كل واحد منكم دين عدد ماله مثل عدد هذا الحساب قالوا: يا أبا الحسن ليس شيء مما ذكرته منصوباً عليه في ﴿الْمَرِّ﴾ و

﴿الْمَصَّ﴾ و ﴿الرَّ﴾ و ﴿الْمَرْ﴾ فقال علي عليه السلام: ولا شيء، فما ذكرتموه منصوب عليه في ﴿الْمَرْ﴾ و ﴿الْمَصَّ﴾ و ﴿الرَّ﴾ و ﴿الْمَرْ﴾. فإن بطل قولنا لما قلنا بطل قولك لما قلت، فقال خطيبهم ومنطيقهم: لا تفرح يا علي بأن عجزنا عن إقامة حجة في ما تقولهن على دعوانا فأبي حجة لك في دعواك؟ إلا أن تجعل عجزنا حجتك، فإذا ما لنا حجة في ما نقول ولا لكم حجة في ما تقولون. قال علي عليه السلام لا سواء إن لنا حجة هي المعجزة الباهرة، ثم نادى جمال اليهود: يا أيها الجمال أشهدي لمحمد ولوصيه. فتبادر الجمال: صدقت صدقت، يا وصي محمد وكذب هؤلاء اليهود فقال علي عليه السلام هؤلاء جنس من الشهود، يا ثياب اليهود التي عليهم: أشهدي لمحمد ولوصيه. فنطقت ثيابهم كلها: صدقت صدقت يا علي نشهد أن محمداً رسول الله حقاً، وأنت يا علي وصيه حقاً، لم يثبت محمداً قدماً في مكرمة إلا وطأت على موضع قدمه بمثل مكرمه وأنتما شقيقان من اشراق أنوار الله فميزتما اثنين وأنتما في الفضائل شريكان إلا أنه لا نبي بعد محمد ﷺ. فعند ذلك خرست اليهود وآمن بعض النظارة منهم برسول الله ﷺ فغلب الشقاء على اليهود وسائر النظارة الآخرين، فذلك ما قال الله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^١ إنه كما قال محمد ﷺ ووصي محمد عن قول محمد ﷺ عن قول رب العالمين ثم قال: ﴿هُدًى﴾^٢ بيان وشفاء ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^٣ من شيعة محمد وعلي إنهم اتقوا أنواع الكفر فتركوها واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها واتقوا إظهار أسرار الله وأسرار أزياء عباده الأوصياء بعد محمد ﷺ فكتموها واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها وفيهم نشروها.^٤

١. سورة البقرة / ٢.

٢. سورة البقرة / ٣.

٣. سورة البقرة / ٣.

٤. معاني الأخبار / (٢٨-٢٤)، ح ٤.

مرفوعة أبي لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا لبيد أنه يملك من ولد العباس اثنا عشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعة، فتُصيب أحدهم الذُّبْحَةُ فتذبحه، هم فئة قصيرة أعمارهم، قليلة مدَّتهم خبيثة سيرتهم، منهم الفُويسق الملقب بالهادي والناطق والغاوي.

يا أبا لبيد إنَّ في حروف القرآن المقطَّعة لعلمًا جمًّا إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل ﴿الْمَ * ذَلِكَ أَلَكْتُبُ﴾ فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته ووُلد يوم وُلد، وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين.

ثمَّ قال: وتبيناه في كتاب الله في الحروف المقطَّعة إذا عددها من غير تكرار، وليس من حروفٍ مقطَّعة حرفٌ ينقضي أيامه إلَّا وقائم من بني هاشم عند انقضائها.

ثمَّ قال: الألف واحد، واللام ثلاثون والميم أربعون وللصاد تسعون فذلك مائة وإحدى وستون، ثمَّ كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام ﴿الْمَ * اللَّهُ﴾^١ فلمَّا بلغت مدَّته قام قائم ولد العباس عند ﴿الْمَصَّ﴾^٢ ويقوم قائمنا عليه السلام عند انقضائها بـ ﴿الرَّ﴾^٣ فافهم ذلك وعه واكتمه.^٤

قال الطبرسي: اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتحة بها السور فذهب بعضهم إلى أنَّها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلَّا هو وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام.^٥

الطبرسي رفعه وقال: روت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنَّ لكل كتاب

١. سورة آل عمران / ١ و ٢.

٢. سورة الأعراف / ١.

٣. سور: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

٤. تفسير العياشي ٢/ ١٣٦، ح ٣.

٥. مجمع البيان ١/ ٣٢.

صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي.^١

ورواها أبو الفتوح الرازي في تفسيره روض الجنان وروح الجنان^٢ والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان^٣.

روى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره مرفوعاً إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله **﴿الْمَ﴾** فقال: في الألف ستّ صفات من صفات الله: الابتداء: فإنّ الله ابتداءً جميع الخلق، والألف ابتداء الحروف، والاستواء: فهو عادل غير جائر والألف مستوٍ في ذاته، والإنفراد: فالله فرد والألف فرد، واتصال الخلق بالله: والله لا يتصل بالخلق فهم يحتاجون إليه وله غني عنهم وكذلك الألف لا يتصل بحرف فالحروف متصلة، وهو منقطع من غيره والله ﷻ باين بجميع صفاته من خلقه، ومعناه من الألفة فكما أنّ الله ﷻ سبب ألفة الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها.^٤

نقل الطبرسي عن الثعلبي في مجمع البيان.^٥

المجلسي نقلاً من مناقب السروي رفعه عن الباقر عليه السلام أنه قال: في سورة البقرة **﴿الْمَ﴾** إسم من أسماء الله ثمّ أربع آيات في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين.^٦

قال المجلسي رحمته الله: قال السيّد في سعد السعود: قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسن السلمي في حقايق التفسير في قوله تعالى **﴿الْمَ * ذَلِكْ أَلَكْتُبُ﴾** قال جعفر

١. مجمع البيان ١/ ٣٢.

٢. روض الجنان وروح الجنان ١/ ٩٦.

٣. الكشف والبيان ١/ ١٣٦.

٤. الكشف والبيان ١/ ١٤٠.

٥. مجمع البيان ١/ ٣٢.

٦. بحار الأنوار ٨٩/ ٣٨٤، ح ٢٤.

بن محمد الصادق عليه السلام: «آلم» رمز وإشارة بينه وبين حبيبه محمد عليه السلام أراد ألا يطلع عليه سواهما بحروف بعدت عن درك الأغيار وظهر السر بينهما لا غير.^١

ذكر السيد ابن طاووس رحمته الله وجوها في معناها نقلاً من شرح تأويل القرآن وتفسير معانيه تصنيف أبي مسلم محمد بن بحر الإصفهاني و...^٢

وفي الروايات الواردة في تفسير حروف الجمل والأبجد والمعجم راجع معاني الأخبار^٣ والتوحيد^٤ وفي الروايات الواردة في تفسير الحروف المقطعة راجع بحار الأنوار^٥.

وللعامة الجدة آية الله الحاج الشيخ محمد حسين النجفي الإصفهاني رحمته الله بعد نقل روايات الباب بيان لطيف في تفسير المقطعات فراجع إلى تفسيره مجد البيان^٦ إن شئت.

لطيفة

قال الفيض الكاشاني رحمته الله: «ومن الأسرار الغريبة في هذه المقطعات أنّها تصير بعد التركيب وحذف المكررات: «عليّ صراطٌ حقٌّ نمسكه» أو «صراطٌ عليّ حقٌّ نمسكه»»^٧.

أخرى: قال العلامة الجدة رحمته الله: «ولعلّ في الاختصار في هذه الفواتح على أربعة عشر حرفاً دلالة على أنّ أصول للحروف المنسوبة إلى الجمال والرحمة التي هي المقصود الأوّل هو بهذا العدد. وبحكم إصالة تشابه العوالم يثبت أنّ الإنسان الأكمل المقصود ابتداءً بقول مطلق منحصر في الأربعة عشر المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فافهم»^٨.

١. سعد السعود / ٤٢٢؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٨٩ / ٣٨٤.

٢. سعد السعود / ٤٤٦ وما بعدها، طبعة المحقق فارس تبريزيان الحسون في سنة ١٤٢١ ق بم.

٣. معاني الأخبار / ٤٣ و ٤٥.

٤. التوحيد / ٢٣٢ و ٢٣٦.

٥. بحار الأنوار ٨٩ / ٣٧٣.

٦. مجد البيان / (٣٩١-٣٥٧).

٧. الصافي / ٢٣ طبع الحجري.

٨. مجد البيان / ٣٩١.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ اسم الإشارة، مبتدأ، إشارة إلى القرآن النازلة بمكة في سورها المكية والبُعد للتعظيم.^١
﴿الْكِتَابُ﴾ بدل، والمراد به القرآن العظيم و«ال» للعهد لأنَّ المراد به حاضر في أذهان المسلمين.
﴿لَا﴾ نافية للجنس.

﴿رَيْبَ﴾ اسم ﴿لَا﴾. الريب: الشك وأصله القلق واضطراب النفس، وقيل هو أسوأ الشك، وهو مصدر رابني الشيء يُرَبِّيهِ.
﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿لَا﴾، والضمير يرجع الي ﴿الْكِتَابُ﴾. وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر مبتدأ ﴿ذَلِكَ﴾ والمراد بها أنَّ كُلَّ مَنْ تأمل في القرآن الكريم يحده كتاب الله ومعجزة خالدة للرسول خاتم ﷺ من دون ترديد وشك.
﴿هُدًى﴾ مبتدأ، مرفوع بالضممة المقدرة على آخره الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر. والهدى: الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البُعْية.
﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور. خبر. أي ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله ﷺ وتلقوا ﴿الْكِتَابُ﴾ بقوة وعزم للعمل كما كشف عنهم الأوصاف الواردة في الآيات الآتية. والمتقي هو الذي يتقي بصلاح أعماله عذاب الله.

الروايات

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿الْكِتَابُ﴾: علي عليه السلام لا شك فيه،

١. كما في تلخيص المفتاح / ٣٩ مع تعليقات والدي العلامة عليه السلام.

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: بيان لشيعتنا.^١

والسند عند جدنا العلامة رحمته لا يخلو عن قوة.^٢

مرفوعة سعدان بن مسلم عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُم مِّنَّا مَخْفًى ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّا بِهِ أَشَقُّ عَلَىٰ نَفْسِنَا﴾ قال: كتاب علي لا ريب فيه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ قال: المتقون شيعتنا ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ومما علمنا هم يبتون.^٣

عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: لا شك فيه أنه من عند الله نزل، ﴿هُدًى﴾ يعني: بياناً ونوراً ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يشرك بالله طرفة عين، اتقى الشرك وعبادة الأوثان وأخلص لله العبادة، يبعث إلى الجنة بغير حساب هو وشيعته.^٤

الروايات الواردة حول التقوى كثيرة جداً فإن شئت راجع الكافي^٥ وبحار الأنوار^٦ ووسائل الشيعة^٧ ومستدرك الوسائل^٨ وجامع أحاديث الشيعة^٩ وكتابنا موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام^{١٠}.

١. تفسير القمي ١/ ٣٠ ونقل عنه في البرهان ١/ ١٢٣.

٢. مجد البيان في تفسير القرآن / ٣٩٢.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٠٨، ح ٤.

٤. شواهد التنزيل ١/ ٦٦، ح ١٠٥.

٥. الكافي ٢/ ٧٣.

٦. بحار الأنوار ٦٧/ ٢٥٧.

٧. وسائل الشيعة ١٥/ ٢٤٠.

٨. مستدرك الوسائل ١١/ ٢٦٣.

٩. جامع أحاديث الشيعة ١٨/ ٤٢.

١٠. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٢/ ٢١٣.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾

الآية الشريفة تبينت أوصاف ﴿مُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل جر صفة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾. أو في محل رفع خبر مبتدأ محذوف نحو: هم ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الإيذان من الأمن سُمِّي لكونه موجباً لأمن المؤمن من العقاب في الآخرة. والإيذان: اعتقاد وعمل، اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. الغيب: خلاف الحضور والشهود مصدر بمعنى الغيبة والمراد به ما لا يدرك بالحواس، هذا الوصف الأول للمتقين.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿يُقِيمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به. ومعناها العبادة الخاصة الدَّارِجَةُ بين المسلمين ولكن معنى إقامتها؛ إتيانها بحدودها وقيودها على ما أمر الله تعالى بها والتوجه بها إلى الله ﷻ، وهذا الوصف الثاني لهم.

﴿و﴾ عاطفة وما بعدها الوصف الثالث ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنْفِقُونَ﴾. و «من» تبعيضية.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى الله والمفعولي إلى المتقين.

الرزق: العطاء الخاص وكلّ جهة إمكانية تحققت بالنسبة إلى الإنسان من الإفاضات الربانية ويشمل الماديات والمعنويات ولا يختص بالمال والعلم «بل يشمل القوى والأبدان والجاه، والإنفاق منها إسعاف الحاجات والأخذ بأيدي الضعفاء

وقود الضرائر وانجائهم من المهالك وحمل المتاع عنهم وإغاثة الملهوف وغير ذلك. وببالي أني سمعت أن واحداً من الاتقياء رأي في النوم مجلساً اجتمع فيه علمائنا إلا ابن فهد الحلي، فسأل عنه فقليل له: إنه دخل في مقام الأنبياء أو مجلسهم. فسأل عنه بنفسه بعد لقائه في المنام، فأجيب بأن السبب أني كنت فقيراً لا مال لي أتصدق بها، فكنت أتصدق بجاهي، ولذلك صرت هكذا^١.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «الانفاق: اعطاء الرزق في ما يعود بالمنفعة على النفس والأهل والعيال ومن يرغب في صلته أو التقرب لله بالنفع له من طعام أو لباس. وأريد به هنا بثه في نفع الفقراء وأهل الحاجة وتسديد نوائب المسلمين»^٢. وفي تقديم ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ على ﴿يُنْفِقُونَ﴾ إشعار بأنهم يعلمون انفاقهم يكون من رزق الله تعالى عليهم فلا منة على من ينفق لهم. ومع هذا العلم يكون الانفاق أسهل للمنفقين.

الروايات

خبر داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. قال: من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق^٣.
خبر يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله ﷻ ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ دُونِ الْحُكْمِ﴾. قال: هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب. فقال: المتقون شيعة علي عليه السلام والغيب فهو الحجة الغائب [عليه السلام] وشاهد ذلك قول الله ﷻ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ

١. مجد البيان في تفسير القرآن / ٤٢٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١ / ٢٣٢.

٣. كمال الدين وقام النعمة ١ / ١٧.

مَنْ أَلْمُنْتَظِرِينَ^١ فَأَخْبَرَكَ أَنَّ الْآيَةَ هِيَ الْغَيْبُ، وَالْغَيْبُ هُوَ الْحُجَّةُ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً^٢﴾ يعني حجة^٣.

حسنة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿الْكِتَابُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لاشك فيه، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: يصدقون بالبعث والنشور والوعد والوعيد^٤.

خبر جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ في حديث يذكر فيه الأئمة الإثني عشر وفيهم القائم عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك من وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٥.

قال الطبرسي ذيل قوله تعالى ﴿وَمِمَّا زَكَّيْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ روى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أن معناه ومما علمناهم ييثون^٦.

قال الطبرسي: وقد روى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضا عليه السلام: أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان^٧.

رواها الطوسي في التبيان^٨ عنه عليه السلام.

قال الطبرسي: قد روى ذلك على لفظ آخر عنه عليه السلام أيضاً: الإيمان قول مقول

١. سورة يونس / ٢٠.

٢. سورة المؤمنون / ٥٠.

٣. كمال الدين وتمام النعمة ١ / ١٧.

٤. تفسير القمي ١ / ٣٠ ونقل عنه في نور الثقلين ١ / ٤٨، ح ١٠.

٥. سورة المجادلة / ٢٢.

٦. كفاية الأثر / ٦٠ ونقل عنه في تفسير البرهان ١ / ١٢٤، ح ٦ والمحجة في ما نزل في القائم الحجة عليه السلام ١٧ / ١٧.

٧. مجمع البيان ١ / ٣٩ ونقل عنه في نور الثقلين ١ / ٤٩، ح ١٣.

٨. مجمع البيان ١ / ٣٨.

٩. التبيان ١ / ١٧٦، طبعة آل البيت عليه السلام.

وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول.^١

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾ في الآية السابقة.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و ﴿مَا﴾ موصولة في محل جرّ. متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أُنزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿إِلَيْكَ﴾ جار والضمير الخطاب في محل جر متعلق بـ ﴿أُنزِلَ﴾. والخطاب

للسّول الأعظم ﷺ. يعني ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أيضاً لانك خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

و ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يشمل الوحي الإلهي بما فيه من القرآن والسنة والشرعية في

مقام العمل.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة في محل جرّ معطوفة على ﴿بِمَا﴾.

﴿أُنزِلَ﴾ مرّ.

﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلقان بـ ﴿أُنزِلَ﴾. أي ﴿مَا

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ على الأنبياء السابقين. من الوحي الإلهي.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُوقِنُونَ﴾.

«الْآخِرَةُ» تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار كما في قوله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ»^١. و «الْآخِرَةُ» والدنيا من الصفات الغالبة التي تستعمل كثيراً بلا موصوف كالصالحات»^٢.

«هُمْ» مبتدأ.

«يُوقِنُونَ» فعل مضارع وفاعله. خبر.

«الايقان: اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه.

ولعلّ في تقديم «الْآخِرَةِ» وبناء «يُوقِنُونَ» على «هُمْ» تعريضاً بأهل الكتاب»^٣.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام انه قال: ثم وصف بعد هؤلاء الذين يقيمون الصلاة فقال: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ» يا محمد «وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» على الأنبياء الماضين كالنبي والآنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المنزلة على أنبيائه بأنها حقّ وصدق من عند ربّ عزيز، صادق حكيم. «وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» وبالدار الآخرة بعد هذه الدنيا يوقنون، ولا يشكّون فيها أنّها الدار التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوه. قال الإمام عليه السلام: من دفع فضل أمير المؤمنين صلوات الله عليه على جميع من بعد النبي ﷺ فقد كذب بالتوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المنزلة، فإنّه ما نزل شيء منها إلّا وأهمّ ما فيه، بعد الأمر بتوحيد الله تعالى والاقرار بالنبوة، الإعراف بولاية علي عليه السلام والطيبين من آلِهِ عليه السلام.

ولقد قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما تقول في رجل يؤمن بما أنزل الله على

١. سورة القصص / ٨٣.

٢. مجد البيان / ٤٢١.

٣. مجد البيان / ٤٢١.

مُحَمَّدٌ ﷺ وما أنزل من قبله ويؤمن بالآخرة ويصليّ ويزكي ويصل الرحم ويعمل الصالحات ولكنه يقول مع ذلك: لا أدري الحق لعلّي ﷺ أو فلان؟ فقال له علي بن الحسين ﷺ: ما تقول أنت في رجل يفعل هذه الخيرات كلّها إلّا انه يقول: لا أدري النبي ﷺ أو مسيلمة، هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟ فقال: لا قال: فكذلك صاحبك، كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب من لا يدري أنّ مُحَمَّدٌ ﷺ نبيٌّ أم مسيلمة الكذاب؟ وكذلك كيف يكون مؤمناً بهذه الكتب والآخرة، أو منتفعاً بشيء من أعماله من لا يدري أنّ عليّ محقٌّ أم فلان؟^١

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى المذكورين الآيتين السابقين وهم المتقون.

﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ جار ومجروره وعلامة جره الكسرة المقدرة على آخره - ي - منع من ظهورها التعذر، خبر.

«وذكر حرف الاستعلاء في قوله جَلَّ شأنه ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾، إشارة إلى استيلائهم على الهداية، ورسوخها فيهم، وشدة تمكّنهم منها، ولا ريب في ذلك، فإنّ المواظبة على شيء، والقيام به كما هو حقّه، يوجب اتّصاف النفس به، وارتسامه فيها، فيصير طبيعة ثانوية ربما تغلب الطبيعة الأوليّة، كما هو المشاهد في بعض النفوس، كما أنّ تنكير لفظ ﴿هُدًى﴾ يفيد العظمة وعدم محدوديّة الهداية بحدّ، لأنّها مفاضة من ربّهم عليهم»^٢.

١. التفسير المنسوب إلى العسكري ﷺ / (٩٠-٨٨) ونقل عنه في بحار الأنوار ٦٥ / (٢٨٦-٢٨٥) (٢٦/٤٥٣ و ٤٥٤).

٢. مواهب الرحمن ١/ ١٠٠.

﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿هُدًى﴾. لأن الهداية كلها من الله تعالى.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثان، أو ضمير فصل أو عماد للتأكيد.

﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر. «الفلاح: النجاح» وأصل الفَلَحُ: القطع، فكأنه قطع لهم بالخير»^١.

فـ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ المنجحون والفائزون بالمقصود «بعد الكد والاجتهاد، فكأنه قدر قطع المصاعب حتى نال مقصوده، ولا يطلق إلا في الخير، فالمفلحون هم الذين أدركوا وأمنوا مما منه فزعوا في الدنيا والآخرة، كما هو مقتضى الإطلاق»^٢.

روايتان

خبر عيسى بن عبدالله عن أبيه عن جده قال: كان سلمان يقول: يا معشر المؤمنين، تعاهدوا ما في قلوبكم لعل صلوات الله عليه فأني ما كنت عند رسول الله ﷺ قط، فطلع عليّ إلا ضرب النبي ﷺ بين كتفي. ثم قال: يا سلمان هذا وحزبه ﴿هُمْ﴾ الْمُفْلِحُونَ^٣.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قال الإمام عليه السلام: ثم أخبر الله ﷻ عن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الشريفة فقال: ﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصفات ﴿عَلَى هُدًى﴾ بيان وصواب ﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ وعلم بما أمرهم به ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون مما

١. التبيان ١/ ١٨٨.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٩٩.

٣. تفسير الحبري / ٢٣٢ طبع بيروت مؤسسة آل البيت عليه السلام.

٤. التي مرّت في ذيل الآية السابقة آنفاً.

منه يوجلون، الفائزون بما يُؤمّلون.^١

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

الآية انتقلت الكلام إلى الذين لا يحصل لهم الاهتداء بالقرآن من الكفار والمنافقين.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿الَّذِينَ﴾ اسمه، «والمراد بالوصول هنا يجوز أن يكون أناساً معهودين بأعيانهم؛ كـ «أبي جهل» و «أبي لهب» و «الوليد بن المغيرة» وأضرابهم من رؤساء الضلال الثابتين فيه؛ ويجوز أن يكون الجنس المتناول لكل من صمم على الكفر تصميماً لا يرعوي بعده دون غيرهم من الذين لم يبلغوا ذلك الحال بقرينة الأخبار عنهم بالاستواء بين الانذار وعدمه، وهو من خصائص الأولين، فغيرهم خارج عن المراد بالوصول ابتداء، أو مستثنى منه بعد العموم»^٢.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، الكفر هو الجُحود والسترٌ ولذلك سمي الليل كافراً لظلمته، والزراع كافراً لتغطيته البذر ويقال: فلان متكفّر بالسلاح إذا تغطى به. «وفي الشرع: عبارة عمّن جحد ما أوجب الله عليه معرفته، من توحيدهِ، وعدله، ومعرفة نبيّه، والإقرار بما جاء به من أركان الشرع، فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً.

وربما تعلقت به أحكام مخصوصة؛ من: منع الموارثة، والمناكحة، والمدافنة،

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٩٠ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٨٦/٦٥ (٤٥٤/٢٦).

٢. مجد البيان / ٤٤٢.

والصلاة عليه»^١.

وللكفر أقسام يأتي بعضها في الروايات الآتية.

﴿سَوَاءٌ﴾ خبر مقدم. اسم مصدر بمعنى الاستواء.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿سَوَاءٌ﴾، والضمير يرجع إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿ءَ﴾ همزة التسوية.

﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. مبتدأ مؤخر. والانذار: التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي و «يحتمل إطلاق الانذار على مطلق الدعوة بأنحائه، أو بالقرآن تغليبا للانذار والتخويف على غيره»^٢.

﴿أَمْ﴾ حرف عطف للتسوية. والجملة الفعلية بعده معطوف على ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾.

﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تُنذِرُهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، خبر ﴿إِنَّ﴾.

«والحكم بالاستواء بين الانذار وعدمه يفيد قطع حسم احتمال الايمان منهم بالمرء؛ إذ الانذار أقوى تأثيراً من البشارة وغيرها من بواعث الافعال، فإن دفع الضرر أهم من جلب المنفعة»^٣.

الروايات

خبر أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله ﷻ؟ قال: للكفر في كتاب الله على خمسة أوجه.

١. التبيان ١/ ١٩٦.

٢. مجد البيان / ٤٤٢.

٣. مجد البيان / ٤٤٢.

فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين؛ والكفر يترك ما أمر الله؛ وكفر البراءة؛ وكفر النعم.

فأما كفر الجحود فهو الجحود بالرُّبوبيّة وهو قول من يقول: لا ربّ ولا جنّة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم: الدهريّة وهو الذين يقولون ﴿وَمَا يُمْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^١ وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^٢ أن ذلك كما يقولون وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣ يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة؛ وهو يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق، قد استقرّ عنده وقد قال الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^٥ وقال الله ﷻ: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٦ فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^٧ وقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^٨

١. سورة الجاثية / ٢٤.

٢. سورة الجاثية / ٢٤.

٣. سورة البقرة / ٦. وخص نفي الإيمان في الآية بتوحيد الله لان سائر ما يكفرون به من توابع التوحيد.

٤. هكذا في النسخ التي رأيناها والصواب: وأما الوجه الآخر من الجحود فهو الجحود على معرفة ولعله سقط من قلم النساخ وهذا الكفر هو كفر اليهود.

٥. سورة النمل / ١٤.

٦. سورة البقرة / ٨٩.

٧. سورة النمل / ٤٠.

وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^٢.

والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله ﷻ به وهو قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دَيْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تُمْسِكُوهُمْ وَهِيَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾^٣ فكفرهم بترك ما أمر الله ﷻ به ونسبهم إلى الإيثار ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٤.

والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة وذلك قوله ﷻ يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^٥ يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾^٦ وقال: ﴿إِنَّمَا أَخَذْتُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَغَ بَعْضُكُمْ﴾^٧ يعني يتبرأ بعضكم من بعض.^٨

روى القمي هذه الرواية في تفسيره مع اختلاف في النقل ولذا نقلت بتمامها منه:

١. سورة إبراهيم / ٧.

٢. سورة البقرة / ١٥٢.

٣. سورة البقرة / ٨٤ و ٨٥. وقوله ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي بالميثاق. وقوله ﴿تَظْهَرُونَ﴾ أي تعاونون.

٤. سورة البقرة / ٨٥.

٥. سورة الممتحنة / ٤.

٦. سورة إبراهيم / ٢٢.

٧. سورة العنكبوت / ٢٥.

٨. الكافي ٢ / ٣٨٩، ح ١.

خبر أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الكفر في كتاب الله على خمسة فَمِنْهُ: خمسة: كفر الجحود وهو على وجهين: جحود بعلم وجحود بغير علم. فأما الذين جحدوا بغير علم، فهم الذين حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^١. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٢. فهؤلاء كفروا [وجحدوا] بغير علم. وأما الذين كفروا جحدوا بعلم، فهم الذين قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^٣. فهؤلاء الذين كفروا وجحدوا بعلم.

صحيحة حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾» يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾^٤؛ لأن الله تعالى قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفة أصحابه بنعته ومنهاجه^٥، وهو قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^٦. فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه. فلما بعثه الله تعالى عرفه أهل الكتاب، كما قال عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^٧ فكانت اليهود يقولون للعرب قبل مخرج النبي: أيها العرب هذا أوان

١. سورة الجاثية / ٢٤.

٢. سورة البقرة / ٦.

٣. سورة البقرة / ٨٩.

٤. سورة البقرة / ١٤٦.

٥. في بعض النسخ: «ومبعثه وهجرته»، وفي بعضها: «ومبعثه ومهاجره».

٦. سورة الفتح / ٢٩.

٧. سورة البقرة / ٨٩.

نبي يخرج بمكة، ويكون مهاجرة^١ إلى المدينة وهو آخر الأنبياء وأفضلهم؛ في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة؛ يلبس الشملة ويجتري بالكسر والتميرات، ويركب الحمار عرية، وهو الضحوك القتال يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، ليقتلنكم [الله] به يا معشر العرب قتل عار.

فلما بعث الله نبيه ﷺ بهذه الصفة حسدوه وكفروا به؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^٢.

ومنه: كفر البراءة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾^٣؛ أي: يتبرأ بعضكم من بعض.

ومنه: كفر ترك، الترك لما أمرهم الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ^٤﴾، أي: ترك الحج وهو مستقطع فقد كفر. ومنه: كفر النعم، وهو قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ^٥﴾، أي: ومن لم يشكر نعمة الله فقد كفر.

فهذه وجوه الكفر في كتاب الله^٦.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في معني الآية: فلما ذكر هؤلاء المؤمنين ومدحهم، ذكر الكافرين المخالفين لهم في كفرهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبما آمن به، هؤلاء المؤمنون بتوحيد الله وبنبوة محمد رسول الله وبوصية علي ولي

١. في بعض النسخ: «هجرتة».

٢. سورة البقرة / ٨٩.

٣. سورة العنكبوت / ٢٥.

٤. سورة آل عمران / ٩٧.

٥. سورة النمل / ٤٠.

٦. تفسير القمي ١/ ٣٢؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٧٢/ ٩٢، ح ٢، باب الكفر ولوازمه وآثاره؛ مجد البيان / ٤٣٤.

الله ووصي رسول الله وبالأئمة الطيبين الطاهرين، خيار عباد الله الميامين، القوامين بمصالح خلق الله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَلَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ خوَّفْتَهُمْ ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ لم تخوَّفْهُمْ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أخبر عن علمه فيهم، وهم الذين قد علم الله ﷻ إثمهم لا يؤمنون.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: روى عن محمد بن علي الباقر عليه السلام: أن رسول الله ﷺ لما قدّم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقه وبيّنات نبوته، كادته اليهود أشدّ كيد وقصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها وحبّته ليبطلوها، فكان ممن قصده للرد عليه وتكذيبه مالك بن الصيف وكعب بن أشرف وحسين بن أخطب وأبولبابة بن المنذر وسيعته. فقال مالك لرسول الله ﷺ: يا محمد تزعم أنك رسول الله؟ قال رسول الله: كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين. قال: يا محمد لن نؤمن أنك لرسوله حتّى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتي ولن نشهد لك أنك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط. وقال أبولبابة بن المنذر: لن نؤمن لك أنّك رسول الله ولا نشهد لك به، حتّى يؤمن لك ويشهد لك هذا السوط الذي في يدي. وقال كعب بن أشرف: لن نؤمن لك أنّك رسول الله ولن نصدّقك به، حتّى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه. فقال رسول الله ﷺ: ليس للعباد الإقتراح على الله، بل عليهم التسليم لله، والانقياد لأمره والاكتفاء بما جعل كافياً، أما كفاكم أنّ التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم حكم بنبوتي ودلّ على صدقي، ويبيّن فيها ذكر أخي ووصيي وخليفتي في أمّتي وخير من أتركه على الخلائق من بعدي علي بن أبي طالب، وأنزل عليّ هذا القرآن الباهر للخلق أجمعين، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله وإن تكلفوا شبهه، وأمّا الذي اقترحتموه فلست أقترحه على ربّي ﷻ، بل أقول إنّ ما أعطاني ربّي ﷻ من دلالة هو حسبي وحسبكم، فإن فعل ﷻ ما اقترحتموه فذلك زائد

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٩١ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٨٦/٦٥ (٢٦/٤٥٤)؛ وتفسير كنز الدقائق ١/١٠١.

في تطوّله علينا وعليكم، وإن منعنا ذلك فلعلمه بأنّ الذي فعله كاف في ما أراده منّا، قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه هذا أنطق الله البساط، والحديث طويل، مضمونه أنّ كلاً من البساط والسوط والحمار شهدوا بالوحدانية والنبوة والولاية، وظهر من كلّ منها آيات عجيبة، ولم يؤمن أحدهم إلاّ أبولبابة فإنّه أظهر الإسلام ولم يحسن إسلامه، ثمّ قال ﷺ: فلما انصرف القوم من عند رسول الله ﷺ ولم يؤمنوا أنزل الله: يا محمد، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعِظَةِ﴾ ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ ووعظتهم وخوّفتهم ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لا يصدّقونك بنبوّتك وهم قد شاهدوا هذه الآيات وكفروا، فكيف يؤمنون.^١

﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

هذه الآية كالتعليل للآية السابقة وبيان لسببها «ليدفع بذلك على أربابها»^٢. ﴿حَتَمَ﴾ فعل ماضٍ. ومعناه الإغلاق أو «طَبَعَ فيها أثراً للذنوب كالسّمة والعلامة لنعرفها الملائكة فيتبرّءوا منهم ولا يوالوهم ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين»^٣.

«والحتم والكتم أخوان؛ لأنّ في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له وتغطية لئلا يتوصل إليه، ولا يطلع عليه، كما ذكره جماعة. وربّما يفسّر بالشّد والطبع

١. تفسير الإمام العسكري عليه السلام / ٣٣، في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١ / ٢٥٠.

٣. التبيان ١ / ٢٠٥.

حتى لا يوصل إلى الشيء المختوم عليه، ومنه ختم الباب والكتاب»^١.
﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَتَمَ﴾ ومضاف إليه. والقلب: مركز إدراكات الإنسان.

«والختم على القلب، كناية عن عدم انتفاعه بالمعارف الربوبية، والحقائق الإلهية، وما يترتب عليها في عالم الدنيا والآخرة، فالختم والطبع وصيرورة القلب في الأكنة، كلّها بمعنى واحد، وهو ما ذكره ﴿كَفَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾»^٢٣.

والختم من الله ولكنه في مقابل أعمالهم وليس ابتدائياً بل يكون نتيجة أفكارهم وأعمالهم. والوجه في ذلك: أن الآيات الإلهية والمعارف الربانية تحتاج إلى ظرف طيب طاهر مطهر لأنّ المظروف يكون كذلك، وحيث أنهم سعوا في تكثيف ظروفهم الوجودية بالأعمال الطالحة والاعتقاد الفاسدة فلا يمكن دخول هذا المظرف الطيب الطاهر فيها.

فالختم لا يكون ابتدائياً بل يكون نتيجة أعمالهم وعقوبتهم وكذلك الغشاوة. كما أشار إليه رواية الصدوق المروية في العيون التي تأتي آنفاً.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. والسمع هو طريق المعهود للتفهيم والتفهم.
﴿وَ﴾ استئنافية.

١. مجد البيان / ٤٤٣.

٢. سورة الأنعام / ٢٥.

٣. مواهب الرحمن / ١ / ١١٠.

﴿عَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بخبر مقدم محذوف.
 ﴿عَشَوَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر. الغشاوة: فعالة من غشاه إذا غطاه، فهي الغطاء.
 «نسب الختم إلى نفسه تعالى والغشاوة إليهم أنفسهم [اشعاراً] بأن فيهم حجاباً
 دون الحق في أنفسهم وحجاباً من الله تعالى عقيب كفرهم وفسوقهم، فأعمالهم
 متوسطة بين حجابين: من ذاتهم ومن الله تعالى»^١.
 وكل هذه التعابير من الختم والغشاوة والقلب والسمع والبصر كناية ومن
 باب تشبيه المعقول بالمحسوس والمراد بها الحجب.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، أي للمختومين و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والذين
 ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر، العذاب: استمرار الألم ومنع النفس عن جميع مشتبهاتها
 من الخير. وتنكيره للتعميم.
 ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت، العظيم ضد الحقير ويراد به العظمة من كل جهة كما وكيفاً
 وزماناً ومكاناً وهو يشمل عذاب الدنيا والآخرة.

الروايات

خبر ابراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى:
 ﴿وَتَرَكْنَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصَرُونَ﴾^٢ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما
 يوصف خلقه ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال، منعهم المعاونة
 واللفظ وخلي بينهم وبين اختيارهم، قال: وسألته عن قول الله ﷻ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ

١. الميزان ١/ ٥٢.

٢. سورة البقرة / ١٧.

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ قال: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال ﷺ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^١.

قال: وسألته عن الله ﷻ هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال: بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا، قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: كيف يفعل ذلك؟ وهو يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾^٢. ثم قال ﷺ: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد ﷺ انه قال: من زعم أن الله تعالى يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته ولا تصلوا ورائه ولا تعطوا من الزكاة شيئاً^٣.

الطبرسي بإسناده إلى أبي محمد العسكري ﷺ في قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم لما عرضوا عن النظر في ما كلفوه، وقصروا في ما أريد منهم، وجهلوا ما لزمهم الإيمان به، فصاروا كمن على عينه عطاء لا يبصر ما أمامه، فإن الله ﷻ يتعالى عن العبث والفساد وعن مطالبة العباد بما منعهم بالقهر منه، فلا يأمر بمغالbته، ولا بالمصير إلى ما قد صدهم بالقسر عنه، ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة العذاب المعد للكافرين، وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبئه لطاعته، أو من عذاب الاصلاح ليصيره إلى عدله وحكمته.

قال الطبرسي: وروى أبو محمد العسكري ﷺ مثل ما قال هو في تأويل هذه الآية من المراد بالختم على قلوب الكفار عن الصادق ﷺ بزيادة شرح لم نذكره فحافة

١. سورة النساء / ١٥٥.

٢. سورة فصلت / ٤٦.

٣. عيون أخبار الرضا ﷺ ١/ ١٢٣، ح ١٦.

التطويل لهذا الكتاب.^١

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيكم وقى بنفسه نفس رجل مؤمنٍ البارحة؟

فقال علي عليه السلام: أنا هو - يا رسول الله - وقيت بنفسي نفس ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري.^٢

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدث بالقصة إخوانك المؤمنين، ولا تكشف عن اسم المنافقين الكائدين لنا، فقد كفاكم الله شرهم، وأخبرهم للتوبة، لعلهم يتذكرون أو يحشون.

فقال علي عليه السلام: بينا أنا أسير في بني فلان بظاهر المدينة، وبين يدي - بعيداً مني - ثابت بن قيس، إذ بلغ بئراً عادية عميقة بعيدة القعر، وهناك رجل من المنافقين فدفعه ليرمي في البئر، فتماسك ثابت، ثم عاد فدفعه، والرجل لا يشعر بي حتى وصلت إليه، وقد اندفع ثابت في البئر، فكرهت أن اشتغل بطلب المنافق خوفاً على ثابت، فوقع في البئر لعلّي أخذه، فنظرت فإذا أنا قد سبقته إلى قرار البئر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وكيف لا تسبقه وأنت أرزن^٣ منه؟! ولو لم يكن من رزانتك إلا ما في جوفك من علم الأولين والآخرين، أودعه الله رسول [وأودعك]، لكان من حقك أن تكون أرزن من كل شيء، فكيف كان حالك وحال ثابت؟

قال: يا رسول الله، صرت إلى البئر، واستقررت قائماً، وكان ذلك أسهل عليّ وأخفّ على رجليّ من خطاي التي كنت أخطوها رويداً رويداً، ثم جاء ثابت، فانحدر

١. الاحتجاج ٢/ ٤٥٦.

٢. وهو خطيب الأنصار، وكان من نجباء الصحابة، سكن المدينة، واستشهد يوم اليمامة. أنظر سير

أعلام النبلاء ١/ ٣٠٨؛ معجم رجال الحديث ٣/ ٣٩٧.

٣. شيء رزين: أي ثقيل.. (مجمع البحرين - رزن - ٦/ ٢٥٥).

فوقع على يديّ، وقد بسطتهما إليه، وخَشِيتُ أن يُضْرَنِي سقوطه عليّ أو يُضْرَهُ، فما كان إلا كطاقة^١ ريجانٍ تناولتها بيدي.

ثم نظرت، فإذا ذلك المنافق ومعه آخران على شفير^٢ البئر، وهو يقول لهما: أردنا واحداً فصار اثنين! فجاءوا بصخرة فيها مائة^٣ مَنْ^٤ فأرسلوها [علينا]، فخَشِيتُ أن تُصيب ثابتاً، فاحتضنته وجعلت رأسه إلى صدري، وانحنيت عليه، فوقعت الصخرة على مؤخر رأسي، فما كانت إلا كترويحةٍ بمروحةٍ^٥، تروّحت بها في حمّارة القيظ^٦، ثم جاءوا بصخرة أخرى، فيها قدر ثلاثمائة مَنْ^٧، فأرسلوها علينا، وانحنيت على ثابت، فأصابته مؤخراً رأسي، فكانت كماءٍ صُبَّ على رأسي وبدني في يوم شديد الحرّ، ثم جاءوا بصخرة ثالثة، فيها قدر خمسمائة مَنْ^٨، يُديرونها على الأرض، لا يُمكنهم أن يُقلُّوها، فأرسلوها علينا، فانحنيت على ثابت، فأصابته مؤخراً رأسي وظهري، فكانت كثوبٍ ناعمٍ صَبَبْتُهُ^٩ على بدني وَلَبِسْتُهُ. فتَنَعَّمْتُ به.

فسمعتهم يقولون: لو أنّ لابن أبي طالب وابن قيس مائة ألف روح، ما نجت منها واحدة من بلاء هذه الصخور؛ ثم انصرفوا، فدفع الله عنا شرّهم، فأذن الله ﷻ لشَفير البئر فانحطّ، ولقرار البئر فارتفع، فاستوى القرار والشَفير بعدُ بالأرض، فحَطَّونا وخرجنا.

١. الطاقة: الحرّمة. (المعجم الوسيط - طوق - ٢ / ٥٧١).

٢. شفير كُلِّ شيءٍ: حرفه، وشَفير الوادي: ناحيته من أعلاه. (لسان العرب - شفر - ٤ / ٤١٩).

٣. في المصدر: مائتي.

٤. المنّ: وهو رطلان والجمع أمانان. (الصحاح - منن - ٦ / ٢٢٠٧).

٥. رَوَّحَ عليه بالمروحة: حَرَّكها ليُجلب إليه نسيم الهواء، والمروحة: أداة يُجلب بها نسيم الهواء في الحرّ.

(المعجم الوسيط - روح - ١ / ٣٨٠ و ٣٨١).

٦. حمّارة القيض: شدّة حرّه. (مجمع البحرين ٣ / ٢٧٦).

٧. صَبَّ عليه درعه: إنا لبسها. (أساس البلاغة - صبب - ٢٤٧ / ٢٤٧).

فقال رسول الله ﷺ يا أبا الحسن، إن الله ﷻ أوجب لك من الفضائل والثواب ما لا يعرفه غيره، ينادي مناد يوم القيامة: أين محبو عليّ أبي طالب؟ فيقوم قوم من الصالحين، فيقال لهم: خذوا بأيدي من شئتم من عرصات القيامة، فأدخلوهم الجنة، وأقل رجل منهم ينجو بشفاعته من أهل تلك العرصات ألف ألف رجل.

ثم ينادي مناد: أين البقية من محبي عليّ بن أبي طالب؟ فيقوم قوم مقتصدون^١، فيقال لهم: تمنوا على الله تعالى ما شئتم، فيتمنون، فيفعل لكل واحد منهم ما تمنّاه، ثم يُضعف له مائة ألف ضعف.

ثم ينادي مناد: أين البقية من محبي عليّ بن أبي طالب؟ فيقوم قوم ظالمون لأنفسهم، معتدون عليها، ويقال: أين المبعوضون لعليّ بن أبي طالب؟ فيؤتى بهم جم غفير^٢، وعدد كثير، فيقال: ألا نجعل كل ألف من هؤلاء فداءً لواحد من محبي علي بن أبي طالب عليه السلام ليدخلوا الجنة؟ فينجي الله ﷻ محبيك، ويجعل أعداءهم فداءهم.

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا الفضل الأكرم، محبة محب الله ومحبّ رسوله، ومُبغضه مُبغض الله ومُبغض رسوله، هم خيار خلق الله من أمة محمد.

ثم قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: أنظر؛ فنظر إلى عبدالله بن أبي^٣ وإلى سبعة من اليهود، فقال: قد شاهدت، ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم.

فقال رسول الله ﷺ: أنت - يا عليّ - أفضل شهداء الله في الأرض بعد محمد

١. المقتصد: العادل. وروي عن الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام في تفسير الآية ٣٢ من سورة فاطر: «أما

المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل». سعد السعدي / ١٠٧.

٢. الجُم: الكثير، والمعنى: جاءوا بجماعتهم ولم يتخلف منهم أحد وكانت فيهم كثرة. (مجمع البحرين - جم - ٦/٣٠، - غفر - ٣/٤٢٧).

٣. عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو حباب، المشهور بابن سلول، وهي جدته، رأس المنافقين وكبيرهم، أظهر الإسلام كرهاً، وكان سيّد الخزرج في آخر جاهليتهم، أنظر طبقات ابن سعد ٣/٥٤٠؛ أعلام الزركلي ٤/١٨٨.

رسول الله.

قال: فذلك قوله ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةً﴾^١
تُبصرها الملائكة فيعرفونهم بها، ويُبصرها رسول الله ﷺ، ويُبصرها خير خلق الله بعده
علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة بما كان من كفرهم بالله، وكفرهم
بمحمد رسول الله ﷺ. ١.

قال جدنا العلامة الشيخ محمد حسين النجفي رحمه الله: وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام:
سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فحتم على قلوبهم وسمعهم ليوافق قضائه عليهم علمه
فيهم، ألا تسمع إلى قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ٣! ٢.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾

ذكر سبحانه أولاً المؤمنين ثم الكافرين ثم المنافقين - في هذه الآية - وهم الذين
يدعون الإيمان كذباً ولكن باطنهم على الكفر، ذكرهم في خمس آيات
والكافرين في اثنين من آياته ولكن المنافقين في ثلاث عشر آية «فربما يستشعر من ذلك
أن النفاق أقبح من الكفر لزيادته الكذب والخديعة والاستهزاء على الكفر»^٤.
﴿و﴾ استثنائية.

﴿مِنْ﴾ حرف جر، يُعبر بها عن واحد من العقلاء واثنين وجماعة.

١. البرهان في تفسير القرآن / (١٣٥-١٣٤).

٢. سورة الأنفال / ٢٣.

٣. مجد البيان في تفسير القرآن / ٤٤٤.

٤. مجد البيان في تفسير القرآن / ٤٦٦.

﴿النَّاسِ﴾ مجروره. اسم جمع لا واحد له. جار ومجرور متعلق بخبر مقدم. وتقديم الخبر «مؤذن بأن المتحدّث عنهم ستساق في شأنهم قصة مذمومة وحالة شنيعة إذ لا يُستَر ذكرهم إلّا لأن حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم أن يصرح بموصوفها وفي ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمته أمر كبير»^١.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول. مبتدأ مؤخر.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله. في محل نصب مقول القول.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿ءَامَنَّا﴾. ﴿وَعِ﴾ عاطفة.

﴿بِالْيَوْمِ﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾.

﴿الْآخِرِ﴾ نعت. «و ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو يوم القيامة وإنّما سمّي يوم القيامة اليوم

الآخر لأنّه يومٌ لا يوم بعده سواء»^٢.

«وإنّما خَصَّ سبحانه الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر، ولم يحك عنهم الإيمان

بالأنبياء، لاستلزام الإيمان بالمبدأ والمعاد، الإيمان بالأنبياء أيضاً»^٣.

﴿وَعِ﴾ حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ على لغة بني تميم. واسم ﴿مَا﴾ على لغة حجازيين لأنّهم يروون

﴿مَا﴾ بمنزلة «ليس».

﴿بِ﴾ حرف جر زائد لتأكيد النفي.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مجروره، في محل جر خبر على لغة بني تميم، وفي محل نصب اسم لا

على لغة حجازيين.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٢٥٧.

٢. التبيان ١/ ٢١٥.

٣. مواهب الرحمن ١/ ١٢٠.

نفى الله عنهم الإيمان بالمرّة فهم لا يدخلون حتّى في أدنا مراتب الإيمان، فحكم الله على كفرهم، فالمنافقون كفارٌ في الحقيقة وإن يدّعون الإيمان.

الروايات

صحيحة أبي بصير قال: قال لي: إنّ الحكم بن عتيبة ممّن قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فَلْيُشَرِّقْ الْحَكْمُ وَلْيَعْرَبْ، أَمَّا وَاللَّهِ لَا يُصِيبُ الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جِبْرَائِيلُ.^١

ورواها الصفار في بصائر الدرجات^٢ بسنده الصحيح.

وروى نحوها في الكشي^٣ بسند معتبر.

صحيحة أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الحكم بن عتيبة وسلمة وكثيراً وأبا المقدام والتمار، يعني سالماً، أضلّوا كثيراً ممّن ضلّ هؤلاء وإتّهم ممّن قال الله ﷻ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.^٤

قال العلامة: الحكم بن عتيبة مذموم كان من فقهاء العامة وكان بُرِّيًّا.^٥

وردت في ذمّه روايات فراجع الى اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي.^٦

وقال الكشي في رواية: البُتْرِيَّةُ^٧ هم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حي وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وأبوالمقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا إلى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر ويثبتون لها إمامتهما، ويتقضون عثمان وطلحة والزبير،

١. الكافي ٢/ ٣٢٨، ح ٤ (١/ ٣٩٩).

٢. بصائر الدرجات / ٩، ح ٢.

٣. اختيار معرفة الرجال / ٢٠٩، ح ٣٦٩.

٤. اختيار معرفة الرجال / ٢٤٠، ح ٤٣٩.

٥. خلاصة الأقوال / ٢١٨.

٦. اختيار معرفة الرجال / ٢٠٩، ح ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠.

٧. بضم الباء وقيل بكسرهما وقد يقال: «القياس يقتضي الفتح، لأنّه مصدر: بَتَرَ والحقّ التثليث فيه، فتدبر». [تعليقة الشيخ محمدرضا المامقاني على مقباس الهداية ٢/ ٨٧ لجلده].

ويرون الخروج مع بطون ولد علي بن أبي طالب يذهبون في ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويثبتون لكل من خرج من ولد علي عليه السلام عند خروجه بالإمامة.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال العالم موسى بن جعفر عليه السلام :
إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ثم قال: يا عباد الله أنسبوني، فقالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ثم قال: أيها الناس أأست أولى بكم من أنفسكم؟ فأنا مولاكم، أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء فقال: اللهم أشهد، يقول هو ذلك وهم يقولون ذلك ثلاثاً.

ثم قال: ألا فمن كنت عليّ مولاه وأولى به، فهذا مولاه وأولى به، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

ثم قال: قم يا أبابكر فبايع له بإمرة المؤمنين فقام ففعل ذلك، ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين فقام فبايع، ثم قال بعد ذلك لتام التسعة ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم.

فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرقوا عن ذلك وقد وُكِّدَت عليهم العهود والمواثيق.

ثم إن قوماً من متمردى جبابرتهم تواطؤوا بينهم إن كانت لمحمد صلى الله عليه وآله كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علي عليه السلام ولا يتركونه له، فعرف الله تعالى ذلك من قلوبهم وكانوا يأتون رسول الله ويقولون له: لقد اقمتم علياً، أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا، كفيتنا به مؤنة الظلمة والجائرين في سياستنا وعلم الله في قلوبهم خلاف ذلك

١. اختيار معرفة الرجال / ٢٣٢، ح ٤٢٢.

ومن مؤاظة بعضهم لبعض، أتهم على العدواة مقيمون ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون. فأخبر الله ﷻ محمداً ﷺ عنهم فقال: يا محمد ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ الذي أمرك بنصب علي ﷺ إماماً وسائساً لأمتك ومدبراً ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بذلك ولكنهم يتواطؤون على إهلاكك وإهلاكه، يوطنون أنفسهم على التمرّد على علي ﷺ إن كانت بك كائنة.^١

﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

إنّ المنافقين يريدون مخادعة الله ويعاملون الله معاملة المخادع ولكنهم لا يقدرّون على ذلك ولا ﴿تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿تُخَدِّعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بدل اشتغال من قوله تعالى: ﴿يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾^٢ لأنّ قولهم ذلك يشتمل على المخادعة.

«الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه، وعما هو بصدده من قولهم: خدع الضب. إذ توارى في جحره، وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارث إقباله عليه، ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة، والأخذعان لعرقين خفيين في العنق، والمخادعة تكون بين اثنين»^٣.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به، ولعلّ المراد بمخادعة الله، مخادعة أولياء الله.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿الدِّينَ﴾ اسم موصول، مفعول به، معطوف على ﴿اللَّهُ﴾.

﴿ءَامِنُونَ﴾ فعل ماض وفاعله. ذكر العام بعد الخاص لو كان المراد بما قبله

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ١١١.

٢. سورة البقرة / ٨.

٣. تفسير البيضاوي ١ / ٥٠.

مخادعة أولياء الله.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿تَحَدَّعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ مفعول به ﴿تَحَدَّعُونَ﴾ ومضاف إليه. لأنّ المنافق «وإن كان مخادعاً للمؤمنين في الدنيا فهو لنفسه مخادع؛ لأنّه يُظهر لها بذلك أنّه يُعطيها أمنيّتها، وهو يوردها بذلك أليم العذاب وشديد الوبال؛ فلذلك قال: ﴿وَمَا تَحَدَّعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾»^١.

﴿و﴾ حالية. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «والشعور يطلق على العلم بالأشياء الخفية، ومنه سمي الشاعر شاعراً لعلمه بالمعاني التي لا يهتدي إليها كل أحد وقدرته على الوزن والتقفية بسهولة، ولا يحسن لذلك كل أحد، وقولهم ليت شعري في التحير في علم أمر خفي، ولو لا اخفاء لما تمنى علمه بل لعلمه بلا تمن، فقولهم هو لا يشعر وصف بعدم الفطنة لا بعدم الإحساس وهو أبلغ في الذم لأن الذم بالوصف الممكن الحصول أنكى من الذم بما يتحقق عدمه فإن إحساسهم أمر معلوم لهم وللناس فلا يغيضهم أن يوصفوا بعدمه وإنما الذي يغيضهم أن يوصفوا بالبلادة»^٢.

تنبيه

قال الجد رحمته الله: «ومن أوضح أفراد المخادغة ما كان يصنعه الأول والثاني وأضرابهما، بل هم أصل الخدعة والنفاق في كلّ مقام من مقاماته حيث يظهرهم التسليم للرسالة والدين وهم جاحدون، وخصوصاً لأمر الخلافة وهم معاندون، ولكمال الايمان والاخلاق الحسنة وهم عنه خلاء، وللأعمال والعبادات مع أنّهم

١. التبيان ١/ ٢١٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٢٧٣.

مراؤون...^١.

الروايات

معتبرة مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ سُئل في ما النجاة غداً؟ فقال: إنما النجاة في ألا تخادعوا فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعرا فقليل له: فكيف يخادع الله؟ فقال: يعمل بما أمره الله ﷻ به ثم يريد به غيره، فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله ﷻ، إن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر يا غادر، يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك ولا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له.^٢

ورواها الصدوق بسنده المعتبر أيضاً في عقاب الأعمال^٣ وبسنده الحسن في أماليه^٤.
وروى العياشي نحوها مرفوعاً في تفسيره^٥.

معتبرة مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عليه السلام: عن أبيه عليه السلام أن الله ﷻ أنزل كتاباً من كتبه على نبيٍّ من الأنبياء وفيه أن يكون خلق من خلقي يَحْتَلُونَ الدنيا بالدِّينِ يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشد مرارة من الصبر وألستهم أحلي من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف، في يَغْتَرُّونَ؟ أم أيادي يخادعون، أم عليّ يجترئون، فبعزّي حلفت لأبعثنَّ عليهم فتنة تطفأ في حظامها حتى تبلغ أطراف الأرض تترك الحكيم منها حيران، فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم، ألبسهم شيعاً وأذيق بعضهم بأس بعض، أنتقم من أعدائي فلا أبالي بما أعدَّهم جميعاً ولا أبالي^٦.

١. مجد البيان / ٤٧٦.

٢. معاني الأخبار / ٣٤١.

٣. عقاب الأعمال / ٣٠٣.

٤. أمالي الصدوق، المجلس الخامس والثمانون، ح ٢٣ / ٦٧٧، رقم ٩٢١.

٥. تفسير العياشي / ١ / ٤٥٣، ح ٢٩٨.

٦. عقاب الأعمال / ٣٠٤، ح ٢.

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام :
فاتَّصَلَ ذلك من مواطأتهم وقيلهم في علي عليه السلام وسوء تديبرهم عليه برسول الله صلى الله عليه وآله
فدعاهم وعاتبهم فاجتهدوا في الأيمان وقال أولهم: يا رسول الله، والله ما اعتدلت
بشيء كاعتدادي بهذه البيعة ولقد رجوت أن يفسح الله بها لي في قصور الجنان،
ويجعلني فيها من أفضل النَّزَالِ والسُّكَّانِ.

وقال ثانيهم: بأبي أنت وأمي - يا رسول الله - ما وثقت بدخول الجنة والنجاة
من النار إلا بهذه البيعة والله ما يسُرُّني أن نقضتها أو نكثت بها - ما أعطيت من نفسي ما
أعطيت، وإن كان لي طِلاع ما بين الثرى إلى العرش لآليء رطبة وجواهر فاخرة.

وقال ثالثهم: والله يا رسول الله صلى الله عليه وآله لقد صرت من الفرح بهذه البيعة من
السرور والفُسُح من الآمال في رضوان الله ما أيقنت أنه لو كان عليّ ذنوب أهل
الأرض كلّها لمُحِصت عني هذه البيعة، وحلف على ما قال من ذلك، لعن من بلّغ عن
رسول الله صلى الله عليه وآله خلاف ما حلف عليه ثمّ تتابع بمثل هذا الاعتذار بعدهم من الجبابرة
المتمردين.

فقال الله صلى الله عليه وآله لمحمّد صلى الله عليه وآله ﴿تَحْدِثْ عَنْكَ اللَّهُ﴾ يعني يخادعون رسول الله بأيمانهم
بخلاف ما في جوانحهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ كذلك أيضاً الذين سيّدهم وفاضلهم علي بن
أبي طالب عليه السلام . ثمّ قال: ﴿وَمَا تَحْدِثْ عَنْكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ ما يُضَرُّونَ قبلك الخديعة إلا
أنفسهم فإن الله غني عنهم وعن نصرهم ولولا إمهالهم لما قدروا على شيء من
فجورهم وطغيانهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّ الأمر كذلك، وأن الله يُطلع نبيّه على نفاقهم
وكفرهم وكذبهم، ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين الناكثين، وذلك اللعن لا يفارقهم في
الدنيا يلعنهم خيار عباد الله وفي الآخرة يُبتلون بشدائد عقاب الله. ١

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾

استئنافٌ لعدِّ مساوي المنافقين أو بيانٌ لسؤال مقدّر وهو كيف يتوهم المنافقون أنهم يقدرّون على مخادعة الله؟!

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر مقدم. قدّم الخبر للاهتمام بشأن هذه القلوب اللآتي هي مركز إداركات الإنسان وقواه.

﴿مَرَضٌ﴾ مبتدأ مؤخر. المرض: السقم في البدن والعارض للمزاج يخرج به عن الاعتدال الخاص به، فشبهه الله تعالى ما ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والشك بمرض الاجساد وتنكيره يدل على ثبوت أنواعه حسب مفاسد أعمالهم.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿زَادَهُمُ﴾ فعل ماضٍ ومفعول به أول مقدم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿مَرَضًا﴾ مفعول به ثان.

وزيادة الله تلك الأمراض ليست ابتدائياً بل على السنة الدراجة من أنّ الأخلاق الفاسدة تتزايد بتزايد الأيام حتى تصبح كالطبيعة الثانية لهم، فلا سند إلى الله ليست ابتدائياً ولا حقيقية.

ثم فليعلم أنّ العلامة الجدّ ﷺ ذكر في تفسيره^١ أنواع أمراض القلب وآفاته فراجع إن شئت.

﴿وَ﴾ عاطفة، تعطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر.

﴿أَلِيمٌ﴾ نعت، بمعنى المؤلم والموجع، فعيل بمعنى مفعّل: مثل بديع بمعنى مُبدِع وحرّيز بمعنى مُحَرِّز.

﴿بِ﴾ حرف جر، للسببية.

﴿مَا﴾ موصولة، في محل جرّ، الجار والمجرور متعلّق بـ ﴿عَذَابٌ﴾.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿يَكْذِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾.

«والكذب ضد الصدق، وهو الإخبار عن الشيء لا على ما هو به»^١.

لأنّ المنافق على الدوام يكذب الله ورسوله ﷺ لوجود مرض النفاق والشك

في قلبه.

الروايات

خبر سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان وقلب منكوس وقلب مطبوع وقلب أزهر أجرد، فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأما المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك ثم قرأ هذه الآية ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢ فأما القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك وإن أدركه على إيمانه نجا.^٣

خبر أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر و قلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يعتلجان فأيهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهّر، ولا يطفأ نوره

١. التبيان ١/ ٢٢٩.

٢. سورة الملك / ٢٢.

٣. الكافي ٢/ ٤٢٢، ح ٢.

إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن.^١

صحيحة علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويةً مبهمّة على الإيمان، فإذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم وزارعها والقيّم عليها رب العالمين.^٢

والروايات الواردة في القلب كثيرة فإن شئت راجع كتابنا موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام.^٣

مرفوعة الرضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: ألا وإنّ من البلاء الفاقة وأشدّ من الفاقة مرض البدن وأشدّ من مرض البدن مرض القلب، ألا وإنّ من صحة البدن تقوى القلب.^٤

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما اعتذر إليه هؤلاء بما اعتذروا به، تكرم عليهم بأن قبّل ظواهرهم ووكل بواطنهم إلى ربهم، لكنّ جبرئيل أتاه، فقال: يا محمد، إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخرج هؤلاء المردة الذين اتصل بك عنهم في عليّ ونكثهم لبيعتهم، وتوطئهم نفهوسهم على مخالفتهم عليّاً، ليظهر من العجائب ما أكرمه الله به، من طاعة الأرض والجبال والسماء له وسائر ما خلق الله - بما أوقفه موقفك، وأقامه مقامك - ليعلموا أنّ وليّ الله عليّاً غنيّ عنهم، وأنّه لا يكفّ عنهم انتقامه إلّا بأمر الله، الذي له فيه وفيهم التدبير الذي هو بالغه، والحكمة التي هو عامل بها، وممضٍ لما يؤجبها.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الجماعة - من الذين اتصل به عنهم ما اتصل في أمر عليّ عليه السلام

١. الكافي ٢/ ٤٢٣، ح ٣.

٢. الكافي ٢/ ٤٢١، ح ٣.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ٩/ ١٧٦.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٨.

والمواظاة على مخالفته - بالخروج، فقال لعليّ عليه السلام - لما استقرّ عند سفح بعض جبال المدينة - : يا عليّ، إنّ الله تعالى أمر هؤلاء بنصرتك ومساعدتك، والمواظبة على خدمتك، والجِدّ في طاعتك، فإن أطاعوك فهو خيرٌ لهم، يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين ناعمين، وإن خالفوك فهو شرٌّ لهم، يصيرون في جهنم خالدين مُعذّبين.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتلك الجماعة: اعلّموا أنّكم إن أطعتم عليّاً سَعَدْتُمْ، وإن خالفتموه شَقِيتُمْ، وأغناه الله عنكم بمن سيّركموه، وبما سيّركموه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ، سل ربك - بجاه محمد وآله الطيّين، الذين أنت بعد محمد سيّدهم - أن يَقلِبَ لك هذه الجبال ما شئت، فسأل ربّه تعالى ذلك، فانقلبت فُضّة.

ثم نادته الجبال: يا عليّ، يا وصيّ رسول ربّ العالمين، إنّ الله قد أعدنا لك إن أردت إنفاقنا في أمرك، فمتى دعوتنا أجبتك، لَتُمضي فينا حُكْمك، وتنقذ فينا قضاءك.

ثم انقلبت ذهباً كلّها، وقالت مقالة الفِضّة ثم انقلبت مسكاً وعنبراً وعَبيراً^١ وجواهر ويوافيت، وكلّ شيء منها ينقلب إليه يناديه: يا أباالحسن، يا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن مُسَخَّرَات لك، ادعنا متى شئت. لتنفقنا في ما شئت نجبك، ونتحوّل لك إلى ما شئت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رأيتم قد أغنى الله صلى الله عليه وآله عليّاً - بما ترون - عن أموالكم؟

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ، سل الله - بمحمد وآله الطيّين، الذين أنت سيّدهم بعد محمد رسول الله - أن يَقلِبَ لك أشجارها رجالاً شاكي السلاح^٢، وصخورها أسوداً ونموراً وأفاعي.

١. العبير: الزعفران أو أخلاط من الطيب. (القاموس المحيط - عبر - ٨٦/٢).

٢. رجل شاك في السلاح: وهو اللابس السلاح التام فيه. (مجمع البحرين - شوك - ٢٧٨/٥).

فدعا الله عليّ بذلك، فامتلات تلك الجبال والهضبات وقرار الأرض^١ من الرجال الشاكي السلاح الذين لا يفي بواحد^٢ منهم عشرة آلاف من الناس المعهودين، ومن الأسود، والنمور، والأفاعي، حتى طبقت^٣ تلك الجبال والأرضون والهضاب بذلك، كلّ ينادي: يا عليّ، يا وصيّ رسول الله، ها نحن قد سخّرنا الله لك، وأمرنا بإجابتك - كلّما دعوتنا - إلى اصطلام^٤ كلّ من سلطنا عليه، فمتى شئت فادعنا نُجيبك، وبما شئت فمُرنا به نُطعك.

يا عليّ، يا وصيّ رسول الله، إنّ لك عند الله من الشأن العظيم ما لو سألت الله أن يُصيّر لك أطراف الأرض وجوانبها هيئة واحدة كصورة كيسٍ لفعل، أو يُحطّ لك السماء إلى الأرض لفعل، أو يرفع لك الأرض إلى السماء لفعل، أو يقلّب لك ماء بحارها الأجاج ماءً عذباً أو زُبُقاً أو بانه، أو ما شئت من أنواع الأشربة والأذهان لفعل، ولو شئت أن يُجمّد البحار، أو يجعل سائر الأرض مثل البحار لفعل، فلا يُخزّنك تمرّد هؤلاء المتمرّدين، وخلاف هؤلاء المخالفين، فكأنّهم بالدنيا قد انقضت بهم كأن لم يكونوا فيها، وكأنّهم بالآخرة إذا وردت عليهم كأن لم يزلوا فيها.

يا علي، إنّ الذي أمهلهم - مع كفرهم وفُسوقهم وتمرّدهم - عن طاعتك، هو الذي أمهل فرعون ذا الأوتاد وتمرّود بن كنعان، ومن ادّعى الألوهية من ذوي الطغيان، وأطغى الطغاة إبليس رأس الضلالات.

ما خلقت أنت ولا هم لدار الفناء، بل خلقتهم لدار البقاء، ولكنكم تُنقلون من

١. قرار الأرض: ما قرّ فيه، والمطمئن من الأرض. (القاموس المحيط - قرر - ٢/ ١٢٠).

٢. هذا الشيء لا يفي بذلك: أي يقصّر عنه ولا يوازيه. (المعجم الوسيط - وفي - ٢/ ١٠٤٧).

٣. طبقت الشيء: عمّ وطبق السحاب الجو: غشاه، وطبق الماء وجه الأرض: غطاه. (القاموس المحيط - طبق - ٣/ ٢٦٤).

٤. الاصطلام: الاستئصال. (الصحاح - صلّم - ٥/ ١٩٦٧).

٥. البان: ضرب من الشجر طيب الزهر، ومنه دهن البان. (الصحاح - نون - ٥/ ٢٠٨١).

دارٍ إلى دارٍ، ولا حاجة لربك إلى من يسومهم ويرعاهم، لكنه أراد تشريفك عليهم، وإبانتك بالفضل فيهم، ولو شاء هداهم.

قال: فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من ذلك، مضافاً إلى ما كان من مرض حسدهم^١ له ولعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الله تعالى عند ذلك: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي في قلوب هؤلاء المتمردين الشاكين الناكثين، لما أخذت عليهم من بيعة علي عليه السلام ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بحيث تاهت له قلوبهم، جزاءً بما أريتهم من هذه الآيات والمعجزات ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ في قولهم: إنا على البيعة والعهد مقيمون.^٢

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

في هذه الآية عُدَّت صفة أخرى من صفات المنافقين.

﴿وَ﴾ استثنائية، وقيل: عاطفة «معطوفاً على ﴿يَكْذِبُونَ﴾؛ أي: ولهم عذاب أليم بما كانوا إذا قيل لهم كذا قالوا كذا، وأن يكون معطوفاً على ﴿يَقُولُ﴾ أي: ومن الناس من إذا قيل لهم^٣.

وقيل: «عطف على جملة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ إخبار عن بعض عجيب أحوالهم، ومن تلك الأحوال أنهم قالوا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ في حين أنهم مفسدون فيكون

١. في نسخة: أجسادهم.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١١٤.

٣. مجال البيان / ٥٠٢.

٤. سورة البقرة / ١٠.

معطوفاً على أقرب الجمل المملزة^١ لأحوالهم وإن كان ذلك آثلاً في المعنى إلى كونه معطوفاً على الصلة في قوله: ﴿مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾^٢ ٣.

﴿إِذَا﴾ لمجرد الظرفية الزمانية من دون الاختصاص بالماضي أو الاستقبال.

﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قِيلَ﴾. والضمير عائد إلى المنافقين.

﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ فعل نهي وفاعله. «والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته

وكونه منتفعاً به، ونقيضه: الصلاح، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة، كما يظهر من جماعة»^٤.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿إِنَّمَا﴾ لقصر الموصوف على الصفة، لأنهم يرون اتصافهم بالاصلاح أمراً ثابتاً

دائماً.

﴿حَنَ﴾ مبتدأ.

﴿مُصْلِحُونَ﴾ خبر. «الصلاح: استقامة الحال، فالاصلاح: جعل الحال على

الاستقامة... والمصلح: المقوم للشيء على الاستقامة»^٥.

١. المملزة: الملازمة.

٢. سورة البقرة / ٨.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٢٧٩.

٤. مجد البيان / ٥٠٣.

٥. التبيان ١/ ٢٣٥.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

«رَدَّ عَلَيْهِمْ فِي غُرُورِهِمْ وَحَصَرَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّلَاحِ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِطَرِيقٍ مِنْ طَرَفِ الْقَصْرِ هُوَ أُبْلَغُ فِيهِ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي قَالُوهُ لِأَنْ تَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ يَفِيدُ قَصْرَ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَيَفِيدُ قَوْلَهُ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ قَصْرُ الْإِفْسَادِ عَلَيْهِمْ بِحَيْثُ لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِهِمْ وَذَلِكَ يَنْفِي حَصَرَهُمْ أَنْفُسَهُمْ فِي الْإِصْلَاحِ وَيَنْقُضُهُ وَهُوَ جَارٍ عَلَى أَسْلُوبِ الْقَصْرِ الْحَاصِلِ بِتَعْرِيفِ الْجِنْسِ»^١.

﴿أَلَا﴾ حرف استفتاح وتنبيه إعلاناً لوصفهم بالإفساد.

﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل جاء للتأكيد واسمه. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿الْمُفْسِدُونَ﴾ خبره. والجملة الاسمية ﴿هُمْ الْمُفْسِدُونَ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿وَلَكِنْ﴾ حرف استدراك. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَشْعُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «مَحْمَلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَهُ: ﴿وَمَا تَحْدُثُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^٢ فَإِنْ أَفْعَالُهُمُ الَّتِي يَبْتَهِجُونَ بِهَا وَيَزْعُمُونَهَا مَتَّهَى الْحَذَقِ وَالْفُطْنَةِ وَخِدْمَةِ الْمَصْلَحَةِ الْخَالِصَةِ آثَلَةً إِلَى فُسَادٍ عَامٍ لَا مُحَالَةَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى ذَلِكَ لَخَفَائِهِ وَلِلْغِشَاوَةِ الَّتِي أَلْقَيْتَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ أَثَرِ النِّفَاقِ وَمُخَالَطَةِ عِظَمَاءِ أَهْلِهِ، فَإِنْ حَالُ الْقَرِينِ وَسَخَافَةِ الْمَذْهَبِ تَطْمَسُ عَلَى الْعُقُولِ النِّيْرَةِ وَتَحْفُ بِالْأَحْكَامِ الرَّاجِحَةِ حَتَّى تَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ. وَمَوْقِعُ حَرْفِ الْاسْتِدْرَاكِ هُنَا لِأَنَّ الْكَلَامَ دَفَعَ لِمَا أَثْبَتُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخُلُوصِ لِلْإِصْلَاحِ، فَرَفَعَ ذَلِكَ التَّوْهَمَ بِحَرْفِ الْاسْتِدْرَاكِ»^٣.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٢٨١.

٢. سورة البقرة / ٩.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٢٨٢.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال العالم موسى بن جعفر عليه السلام :
إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة.

في يوم الغدير ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^١ بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم، وتحيروهم في دينهم ومذاهبهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا خُنْ مُصْلِحُونَ﴾ لأننا لا نعتقد دين محمد، ولا غير دين محمد، ونحن في الدين متحيرون، فنحن نرضى في الظاهر محمداً بإظهار قبول دينه وشريعته، ونقضي في الباطن إلى شهواتنا، فنتمتع ونترقه ونعتق أنفسنا من رق محمد، ونكفها من طاعة ابن عمه علي، لكى إن أديل في الدنيا كنا قد توجهنا عنده، وإن اضمحل أمره كنا قد سلمنا من سبي أعدائه.

قال الله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ بما يفعلون من أمور أنفسهم، لأن الله تعالى يعرف نبيه صلى الله عليه وآله نفاقهم، فهو يلعنهم ويأمر المسلمين بلعنهم، ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين، لأنهم يظنون أنهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون أصحاب محمد، فلا يرفع لهم عندهم منزلة، ولا يحلون عندهم بمحل أهل الثقة.^٢

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا

إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

ذكر الله سبحانه تتممة مقالات المنافقين في جواب المؤمنين.

١. سورة البقرة / ١١.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١١٨.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾^١.
 ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ كاختها في الآية السابقة.
 ﴿ءَامِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. وحُذِفَ مفعوله للاستغناء عنه بالتشبيه في قوله:
 ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾. أي: ﴿ءَامِنُوا﴾ بمحمد ﷺ وبما جاء من عند الله.
 ﴿كَ﴾ حرف جر للتشبيه أو للتعليل. ﴿مَا﴾ مصدرية.
 ﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿مَا﴾ المصدرية و ﴿ءَامَنَ﴾ بتأويل مصدر في محل جر
 بـ ﴿كَ﴾، والجار والمجرور متعلق بمصدر - مفعول مطلق - محذوف وتقديره: آمنوا
 إيماناً كإيمان الناس على ما قيل^٢.
 ﴿النَّاسُ﴾ فاعله. «ال» للجنس أو للاستغراق والمراد بهم المسلمين المؤمنين، أو
 للعهد والآخر أظهر.
 ﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. أي أجابوا في قبال هذه المقالة.
 ﴿أَ﴾ استفهام إنكارٍ. قصدوا منه التبري من الإيمان على ابلغ وجه.
 ﴿نُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».
 ﴿كَمَا﴾ مثل ما مرّ. ﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ.
 ﴿الْأَسْفَهَاءُ﴾ فاعله. جمع سفيه وهو الضعيف الرأي، الجاهل، القليل المعرفة
 بمواضع المنافع والمضار. وأصل السفه: خِفَّةُ الْحِلْمِ وكثرة الجهل^٣.
 ﴿الْآ﴾ حرف استفتاح وتنبيه.
 ﴿إِنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد آخر. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
 ﴿الْأَسْفَهَاءُ﴾ خبره، «ال» للعهد. ﴿هُمْ الْأَسْفَهَاءُ﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. والآية

١. سورة البقرة / ١١.

٢. راجع إعراب القرآن الكريم ١ / ٢٩.

٣. كما في التبيان ١ / ٢٣٩.

تدل على أنَّ السفاهة مقصورة عليهم دون المؤمنين الذين يعدونهم السفهاء.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَكِنْ﴾ حرف استدراك. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^١.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة - قال لهم خيار المؤمنين كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار -: آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعلي عليه السلام الذي أوقفه موقفه، وأقامه مقامه، وأناط^٢ مصالح الدين والدنيا كلها به، آمنوا بهذا النبي، وسلموا لهذا الإمام في ظاهر الأمر وباطنه^٣، كما آمن الناس المؤمنون كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار.

قالوا في الجواب لمن يُفضون؟ إليه، لا لهؤلاء المؤمنين، لأنهم لا يجسرون^٤ على مكاشفتهم بهذا الحديث، ولكنهم يذكرون لمن يُفضون إليه من أهلهم الذين يثقون بهم من المنافقين، ومن المستضعفين، ومن المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون يقولون لهم: ﴿أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾^٥ يعنون سلمان وأصحابه، لما أعطوا علياً عليه السلام خالص ودهم، ومحض طاعتهم، وكشفوا رؤوسهم لموالة أوليائه، ومعاداة أعدائه، حتى إذا اضمحل أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم طحطحتهم^٦ أعداؤه، وأهلكهم سائر الملوك والمخالفون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. أي فهم بهذا التعرض لأعداء محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاهلون سفهاء. قال

١. سورة البقرة / ١٢.

٢. ناط الشيء ينوطه نوطاً، أي علقه. (الصحيح - نوط - ٣ / ١١٦٥).

٣. في نسخة: وسلموا الظاهره وباطنه.

٤. أفضى إلى فلان بالسر: أعلمه به. (المعجم الوسيط - فضا - ٢ / ٦٩٣).

٥. جسر على كذا يمر جساراً، أي أقدم. (الصحيح - جسر - ٢ / ٦١٤).

٦. طحطح بهم: إذا بددهم، وطحطحت الشيء: كسرتة وفرقتة. (الصحيح - طحح - ١ / ٣٨٦).

الله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأخفَاء العقول والآراء، الذين لم ينظروا في أمر محمد ﷺ حق النظر فيعرفوا نبوته، ويعرفوا به صحة ما أناط بعلي عليه السلام من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، وصاروا خائفين وجلين من محمد ﷺ وذويه ومن مخالفهم، لا يأمنون أنه يغلب فيهلكون معه، فهم السفهاء حيث لم يسلم لهم بنفاقهم هذا لا محبة [محمد و] المؤمنين، ولا محبة اليهود وسائر الكافرين، وهم يُظهرون لمحمد ﷺ موالاته وموالاته أخيه علي ومعاداة أعدائهم اليهود والنواصب، كما يُظهرون لهم من معاداة محمد وعلي صلوات الله عليهما.^١

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾

بيان لصفة أخرى من صفات المنافقين وهي إظهار شيء وإضمار خلافه.
﴿وَ﴾ عاطفة. عطف ما بعدها إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾^٢.
﴿إِذَا﴾ ظرفة زمانية.
﴿لَقُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي إذا حصل لهم ملاقة، وتمهيد لقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله، مقول القول.
﴿وَ﴾ عاطفة.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ١١٩ / ٦٢.

٢. سورة البقرة / ١١.

﴿إِذَا خَلَوْا﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقُوا﴾، أي إذا حصل لهم في الخلوة حضور.

﴿إِلَى شَيْطَانِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف اليه. متعلق بـ ﴿خَلَوْا﴾، من الجن والإنس ولذا حملت على رؤسائهم وكهّانهم، كما أن الأخير مروي عن أبي جعفر عليه السلام.^١ ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، وما بعده مقول القول.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿مَعَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿إِنَّا﴾. و «مع» ظرف مكان يدل على الاجتماع والمصاحبة.

﴿إِنَّمَا﴾ كافة مكفوفة. ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ.

﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾ خبر. «الاستهزاء: طلبُ الهُزءِ بإيهاهم أمر ليس له حقيقة في مَنْ يُظَنُّ فيه الغفلة.

والهُزءُ: ضدُّ الجِدِّ، يقال: هَزَيْ بِهِ هُزْءً.

والتَهْزِي: طلبُ الهُزءِ بالشيء.^٢

وغرضهم كان بالاستهزاء - مع علمهم بقبحه - حقن دمائهم بإظهار الإيمان، وإذا خلوا إلى شياطينهم كشفوا ما في نفوسهم^٣. قصروا أنفسهم على الاستهزاء. أي إنهم يستهزئون ويسخرون الله ورسوله والمؤمنين والمقدسات و... .

١. التبيان ١/ ٢٤٣.

٢. «هَزَّءٌ - هَزَوٌ» تجدها بتصرّف ليناسب المقام أنظر: العين ٤/ ٧٥؛ تهذيب اللّغة ٦/ ٣٦٩؛ المحيط في اللّغة ٤/ ٣٧؛ الصحاح ١/ ٨٣؛ مجمل اللّغة ٢/ ٩٠٤؛ معجم مقاييس اللّغة ٦/ ٥٢؛ وبتفصيل مفردات الراغب / ٨٤١.

٣. التبيان ١/ ٢٤٣.

روايتان

حسنة علي بن فضال عن أبيه قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^١ فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محجوبون، قال:

وسألته عن قول الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^٢. فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفًّا صفًّا،

قال: وسألته عن قوله الله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^٣ قال: يقول: هل ينظرون إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظِلٍّ مِنَ الْغَمَامِ، وهكذا نزلت.

قال: وسألته عن قوله تعالى ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^٤ وعن قوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^٥ وعن قوله ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^٦ وعن قوله ﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾^٧ فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر الخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.^٨

١. سورة المطففين / ١٥.

٢. سورة الفجر / ٢٢.

٣. سورة البقرة / ٢١٠.

٤. سورة التوبة / ٧٩.

٥. سورة البقرة / ١٥.

٦. سورة آل عمران / ٥٤.

٧. سورة النساء / ١٤٢.

٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٢٥، ح ١٩.

الرواية حسنة من حيث السند ونقل الصدوق عليه السلام في التوحيد^١ وقطعها في أربع روايات.
مرفوعة ابن شهر آشوب عن الباقر عليه السلام: «أنها نزلت في ثلاثة - لما قام
النبي عليه السلام ، بالولاية لأمر المؤمنين عليه السلام - أظهروا الإيمان والرضا بذلك، فلما خلوا
بأعداء أمير المؤمنين عليه السلام «قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ»^٢.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

جملة مستأنفة، بيانية جوابية لسؤال مقدر وهو استهزاءهم بالمؤمنين والمؤمنون
غافلون عن الاستهزاء فمن يجاريهم على عليه.
﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. أي
يجزيهم على الاستهزاء.

﴿يِهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾. ﴿و﴾ عاطفة.
﴿يَمُدُّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به، وامداده على
وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم كما قال: «إِنَّمَا نُمَلِّ هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا»^٣. فإسناد
تمديد الطغيان إلى الله تعالى من باب سنة الله تعالى في حصول المسببات عند أسبابها.
﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف اليه. متعلق بـ ﴿يَمُدُّهُمْ﴾.
«الطغيان: الفعلان من قولك: طَغَى فلان يَطْغَى طُغْيَانًا، إذا تجاوز حده. ومنه

١. التوحيد / ١٦٢ و ١٦٣.

٢. البرهان في تفسير القرآن ١ / ١٤٥، ح ٢ والظاهر أنها نقلت من المثالب تأليف ابن شهر آشوب
السروي عليه السلام. وهكذا نقل عنه جدنا العلامة في مجد البيان / ٥١٩.

٣. سورة آل عمران / ١٧٨.

قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^١ أي يتجاوز حدّه. والطاغية: الجبار العنيد^٢.
﴿يَعْمَهُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال. العمّة: التحير.

الروايات

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: وإذا لقي هؤلاء الناكثون البيعة، المواطنون على مخالفة علي عليه السلام ودفع الأمر عنه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم، إذا لقوا سلمان والمقداد وأبا ذر وعمار قالوا لهم: آمنا بمحمد وسلمنا له بيعة علي عليه السلام وفضلته، وانقدنا لأمره كما آمنتكم. إن أولهم، وثانيهم، وثالثهم، إلى تاسعهم ربما كانوا يلتقون في بعض طرقهم مع سلمان وأصحابه، فإذا لقوهم اشمأزوا منهم، وقالوا: هؤلاء أصحاب الساحر والأهوج - يعنون محمداً وعلياً عليه السلام - ثم يقول بعضهم لبعض: احترزوا منهم لا يقفون من فلتات كلامكم على كفر محمد في ما قاله في علي فينموا^٣ عليهم فيكم فيه هلاككم.

فيقول أولهم: أنظروا إليّ كيف أسخر منهم، وأكفّ عاديّتهم؛ عنكم، فإذا التقوا، قال أولهم: مرحباً بسلمان ابن الإسلام، الذي قال فيه محمد سيّد الأنام: لو كان الدّين معلقاً بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس، هذا أفضلهم - يعنيك - وقال فيه: سلمان منّا أهل البيت؛ فقرنه بجبرئيل عليه السلام الذي قال له يوم العباء - لما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: وأنا منكم؟ فقال -: وأنت منّا، حتّى ارتقى جبرئيل إلى الملكوت

١. سورة العلق / ٦.

٢. التبيان ١/ ٢٤٧.

٣. تمّ الحديث: سعى به ليوقع فتنة أو وحشة: (مجمع البحرين - نم - ٦/ ١٨٠)، وفي «س»، «ط»: فيقفوا.

٤. دفعتُ عنك عاديةً فلان: أي ظلمه وشرّه. (الصحيح - عدا - ٦/ ٢٤٢٢).

الأعلى، يفتخر على أهله ويقول: بَخ، بَخ، وأنا من أهل بيت محمد رسول الله ﷺ .
ثم يقول للمقداد: ومرحباً بك - يا مقداد - أنت الذي قال فيك رسول الله ﷺ
لعليّ ﷺ: يا عليّ، المقداد أخوك في الدين وقد قُدّ منك، فكأنّه بعضك؛ حبّاً لك،
وبغضاً لأعدائك، وموالةً لأوليائك، لكنّ ملائكة السّماوات والحُجُب أشدّ حبّاً لك
منك لعليّ ﷺ، وأشدّ بغضاً على أعدائك منك على أعداء عليّ ﷺ فطوباك ثمّ طوباك.
ثمّ يقول لأبي ذرّ: مرحباً بك - يا أبا ذرّ - أنت الذي قال فيك رسول الله ﷺ: ما
أقلّت الغبراء ولا أظلتّ الخضراء^٢ على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ.

قيل: بماذا فضّله الله تعالى بهذا وشرفه؟ قال رسول الله ﷺ: لأنّه كان يُفضّل
عليّاً أخِي، وله في كلّ الأحوال مَداحاً، ولشأنّيه وأعاديّه شأنّاً وأوليائه وأحبّائه
موالياً، سوف يجعله الله ﷻ في الجنان من أفضل سكّانها، ويخدمه من لا يعرف عدده إلّا
الله من وصائفها^٣ وغلماها وولدانها.

ثمّ يقول لعمّار بن ياسر: أهلاً وسهلاً - يا عمّار - نلت بموالة أخِي
رسول الله ﷺ - مع أنّك وادّع رافه^٤، لا تزيد على المكتوبات و المسنونات من سائر
العبادات - ما لا يناله الكادّه بدنه ليله ونهاره - يعني اللّيل قياماً، والنّهار صياماً -
والباذل أمواله وإن كانت جميع أموال الدنيا له.
مرحباً بك، فقد رَضيك رسول الله ﷺ لعليّ أخيه مصافياً، وعنه مناوئاً، حتّى

١. أقلّ فلان الشّيء: طاقه وحمله. (مجمع البحرين - قتل - ٥/٤٥٣).

٢. المراد بالغبراء الأرض لأنّها تُعطي في لونها، وبالخضراء السّماء لأنّها تُعطي الخُضرة. (مجمع البحرين - خضر - ٣/٢٨٨).

٣. الوصيفة: الجارية. (مجمع البحرين - وصف - ٥/١٢٩).

٤. الوادع: الساكن. (مجمع البحرين - ودع - ٤/٤٠١). والرافة: المستريح المتنعّم. (القاموس المحيط - رفه - ٤/٢٨٦).

٥. كدّدت الشّيء: أتعبته، والكذّ: الشدّة في العمل وطلب الكسب. (الصّحاح - كدد - ٢/٥٣٠).

أخبر أنّك ستُقتل في محبّته، وتُحشر يوم القيامة في خيار زُمرته، وفّقني الله لمثل عملك وعمل أصحابك، ممّن توفّر^١ على خدمة رسول الله ﷺ، وأخي محمد عليّ وليّ الله، ومعاداة أعدائهما بالعداوة، ومصافاة أوليائهما بالموالاة والمشايعه، سوف يُسعدنا الله يومنا هذا إذا التقينا بكم، فيقبل سلمان وأصحابه ظاهرهم كما أمر الله تعالى، ويجوزون عنهم.

فيقول الأول لأصحابه: كيف رأيتم سُخريتي بهؤلاء، وكفّي عاديّتهم عني وعنكم؟

فيقولون له: لا نزال بخبر ما عشت لنا.

فيقول لهم: فهكذا فلتكن معاملتكم لهم، إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم مثل هذه، فإنّ اللبيب العاقل من تجرّع على الغُصة^٢ حتّى ينال الفرصة.

ثمّ يعودون إلى أحدانهم المنافقين المتمرّدين المشاركين لهم في تكذيب رسول الله ﷺ في ما أذاه إليهم عن الله ﷻ من ذكر وتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً على كافّة المكلفين «قَالُوا - لهم - إِنَّا مَعَكُمْ» في ما واطأتكم عليه أنفسكم، ومن دفع عليّ عن هذا الأمر، إن كانت لمحمّد كائنه، فلا يعزّركم ولا يهولنكم ما تسمعون منّي من تقريظهم^٣، وتروني أجتريء عليهم من مداراتهم «إِنَّمَا خُنْ مُسْتَهْرَؤُنَ»^٤ بهم. فقال الله ﷻ: يا محمد «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» يجازيهم جزاء استهزائهم في الدنيا والآخرة «وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» يُمهلهم فيتأتى بهم برفقه، ويدعوهم إلى التوبة، ويعدّهم إذا تابوا المغفرة وهم «يَعْمَهُونَ» لا يراعون^٥ عن قبيح، ولا يتركون

١. توفّر على الشّيء: صرف إليه همّته. (المعجم الوسيط - وفر - ١٠٤٦/٢).

٢. الغُصة: الشّجا في الحلق. (مجمع البحرين ١٧٦/٤).

٣. التقريظ: مدح الإنسان وهو حيّ، بباطل أو حقّ. (الصّحاح - قرظ - ١١٧٧/٣).

٤. سورة البقرة / ١٤.

٥. ارعوى عنه: كفّ وارتدع. (المعجم الوسيط - رعا - ٣٥٥/١).

أَذَى لِمُحَمَّدٍ وَعَلَى صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهَا يُمْكِنُهُمْ إِيصالُهُ إِلَيْهَا إِلَّا بَلْغُوهُ.
 قال العالم عليه السلام: فَأَمَّا استَهْزاءُ اللَّهِ تعالى بِهِمْ في الدُّنْيا فَهُوَ أَنَّهُ - مع إجْرائِهِ إِيَّاهُمْ على ظاهِرِ أَحْكامِ المُسلمينَ، لإِظهارِهِمْ ما يُظْهِرُونَهُ مِنَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ، والمُوافَقَةِ -
 يَأْمُرُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْتَعْرِيزِ لَهُمْ حَتَّى لا يَخْفَى على المُخْلِصينَ مِنَ المَرادِ بِذلكِ التَّعْرِيزِ، وَيَأْمُرُ بِلَعْنِهِمْ.

وَأَمَّا اسْتَهْزاءُهُ بِهِمْ في الآخِرَةِ فَهُوَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذا أَقرَّهْم في دارِ اللَّعْنَةِ والهُوانِ وَعَدَّ بِهِمْ بِتِلْكَ الأَلْوانِ العَجيبَةِ مِنَ العَذابِ، وأَقَرَّ هَؤُلاءِ المُؤْمِنينَ في الجَنانِ بِحُضْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفِيِّ المَلِكِ الدِّيانِ أَطْلَعَهُمْ على هَؤُلاءِ المُسْتَهْزِئِينَ الذينَ كانوا يَسْتَهْزِءُونَ بِهِمْ في الدُّنْيا، حَتَّى يَرَوْا ما هُم فِيهِ مِنْ عَجائِبِ اللَّعائِنِ وبِدائِعِ النِّقَماتِ، فَتَكُونُ لَدَّهِمْ وَسُورُهُمْ بِشِماثِهِمْ بِهِمْ، كَما لَدَّهِمْ وَسُورُهُمْ بِنَعيمِهِمْ في جَنّاتِ رَبِّهِمْ.

فالمُؤْمِنونَ يَعْرِفونَ أُولَئِكَ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ بِأَسْماءِهِمْ وَصِفاتِهِمْ، وَهُم على أَصْنافٍ: مِنْهُمْ مَنْ هُوَ بَيْنَ أُنْيابِ أَفْاعِيها تَمَضُّعُهُ وَتَفْتَرَسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَحْتَ سِياطِ زَبانِيتها^١ وَأَعْمَدَتِها وَمِرْزَباتِها^٢، تَقَعُ مِنْ أَيْدِيها عَلَيْهِ ما يُشَدِّدُ في عَذابِهِ، وَيُعْظِمُ حُزْنَها وَنِكالَها، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ في بَحارِ حَمِيمِها يَغْرَقُ، وَيُسْحَبُ فِيها، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ في غَسَلينِها^٣ وَغَساقِها^٤، تَزْجُرُهُ فِيها زَبانِيتها. وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ في سائِرِ أَصْنافِ عَذابِها.

والكَافِرُونَ والمُنافِقُونَ يَنْظُرُونَ، فيرونَ هَؤُلاءِ المُؤْمِنينَ الذينَ كانوا بِهِمْ في الدُّنْيا [يَسْخَرُونَ] - لِما كانوا مِنْ مَوالِاةِ مُحَمَّدٍ وَعَلَيٍّْ وَآلِهِما صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَ يَعتَقِدُونَ - فيروْنَهُمْ،

١. الزَّبانِيَةُ عِنْدَ العَرَبِ: الشَّرْطُ، وَسَمِّيَ بِذلكِ بَعْضُ المَلائِكَةِ لِدَفْعِهِمُ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْها. (الصَّحاح - زَيْن - ٥/٢١٣٠).

٢. المِرْزَباتُ: جَمْعُ مِرْزَبَةٍ: وَهِيَ عُصِيَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَهِيَ أَيْضاً المِطْرَقَةُ الكَبِيرَةُ الَّتِي تَكُونُ لِلْحَدَّادِ. (لِسانِ العَرَبِ - رِزْب - ١/٤١٦ و ٤١٧).

٣. الغَسَلينَ: غُسالةُ أَجوافِ أَهْلِ النَّارِ، وَكُلُّ جُرحٍ وَدُبرٍ. (مَجْمَعُ البَحْرينَ - غَسَل - ٥/٤٣٤).

٤. الغَساقُ: ما يُعْسَقُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ أَيْ يَسِيلُ. (مَجْمَعُ البَحْرينَ - غَسَقَ - ٥/٢٢٣).

ومنهم من هو على فرشها يتقلب، ومنهم من هو في فواكهها يرتع، ومنهم من هو في غرفها، أو بساكنها ومُتَنَزِّهاها يتبحر، والخُور العين والوصفاء والولدان والجواري والغلمان قائمون بحضرتهم، وطائفون بالخدمة حواليتهم، وملائكة الله ﷻ يأتونهم من عند ربهم بالحِباء^١ والكرامات، وعجائب التحف والهدايا والمبرات يقولون لهم: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^٢.

فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين والمنافقين: يا فلان، ويا فلان، ويا فلان - حتى يُنادونهم بأسمائهم - ما بالكم في مواقف خزيكم ماكنون؟! هلموا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان لتخلصوا من عذابكم، وتلحقوا بنا في نعيمها.

فيقولون: يا ويلنا أتى لنا هذا؟

فيقول المؤمنون: أنظروا إلى الأبواب، فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتحة يُحِيلُ إليهم أنها إلى جهنم التي فيها يُعَذَّبُونَ، ويُقدِّرون أنهم يتمكنون أن يتخلصوا إليها، فيأخذون في السباحة في بحار حميمها، وعدواً من بين أيدي زبانياتها وهم يلحقونهم ويضربونهم بأعمدتهم ومِرزباتهم وسياطهم، فلا يزالون كذلك يسرون هناك، وهذه الأصناف من العذاب تمسُّهم، حتى إذا قدروا أن يبلغوا تلك الأبواب وجدوها مردومة عنهم، وتدهدهم^٣ الزبانية بأعمدتها فتتكسهم إلى سواء الجحيم.

ويستلقي أولئك المنعمون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم مستهزئين بهم، فذلك قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقوله ﷻ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرْءَاكِ يَنْظُرُونَ﴾^٤.

١. الحباء: العطاء. (الصحيح - ج٦ - ٢٣٠٨).

٢. سورة الرعد / ٢٤.

٣. دَهْدَهْتُ الحجر: دحرجته. (الصحيح - دهده - ٦ / ٢٢٣١).

٤. المطففين / ٣٤ و ٣٥.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ١٢٠ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٢٣ / ٣٠.

الطوسي قال: روى عن أبي جعفر عليه السلام أنهم كهانهم.^١

كهان: جمع الكهنة.

الطبرسي رفعه إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام إنه قال: إنهم كهانهم قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي نستهزي بأصحاب محمد صلى الله عليه وآله ونسخر بهم في قولنا آمنا.^٢

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

تبَيَّنَت الآية الشريفة بعض أعمال المنافقين ونفت أن يكونوا ﴿مُهْتَدِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم اشارة، مبتدأ، اشارة إلى هؤلاء المنافقين المذكورين.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، يمكن أن يكون صفة أو بدلاً أو خبراً للمبتدأ.

﴿اشْتَرَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. الاشتراء: الاستبدال مع رجاء النفع، والمفهوم من الشراء: اعتياض الشيء ببذل الشيء مكانه عوضاً منه. واطلاق الاشتراء هنا بمعنى الحرص على الضلالة والزهد في الهدى.

﴿الضَّلَالَةَ﴾ مفعول به، وهي الانحراف عن الصراط المستقيم الذي جعله في

الشريعة القويمة.

﴿بِالْهُدَىٰ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿اشْتَرَوْا﴾. والهداية قد مرّت معناها في سورة

الحمد فلا نعيدها. «فهؤلاء تركوا الهدى وأخذوا الضلالة مكانه بعد تمكنهم من

١. التبيان ١/ ٧٩.

٢. مجمع البيان ١/ ٥١ ونقل عنه في نور الثقلين ١/ ٥٣، ح ٢٢.

الهدى، وقدرتهم عليه، فكأنهم كانوا مالكين له مسلطين عليه، فأعرضوا عنها وتركوها، وجعلوا مكانه الضلالة. فهذه صورة معاملتهم في متجر الدنيا وسوقها المعد لتحصيل الربح الدائم والثواب العظيم»^١.

﴿فَ﴾ تفرعية، على اشتراء ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿رَبَّحْتَ﴾ فعل ماض مؤنث. «والربح: هو نجاح التجارة ومصادفة الرغبة في السلع بأكثر من الأثمان التي اشتراها بها التاجر ويطلق الربح على المال لاحاصل للتاجر زائداً على رأس ماله»^٢.

﴿تَجَرَّتُهُمْ﴾ فاعل ومضاف اليه. التجارة: هي التصدي لاشتراء الأشياء لقصد بيعها بثمن أوفر مما اشترى به.

واسناد الربح إلى التجارة اسناد المسبب إلى سببه لأن المراد به عدم ربح التاجر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿مُهْتَدِينَ﴾ خبره. أي ان المنافقين لا يعرفون الطريق الموصول للمقصود بل هم الذين أخطاهم في الطريق وضلوا عنه وأضلوا كثيراً من الناس ﴿فَمَا رَبَّحْتَ تَجَرَّتُهُمْ﴾.

روايتان

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام العالم عليه السلام ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ﴾ باعوا دين الله واعتاضوا^٣ منه الكفر بالله ﴿فَمَا رَبَّحْتَ تَجَرَّتُهُمْ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة، لأنهم اشتروا النار وأصناف عذابها بالجنة التي كانت معدة لهم، لو آمنوا ﴿مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق والصواب.^٤

١. مجالبيان ١ / ٥٤٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١ / ٢٩٥.

٣. اعتاض: أي أخذ العوض.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٢٥.

الميرزا محمد المشهدي قال: روى أنه قد حضر قوم عند رسول الله ﷺ وقالوا: سبحان الرازق! كان فلان في ضنك وشدة، فسافر ببضاعة جماعة وربح الواحد عشرة، فهو اليوم من مياسير أهل المدينة.

وقال جماعة أخرى بحضرته: إن فلاناً كان في سعة ودعة وكثرة مال، فسافر في البحر فغرقت سفينته وتلفت أمواله ونجى بنفسه في كمال الفقر والفاقة والحيرة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بالأحسن من الأول والأسوء من الثاني؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال: أمّا الأول: فرجل اعتقد في علي بن أبي طالب ما يجب اعتقاده من كونه وصي رسول الله وأخاه ووليّه وخليفته ومفروض الطاعة، فشكر له ربّه ونبيّه ووصي نبيّه، فجمع الله بذلك خير الدنيا والآخرة، فكانت تجارته أربح وغنيمة أكثر وأعظم.

وأمّا الثاني: فرجل أعطى عليّاً بيعته وأظهر له موافقته، ثمّ نكث بعد ذلك وخالفه ووالي أعداءه فختم له سوء أعماله فصار إلى عذاب لا يبيد ولا ينفد، ذلك هو الخسران المبين.^١

وردت هذه الرواية في التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عليه السلام^٢ ذيل الآية الشريفة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾



تمثيل وتشبيه جمع فيه صفاتهم وحالاتهم إتماماً للبيان وتقريراً لجميع ما تقدّم

١. تفسير كنز الدقائق ١/ ١٤٢.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٢٦.

والحاقاً لها بالأشياء المحسوسة، لأنّ عامة النَّاس يعرفون المحسوس أكثر من المعقول.
﴿مَثْلُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المنافقين المذكورين في الآيات السابقة.

المَثَل في أصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير، يقال: مَثَلٌ ومِثْلٌ ومَثِيلٌ كشَبَةٍ وشَبَةٍ وشبيه. فالمَثَل: هو وصف الشيء وبيان نعوته التي توضّحه.
﴿كَ﴾ اسم للتشبيه في محل رفع خبر.
﴿مَثَلٍ﴾ مضاف إليه.

«ويجوز أن تكون كلمة ﴿مَثْلُهُمْ﴾ مبتدأ ثانياً ويكون الكاف حرف جر ويكون الجار والمجرور ﴿كَمَثَلٍ﴾ متعلقاً بخبر المبتدأ الثاني ﴿مَثْلُهُمْ﴾ وتكون الجملة الإسمية «مثلهم كمثال» في محل رفع خبراً للمبتدأ الأول اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ الوارد في الآية الكريمة السابقة»^١.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول في محل جر مضاف إليه ثان.
﴿أَسْتَوْقَدَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر. الاستيقاد: طلب الوقود.
والوَقُود: الحَطَب.
﴿نَارًا﴾ مفعول به. أصل النار: النور، نار الشيء إذا ظهر نُورُهُ وأُناَر: أظهر نُورُهُ. والمنار: العلامات.
«والنار: جوهر لطيف مضيء حارّ محرق والنور: ضوئها وهو نقيض الظلمة».
«ووقود النار: سطوعها وارتفاع لهبها»^٢.

﴿فَ﴾ تفرعية.
﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية بمعنى «حين».

١. إعراب القرآن الكريم ١ / ٣٤.

٢. مجد البيان / ٥٤٩.

﴿أَضَاءَتْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع ﴿نَارًا﴾. «وضاءت النار: ظهر ضوؤها وكل ما وُضِحَ فقد أضاء»^١.
وقد يقال: «الإضاءة: فرط الإنارة»^٢.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
﴿حَوْلَهُ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. «حَوْلَهُ الضياء: أي دابرتَه»^٣.
﴿ذَهَبَ﴾ فعل ماضٍ، «ذهب به وأذهب: أي أهلكه؛ لإذهابه لا إلى مكان يُعرف»^٤.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله، ونسبته إلى الله تعالى جزائي لا ابتدائي.
﴿بُنُورِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. والأولان متعلقان بـ ﴿ذَهَبَ﴾. بدل الضوء بالنور دال على نفيه بالكلية.
﴿وَعَاطَفَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.
﴿فِي ظُلُمَتٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَرَكَّهُمْ﴾. والظلمة عدم النور عما من شأنه النور. وجمعها وتنكيرها تدل على العموم.
﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، حال من الضمير الفاعلي في ﴿تَرَكَّهُمْ﴾. واسقاط المفعول يدل على العموم.

الروايات

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام في حديث وقال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ

١. التبيان / ١ / ٢٦٣.

٢. مجد البيان / ٥٥٠.

٣. التبيان / ١ / ٢٦٥.

٤. التبيان / ١ / ٢٦٥.

عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ^١ قال: لو أنني أمرت أن أعلمكم الذي أخفيتم في صدوركم من استعجالكم بموتى لتظلموا أهل بيني من بعدي فكان مثلكم كما قال الله ﷻ ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾. يقول: أضاءت الأرض بنور محمد كما تضيء الشمس، فقرب الله مثل محمد ﷺ الشمس ومثل الوصي القمر وهو قوله ﷻ: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾^٢ وقوله: ﴿وَأَيُّ لَهِمُّ أَلِيلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾^٣ وقوله ﷻ: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٤ يعني قبض محمد ﷺ وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته وهو قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا^٥ وَتَرَكَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٦ الحديث.

خبر ابراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منهم المعاونة واللفظ خلى بينهم وبين اختيارهم الحديث.^٧

وقد مرّ منا تمام الحديث في ذيل الآية السابقة من سورة البقرة آنفاً.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال موسى بن جعفر عليه السلام: مثل هؤلاء المنافقين ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أبصر بها ما حوله، فلما أبصر ذهب الله

١. سورة الأنعام / ٥٨.

٢. سورة يونس / ٥.

٣. سورة يس / ٣٧.

٤. سورة البقرة / ١٧.

٥. سورة الأعراف / ١٩٨.

٦. الكافي / ٨، ٣٨٠، ح ٥٧٤.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١، ١٢٣، ح ١٦.

بنورها بريح أرسلها فأطفأها، أو بمطر. كذلك مثل هؤلاء المنافقين الناكثين، لما أخذ الله تعالى عليهم من البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام أعطوا ظاهراً شهادة: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن علياً وصيه ووارثه وخليفته في أمته وقاضي دينه ومنجز عدااته والقائم بسياسة عباد الله مقامه، فورث موارث المسلمين بها ونكح في المسلمين بها فوالوه من أجلها وأحسنوا عنه الدفاع بسببها واتخذوه أخا يصونونه مما يصونون عنه أنفسهم بسماحهم منه لها. فلما جاءه الموت وقع في حكم رب العالمين، العالم بالأسرار الذي لا تخفى عليه خافية فأخذهم العذاب بباطن كفرهم فذلك حين ذهب نورهم وصاروا في ظلمات عذاب الله، ظلمات أحكام الآخرة، لا يرون منها خروجاً ولا يجدون عنها محيصاً.^١

﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

بيان حال المنافقين بالنسبة إلى الحق.

﴿صُمُّ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: «هم» أو هؤلاء الذين ذكرناهم. ﴿صُمُّ﴾ هو الذي لا يسمع، والمراد به هنا الذي لا يسمع الحق. ﴿بُكْمٌ﴾ خبر ثان. وهو الذي لا ينطق، الخرس، والمراد به هنا الذي لا ينطق بالحق.

﴿عُمَىٰ﴾ خبر ثالث. وهو الذي لا يرى والمراد به هنا الذي لا يرى الحق. كما ورد في قوله تعالى: ﴿هَمَّ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.^٢

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٣٠.

٢. سورة الأعراف / ١٧٩.

﴿فَ﴾ تفريعية. ﴿هُمَّ﴾ مبتدأ.

﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، خبر، أي ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن ضلالتهم إلى الحق ولا يتوبون إلى ربهم. أو ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الصراط المستقيم وإلى الجادة الشريعة البيضاء.

الروايات

معتبرة حفص المؤذن عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته التي كتبها إلى جماعة الشيعة: ... وأياكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان فإنكم إن كففت ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيراً لكم عند ربكم من أن تزلقوا ألسنتكم به فإن زلق اللسان في ما يكره الله وما ينهى عنه مرداة للعبد عند الله ومقت من الله وصم وعمي وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة فتصيروا كما قال الله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يعني لا ينطقون ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^١ الحديث^٢.
المردة: مفعلة من الردي أي: الهلاك.

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ثم قال [موسى بن جعفر عليه السلام]:
﴿صُمُّ﴾ يعني يَصْمُونَ في الآخرة في عذابها، ﴿بَكْمٌ﴾ يُبْكَمُونَ هناك بين أطباق نيرانها، ﴿عُمَىٰ﴾ يُعْمَوْنَ هناك، وذلك نظير قوله عليه السلام: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾^٣ وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّاؤُلُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^{٤، ٥}.

١. سورة المرسلات / ٣٦.

٢. الكافي / ٨ / ٣، ح ١.

٣. سورة طه / ١٢٤.

٤. سورة الاسراء / ٩٧.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٣٠.

وقد ورد في مواضع المسيح عليه السلام: ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتاً فأحياكم، فلما أحياكم مُتُّمْ ويلكم ألم تكونوا أُمِّيِّينَ فَعَلَّكُم فلما علَّكم نسيتم. ويلكم ألم تكونوا جَفَاءً فَفَقَّهَكُم الله فلما فَفَّهَكُم جهلتم. ويلكم ألم تكونوا ضُلَّالاً فَهَدَاكُم، فلما هَدَاكُم ضَلَلْتُمْ، ويلكم ألم تكونوا عُُمِيًّا فَبَصَّرَكُم فلما بَصَّرَكُم عَمِيتُمْ. ويلكم ألم تكونوا صُمًّا فَأَسْمَعَكُم فلما أَسْمَعَكُم صَمَمْتُمْ. ويلكم ألم تكونوا بُكْمًا فَأَنْطَقَكُم فلما أَنْطَقَكُم بَكَمْتُمْ.

ويلكم ألم تستفتحوا فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم وَيَلِكُم ألم تكونوا أذَلَّةً فَأَعَزَّكُم، فلما عَزَزْتُمْ فَهَرَّيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ وَعَصَيْتُمْ. ويلكم ألم تكونوا مستضعفين في الأرض تخافون أن يخطفكم الناس فنصركم وأيدكم، فلما نصركم استكبرتم وتَجَبَّرْتُمْ فيا ويلكم من ذل يوم القيامة كيف يُهَيِّنُكُمْ وَيُصَغِّرُكُمْ.

ويا ويلكم يا علماء السوء إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمئنُّونَ بطمأنينة الآمنين وليس أمر الله على ما تتمنون وتتحيرون بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون، الحديث.^١

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ تَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءِٔاذَانِهِم مِّنَ

الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

تمثيل آخر في بيان حال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله ﷺ وسماهم القرآن، وتشبيه حالهم بأوصاف أخرى.

١. تحف العقول / ٥٠٩ ونقل جَدْنَا الْعَلَامَةُ رحمته الله في مجد البيان / ٥٦٦.

﴿أَوْ﴾ عاطفة، تعطف ما بعدها على قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾^١.

﴿كَ﴾ اسم تشبيه ويصير معناه مع ﴿أَوْ﴾ عاطفة ﴿كَمَثَلِ﴾.

﴿صَيَّبَ﴾ مضاف إليه. على وزان فَيَعْلُ من صَابَ يَصُوبُ، وهو المطر، وكل نازل من علو إلى سفلى يقال فيه: صَابَ يَصُوبُ. أو وصف للمطر بشدة الظلمة الحاصلة من كثافة السحاب.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿صَيَّبَ﴾.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، والضمير يرجع إلى ﴿صَيَّبَ﴾.

﴿ظُلُمَتْ﴾ مبتدأ مؤخر، وقد مر معناها آنفاً. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿رَعَدٌ﴾ معطوف على ﴿ظُلُمَتْ﴾. وهو صوت السحاب. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿بَرْقٌ﴾ معطوف على ﴿ظُلُمَتْ﴾. وهو الضوء اللامع في السحاب.

﴿يَجْعَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَصْبِعُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿فِي آذَانِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يَجْعَلُونَ﴾. توبيخ آخر

للمنافقين لأنهم يروون خطأ أن هذا العمل ينجيهم من الصاعقة.

﴿مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ جار ومجرور متعلق بمفعول له الآتي. جمع صاعقة وهي الشديد

من صوت الرعد يوجب احراق ما يصيبها.

﴿حَذَرَ﴾ مفعول له. الحذر: طلب السلامة من المَصْرَةِ.

﴿الْمَوْتِ﴾ مضاف إليه. وهو ضد الحياة. ﴿و﴾ استثنائية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿مُحِيطٌ﴾ خبر. ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُحِيطٌ﴾.

أي: أحاطهم بالإحاطة الخالقية والقيومية والعلمية والاقتدارية والربوبية وغيرها، فلا يمكنهم الفرار منه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة.

الروايات

معتبرة مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقوم في المطر أوّل ما يمطر حتّى يبتّل رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: يا أمير المؤمنين الكِنّ الكِنّ، فقال: إنّ هذا ماء قريب عهد بالعرش.

ثمّ أنشأ يحدث فقال: إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله عزّ ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منهم لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى سماء الدنيا في ما أظنّ فيلقيه إلى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال، ثمّ يوحى الله إلى الريح أن اطحنه واذيبه ذوبان الماء، ثمّ انطلقى به إلى موضع كذا وكذا فأمطري عليهم فيكون كذا وكذا عاباً وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك حتّى يضعها موضعها ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلّا بعدد معدود ووزن معلوم إلّا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنّه نزل ماء منهم بلا وزن ولا عدد.

قال: وحدثني أبو عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﻛﻪ جعل السحاب عزابيل للمطر وهي يذيب البرد حتّى يصير ماءً لكي لا يضرّ به شيئاً يصيبه، الذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله ﻛﻪ يصيب بها من يشاء من عباده.

ثمّ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال فإن الله يكره ذلك.^١

رواها الصدوق بسنده المعتبر في علل الشرايع^٢ إلى قوله: «نزل ماء منهم بلا وزن ولا عدد».

١. الكافي / ٨ / ٢٣٩، ح ٣٢٦.

٢. علل الشرايع / ٤٦٣، ح ٨.

والحميري بسنده المعتبر في قرب الإسناد^١ كما نقل عنهما المجلسي في بحار الأنوار^٢ مع بيان في ذيل الحديث فراجع.

مرفوعة العزرمي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر على كتيب على شاطئ البحر يأوى إليه فإذا أراد الله تعالى أن يرسله أرسل ريحاً فأثارتها ووكل به ملائكة يضربوه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾^٣ - الآية - والملك اسمه الرعد.^٤

رواها القمي في تفسيره^٥ مسنداً هكذا: «علي بن إبراهيم القمي عن أبيه عن العزرمي عن أبيه عن أبي إسحاق عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام إلى قوله: فيرتفع» ونقل عنه المجلسي في بحار الأنوار^٦ مع بيان في ذيل الحديث فراجع.

المخاريق: جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه.

خبر رزيق أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما أبرقت قط في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلا وهي ماطرة.^٧

أي ما أبرقت السماء وروى الطوسي نحوها في أماليه^٨ بسند لا يبعد حسنه.

صحيحة أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يموت المؤمن بكل ميتة

١. قرب الإسناد / ٧٣، ح ٢٣٥.

٢. بحار الأنوار ٥٦ / ٣٨١ (٢٢ / ٧٢٢).

٣. سورة فاطر / ٩.

٤. الكافي ٨ / ٢١٨، ح ٢٦٨.

٥. تفسير القمي ٢ / ٢٧٦.

٦. بحار الأنوار ٥٦ / ٣٨٣ (٢٢ / ٧٢٣).

٧. الكافي ٨ / ٢١٨، ح ٢٦٧.

٨. أمالي الطوسي، المجلس التاسع والثلاثون، ح ٣٢ / ٦٩٧، رقم ١٤٨٩.

إِلَّا الصَّاعِقَةُ لَا تَأْخُذُهُ وَهُوَ يُذَكِّرُ اللَّهُ ﷻ. ١

صحيحة معاوية العجلي قال: قال أبو عبد الله ﷺ: إِنَّ الصَّوَاعِقَ لَا تَصِيبُ ذَاكِرًا، قال: قلت: وما الذَّاكِرُ؟ قال: من قرأ مائة آية. ٢

معتبرة أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن ميتة المؤمن، قال: يموت المؤمن بِكُلِّ مَيِّتَةٍ، يموت غرقاً ويموت بالهدم ويبتلي بالسبع ويموت بالصَّاعِقَةُ وَلَا تَصِيبُ ذَاكِرًا ﷻ. ٣

خبر أبي البختري عن جعفر ﷺ عن أبيه ﷺ أَنَّ عَلِيًّا ﷺ قال: السحاب غربال المطر، ولو لا ذلك لأفسد كل شيء يقع عليه. ٤

رواها الصدوق مرفوعاً إلى أمير المؤمنين ﷺ في الفقيه. ٥

خبر أبان الأحمر عمن ذكره عن أبي عبد الله ﷺ قال: لو لا أَنَّ الله حبس الريح على الدنيا لأخوت الأرض، ولو لا السحاب لخرت الأرض، فما أنبت شيئاً، ولكن الله يأمر السحاب، فيغربل الماء، فينزل قطراً، وإنَّه أرسل على قوم نوح بغير حساب. ٦
لأخوت الأرض: أي خلّت من الناس أو من الخير أو خربت وانهدمت.

الصدوق بإسناده عن أبي بصير أنّه سأل أبا عبد الله ﷺ: عن الرعد أي شيء يقول؟ قال: إنَّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها هاي هاي كهيئة ذلك، قال: قلت: جعلت فداك فما حال البرق؟ فقال: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب

١. الكافي ٢/ ٥٠٠، ح ١.

٢. الكافي ٢/ ٥٠٠، ح ٢.

٣. الكافي ٢/ ٥٠٠، ح ٣.

٤. قرب الإسناد / ١٣٦، ح ٤٧٩.

٥. الفقيه ١/ ٥٢٥، ح ١٤٩٥.

٦. المحاسن ٢/ ٣٤، ح ٣٦.

فيسوقه إلى الموضع الذي قضى الله ﷻ فيه المطر.^١

ورواها العياشي في تفسيره^٢ مرسلًا.

الصدوق بهذا الإسناد قال: الصاعقة تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب

ذاكرًا.^٣

مرفوعة ومضمرة يونس بن عبدالرحمن أنّ داود قال: كنا عنده فارتعدت السماء، فقال هو: سبحان من يسبح له الرعد بحمده والملائكة من خيفته. فقال له أبو بصير: جعلت فداك، إنّ للرعد كلاماً؟ فقال: يا أبا محمد سئل عما يعينك ودع مالا يعينك.^٤

قال الطوسي: والرعد: قال قوم: هو ملك موكل بالسحاب يسبح. روى ذلك عن مجاهد وابن عباس وأبي صالح وهو المروي عن أئمتنا^٥.

قال الطوسي: وأما البرق، فمروي عن علي^٦ أنه قال: مخاريق الملائكة من حديد تضرب بها السحاب، فتندح منها النار.^٦

السيد فضل الله الراوندي بإسناده عن موسى بن جعفر^٧ عن آبائه^٨ عن علي^٩ قال: المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحرٍ تحت العرش، فمن ثمّ كان رسول الله ﷺ يُستمطرُ أولَ مطرة ويقوم حتّى يبّل رأسه ولحيته، ثمّ يقول: إنّ هذا [ماء] قريب العهد بالعرش، وإذا أراد الله أن يمطر أنزله من ذلك [البحر] إلى سماءٍ بعد سماءٍ حتّى يقع على الأرض، ويقال: المزن ذلك البحر، وتُهبُّ ريح من تحت ساق

١. الفقيه ١/ ٥٢٥، ح ١٤٩٦.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٨٤، ح ٢٣.

٣. علل الشرايع ٤٦٣، ح ٧.

٤. تفسير العياشي ٢/ ٣٨٣، ح ٢٢.

٥. التبيان ١/ ٩٢.

٦. التبيان ١/ ٩٢.

عرش الله تعالى، تلقح السحاب ثم ينزل من المزن الماء ومع كل قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها.^١

صحيحة معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الصاعقة لا تصيب المؤمن، فقال له رجل: فإننا قدرأينا فلاناً يصلي في المسجد الحرام فأصابته؟! فقال: أبو عبد الله عليه السلام: إنه كان يرمي حمام الحرم.^٢

مرفوعة الرضي إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون - إلى أن قال في توصيف الله تعالى - : مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة الحديث.^٣

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال العالم عليه السلام: ثم ضرب الله ﷻ مثلاً آخر للمنافقين، فقال: مثل ما خوطبوا به من هذا القرآن الذي أنزل عليك - يا محمد - مشتملاً على بيان توحيدي، وإيضاح حجة نبوتك، والدليل الباهر على استحقاق أخيك [علي بن أبي طالب] للموقف الذي أوقفته والمحل الذي أحللتها والرتبة التي رفعته إليها والسياسية التي قلده إياها، فهي ﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾.

قال: يا محمد، كما أن في هذا المطر هذه الأشياء، ومن ابتلي به خاف، وكذلك هؤلاء في ردّهم لبيعة عليّ وخوفهم أن تعثر أنت - يا محمد - على نفاقهم كمثل من هو في هذا المطر والرعد والبرق، يخاف أن يخلع الرعد فؤاده أو ينزل البرق بالصاعقة عليه، وكذلك هؤلاء يخافون أن تعثر على كفرهم فتوجب قتلهم واستئصالهم.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [كما يجعل هؤلاء المبتلون

١. النوادر / ١٩٣، ح ٣٥٥ ونقل عنه في بحار الأنوار ٥٦ / ٣٨٣ (٢٢ / ٧٢٤، ح ٢٨).

٢. علل الشرايع / ٤٦٢، ح ٦.

٣. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

بهذا الرعد والبرق أصابعهم في آذانهم لئلا يخلع صوت الرعد أفئدتهم، فكذلك يجعلون أصابعهم في آذانهم] إذا سمعوا لعنك لمن نكث البيعة ووعيدك لهم إذا علمت أحوالهم ﴿تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ لئلا يسمعوا لعنك ووعيدك فتُغيّر ألوانهم، فيستدل أصحابك أنهم المعنيون باللعن والوعيد، لما قد ظهر من التغير والاضطراب عليهم، فتقوى التهمة عليهم، فلا يأمنون هلاكهم بذلك على يدك وفي حكمك.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ مقتدرٌ عليهم، لو شاء أظهر لك نفاق منافقيهم، وأبدى لك أسرارهم، وأمرك بقتلهم.^١

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ^ج إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

هذه الآية تنمة الآية السابقة من حيث المعنى.

﴿يَكَادُ﴾ فعل مضارع ناقص. أي: يقارب وفيه مبالغة في القرب.

﴿الْبَرْقُ﴾ اسمه.

﴿تَخْطَفُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْبَرْقُ﴾.

الْخَطْفُ: السَّلْب. الخطاف: الاستلاب وفسر بالأخذ باستلاب وبالأخذ

بسرعة.

﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى المنافقين.

﴿كُلَّ﴾ اسم منصوب على نيابة الظرفية الزمانية. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿أَضَاءَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْبَرْقُ﴾.
 ﴿لَهُمْ﴾ جارٌ ومجرور متعلق بـ ﴿أَضَاءَ﴾. ﴿مَشَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.
 ﴿فِيهِ﴾ جارٌ ومجرور متعلق بـ ﴿مَشَوْا﴾.
 «يعني: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ﴾ البرق ﴿لَهُمْ﴾، وجعل البرق مثلاً للإيمانهم، وإضاءة الإيمان: أن يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم، من إصابة الغنائم والنصرة على الأعداء، فذلك إضاءته لهم؛ لأنهم إنما يُظهرون بألستهم ما يُظهرونه من الإقرار ابتغاء ذلك، ومداغة عن أنفسهم وأموالهم، كما قال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ﴾^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذَا﴾ ظرف زمان.
 ﴿أَظْلَمَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْبَرْقُ﴾.
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جارٌ ومجرور متعلق بـ ﴿أَظْلَمَ﴾.
 ﴿قَامُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. القيام كناية عن التحير. أي: وقفوا وثبتوا في مكانهم. أي: ﴿إِذَا أَظْلَمَ﴾ وخفت ضوء ﴿الْبَرْقِ﴾ فحار في طريقه فلم يعرف منهجه.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ حرف شرط غير جازم وحرف امتناع لامتناع.
 ﴿شَاءَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْ﴾.
 ﴿ذَهَبَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.
 ﴿بِسْمِعِهِمْ﴾ جارٌ ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ذَهَبَ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ معطوف على ﴿بِسْمِعِهِمْ﴾ ومضاف إليه.
 «إنما خصَّ الله تعالى ذكر السمع والبصر - بآئه لو شاء لذهب بها دون سائر أعضائهم - لما جرى من ذكرهما في الآيتين من قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعُهمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنْ

١. سورة الحج، آية ١١.

٢. التبيان ١/ ٢٨٨.

الصَّوَاعِقُ حَذَرَ الْمَوْتِ، وفي قوله: ﴿تَخَطَّفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ فلما جرى ذكرهما على وجه المثل، عَقِبَ بذكر ذلك بأنه لو شاء أذهب من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم، كما توعد في قوله: ﴿مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^١.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿عَلَى﴾ حرف جر. ﴿كُلِّ﴾ مجروره.

﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه. الشيء: ما صحَّ أن يعلم ويخبر عنه.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

والجملة الأخيرة كالعلة لما سبق في الآية الشريفة.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال [العالم] ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ تَخَطَّفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فلم يغضوا عنه أبصارهم، ولم يستروا منه وجوههم لتسلّم عيونهم من تلالئه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يُريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق، ولكنهم نظروا إلى نفس البرق فكاد يخطف أبصارهم.

فكذلك هؤلاء المنافقون، يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة، الدالة على نبوتك، الموضحة عن صدقك، في نصب أخيك عليّ إماماً، ويكاد ما يشاهدونه منك - يا محمد - ومن أخيك عليّ من المعجزات، الدالات على أن أمرك وأمره هو الحق الذي لا ريب فيه، ثم هم - مع ذلك - لا ينظرون في دلائل ما يشاهدون من آيات القرآن، وآياتك وآيات أخيك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يكاد ذهابهم عن الحق في حجبك يُبطل عليهم سائر ما قد عملوه من الأشياء التي يعرفونها، لأنّ من جحد حقاً واحداً، أداه ذلك الجحود إلى أن يجهل كلّ حق، فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه، كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره.

ثم قال: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ إذا ظهر ما اعتقدوا أنه الحُجَّة، مشوا فيه: ثَبَّتُوا عليه، وهؤلاء كانوا إذا أنتجت خيولهم^١ الإناث، ونساؤهم الذكور، وحملت نخیلهم، وزَكَتْ^٢ زروعهم، ونَمَت تجارتهم، وكَثُرَت الألبان في ضروعهم، قالوا: يُوشِك أن يكون هذا بركة بيعتنا لعلِّي^٣، إنه مبخوت^٤، مدال^٥؛ فبذاك ينبغي أن نُعطيه ظاهر الطاعة، لنعيش في دولته.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي إذا أنتجت خيولهم الذكور، ونساؤهم الإناث، ولم يربحوا في تجارتهم، ولا حملت نخیلهم، ولا زَكَتْ زروعهم، وقفوا وقالوا: هذا بشؤم هذه البيعة التي بايعناها علياً، والتصديق الذي صدقنا محمداً، وهو نظير ما قال الله ﷻ: يا محمد، ﴿إِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾^٥. قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٦ بحكمه النافذ وقضائه، ليس ذلك لشؤمي ولا ليُميني.

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ حتى لا يتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم، أنت وأصحابك المؤمنون، وتُوجب قتلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يُعجزه شيء^٧.

١. أنتجت الفرس: إذا حان نتاجها، وقيل: إذا استبان حملها. (الصحيح - نتج - ١/ ٣٤٣).

٢. زَكَتَ الزرع: أي نما. (الصحيح - زكا - ٦/ ٢٣٦٨).

٣. رجل بخيت: ذو جد، قال ابن دريد: ولا أحسبها فصيحة والمبخوت: المجدود. (لسان العرب - بخت - ١٠/ ٢).

٤. أدال فلاناً على فلان أو من فلان: نصره، وغلبه عليه، فالمدال: المنتصر، الغالب الذي دالت له الدولة.

٥. سورة النساء / ٧٨.

٦. سورة النساء / ٧٨.

٧. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٣٣.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ 

«لَمَّا بَيَّنَّ سبحانه: حال الفرق الثلاث: المتقين والكافرين، والمنافقين، وان المتقين على هدى من ربهم والقرآن هدى لهم، وان الكافرين مختوم على قلوبهم؛ وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، وأن المنافقين مرضى وزادهم الله مرضاً وهم صم بكم عمي (وذلك في تمام تسع عشرة آية) فَرَّعَ تعالى على ذلك أن دعى الناس إلى عبادته وأن يلتحقوا بالمتقين دون الكافرين والمنافقين»^١.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء، «يشبه أن يكون حقيقة النداء والدعاء الذي ينوب عنه حروف النداء ويؤدى بها هو: طلب توجه المنادى - بالفتح - نحو المنادي وإقباله إليه، وتنبهه والتفاتة إلى جانبه، وأن يكون حروف النداء مجعولة آلة لانشاء ذلك الطلب، وسبباً لايقاعه، كما هو الانسب بجملته من كلماتهم، أو آلة لحصول نفس المطلوب من التوجه والاقبال في ظرف الواقع، كما هو الانسب بجملته من مجاري استعمالها؛ كنداء النائم لايقاعه. وبكونها حروفاً لا تدل على المعاني في أنفسها، ولو كانت آلات لانشاء الطلب، لم يظهر فرق بينها وبين «أدعو» و «أنادي» المستعملين في المعنى الإنشائي؛ كظهور الفرق بينهما على الوجه الثاني. ونيابتها عنهما باقية بحالها على الوجهين في الجملة وإن كانت على الأول أقوى وأظهر.

وحينئذ فنقول: بناء على ما ذكر يكون حقيقة نداء الله سبحانه لعباده طلبه سبحانه توجههم إليه، وإقبالهم نحوه، وانصرافهم عما يلهيهم عن ذكره ويشغلهم عنه إلى جنبه، ودعائهم إليه. وهو عناية عامة لجميع الناس على اختلافهم في مراتب

القابليّات والاستعدادات»^١.

﴿أَيُّهَا﴾ اسم منادى.

﴿النَّاسُ﴾ نعت أو بدل من ﴿أَيُّهَا﴾. والمراد به «جميع النَّاس: مؤمنهم وكافرهم؛ لحصول العموم فيها. إلا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال»^٢.

و «أن حقيقة نداء الحق سبحانه الناس يقع عليهم على حسب درجاتهم في كمال الانسانية وضعفها، فكل من كان أكمل في الانسانية كان أخصّ بالنداء، وكان أشدّ تأثراً من النداء، وظهور أثره عليه أكثر، واختصاصه بالمخاطبة أشدّ. و «أنما يعرف القرآن من خوطب به» كما ورد في الرواية فربّما يصحّ القول بأن كلّ ذي مقام من المقامات له مرتبة من مراتب مخاطبات القرآن على قدر ما يسعه بصيرته وإدراكه إلى أن يصل إلى مقام الانسان الكامل من جميع الوجوه، فهو المخاطب بالمجموع العارف به.

وبإلي أنّه ورد في الاخبار أنّه: «ما كان الله ليخاطب الناس بما لا يعلمون» أو قريباً من ذلك. والاعتبار والاستبصار يشهدان على اختصاص كلّ منهم على مقدار قابليته. وكيف يصحّ مخاطبة من ليس من شأنه إدراك الخطاب بين المتخاطبين؟»^٣.

﴿اعْبُدُوا﴾ فعل أمر وفاعله. أصل العبودية هو الخضوع، والخضوع للحقّ تعظيم له سبحانه.

﴿رَبُّكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. يظهر من جملة ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أن الربوبية توجب العبودية لأنّ تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿رَبِّكُمْ﴾.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. الخلق: إيجاد

١. مجدالبيان / ٦١٥.

٢. التبيان ١ / ٢٩٢.

٣. مجدالبيان / ٦١٨.

الشيء أو الفعل على تقدير واستواء. بل الخلق: التقدير.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، معطوف على الضمير المفعولي في ﴿خَلَقَكُمْ﴾.
﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصلة الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ المحذوفة، تقديره: ﴿وَالَّذِينَ﴾ هم كائنون ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.
والمراد بهم الأجيال السابقة والأُمم الماضية من الذين تقدّم زمانهم من الخلائق والبشر.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل، والضمير يرجع إلى الناس الذين يعبدون ربهم.
﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لكي. «وفائدة إيراد لفظة «لَعَلَّ»: هو أن لا يحلّ العبد أبداً محلّ الآمن المُدَلِّ؛ بل يزداد حرصاً على العمل وحذراً من تركه»^١.

﴿تَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل رفع خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾.
والحاصل: الربوبية علّة للعبودية والعبودية تنتج التقوى وغايتها.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ يعني سائر المُكَلَّفِينَ من ولد آدم. ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أطيعوا ربكم من حيث أمركم، أن تعتقدوا أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولا شبيه له ولا مثل، عدل لا يجر، جواد لا يبخل، حلیم لا يعجل، حكيم لا يخطئ^٢، وأنّ محمداً ﷺ عبده ورسوله، وبأنّ آل محمّد أفضل آل النبيّين، وأنّ علياً عليه السلام أفضل [آل محمّد، وأنّ أصحاب محمّد المؤمنين منهم أفضل صحابة المرسلين، وأنّ أمة محمّد

١. التبيان ١/ ٢٩٥.

٢. الخطّ: المنطق الفاسد المضطرب، وقد خطّ في كلامه وأخطل، أي أفحش. (الصحاح - خطل -
٤/ ١٦٨٥).

أفضل] أمم المرسلين.

ثم قال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ اعبدوا الذي خلقكم من نُطفَةٍ من ماءٍ مَهِينٍ، فجعله في قرارٍ مَكِينٍ، إلى قدرٍ معلومٍ، فقدّرنا فنعم القادرون والعالمون.
قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي اعبدوا بتعظيم محمد وعلي بن أبي طالب ﷺ ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ نَسْأً، وسواكم من بعد ذلك، وصوركم، فأحسن صوركم.

ثم قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: وخلق الله الذين من قبلكم من سائر أصناف الناس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: لها وجهان:
أحدهما: وخلق الذين من قبلكم لعلكم - كلكم - تتقون، أي لتتقوا كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١.

والوجه الآخر: اعبدوا الذي خلقكم، والذين من قبلكم، لعلكم تتقون، أي اعبدوه لعلكم تتقون النار، و ﴿لَعَلَّ﴾ من الله واجب، لأنه أكرم من أن يُعني^٢ عبد بلا منفعةٍ ويُطعمه في فضله ثم يُحْيِيه، ألا تراه كيف قَبَّح من عبد من عباده، إذا قال لرجلٍ: أأخذمني لعلك تتفع بي، ولعلي أنفعك بها، فيخذه، ثم يُحْيِيه ولا ينفعه فالله ﷻ أكرم في أفعاله وأبعد من القبيح في أعماله من عباده.^٣

١. سورة الذاريات / ٥٦.

٢. العناء: التعب والنصب.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ ١٣٩ / ٦٨ و ٦٩ و ٧١.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، مبتدأ.

﴿جَعَلَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». والمراد بالجعل هنا الجعل التكويني أي الخلق.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿الْأَرْضَ﴾ مفعول به أول.

﴿فِرَاشًا﴾ مفعول به ثانٍ. يعني «مهاداً أو وطاءً». لا حزنه غليظة لا يمكن الاستقرار عليها^١. «وأصل الفراش اسم لما يفرش؛ كالبساط لما يسط والمهاد لما يمهّد»^٢. و «يصح إطلاق الفراش على الأرض بعد كونها مبسوطة لأجل الاستقرار عليها والتقلّب فيها وكونها ملائمة موافقة»^٣ لطبع الإنساني.

وجملة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ صفة ثانية لـ ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الآية السابقة. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿السَّمَاءَ﴾ معطوف على ﴿الْأَرْضَ﴾. «والسما تطلق على كلّ ما علا وأظّل، وعلى مجموع ما فوقنا»^٤.

﴿بِنَاءً﴾ معطوف على ﴿فِرَاشًا﴾. «والبناء: مصدر سمّي به المنبى بيتاً، كان من طين ولبن، أو قبة كالخيمة، أو خباء، أو طرافاً، وأبنية العرب على ما ذكره الجوهري:

١. التبيان ١/ ٢٩٦.

٢. مجد البيان ٦٣٩.

٣. مجد البيان ٦٤١.

٤. مواهب الرحمن ١/ ١٤٩.

طراف وأخبية، فالطراف من آدم والخباء من صوف أو آدم: ومنه بنى على امرأته؛ لأنَّ الأصل فيه على ما ذكره أيضاً أنَّ الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها، فقليل لكل داخل بأهله بان، فالسما حينئذ بناء كالقبة المضروبة والخيمة المطينة على قرار الأرض التي هي الفراش، كما يظهر بملاحظة إحاطتها بالأرض مع ارتفاعها عنها، وكونها محددة لما يتعلّق بها من الاقطار والابعاد، وكونها حافظة لها عن ورود المنافيات عليها على ما هو الظاهر من ارتباط بقاء الأرض على ما هو عليها بها، واشتمالها على الشمس التي هي السراج والقمر الذي هو النور، والنجوم كالسقف المعلّق عليها المصابيح، وعلى سائر المنافع التي تصل إلى الانسان بتوسّط السماء، وما فيها من الخواص المترتبة عليها، وعلى التغيرات العارضة لها في الحركات والانتقالات، وتنقل الأحوال ممّا فصل في محاله^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنْزَلَ﴾ معطوف على ﴿جَعَلَ﴾.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾. أي من السحاب الذي في السماء.

﴿مَاءٍ﴾ مفعول به، أي مطراً. ﴿فَ﴾ عاطفة، تفرعية.

﴿أَخْرَجَ﴾ معطوف على ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَاءٍ﴾.

﴿مِنْ﴾ حرف جرّ بياني.

﴿الْثَّمَرَاتِ﴾ مجروره. متعلّق بـ ﴿أَخْرَجَ﴾. أي محصولات الأرض وما يخرج منها

بالزراع والغرس والحصد.

﴿رِزْقًا﴾ مفعول به لفعل ﴿أَخْرَجَ﴾. أو مفعول لأجله. ﴿رِزْقًا﴾ وغذاءً وقوتاً.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿رِزْقًا﴾. والضمير يرجع إلى

﴿النَّاسِ﴾ في الآية السابقة.

﴿فَ﴾ عاطفة، مترتب على الأمر بالعبادة في قوله ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^١.

﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَجْعَلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية. تقرير وتوبيخ للمخاطب في

صورة النهي.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾.

﴿أَنذَادًا﴾ مفعول به. النذ: المثل، الكُفْر والشريك.

﴿و﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر.

والمفعول محذوف أي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن لا ندّ له، أو أنه خالقكم وخالق

الأرض والسماء ورازقكم فلا ندّ له ولا نظير.

روايتان

خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن الحسين عليه السلام في قول الله تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ قال: جعلها ملايمة لطبائعكم موافقةً لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرد فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة الفتن فتعطبكُم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنه تعالى جعل فيها من المتانة ما تنفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثم قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها

وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثم قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر نزل من العلى ليبلغ لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم واشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال ﷺ ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الاصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى^١.

هما الشمس: شدة حرارتها، تعطبكم: تهلككم، العطب: الهلاك، المتنانة من المتن: أي ما صلب من الأرض وارتفع. الهضبة: المرتفع من الأرض كالتل والجبل الصغير. الأوهاد: الأودية، الوهدة: الأرض المنخفضة والمكان المطمئن. الرذاذ: المطر الضعيف. الوابل: المطر الشديد. الهطل: تتابع المطر. نشف الحوض الماء: شربه.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: قوله ﷺ ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تفرشونها لنامكم ومقيلكم والسماء بناءً، سقفاً محفوظاً، ارتفع من الأرض، تجري شمسها وقمرها وكواكبها مسخرةً لمنافع عباده وإمائه، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: لا تعجبوا لحفظه السماء أن تقع على الأرض، فإن الله ﷻ يحفظ ما هو أعظم من ذلك، قالوا: وما هو؟ قال: من ذلك ثواب طاعة المحبين لمحمد وآله، ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ينزل مع كل قطرة ملك يضعها في موضعها الذي يأمره به ربه ﷻ فعجبوا من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: أو تستكثرون عدد هؤلاء؟ إن الملائكة المستغفرين لمحبي علي بن أبي طالب أكثر من عدد هؤلاء، وإن الملائكة اللاعنين لمبغضيه أكثر من عدد هؤلاء، ثم قال ﷺ ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ ألا ترون كثرة هذه الأوراق والحبوب والحشائش؟ قالوا: بلى يا رسول الله ما أكثر عددها، فقال رسول الله ﷺ: أكثر عدداً منها ملائكة يتبدلون في

١. التوحيد / ٤٠٣، ح ١١؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ١٣٧، ح ٣٦.

حمل أطباق النور، عليها التحف من عند ربهم، وفوقها مناديل النور، ويخدمونهم في حمل ما يحمل منها إلى شيعتهم ومحبيهم، وإن طبقاً من تلك الأطباق يشمل من الخيرات على ما لا يفي بأقل جزء منه جميع أموال الدنيا.^١

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

شروع في إثبات نبوة خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ بدلالة كتاب الله الذي أنزله إليه وهو القرآن الكريم وإثبات إعجازه. والتحدي به وقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في مواضع أخرى من القرآن الكريم:

«قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾»^٢.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾»^٣.

وثالثها قوله جل شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾»^٤.

نعم، ذكر تعالى الحديث أيضاً، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾»^٥، ولكن المراد هو القرآن فيرجع إلى القسم الأول^٦.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ١٥٠ ونقل عنه في كنز الدقائق ١ / ١٧٠.

٢. سورة الإسراء / ٨٨.

٣. سورة هود / ١٣.

٤. سورة يونس / ٣٨.

٥. سورة الطور / ٣٤.

٦. مواهب الرحمن ١ / ١٥٥.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه. فعل الشرط في محل جزم، والضمير يرجع إلى جميع الكفار والمعاندين لنبوة محمد ﷺ.

﴿فِي رَيْبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر محذوف ﴿كُنْتُمْ﴾. الريب: الشك.

﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿رَيْبٍ﴾، ﴿مَا﴾ موصولة و «من» تيسينية.

﴿نَزَّلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿نَزَّلْنَا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿أَتُوا﴾ فعل امر وفاعله. جواب الشرط.

﴿بِسُورَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَتُوا﴾. السورة: بعض الشيء وطائفة منه قلَّ أو كثير.

﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة في ﴿سُورَةٍ﴾. و ﴿مِّن﴾ تبعيضية.

جاء رسول الله ﷺ «بكلام من جنس كلامهم، وجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم، ودلالة على بطلان قولهم. ووبَّخهم بذلك، وقرَّعهم، وأمهلهم المدَّة الطويلة. وقال لهم: ﴿فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ﴾^١، ثم قال: ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾^٢، وقال في موضع آخر: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾^٣.

وخبرهم أنَّ عجزهم إنّما هو عن النظم والجنس، مع أنّه وُلد بين أظهرهم ونشأ معهم، ولم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر. وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه.

١. سورة هود/ ١٣.

٢. سورة يونس/ ٣٨.

٣. سورة البقرة/ ٢٣.

وهم أهل الحميّة والأنفة، يأتي الرجل منهم - بسبب كلمة - على القبيلة، فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء أمره ولم يتكلّفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدلّ ذلك على صدقه»^١.

«أراد به ما يقاربه في فصاحته، ونظمه، وحسن ترصيفه وتأليفه؛ ليُعلم أنّه إذا عجزوا عنه، ولم يتمكّنوا منه، أنّه من فعل الله تعالى، جعله تصديقاً لنبية ﷺ»^٢. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿ادْعُوا﴾ فعل امر وفاعله، معطوف على ﴿فَاتُوا﴾، والمراد بالدعاء الاستعانة والنداء.

﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي الذين يشاهدونكم من أعوانكم، «الشهداء: جمع شهيد وهو من يعتدّ بحضوره، وممن له اعتبار في القول أو الحلّ والعقد وبعبارة أخرى: أهل الخبرة بالشيء»^٣.

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بحال محذوفة من ﴿شُهِدَآءُكُمْ﴾. أي: ما سوى ﴿اللَّهِ﴾. ﴿إِنْ﴾ أداة شرط جازمة.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه في محل جزم. فعل الشرط. ﴿صَدِيقِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. وجواب الشرط محذوف لظهور معناه في ما تقدم.

الروايات

خبر جابر قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: ﴿وإن كنتم في

١. التبيان ١/ ٣٠٤.

٢. التبيان ١/ ٣٠٧.

٣. مواهب الرحمن ١/ ١٥٧.

رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾^١.

في التفسير إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال العالم عليه السلام : فلما ضرب الله الأمثال للكافرين المجاهدين الدافعين لنبوة محمد عليه السلام والناصبين المنافقين لرسول الله عليه السلام الدافعين لما قاله محمد عليه السلام في أخيه علي عليه السلام والدافعين أن يكون ما قاله عن الله تعالى وهي آيات محمد عليه السلام ومعجزاته لمحمد مضافةً إلى آياته التي بينها لعلي عليه السلام في مكة والمدينة ولم يزداد إلا عتوا وطغياناً.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ حتى تجحدوا أن يكون محمد رسول الله وأن يكون هذا المنزل عليه كلامي، مع إظهاره عليه بمكة الآيات الباهرات كالغمامة التي يتظلل بها في أسفاره والجمادات التي كانت تسلم عليه من الحيال والصخور والاحجار والاشجار وكدفاعه قاصديه بالقتل عنه وقتله إياهم وكالشجرتين المتباعدتين اللتين تلاصقتا فقعد خلفهما لحاجته ثم تراجعتا إلى مكانيهما كما كانتا وكدعائه الشجرة فجاءته مجيبة خاضعة ذليلة ثم أمره لها بالرجوع فرجعت سامعة مطيعة.

﴿فَاتُوا﴾ يا معشر قريش واليهود، ويا معشر النواصب المنتحلين^٢ الإسلام، الذين هم منه برآء، ويا معشر العرب الفصحاء، البلغاء، ذوي الألسن ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾^٣ من مثل محمد عليه السلام، مثل رجل منكم لا يقرأ ولا يكتب، ولم يدرس كتاباً، ولا اختلف إلى عالم، ولا تعلم من أحد، وأنتم تعرفونه في أسفاره وحضره، بقي كذلك أربعين سنة، ثم أوتي جوامع العلم حتى علم الأولين والآخرين.

١. الكافي ١/٤١٧، ح ٢٦.

٢. النحلة: الدعوى، وفلان ينتحل مذهب كذا: إذا انتسب إليه. (الصحيح - نحل - ٥/١٨٢٦).

٣. قال المجلسي رحمته الله: اعلم أن هذا الخبر يدل على أن ارجاع الضمير في مثله إلى النبي عليه السلام وإلى القرآن كليهما، مراد الله تعالى بحسب بطون الآية الكريمة. (بحار الأنوار ١٧/٢١٧).

فإن كنتم في ريبٍ من هذه الآيات، فأتوا من مثل هذا الرجل بمثل هذا الكلام، ليتبين أنه كاذبٌ كما تزعمون، لأنَّ كلَّ ما كان من عند غير الله فسيوجد له نظيرٌ في سائر خلق الله.

وإن كنتم - معاشر قُرَّاء الكتب من اليهود والنصارى - في شكٍّ مما جاءكم به مُحَمَّدٌ ﷺ من شرائعه، ومن نصبه أخاه سيّد الوصيّين وصيّاً، بعد أن قد أظهر لكم معجزاته، التي منها: أن كلمته الذراع المسمومة، وناطقه ذئبٌ، وحنّ إليه العود وهو على المنبر، ودفع الله عنه السّم الذي دسّته اليهود في طعامهم، وقلب عليهم البلاء وأهلكهم به، وكثّر القليل من الطعام ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ يعني من مثل القرآن من التوراة، والإنجيل، والزبور، وصُحُف إبراهيم، والكتب الأربعة عشر فإنكم لا تجدون في سائر كتب الله تعالى سورةً كسورة من هذا القرآن، فكيف يكون كلام مُحَمَّدٍ ﷺ المتفوّل ٢ أفضل من سائر كلام الله وكتبه، يا معاشر اليهود والنصارى؟!

ثم قال لجماعتهم: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ ادعُوا أصنامكم التي تعبدونها أيها المشركون، وادعُوا شياطينكم يا أيها النصارى واليهود، وادعُوا قُرّاءكم من الملحدين يا منافقي المسلمين من النُصاب لآل مُحَمَّدٍ ﷺ الطيّين، وسائر أعوانكم على إرادتكم ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ تَقُولُ هذا القرآن من تلقاء نفسه، لم يُنزلهُ الله ﷻ عليه، وأنَّ ما ذكره من فضل عليٍّ عليه السلام على جميع أُمّته وقلّده سياستهم ليس بأمر أحكم الحاكمين، الحديث. ٣.

١. كذا وردت في المصدر، وعنه في البحار في موضعين ١٧٦/٩ و ٢١٥/١٧، وفي موضع ثالث من البحار ٢٩/٩٢: والكتب المائة والأربعة عشر، ولعله هو الصواب، أنظر معاني الأخبار / ٣٣٢، ح ١ (قطعة)؛ والخصال / ٥٢٣، ح ١٣ (قطعة)؛ والاختصاص / ٢٦٤؛ وعنه في البحار ٤٣/١١، ح ٤٨ (قطعة).

٢. تَقُولُ قولاً: ابتدعه كذباً. (القاموس المحيط - قول - ٤٣/٤).

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٥١.

وفيه أيضاً: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: وذلك قوله ﷺ: «وإن كنتم» أيها المشركون واليهود، وسائر النواصب من الكذّيين بمحمد ﷺ في القرآن، وفي تفضيله أخاه علياً عليه السلام المبرّز على الفاضلين، الفاضل على المجاهدين، الذي لا نظير له في نصرة المتّقين، وقمع الفاسقين، وإهلاك الكافرين، وبثّ دين الله في العالمين.

«وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا» في إبطال عبادة الأوثان من دون الله، وفي النهي عن موالاته أعداء الله، ومعاداة أولياء الله، وفي الحثّ على الإنقياد لأخي رسول الله ﷺ، واتّخاذهم إماماً، واعتقاده فاضلاً راجحاً، لا يقبل الله ﷻ أماناً إلاّ به، ولا طاعة إلاّ بموالاته، وتظنّون أنّ محمداً تقوله من عنده، وينسبّه إلى ربّه [فإن كان كما تظنّون] «فأتوا بسورة من مثله» أي مثل محمّد، أمّي لم يختلف إلى أصحاب كتب قطّ، ولا تتلمذ لأحد، ولا تعلّم منه، وهو من قد عرفتموه في حضره وسفره، ولم يفارقكم قطّ إلى بلد وليس معه جماعة منكم يراعون أحواله، ويعرفون أخباره.

ثمّ جاءكم بهذا الكتاب، المشتمل على هذه العجائب، فإن كان مُتَقَوِّلاً - كما تزعمون - فأنتم الفصحاء، والبلغاء، والشعراء، والأدباء الذين لا نظير لكم في سائر الأديان، ومن سائر الأمم، وإن كان كاذباً فاللغة لغتكم، وجنسه جنسكم، وطبعه طبعكم، وسيتّق لجماعتكم - أو لبعضكم - معارضة كلامه هذا بأفضل منه أو مثله.

لأنّ ما كان من قبل البشر، لا عن الله ﷻ، فلا يجوز إلاّ أن يكون في البشر من يتمكّن من مثله، فأتوا بذلك لتعرفوه - وسائر النظائر إليكم في أحوالكم - أنّه مُبْطَل كاذبٌ على الله تعالى «وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ» الذين يشهدون بزعمكم أنّكم محقّون، وأنّ ما تحيثّون به نظير لما جاء به محمد ﷺ، وشهداؤكم الذين تزعمون أنّهم شهداؤكم عند ربّ العالمين لعبادتكم لها، وتشفع لكم إليه «إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في قولكم: إنّ محمداً ﷺ تقوله. ١

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^ط

أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

بيان لثبوت عجزهم في مقابل تحدي القرآن الكريم وعدم استطاعتهم لما يدعونه إليه من الاتيان ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.

﴿فَ﴾ تفريع على الشرط وجوابه في الآية السابقة، أي فإن لم تأتوا ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾.

﴿إِنْ﴾ أداة شرط جازمة. ﴿لَمْ﴾ حرف نفى وجزم وقلب.

﴿تَفْعَلُوا﴾ فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾ وفاعله. فعل الشرط.

﴿وَلَنْ﴾ اعتراضية استدراكية. ﴿لَنْ﴾ حرف نصب وتأکید.

﴿تَفْعَلُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لَنْ﴾ وفاعله.

«وقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ من أكبر معجزات القرآن فإنها معجزة من جهتين: الأولى: أنها أثبتت أنهم لم يعارضوا لأن ذلك أبعث لهم على المعارضة لو كانوا قادرين، وقد تأكد ذلك كله بقوله قبل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وذلك دليل العجز عن الإتيان بمثله فيدل على أنه كلام من قدرته فوق طوق البشر. الثانية: أنه أخبر بأنهم لا يأتون بذلك في المستقبل فما أتى أحد منهم ولا ممن خلفهم بما يعارض القرآن فكانت هذه الآية معجزة من نوع الإعجاز بالإخبار عن الغيب مستمرة على تعاقب السنين فإن آيات المعارضة الكثيرة في القرآن قد قرعت بها أسماع المعاندين من العرب الذين أبوا تصديق الرسول وتواترت بها الأخبار بينهم وسارت بها الركبان بحيث لا يسع ادعاء جهلها، ودواعي المعارضة موجودة فيهم، ففي خاصتهم بما يأنسون به تأهلهم لقول الكلام البليغ وهم شعراؤهم وخطباؤهم. وكانت لهم مجامع التقاول ونواصي التشاور

والتعاون، وفي عامتهم وصعاليكهم بحرصهم على حث خاصتهم لدفع مسببة الغلبة عن قبائلهم ودينهم والانتصار لأهنتهم وإيقاف تيار دخول رجالهم في دين الإسلام، مع ما عرف به العربي من إباء الغلبة وكراهة الاستكانة. فما أمسك الكافة عن الإتيان بمثل القرآن إلا لعجزهم عن ذلك وذلك حجة على أنه منزل من عند الله تعالى، ولو عارضه واحد أو جماعة لطاروا به فرحاً وأشاعوه وتناقلوه فإنهم اعتادوا تناقل أقوال بلغائهم من قبل أن يغريهم التحدي فما ظنك بهم لو ظفروا بشيء منه يدفعون به عنهم هذه الاستكانة وعدم العثور على شيء يدعى من ذلك يوجب اليقين بأنهم أمسكوا عن معارضته^١.

﴿وَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿النَّارِ﴾ مفعول به. ﴿الَّتِي﴾ اسم موصول، صفة لـ ﴿النَّارِ﴾.

﴿وَقُودُهَا﴾ مبتدأ ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿النَّارِ﴾.

الوقود: اسم لما يُوقَد به، والوقود: مصدر. وقيل: بالعكس، وقال ابن عطية:

حكى الضم والفتح في كل من الحطب والمصدر.^٢

﴿النَّاسِ﴾ خبر، والمراد بهم الكافرين كما يظهر من ختام الآية. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْحِجَارَةُ﴾ معطوف على ﴿النَّاسِ﴾. يعني حطب نار جهنم ليس إلا نفس

الجهنمين والأحجار كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^٣.

﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هي» ترتجع

إلى ﴿النَّارِ﴾. الإعداد: التهيئة.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٣٧.

٢. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٣٨.

٣. سورة الأنبياء / ٩٨.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُعِدَّتْ﴾. الكافر: مَنْ أنكر توحيد الله ونبوة نبيِّنا محمد رسول الله ﷺ.

الروايات

مرفوعة أبي منصور الطبرسي عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام مع اليهودي: ... ولئن سارت الجبال وسبَّحت معه لقد عمل بمحمد ﷺ ما هو أفضل من هذا، إذ كنّا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له: «قر فإنه ليس عليك إلا نبيّ أو صديق شهيد» فقر الجبل مطيعاً لأمره منتهياً إلى طاعته، ولقد مررنا معه بجبل وإذ الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله كان المسيح مربيّ وهو يخوف الناس من نار ﴿وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال له: لا تخف تلك الحجارة الكبريت، فقر الجبل وسكن وهذا وأجاب لقوله ﷺ، الحديث. ١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في تنمة الرواية الثانية في ذيل الآية السابقة: [قال العالم عليه السلام]: ثم قال الله ﻋﻠﻴﻪ ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ أي إن لم تأتوا، يا أيها المُرْعُونَ بِحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي ولا يكون هذا منكم أبداً ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ حَطَبُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، تُوقَد فتكون عذاباً على أهلها ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ المكذِّبين بكلامه ونيّيه، الناصبين العداوة لوليّه ووصيّه.

قال: فاعلموا بعجزكم عن ذلك أنّه من قِبَلِ الله تعالى، ولو كان من قِبَلِ المخلوقين لقدَرتُم على معارضته، فلمّا عَجَزُوا بعد التفريع^٢ والتحدي، قال الله ﻋﻠﻴﻪ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ

١. الاحتجاج ١/ ٢٢٠.

٢. التفريع: التعنيف.

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً^{٢٠١}

وفيه أيضاً في تنمة الرواية الثالثة في ذيل الآية السابقة:

[قال علي بن الحسين عليه السلام]: ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ هذا الذي تحدّثكم به ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي ولا يكون ذلك منكم، ولا تقدرون عليه، فاعلموا أنكم مبطلون، وأنَّ مُحَمَّدًا الصّادق الأمين المخصوص برسالة ربّ العالمين، المؤيّد بالروح الأمين، وبأخيه أمير المؤمنين وسيدّ الوصيّين، فصدّقوه في ما يُخبر به عن الله تعالى من أوامره ونواهيه، وفيما يذكره من فضل عليّ وصيّيه وأخيه، ﴿فَاتَّقُوا﴾ بذلك عذاب ﴿النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا - حَطَبُهَا - النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ حجارة الكبريت، أشدّ الأشياء حرّاً ﴿أُعِدَّتْ﴾ تلك النار ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بمحمّد ﷺ والشاكرين في نبوته والدافعين لحقّ أخيه علي عليه السلام والجاحدين لإمامته الحديث^٣.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

«من سننه تعالى أنّه في كتابه الكريم، يقرن بين الترهيب والترغيب، فكلّما يذكر شيئاً من مظاهر غضبه، يعقبه بشيء من موجبات رحمته، إتماماً للحجّة، ولئلاّ ييأس من رحمته أحدٌ، وكلّما يذكر شيئاً من جهات رحمته، قفاه بشيء من موجبات غضبه، لئلا

١. سورة الإسراء / ٨٨.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ١٥٢.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٠١.

يَتَّكِلُ عَلَىٰ عَمَلِهِ أَحَدٌ، ولذا بعد أن ذكر الكفَّار والمنافقين، وما أعدَّ لهم من العقاب، أردفه ببشارة المؤمنين وما وعد لهم من النعيم^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. وما بعدها معطوف على مجموع الجمل المسوقة لبيان العقاب والنار.

﴿بَشِّرِ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». والخطاب لرسول الله محمد ﷺ. والبشارة: هي الإخبار بما يوجب ظهور آثار السرور في بشرة المخبر. وقد تستعمل في الإخبار بالشر أيضاً توبيخاً وتعيراً كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^{٣.٢} ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مفعول به. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿الصَّلَاحَتِ﴾ مفعول به. جمع الصالحة وهي الفعلة الحسنة، والتعريف للاستغراق الذي يحدد مقداره بالتكليف والاستطاعة والأدلة الشرعية.^٤ ﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿هُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. ﴿جَنَّتِ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾. جمع جَنَّة وهي البُسْتَان الملتف بالأشجار. ﴿تَجْرِي﴾ فعل مضارع.

﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿تَجْرِي﴾. والضمير يرجع إلى ﴿جَنَّتِ﴾. ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: من أسفلها.

﴿الْأَنْهَارُ﴾ فاعل ﴿تَجْرِي﴾، جمع نَهْر: الأخدود الجاري فيه الماء على الأرض. ﴿كُلَّمَا﴾ ظرف و «ما» المصدرية وهي نائبة عن الظرف ومتضمنة شبه معنى

١. مواهب الرحمن ١/ ١٧٤.

٢. سورة آل عمران / ٢١.

٣. مواهب الرحمن ١/ ١٧٤.

٤. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٤٧.

الشرط. يمكن أن يكون صفة ثانية لـ ﴿جَنَّتٍ﴾.

﴿رَزَقُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿رَزَقُوا﴾.

﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿رَزَقَا﴾.

﴿رَزَقَا﴾ مفعول مطلق. ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، بدل ﴿هَذَا﴾.

﴿رَزَقْنَا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. ﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿قَبْلُ﴾ اسم مبني على الضم، في محل جر. والجار والمجرور متعلق بـ ﴿رَزَقْنَا﴾.

«يحتمل أن يجعل الظرف الأخير في الآخرة، أي كلما انتفعوا من ثمارها قالوا هذا ما رزقنا قبل ذلك من ثمار الآخرة، فإنها تكون بحيث كلما يقتطف منها ثمرة يعود مكانها مثلها.

ويحتمل أن يجعل الظروف في الدنيا، فإن ثمار الدارين متحدثان اسماً وجنساً، ولكنهما مختلفتان في اللطافة والذوق والالتذاذ ونحوها.

ويُحتمل أن يراد من الرزق الثاني، هو نفس الأعمال الصالحة التي هي بمنزلة البذور لثمار الجنة، فيكون المراد إن ثمار الجنة لنا من جزاء أعمالنا، ومنه يظهر وجه قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾، لوجود التشابه بين ما ينتفعون به فعلاً، وبين جميع الاحتمالات التي تعرضنا لها في الجملة^١.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿أَتُوا﴾ فعل ماض مجهول ونائب فاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَتُوا﴾.

﴿مُتَشَبِهًا﴾ حال أو مفعول به. والمراد بالتشابه الأعم كما مرَّ آنفاً.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، متعلق بحال محذوفة من ﴿أَزْوَاجٌ﴾.
 ﴿أَزْوَاجٌ﴾ مبتدأ مؤخر، جمع زوج بمعنى القرين يقال للذكر والأنثى.
 ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ نعت، ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الأقدار الخلقية والخلقية والنفسية والشكلية.
 ﴿وَ﴾ حالية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر.
 ﴿خَلْدُورٌ﴾ خبر. «أي دائمون، يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاذ»^١.

الروايات

خبر أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّا خَلَدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لِأَنَّ نِيَّتَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خَلَدُوا فِيهَا أَنْ يَعَصُوا اللَّهَ أَبَدًا، وَإِنَّا خَلَدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِأَنَّ نِيَّتَهُمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يَطِيعُوا اللَّهَ أَبَدًا فَبِالنِّيَّاتِ خَلَدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^٢ قال: على نيته^٣.
 معتبرة حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار^٤.
 مرفوعه الصدوق وقال: سئل الصادق عليه السلام عن قوله الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾. قال: الأزواج المطهرة اللاتي لم يحضن ولا يحدثن^٥.
 خبر أبي صالح عن ابن عباس قال: في ما نزل من القرآن في خاصة رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وأهل بيته دون الناس من سورة البقرة: ﴿وَدَثِرَ الَّذِينَ

١. التبيان ١/ ٣٢٢.

٢. سورة الإسراء / ٨٤.

٣. الكافي ٢/ ٨٥، ح ٥.

٤. الكافي ٢/ ٨٩، ح ٧.

٥. الفقيه ١/ ٨٩، ح ١٩٥.

ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي: عليٍّ وحمة وجعفر وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام): في تنمة الرواية الثالثة في ذيل الآية السابقة: [قال علي بن الحسين (عليه السلام)] ثم قال: ﴿وَنَشَرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله، وصدقوك في نبوتك فأتخذوك إماماً، وصدقوك في أقوالك، وصوبوك في أفعالك، واتخذوا أخاك علياً بعدك إماماً، ولك وصياً مرضياً، وانقادوا لما يأمرهم به، وصاروا إلى ما أصارهم إليه، ورأوا له ما يرون لك إلا النبوة التي أفردت بها، وأن الجنان لا تصير لهم إلا بموالاته، وبموالاته من ينص لهم عليه من ذريته، وبموالاته سائر أهل ولايته، ومعاداة أهل مخالفته وعداوته، وأن النيران لا تهدأ عنهم، ولا تعدل بهم عن عذابها إلا بتكبيهم^٢ عن موالاته مخالفهم، ومؤازرة شائيتهم.

﴿وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من أداء الفرائض واجتناب المحارم، ولم يكونوا كهؤلاء الكافرين بك، بشرهم ﴿أَنَّ هُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ من تلك الجنان ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ من ثمارها ﴿رِزْقًا﴾ طعاماً يؤتون به ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا؛ فاسأؤه كأسماء ما في الدنيا من تَفَاحٍ، وَسَفْرَجَلٍ، وَرُمَانٍ، وكذا وكذا، وإن كان ما هناك مخالفاً لما في الدنيا فإنه في غاية الطيب، وإنه لا يستحيل إلى ما تستحيل إليه ثمار الدنيا من عَذْرَةٍ وسائر المكروهات، من صفراء وسوداء ودم، بل ما يتولد من مأكلهم، إلا العرق، الذي يجري من أعراضهم، أطيب من رائحة المسك.

﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ بذلك الرزق من الثمار من تلك البساتين ﴿مُتَشَبِهًا﴾ يشبه بعضه

١. تفسير الحبري / ٢٣٥، ح ٤.

٢. تنكب فلاناً: أعرض عنه. (المعجم الوسيط - نكب - ٢ / ٩٥٠).

بعضاً، بأنّها كلّها خيار لا رَدْل^١ فيها، وبأنّ كلّ صنف منها في غاية الطيب واللذة، ليس كثير الدنيا التي بعضها فيء^٢، وبعضها متجاوز لحدّ النَّضج والإدراك إلى حدّ الفساد من مُهوِضية ومرارةٍ وسائر ضروب المكاره، ومتشابهاً أيضاً متّفقات الألوان مختلفات الطُعموم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في تلك الجنان ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من أنواع الأقدار والمكاه، مطهّراتٌ من المحيض والنّفاس، لا وَلَاجات، ولا خَرَاجات^٣، ولا دَخالات، ولا خَتّالات^٤، ولا مُتغايرات، ولا لأزواجهنّ فاركات^٥ ولا صَخّابات^٦، ولا عَيّابات، ولا فَحاشات، ومن كلّ العيوب والمكاه بريّات. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مقيمون في تلك البساتين والجنان^٧.

١. الرَدْل: الدون الخسيس، أو الرديء من كل شيء. (القاموس المحيط - رذل - ٣ / ٣٩٥).

٢. النيء: الذي لم ينضج. (القاموس المحيط - ناء - ١ / ٣٢).

٣. يقال: فلان خراج ولّاج: كثير الطواف والسعي. (المعجم الوسيط - ولج - ٢ / ١٠٥٥).

٤. خَتَلَه: خدعه عن غفلة. (المعجم الوسيط - ختل - ١ / ٢١٨).

٥. الفَرَك: البغض، وفَرَكت المرأة زوجها، أي أبغضته، فهي فروك وفارك. (الصحاح - فرك - ٤ / ١٦٠٣).

٦. رجل صَخِب وصَخَّاب: كثيرة اللّغظ والجلبة، والمرأة صَخباء وصَخَّابة. (مجمع البحرين - صخب - ٢ / ٩٩).

٧. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٢٠٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾

«اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية، فروي عن ابن مسعود وابن عباس: إن الله تعالى لما ضرب هذين المثليين للمنافقين - وهما قوله: ﴿كَمَثَلِ الْإِذَى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾^١ - قال المنافقون: الله أجل من أن يضرب هذه الأمثال. فأنزل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى آخر الآية.

وقال الربيع بن أنس: هذا مثل ضربه الله للدينار؛ لأنَّ البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، فشبه الله تعالى هؤلاء بأئمتهم إذا امتلؤوا أخذهم الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾^٢.

وقال قتادة: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما، قل أو كثر. إن الله تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية.

وكل هذه الوجوه حسنة. وأحسنها قول ابن عباس؛ لأنه يليق بما تقدم. وبعده ما قال قتادة.

وليس لأحد أن يقول: إن هذا المثل لا يليق بما تقدم؛ من حيث لم يتقدم

١. سورة البقرة / ١٧ و ١٩.

٢. سورة الأنعام / ٤٤.

للبعوضة ذكر. وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع آخر. في تشبيه ألهتهم بها
فأن يكون المراد بذلك أولي^١.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾ فعل مضارع منفي بـ ﴿لَا﴾ نافية وفاعله ضمير مستتر «هو»
يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَا يَسْتَحْيَ﴾: لا يترك، لا يدع.
«أصل الاستحياء: الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواجهة
القيح»^٢ وأما إذا أطلق عليه سبحانه فالمراد به: الترك.

والفرق بين الحياء والخجل: «أن الثاني من عوارض الجسم الإنساني، بخلاف
الأول فإنه من صفات الروح، ولذا عدَّ الحياء من جنود العقل في جملة من الأخبار،
وهناك فروق أخرى مذكورة في علم الاخلاق»^٣.
﴿أَنَّ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَضْرِبَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو». أي يصف ويمثل
ويبين.

﴿مَثَلًا﴾ مفعول به، أي: شَبَّهًا وتنكيره للتنويع، ضرب الأمثال: توصيفها
وبيانها.

فمعنى الآية إلى هنا: «﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَ﴾ أن يصف شَبَّهًا لَمَّا شَبَّه به»^٤.
﴿مَّا﴾ ابهامية تتصل بالنكرة فتؤكد معناها من تنويع أو غيره، والأظهر أنها
زائدة لتكون دلالتها على التأكيد أشد، وقيل: اسم بمعنى النكرة المبهمة.^٥

١. التبيان ١/ ٣٢٢.

٢. التبيان ١/ ٣٢٥.

٣. مواهب الرحمن ١/ ١٨١.

٤. التبيان ١/ ٣٢٨.

٥. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ١/ ٣٥٧.

﴿بُعُوضَةً﴾ بدل أو بيان من ﴿مَثَلًا﴾. «البعوضة واحدة البعوض وهي حشرة صغيرة طائرة ذات خرطوم دقيق تحوم على الإنسان لتمتص بخرطومها من دمه غذاء لها، وتعرف في لغة هذيل بالخموش، وأهل تونس يسمونه الناموس واحده الناموسة وقد جعلت هنا مثلاً لشدة الضعف والحقارة»^١.

﴿فَ﴾ عاطفة، أفادت تشريك ما قبلها وما بعدها في ضرب المثل بهما.

﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿بُعُوضَةً﴾.

﴿فَوْقَهَا﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. «يعني: ما هو أعظم منها - على قول قتادة وابن جريح - وقيل: فما فوقها، في الصغر والقلّة، كما يقول القائل: إنّ هذا الأمر لصغير، فيقول المجيب: وفوق ذلك، أي: هو أصغر ممّا قلت. وكلاهما جائزان، فمن قال بالأول، قال: لأنّ البعوضة غاية في الصغر. ومن قال بالثاني، قال: يجوز أن يكون «ما» هو أصغر منها»^٢.

﴿فَ﴾ «للتعقيب الذكري دون الحصولي أي لتعقيب الكلام المفصل على الكلام

المجمل»^٣.

﴿أَمَّا﴾ حرف موضوع لتفصيل مجمل ملفوظ أو مقدّر.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب ﴿أَمَّا﴾.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿أَنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد، واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿مَثَلًا﴾.

﴿الْحَقُّ﴾ خبر ﴿أَنَّهُ﴾.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ١/ ٣٥٧.

٢. التبيان، ١/ ٣٣٠.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٥٨.

٢٠٠..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوفة من ﴿الْحَقُّ﴾. يعني: «إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْمَثَلُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَأَنَّهُ مِنْ كَلَامِهِ»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَمَّا﴾ حرف تفصيل. ﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ. ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، يعني الجاحدين. ﴿فَ﴾ واقعة في جواب ﴿أَمَّا﴾. ﴿يَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿الَّذِينَ﴾. ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام، مبتدأ، كلمة مركبة من ﴿مَا﴾ الاستفهامية و ﴿ذَا﴾ اسم الإشارة، ويسأل بها عن شيءٍ مشار إليه. ﴿أَرَادَ﴾ فعل ماض. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿بِهَذَا﴾ حرف جر واسم إشاره، جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرَادَ﴾. يريدون ﴿بِهَذَا﴾ التحقير. ﴿مَثَلًا﴾ تمييز ﴿هَذَا﴾ لأنه مبهم يحتاج إلى التمييز. ﴿يُضِلُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾. ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُضِلُّ﴾. والضمير يرجع إلى القرآن أو المثل الذي ضربه فيه.

﴿كَثِيرًا﴾ مفعول به أو مفعول مطلق. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ معطوف على ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾. والجملتان بيان وتفسير للجملتين المصدريتين بـ ﴿أَمَّا﴾ على طريقة النشر المعكوس. «لأنَّ معنى هاتين الجملتين قد اشتمل عليهما معنى الجملتين السالفتين إجمالاً فَإِنَّ عِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ

هُدًى، وَقَوْلَ الْكَافِرِينَ ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ الْخُضْلَالُ^١.

﴿وَمَا﴾ عَاطِفَةٌ. ﴿مَا﴾ نَافِيَةٌ.

﴿يُضِلُّ﴾ فَعْلٌ مُضَارِعٌ وَفَاعِلُهُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ «هُوَ».

﴿بِهِ﴾ جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿يُضِلُّ﴾. ﴿إِلَّا﴾ أَدَاةُ حَصَرٍ.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْخَارِجِينَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ اعْتِقَادًا أَوْ عَمَلًا

بَارْتِكَابٍ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ.

وَالجُمْلَةُ الْآخِرَةُ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ بَيَانٌ لَعَلَّةِ إِضْلَالِهِمْ وَهِيَ الْخُرُوجُ

عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

الروايات

علي بن إبراهيم القمي رفعه وقال: قال الصادق عليه السلام: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ الْعِبَادَ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فَوْقَهَا﴾^٢.

الطوسي رفعه عن الصادق عليه السلام أنه قال: إِنَّمَا ضَرَبَ اللَّهُ بِالْبَعُوضَةِ، لِأَنَّ الْبَعُوضَةَ

عَلَى صَغَرٍ، خَلَقَ فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْفِيلِ عَلَى كِبَرِهِ وَزِيَادَةِ عَضْوِينَ آخَرِينَ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ

يُنَبِّهَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لَطْفِ خَلْقِهِ وَعَجِيبِ عَظَمِ صَنْعِهِ^٣.

الميرزا محمد المشهدي رفعه إلى سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ

كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدَ يَدِيهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا حَتَّى يَنْزِلَ فِيهِمَا خَيْرًا^٤.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٦٠.

٢. تفسير القمي ١/ ٣٤.

٣. التبيان ١/ ٣٢٤ (١/ ١١١).

٤. كنز الدقائق ١/ ١٩٥.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^١

بيان صفات الفاسقين وتقرير اتصافهم بالفسق.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ في الآية السابقة.
﴿يَنْقُضُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. النقص: الفسخ والفك، ضد الإبرام وقد استعمل النقص هنا في إبطال العهد.
﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. العهد: العقد الموثق. «والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وهذه المادة في آية هيئة استعملت تفيد الالتزام والثبات والعزيمة»^١.

«و ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ وهي استعارة من مخترعات القرآن بنيت على ما شائع في كلام العرب في تشبيه العهد وكل ما فيه وصل بالحلل وهو تشبيه شائع في كلامهم، ومنه قول مالك بن النبهان الأنصاري للنبي ﷺ يوم بيعة العقبة: «يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبلاً ونحن قاطعوها فنخشى إن أعزك الله وأظهرك أن ترجع إلى قومك» (يريد العهود التي كانت في الجاهلية بين قريش وبين الأوس والخزرج)^٢.
والمراد بـ ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: «ما عاهد الله تعالى به على أنبيائه من المعارف والشرائع، الراجعة إلى تربية العباد، وهو من أعظم العهود الموثقة من قبله تعالى بالحجج والبراهين.

ويصح أن يراد به الأعم من ذلك، ومن العهد الفطري الموثق بالعقل، الذي هو

١. مواهب الرحمن ١/ ١٩٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٦٢.

أعظم حجج الله تعالى، فالمراد بنقض العهد عدم الوفاء به قولاً، أو عملاً، أو اعتقاداً
كما هو وجداني^١.

﴿مَنْ يَعْدِ جَارَ وَمَجْرُورَ مَتَعَلِّقَ بـ ﴿يَنْقُضُونَ﴾. ﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية.
﴿مِثْقَهُ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. الميثاق: ما يوثق به الشيء. والضمير
يرجع إلى ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَقْطَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف على ﴿يَنْقُضُونَ﴾.
القطع: هو الفصل بين الشيئين أحدهما من الآخر.
﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.
﴿أَمَرَ﴾ فعل ماض. «الأمر: هو قول القائل لِمَنْ هو دونه: افعل وهو ضدّ
النهي»^٢.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَمَرَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿مَا﴾ الموصولة.
﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُوصَلْ﴾ فعل مضارع منصوب مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر
«هو». أي ما أمروا بوصله. ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ بدل من الضمير في ﴿بِهِ﴾. الوصل: الجمع
بين الشيئين من غير حاجز. و ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هو صلة الإمام ﷺ وصلة
الأرحام والأقوام.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يُفْسِدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف على ﴿يَقْطَعُونَ﴾. الفساد: خلاف

١. مواهب الرحمن / ١ / ١٩٥.

٢. التبيان / ١ / ٣٤٤.

الصلاح وهو أعم الفردي والاجتماعي ولعل المراد به هنا: إضلال الناس وإظلامهم بقرينة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُفْسِدُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ.

﴿هُمْ﴾ ضمير فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين. ويمكن أن يكون مبتدأً ثانياً.

﴿الْخَسِرُونَ﴾ خبر. الخسران: النقصان. قصر قلب لأنهم ظنوا أنفسهم رابحين ولكن الله عدّهم أنهم خاسرون فقط.

روايتان

العياشي رفعه عن الحسن بن موسى قال: روى أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^١ قال: هو صلة الإمام في كل سنة بما قلّ أو كثر، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وما أريد بذلك إلا تزكيتكم.^٢

خبر أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال لي علي بن الحسين صلوات الله عليهما: يا بُنَيَّ أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تتحدثهم ولا ترافقهم في طريق، فقلت يا أبا من هم؟ قال: إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويباعدك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الاحق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

١. سورة الرعد / ٢١.

٢. تفسير العياشي ٢/ ٣٨٧، ح ٣٣.

وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله ﷻ في ثلاث مواضع: قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^١ وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^٢ وقال في البقرة: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^٣.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

خطاب جديد إلى الناس الذين خاطبهم في قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾^٤ وما يقطعه الإنسان في مسيرة الوجود من منازل الموت والحياة ثم الرجوع إلى منتهى الوجود ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُتْنَىٰ﴾^٥ و ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ﴾^٦.
﴿كَيْفَ﴾ اسم استفهام، للتعجب والانكار والتوبيخ حال عن الضمير الفاعلي في ﴿تَكْفُرُونَ﴾.

﴿تَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والخطاب متوجه إلى ﴿النَّاسُ﴾.

١. سورة محمد ﷺ / ٢٢ و ٢٣.

٢. سورة الرعد / ٢٥.

٣. الكافي ٢/ ٣٧٦، ح ٧ و ٢/ ٦٤١، ح ٧.

٤. سورة البقرة / ٢١.

٥. سورة النجم / ٤٢.

٦. سورة النازعات / ٤٤.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَكْفُرُونَ﴾ .
 ﴿و﴾ حالية. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿أَمْوَاتًا﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾ . والمراد بالموت هنا: حال الإنسان قبل ولوج الروح
 في رحم أمه أو قبل خلقته وقبل الحياة الدنيوية وهو موت وليس بإماتة.
 ﴿فَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَحْيَيْكُمُ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الله ومفعول به.
 والمراد بالحياة هنا الحياة الدنيوية وهذه موقته.
 ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.
 ﴿يُمَيِّتُكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والمراد به
 الانتقال من الحياة الدنيوية إلى الحياة الأخرية وهو المعروف عندنا بالموت ولكن
 الصحيح أنه إماتة بقبض الأرواح حين انقضاء الآجال وهو انتقال من الحياة الدنيوية
 إلى الحياة الأخرية.
 ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.
 ﴿تُحْيِيكُمُ﴾ معطوف على ﴿يُمَيِّتُكُمُ﴾ . وهذه الحياة الثانية الأخرية لأجل
 الحضور في يوم البعث والنشور للورود على الربّ الودود. وهذه الحياة دائمة أبدية
 سرمدية. وتشمل الحياة البرزخية بإطلاقها.
 ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.
 ﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ . والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾ تعالى.
 وتقديم المتعلق على عامله مفيد القصر وهو قصر حقيقي.
 ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فعل مضارع مجهول ونائب فاعله. ﴿تُرْجَعُونَ﴾ للحساب
 والكتاب ومجازاة الأعمال.

الروايات

معتبرة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد، فأما الحرص فإنَّ آدم عليه السلام حين نهى عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها، وأما الاستكبار فإبليس حيث أمر بالسجود لآدم فأبى، وأما السحد فإبنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه.^١

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: أركان الكفر أربعة: الرغبة والرغبة والسخط والغضب.^٢

معتبرة سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: بني الكفر على أربع دعائم: الفسق والغلو، والشك، والشبهة.

والفسق على أربع شعب: على الجفاء، والعمى، والغفلة، والعتوّ، فمن جفا احتقر الحقّ، ومقت الفقهاء، وأصرّ على الحنث العظيم. ومن عمي نسي الذكر، وأتبع الظنّ، وبارز خالقه، وألحّ عليه الشيطان، وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة ولا غفلة؛ ومن غفل جنى على نفسه؛ وانقلب على ظهره وحسب غيّه رشداً؛ وغرّته الأمانى؛ وأخذته الحسرة والندامة إذا قضي الأمر وانكشف عنه الغطاء وبدأ له ما لم يكن يحتسب ومن عتا عن أمر الله شكّ ومن شكّ تعالى الله عليه فأذله بسلطانه وصغره بجلاله كما اغترّ برّبّه الكريم وفرّط في أمره.

والغلو على أربع شعب: على التعمّق بالرّأي، والتنازع فيه، والزّيف، والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ ولم يزد إلا غرقاً في الغمرات ولم تنحسر عنه فتنة إلا غشيته أخرى، وانخرق دينه فهو يهوى في أمر مريج، ومن نازع في الرّأي وخاصم شهر بالعثل من طول اللّجاج، ومن زاغ قبحت عنده الحسنة وحسنت عند السيّئة ومن

١. الكافي ٢/ ٢٨٩، ح ١.

٢. الكافي ٢/ ٢٨٩، ح ٢.

شاقَّ أعورت عليه طريقه واعترض عليه أمره، فضاق عليه مخرجه إذا لم يتبع سبيل المؤمنين.

والشكَّ على أربع شعب: على المرية، والهوى، والتردد، والاستسلام وهو قوله الله ﷻ: ﴿فَبَإْيِّ آلٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَى﴾^١.

وفي رواية أخرى: على المرية، والهول من الحق، والتردد، والاستسلام للجهل وأهله.

فمن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن امترى في الدين تردَّد في الرِّيب، وسبقه الأولون من المؤمنين، وأدركه الآخرون، ووطئته سنايك الشيطان، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك في ما بينهما، ومن نجا من ذلك فمن فضل اليقين، ولم يخلق الله خلقاً أقلَّ من اليقين.

والشبهة على أربع شعب: إعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأوُّل العوج ولبس الحقِّ بالباطل، وذلك بأنَّ الزينة تصدف عن البيِّنة وأنَّ تسويل النفس تقحِّم على الشهوة، وأنَّ العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً، وأنَّ اللبس ظلمات بعضها فوق بعض فذلك الكفر ودعائمه وشعبه.^٢

حسنة أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ عليّاً صلوات الله عليه باب فتحه الله من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً.^٣

موثقة إبراهيم بن أبي بكير قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إنّ عليّاً عليه السلام باب من أبواب الهدى فمن دخل من باب عليٍّ كان مؤمناً ومن خرج

١. سورة النجم / ٥٥.

٢. الكافي ٢ / ٣٩١، ح ١.

٣. الكافي ٢ / ٣٨٨، ح ١٦.

منه كان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين فيهم المشيئة^١.
 معتبرة فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله نصب علياً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ومن جاء بولايته دخل الجنة ومن جاء بعداوة دخل النار^٢.
 في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله ﷺ للكفار قريش واليهود: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» الذي دلّكم على طريق الهدى وجنبكم إن أطعتموه سبيل الردى. «وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا» في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم. «فَأَحْيَاكُمْ» أخرجكم أحياء. «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» في هذه الدنيا ويقبركم «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» في القبور ويُنعم فيها المؤمنين بنبوّة محمد ﷺ وولاية علي عليه السلام ويعذب الكافرين فيها. «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد ثم تُحيا للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما قد وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها^٣.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ

سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

الآية الشريفة «استدلال ثانٍ على شناعة كفرهم بالله تعالى وعلى أنه مما يقضي منه العجب فإن دلائل ربوبية الله ووحدانيته ظاهرة في خلق الإنسان وفي خلق جميع ما في

١. الكافي ٢/ ٣٨٨، ح ١٨.

٢. الكافي ٢/ ٣٨٨، ح ٢٠.

٣. قارف فلان الخطيئة: أي خالطها.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١٠.

الأرض فهو ارتقاء في الاستدلال بكثرة المخلوقات»^١.

و «بيان لما مرّ من قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾^٢؛ لأنّ من لوازم جعل الأرض فراشاً للإنسان، أن يكون جميع ما في الفراش مهيباً للانتفاع به، وكذا قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾^٣»^٤.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ في الآية السابقة.

﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، خبر.

﴿خَلَقَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. بمعنى الإبداع والتقدير.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿خَلَقَ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿النَّاسِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^٥. واللام للتعليل. ويستفاد منه أنّ الأصل الأولي في استعمال الأشياء هو الاباحة.

وجملة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ قصر حقيقي.

﴿مَا﴾ موصولة بمعنى «الذي»، مفعول به.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة «مَا» المحذوفة تقديره: «مَا» وجد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من «الارض». ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة، ولا تدلّ على الترتيب.

﴿أَسْتَوَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. والمراد به

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٣٧٢.

٢. سورة البقرة / ٢٢.

٣. سورة الحج / ٦٥.

٤. مواهب الرحمن ١/ ٢٠٠.

٥. سورة البقرة / ٢١.

هنا: القصد والشروع والأخذ المشتغل على أتم انحاء التدبير. وفي اللغة: المساواة والمعادلة والاستقامة وعدم الاعوجاج.

﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَوَى﴾. و ﴿السَّمَاءِ﴾ اسم جنس يدل على القليل والكثير و ﴿السَّمَاءِ﴾ مشتقة من السمو وهو العلو. ﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿سَوَّاهُنَّ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أول. «أي هيأهنَّ وخلقهنَّ وقومهنَّ ودبرهنَّ والتسوية: التقويم والاصلاح يقال سَوَّى فلان لفلان هذا الأمر، أي: قومه وأصلحه»^١.

﴿سَمِعَ﴾ مفعول به ثان. ﴿سَمَوَاتٍ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، معطوف على ﴿هُوَ﴾ في أول الآية.

﴿بِكُلِّ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر. ﴿شَيْءٍ﴾ مضاف إليه.

﴿عَلِيمٌ﴾ خبر. والجملة الأخيرة استنتاج من دلائل القدرة التي لا تصدر إلا من عليم «وإنما أراد إعلامهم أنه لا يخفى عليه شيء من أفعالهم الظاهرة والباطنة، والسرّ والعلانية»^٢.

الروايات

خبر سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ خلق الجنة قبل أن يخلق النار وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية وخلق الرحمة قبل الغضب وخلق الخير قبل الشرّ وخلق الأرض قبل السماء وخلق الحياة قبل الموت وخلق الشمس قبل القمر وخلق النور قبل الظلمة.^٣

١. التبيان ١/ ٣٥٦.

٢. التبيان ١/ ٣٦١.

٣. الكافي ٨/ ١٤٥، ح ١١٦.

خبر عامر الطائي عن أبيه قال: حدّثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام، فقال: يا أمير المؤمنين إني أسألك عن أشياء، فقال: سل تفقهاً ولا تسأل تعتناً، فاحدق الناس بأبصارهم، فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تعالى؟ فقال عليه السلام: خلق النور، قال: فمم خلقت السموات؟ قال عليه السلام: من بخار الماء، قال: فمم خلقت الأرض؟ قال: من زبد الماء، قال: فمم خلقت الجبال؟ قال: من الأمواج، قال: فلم سميت مكة أم القرى؟ قال: لأنّ الأرض دحيت من تحتها، وسأله عن السماء الدنيا مما هي؟ قال: من موج مكفوف وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما؟ قال: تسع مائة فرسخ في تسع مائة فرسخ، وسأله كم طول الكواكب وعرضه؟ قال: اثنا عشر فرسخاً مثلها، وسأله عن ألوان السموات السبع وأسمائها؟ فقال له: اسم أسماء الدنيا رفيع، وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية فيدوم وهي على لون النحاس والسماء الثالثة إسمها الماروم وهي على لون الشبه، والسماء الرابعة إسمها أرفلون وهي على لون الفضة، والسماء الخامسة إسمها هيعون وهي على لون الذهب، والسماء السادسة إسمها عروس وهي ياقوته خضراء، والسماء السابعة إسمها عجماء وهي درة بيضاء الحديث^١.

خيز محمد بن زياد و علي بن محمد بن صياد عن أبيهما عن الحسن بن علي عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لتعتبروا ولتتوصلوا به إلى رضوانه

وتتوقوا به من عذاب نيرانه ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أخذ في خلقها وإتقانها ﴿فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كلما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم.^١

علي بن محمد بإسناده رفعه قال: أني علي بن أبي طالب عليه السلام يهودي فقال: يا أمير المؤمنين إني أسألك عن أشياء إن أنت أخبرتني بها أسلمت، قال علي عليه السلام: سألني يا يهودي عما بدالك فإنك لا تصيب أحداً أعلم منا أهل البيت فقال له اليهودي: - إلى أن قال: - لم سميت السماء سماء؟ فقال عليه السلام أما: ... وسميت السماء سماءً: لأنها وسم الماء يعني معدن الماء الحديث.^٢

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في خطبة: ... ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره حمله على متن الريح العاصفة والززع القاصفة، فأمرها برده وسلطها على شدة وقرنها إلى حده. الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبها وأدام مربها واعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخصته نخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء. ترد أوله إلى آخره وساجيه إلى مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفق وجومنفق، فسوى منه سبع سموات جبل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمرأ منيراً في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر الخطبه.^٣

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢، ح ٢٩.

٢. علل الشرايع ١/ ١، ح ١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

الطوسي قال: ... فالذي روى في الأخبار: أن الله تعالى لما خلق الأرض، خلقها بعد الماء فصعد منه بخار وهو الدخان، فخلق الله منه السماوات ثم قال الشيخ: وذلك جائز لا يمنع منه مانع.^١

ونقل العلامة المجلسي^٢ في بحار الأنوار^٣ روايات في المقام نقلاً من السيوطي في الدر المنثور^٤ وابن الاثير في الكامل في التاريخ^٥ فراجعها إن شئت وهكذا راجع إلى بحار الأنوار^٥.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

انتقلت الآيات من خلق الأرض والسماوات إلى خلق آدم والغاية منه ثم عصيانه وهبوطه إلى الأرض وهو أشرف مخلوقات الله والكل خلق له كما مر في الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت خلق آدم إلى خلق الأرض والسماوات.

﴿إِذْ﴾ اسم مبني على السكون في محل نصب، مفعول به بفعل محذوف تقديره: «اذكر».

﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى

١. التبيان ١/ ١٢٨.

٢. بحار الأنوار ٥٤/ ٢٠٤ (٢٢/ ١٢٠) و ٥٤/ ٣١٥ (٢٢/ ١٨٤).

٣. الدر المنثور ١/ ٤٢ و ٤٣.

٤. الكامل في التاريخ ١/ (٢٠-١٦).

٥. بحار الأنوار ٥٤/ (٣١٥-٢) (٢٢/ ١٨٤-١).

رسول الله ﷺ لِيُعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ مِنْ خَلْقِ آدَمَ إِنَّهُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
والمراد بالقول هنا الإلقاء في النفس.

﴿لِمَلَكَةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾. الملائكة: جمع مَلَك، والتاء لتأكيد الجمعية.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد. مقول القول.

﴿جَاعِلٌ﴾ خبر، أي فاعل وخالق. فالمراد بالجعل هنا التكوين.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاعِلٌ﴾.

﴿خَلِيفَةً﴾ مفعول به لـ ﴿جَاعِلٌ﴾ لأنه يعمل عمل فعله. «الخليفة: الفَعِيلَةُ من قولهم: خَلَفَ فلانٌ فلاناً في هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى الملائكة. وما بعده

مقول القول.

﴿أَ﴾ أداة استفهام، على وجه التألم والتوجّع والاعتماد والاستعلام لوجه التدبير

فيه.

﴿تَجْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» يرجع إلى «الله» تعالى.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَجْعَلُ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْأَرْضِ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مفعول به.

﴿يُفْسِدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». والمراد بالفساد أعم من

الشخصي والنوعي. وصيغة المضارع تدلّ على التجدد والحدوث دون الدوام.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُفْسِدُ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَسْفِكُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». معطوف على ﴿يُفْسِدُ﴾.

السفك: صَبُّ الدم خاصة دون غيره من الماء وجميع المائعات.

﴿الْدِّمَاءِ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ حالية. ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ.

﴿نُسِيْحُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن». خبر. وجملة ﴿نَحْنُ نُسِيْحُ﴾ حال. التسييح: التنزيه من السوء على وجه التعظيم.
 ﴿يَحْمَدُكَ﴾ جار و مجرور و مضاف إليه. متعلق بـ ﴿نُسِيْحُ﴾. والباء: للملابسة:
 أي ﴿نُسِيْحُ﴾ تسييحاً مصحوباً بالحمد لك.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿نُقَدِّسُ﴾ معطوف على ﴿نُسِيْحُ﴾. التقديس: التنزيه والتطهير وهو إما بالفعل أو الاعتقاد.

﴿لَكَ﴾ جار و مجرور متعلق بـ ﴿نُقَدِّسُ﴾.
 ﴿قَالَ﴾ فعل ماض و فاعله ضمير مستتر «هو». وبعده مقول القول.
 ﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
 ﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع و فاعله ضمير مستتر «أنا».
 ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع و فاعله. أي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ أنَّ في نسل آدم أنبياء الله ورسله وخاتمهم وأفضلهم ﷺ ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام وهم خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده.

الروايات

خبر إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ألا تدلني إلى من أخذ عنه ديني؟ فقال: هذا ابني علي، إنَّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: يا بني، إنَّ الله ﷻ قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وإنَّ الله ﷻ إذا قال قولاً وفق به. ١.

خبر أبي عباد عمران بن عطية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا أبي عليه السلام وأنا في الطواف إذ أقبل رجل شرجب من الرجال، فقلت: وما الشرجب أصلحك الله؟ قال: الطويل، فقال: السلام عليكم وأدخل رأسه بيني وبين أبي، قال: فالتفت إليه أبي وأنا فرددنا عليه السلام، ثم قال: أسألك رحمك الله، فقال له أبي: نقضي طوافنا، ثم تسألني، فلما قضى أبي الطواف دخلنا الحجر فصلينا الركعتين، ثم التفت فقال: أين الرجل يا بني فإذا هو وراءه قد صلى، فقال: ممن الرجل؟ قال: من أهل الشام. فقال: ومن أي أهل الشام؟ فقال: ممن يسكن بيت المقدس، فقال: قرأت الكتابين قال: نعم، قال: سل عما بدالك، فقال: أسألك عن بدء هذا البيت وعن قوله: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^١، وعن قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^٢، فقال: يا أخا أهل الشام اسمع حديثنا ولا تكذب علينا فإنه من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ ومن كذب على رسول الله ﷺ فقد كذب على الله ومن كذب على الله عذبه الله ﻋﺬﺑﻪ. أما بدء هذا البيت فإن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردت الملائكة على الله ﻋﺰﻩ فقالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فأعرض عنها فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه فأمر الله ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة يسمى الصّراح بإزاء عرشه فصيره لأهل السماء يطوف به سبعون ألف ملك في كل يوم لا يعودون، ويستغفرون، فلما أن هبط آدم إلى السماء الدنيا أمره بممرمة هذا البيت وهو بإزاء ذلك فصيره لآدم وذريته كما صير ذلك لأهل السماء. قال: صدقت يا ابن رسول الله^٣.

المراد بالكتابين: القرآن والتوراة، الصّراح: بحذاء البيت المعمور وهو تحت العرش وتحت البيت المعمور وتحت الكعبة كما ورد في غير واحد من الروايات نحو ما ورد في علل ابن سنان المروي

١. سورة القلم / ١.

٢. سورة المعارج / ٢٤ و ٢٥.

٣. الكافي / ٤ / ١٨٧، ح ١.

عن الرضا عليه السلام المذكور في عيون أخبار الرضا عليه السلام ^١ ويأتي منا نقله فانتظر.

رفعه جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لما أحب أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعد ما مضى من الجن والنسّاس ^٢ في الأرض سبعة آلاف سنة، قال: ولما كان من شأن الله أن يخلق آدم عليه السلام للذي أراد من التدبير والتقدير لما هو مكوّن في السماوات والأرض، وعلمه لما أراد من ذلك كلّ، كشط ^٣ عن أطباق السماوات، ثم قال للملائكة: أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسّاس، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم، وغضبوا لله، وأسفوا على الأرض، ولم يملِكوا غضبهم أن قالوا: يا رب، أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن، وهذا خلقتك الضعيف الدليل في أرضك يتقلبون في قبضتك، ويعيشون برزقك، ويستمتعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام، لا تأسف ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك!

فلما سمع الله تعالى ذلك من الملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً لِّي عَلَيْهِمْ، فيكون حُجَّةً لِّي فِي أَرْضِي عَلَى خَلْقِي. فقالت الملائكة: سُبْحَانَكَ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وقالوا: فاجعله منا، فإننا لا نفسد في الأرض ولا نسفك الدماء.

قال جلّ جلاله: يا ملائكتي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنِّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، أجعل ذريته أنبياء مرسلين وعباداً صالحين وأئمة مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي، ينهونهم عن المعاصي، ويُنذرونهم عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي،

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٩١.

٢. النسّاس: هم يأجوج ومأجوج، وقيل: خلق على صورة الناس، أشبهوهم في شيء، وخالفوهم في

شيء، وليسوا من بني آدم، وقيل: هم من بني آدم.

٣. كشط الغطاء عن الشيء: إذا كشفته عنه.

وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِي، وَأَجْعَلُهُمْ حُجَّةً لِي عُذْرًا أَوْ نُذْرًا، وَأَيُّنَ النَّسْنَاسِ مِنْ أَرْضِي، فَأُطْهَرُهَا مِنْهُمْ، وَأُنْقَلِ مَرَدَّةَ الْجَنِّ الْعُصَاةِ عَنْ بَرِّيَّتِي وَخَلْقِي وَخَيْرَتِي، وَأُسْكِنُهُمْ فِي الْهَوَاءِ وَفِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، لَا يَجَاوِرُونَ نَسْلَ خَلْقِي، وَأَجْعَلْ بَيْنَ الْجَنِّ وَبَيْنَ خَلْقِي حِجَابًا، وَلَا يَرَى نَسْلَ خَلْقِي الْجَنِّ، وَلَا يُؤَانِسُونَهُمْ وَلَا يُخَالِطُونَهُمْ وَلَا يُجَالِسُونَهُمْ، فَمَنْ عَصَانِي مِنْ نَسْلِ خَلْقِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِي أَسْكَنْتَهُمْ مَسَاكِنَ الْعُصَاةِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَهُمْ وَلَا أَبَالِي.

فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا إِفْعَلْ مَا شِئْتَ ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إِنَّكَ أَنْتَ أَعْلَمُ الْحَكِيمِ^٢، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلَاسِلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^٣، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ تَقَدَّمَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فِي آدَمَ ﷺ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُ احْتِجَاجًا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: فَاغْتَرَفَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ فَصَلَّصَلَهَا فِجَمَدَتَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِنْكَ أَخْلُقُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِي الصَّالِحِينَ، وَالْأُتَمَّةَ الْمُهْتَدِينَ الدُّعَاةَ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَتْبَاعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَبَالِي، وَلَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ - يَعْنِي بِذَلِكَ خَلْقُهُ - .

ثُمَّ اغْتَرَفَ غُرْفَةً مِنَ الْمَالِ الْمِلْحِ الْأُجَاجِ، فَصَلَّصَلَهَا فِي كَفِّهِ فِجَمَدَتَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِنْكَ أَخْلُقُ الْجَبَّارِينَ وَالْفَرَّاعِنَةَ وَالْعُتَاةَ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ، وَأُتَمَّةَ الْكُفْرِ، وَالِدُّعَاةَ إِلَى النَّارِ وَأَتْبَاعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَبَالِي، وَلَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَأَشْتَرُطُ فِي

١. أَبَانَ الشَّيْءَ: فَصَلَّهُ وَأَبْعَدَهُ.

٢. سورة البقرة / ٣٢.

٣. سورة الحجر / ٢٨ و ٢٩.

٤. الصَّلَاسِلُ مِنَ الطِّينِ: مَا لَمْ يُجْعَلْ خَزَفًا، سُمِّيَ بِهِ لِتَصَلُّصِهِ، وَكُلُّ مَا جَفَّ مِنْ طِينٍ أَوْ فَخَّارٍ فَقَدْ صَلَّ صَلِيلًا.

ذلك البداء^١ فيهم، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء الله فيهم، ثم خلط المائين في كفه^٢ جميعاً فصلصَلهما ثم اكفأهما قدام عرشه، وهم بَلَّةٌ^٣ من طين.

ثم أمرا ملائكة الأربعة: الشمال، والدُّبُور، والصَّبا، والجنُوب أن جولوها؛ على هذه البَلَّة الطين، فأبرئوها وأنشئوها ثم جَزَّئوها وفصلوها، وأجروا فيها الطبائع الأربع: الريح، والبلغم، والمِرَّة، والدم، قال: فجالت عليها الملائكة الشمال، والجنُوب، والدُّبُور، والصَّبا، وأجروا فيها الطبائع، فالريح في الطبائع الأربع من قبل الشمال، والبلغم في الطبائع الأربع في البدن من ناحية الصَّبا، قال: والمِرَّة في الطبائع الأربع من ناحية الدُّبُور، قال: والدم في الطبائع الأربع من ناحية الجنُوب.

قال: فاستعلت^٥ النَّسْمَةُ^٦ وكَمَل البدن، قال: فلزمها من ناحية الريح: حُبَّ الحياة وطول الأمل والحرص ولَزِمها من ناحية البلغم: حُبُّ الطعام والشراب واللباس واللين والحلم والرفق، ولَزِمها من ناحية المِرَّة: الغضب والسَّفَه والشَّيْطَنة والتجبر والتمرد والعجلة، ولَزِمها من ناحية الدم: الشَّهْوَة للنساء واللذات ورُكُوب المحارم في الشهوات.

قال أبو علي الحسن بن محبوب، وأخبرني عمرو، عن جابر أن أبا جعفر عليه السلام

١. بدا له في الأمر: إذا ظهر له استصواب شيء غير الأول، والاسم منه البداء، وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى، كما جاءت به الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «بأن الله لم يبد له من جهل» وقال عليه السلام: «ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له».

٢. كل ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى، فإنها هي على سبيل المجاز والاستعارة، والله سبحانه مُنَزَّه عن التَّشْبِيهِ والتَّجْسِيم.

٣. في نسخة ثلثة، في الموضعين، وفي تفسير القمي والعلل: سُلالة، في الموضعين.

٤. جال يحول: إذا ذهب وجاء.

٥. في نسخة: فاستقلَّت، وهي بمعنى ارتفعت.

٦. النَّسْمَةُ: النفس، والنَّسْمَةُ: الإنسان.

أخبره أنه قال: وجدنا هذا الكلام مكتوباً في كتاب من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام.^١
العياشي رفعه عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: وما علم الملائكة
بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لو لا أنهم قد كانوا رأوا مَنْ يُفْسِدُ
فيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ.^٢

العياشي رفعه عن محمد بن مروان عن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: إني لأطوف
بالبیت مع أبي عليه السلام، إذا أقبل رجل طَوال^٣ جُعْشُم^٤ مُتَعَمِّمٌ بعمامةٍ، فقال: السلام عليك
يا بن رسول الله ﷺ، قال: فردَّ عليه أبي، فقال: أشياء أردت أن أسألك عنها، مابقي
أحد يعلمها إلا رجل أو رجلان.

قال: فلما قضى أبي الطَّواف دخل الحِجره فصلِّي ركعتين، ثم قال: ها هنا يا
جعفر، ثم أقبل على الرجل، فقال له أبي: كأنك غريب؟ فقال: أجل، فأخبرني عن هذا
الطَّواف، كيف كان؟ ولم كان؟

قال: إن الله لما قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إلى آخر الآية، كان ذلك من يعصي منهم، فاحتجب عنهم سبع سنين،
فلاذوا بالعرش يلودون، يقولون: لبيك ذا المعارج لبيك؛ حتى تاب عليهم، فلما
أصاب آدم الذَّنْب طاف بالبیت حتى قَبِلَ الله منه، قال: فقال: صَدَقْتَ، فعَجِبَ أبي من
قوله: صَدَقْتَ.

١. تفسير العياشي ١/ ١٠٩، ح ٦؛ وهكذا اوردت الرواية في تفسير القمي ١/ ٣٦؛ وعلل الشرائع

١٠٤/، ح ١؛ وبحار الأنوار ١١/ ١٠٣، ح ١٠ و ٥٨/ ٢٩٨، ح ٧.

٢. تفسير العياشي ١/ ١١٣، ح ٧.

٣. الطَّوال: الطويل.

٤. الجُعْشُم: القصير الغليظ مع شدة.

٥. الحِجْر: حِجْر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبیت جانب الشمال.

قال: فأخبرني عن: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^١، قال: نون نهر في الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن، قال: فأمر الله القلم، فجرى بها هو كائن وما يكون، فهو بين يديه موضوعٌ ماشاء منه زاد فيه، وما شاء نقص منه، وما شاء كان، وما لا يشاء لا يكون. قال: صدقت، فعجب أبي من قوله صدقت.

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾^٢، ما هذا الحق المعلوم؟ قال: هو الشيء يُخْرِجه الرجل من ماله ليس من الزكاة، فيكون للنائبة والصلّة، قال: صدقت. قال: فعجب أبي من قوله صدقت. قال: ثم قام الرجل، فقال أبي: عليّ بالرجل، قال: فطلّبتّه فلم أجده^٣.

العياشي رفعه عن محمد بن مروان قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: كنت مع أبي في الحجر، فبينما هم قائم يصلي إذ أتاه رجل فجلس إليه، فلما انصرف سلّم عليه، قال: إنّي أسألك عن ثلاثة أشياء، لا يعلمها إلّا أنت ورجل آخر، قال: ما هي؟ قال: أخبرني أي شيء كان سبب الطّواف بهذا البيت؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، ردّت الملائكة فقالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال: إني أعلم ما لا تعلمون^٤، فعضب عليهم، ثم سألوه التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضّراح، - وهو البيت المعمور - فمكثوا به يطوفون به سبع سنين، يستغفرون الله ممّا قالوا: ثم تاب عليهم من بعد ذلك ورضي عنهم، فكان هذا أصل الطّواف. ثم جعل الله البيت الحرام حذاء الضّراح، توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم، فقال: صدقت^٤.

١. سورة القلم / ١.

٢. سورة المعارج / ٢٤.

٣. تفسير العياشي ١/ ١١٣، ح ٨؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٩٦/ ٢٠٤، ح ١٧.

٤. إلى هنا ورد في الكافي ٤/ ١٨٨، ح ٢ مسنداً عن محمد بن مروان.

ثم ذكرت المسألتين نحو الحديث الأول، ثم قام الرجل، فقلت: من هذا الرجل يا أبه؟ فقال: يا بني هذا الخضر عليه السلام.^١

العباشي رفعه عن علي بن الحسين، في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ردوا على الله فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وإنما قالوا ذلك بخلق مضى، يعني الجان ابن الجن ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فمَنُوا على الله بعبادتهم إياه، فأعرض عنهم.

ثم علم آدم الأسماء كلها، ثم قال للملائكة: ﴿أُنَبِّئُكُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾^٢ قالوا: لا علم لنا، قال: ﴿يَتَذَكَّرُ أُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^٣، فأنبأهم، ثم قال لهم: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^٤ فسجدوا، وقالوا في سُجُودهم في أنفسهم - : ما كُنَّا نَظُنُّ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا، نحن خُزَّانُ اللَّهِ وَجِيرَانُهُ، وَأَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ! فَلَمَّا رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، قَالَ: اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ مِنْ رَدِّكُمْ عَلَيَّ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ، ظَنَّنَا أَنْ لَا يَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا.

فلما عرفت الملائكة أنها وقعت في خطيئة لا ذوا بالعرش، وإنها كانت عِصَابَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَ الْعَرْشِ، لَمْ يَكُنْ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ قَالُوا: مَا ظَنَّنَا أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا، وَهُمْ الَّذِينَ أُمِرُوا بِالسُّجُودِ، فَلَا ذُوا بِالْعَرْشِ وَقَالُوا بِأَيْدِيهِمْ - وَأَشَارَ بِأَصْبَعِهِ يَدِيرُهَا - فَهُمْ يَلُودُونَ حَوْلَ الْعَرْشِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ، جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْبَيْتَ لِمَنْ أَصَابَ مِنْ وَلَدِهِ خَطِيئَةً أَتَاهُ فَلَاذُ بِهِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ عليه السلام كما لا ذ أولئك بالعرش.

١. تفسير العياشي ١/ ١١٤، ح ٩؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٩٦/ ٥، ح ١٨.

٢. سورة البقرة / ٣١.

٣. سورة البقرة / ٣٣.

٤. سورة البقرة / ٣٤.

فلَمَّا هَبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ طَافَ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمُسْتَجَارِ دَنَا مِنَ الْبَيْتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، اغْفِرْ لِي، فَنُودِيَ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَلَوْلَدِي، قَالَ: فَنُودِيَ يَا آدَمُ، مَنْ جَاءَنِي مِنْ وَلَدِكَ فَبَاءَ بِذَنْبِهِ^١ هَذَا الْمَكَانَ، غَفَرْتُ لَهُ. ٢ العياشي رفعه عن عيسى بن حمزة^٣، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: جُعِلَتْ فِدَاكَ، إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الدُّنْيَا عُمُرُهَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ! فَقَالَ: لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَهَا خَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ فَتَرَكَهَا قَاعًا قَفْرًا خَاوِيَةً عَشْرَةَ آلَافِ عَامٍ، ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ بَدَاءً، فَخَلَقَ فِيهَا خَلْقًا لَيْسَ مِنَ الْجِنِّ وَلَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَا مِنَ الْإِنْسِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ عَشْرَةَ آلَافِ عَامٍ، فَلَمَّا قَرُبَتْ آجَالُهُمْ أَفْسَدُوا فِيهَا، فَدَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ تَدْمِيرًا، ثُمَّ تَرَكَهَا قَاعًا قَفْرًا خَاوِيَةً عَشْرَةَ آلَافِ عَامٍ.

ثُمَّ خَلَقَ فِيهَا الْجِنَّ، وَقَدَّرَ لَهُمْ عَشْرَةَ آلَافِ عَامٍ، فَلَمَّا قَرُبَتْ آجَالُهُمْ أَفْسَدُوا فِيهَا، وَسَفَكُوا الدَّمَاءَ، وَهُوَ قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كَمَا سَفَكَتْ بَنُو الْجَانِّ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ فَخَلَقَ آدَمَ، وَقَدَّرَ لَهُ عَشْرَةَ آلَافِ عَامٍ، وَقَدْ مَضَى مِنْ ذَلِكَ سَبْعَةُ آلَافِ عَامٍ وَمِائَتَانِ، وَأَنْتُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. ٥

العياشي رفعه عن زرارة قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ مِنْ أَحَادِيثِ الشَّيْعَةِ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ عِنْدِي مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا، قَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوقِدَ لَهَا نَارًا، ثُمَّ أُحْرِقَهَا، فَقَالَ: أَرَاهَا وَبَيِّنَا^٦ مَا أَنْكَرْتَ مِنْهَا. فَخَطَرَ عَلَى بَالِي الْأَدَمِيِّونَ^٧، فَقَالَ لِي: مَا

١. أي أعترف به.

٢. تفسير العياشي ١/ ١١٥، ح ١٠؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٩٦/ ٢٠٥، ح ١٩.

٣. في نسخة: عيسى بن أبي حمزة، راجع رجال النجاشي / ٢٩٤؛ ومعجم رجال الحديث ١٣/ ١٨٤.

٤. أي خالية، يقال: خوى المنزل، أي خلا من أهله.

٥. تفسير العياشي ١/ ١١٦، ح ١١؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٥٤/ ٨٦، ح ٧٢.

٦. في البصائر: ولم هات، وفي نسخة: وارهأ بيتنا، وفي نسخة أخرى: وأرهأ ننسا.

٧. كذا، وفي البحار: على بالي الأمور.

كان علم الملائكة حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^١.
قال: وكان يقول أبو عبد الله عليه السلام: إذا حدث بهذا الحديث: هو كسر على

القدرية. ٢.

العياشي رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: إن آدم كان له في السماء خليل من الملائكة، فلما هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك، وشكا إلى الله، وسأله أن يأذن له فيهبط عليه، فأذن له فهبط عليه، فوجده قاعداً في قفرة من الأرض، فلما رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحة، قال أبو عبد الله عليه السلام: يروون أنه أسمع عامة الخلق.

فقال له الملك: يا آدم، ما أراك إلا قد عصيت ربك، وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال الله لنا فيك فرددنا عليه؟ قال: لا. قال: قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟، فهو خلقك أن تكون في الأرض، يستقيم أن تكون في السماء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله، عزى بها آدم ثلاثاً^٣.
خبر ابن أبي عمير عن أصحابنا عن أحدهما عليه السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فقال الملكان من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ف وقعت الحجب في ما بينهما وبين الله تعالى وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة فلما وقعت

١. بصائر الدرجات / ٢٥٦، ح ٦؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٨٢ / ٢٥، ح ٢٨، قال المجلسي رحمته الله: لعل زرارة كان ينكر أحاديث من فضائلهم لا يحتملها عقله فنبهه عليه السلام بذكر قصة الملائكة وإنكارهم فضل آدم عليهم وعدم بلوغهم إلى معرفة فضله، على أن نفي هذه الأمور من قلة المعرفة، ولا ينبغي أن يكذب المرء بما لم يحيط به علمه، بل لا بد أن يكون في مقام التسليم، فمع قصور الملائكة مع علو شأنهم عن معرفة آدم لا يبعد عجزك عن معرفة الأئمة عليهم السلام.

٢. تفسير العياشي ١ / ١١٧، ح ١٢.

٣. تفسير العياشي ١ / ١١٨، ح ٣.

الحجب بينه وبينهما علما أنه قد سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلوذا بالعرش، قال: فلاذا بالعرش حتى انزل الله تعالى توبتهما ورفعت الحجب في ما بينه وبينهما، وأحبَّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطواف حوله وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.^١

خبر أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت: لم صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة وجعله مثابة ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وآمناً فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكل ألف سنة شوطاً واحداً.^٢

الصدوق باسناده إلى علل محمد بن سنان قال: إنَّ علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه في جواب مسأله: ... وعلة الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟ فردوا على الله تعالى هذا الجواب فندموا ولاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبَّ الله ﷻ أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى المعمور بحذاء الضراح ثم وضع هذا البيت بحذاء

١. علل الشرايع ٢/٤٠٣، ح ٣.

٢. علل الشرايع ٢/٤٠٦، ح ١.

البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به، فتاب الله عليه السلام عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة، الحديث. ١

خبر أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله ﷺ: إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظم عند الله ﷻ من يوم الاضحى ويوم الفطر، فيه خمس خصال: خلق الله ﷻ فيه آدم عليه السلام وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض وفيه توفي الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا آتاه، ما لم يسأل حراماً وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بر ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة. ٢

خبر الحسين بن بشار عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون، أو لا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: إن الله هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٣ وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٤ فقد علم الله ﷻ أنه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه، قال للملائكة لما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فلم يزل الله ﷻ علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا تعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربنا علماً سميعاً بصيراً. ٥

خبر يحيى بن سعيد البلخي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بينما أنا أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرقات المدينة: إذا لقينا شيخاً طويلاً كث اللحية، بعيد ما بين المنكبين، فسلم على النبي ﷺ ورحب به

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٩١ / ح ١.

٢. الخصال ١ / ٣١٥، ح ٩٧.

٣. سورة الجاثية / ٢٩.

٤. سورة الأنعام / ٢٨.

٥. التوحيد / ١٣٦، ح ٨.

ثم التفت إلى فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله ﷺ: بلى، ثم مضى، فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله إن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة المجعل فيها آدم عليه السلام وقال: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^١ فهو الثاني وقال ﷻ حكاية عن موسى حين قال لهارون عليه السلام: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾^٢ فهو هارون إذا استخلفه موسى عليه السلام في قومه فهو الثالث، وقال ﷻ: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ آلِهَةٍ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾^٣ فكنت أنت المبلغ عن الله ورسوله وأنت وصيي ووزير وقاضي ديني والمؤدي عني وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أو لا تدري من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم.^٤

كث اللحية: اجتمع شعرها وكثف وجعد من غير طول.

ابن شاذان القمي استاذ الكراجكي قال في كتابه مائة منقبة في المنقبة التاسعة والخمسون ما نصه: حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن الحسن بن محمد السكوني قال: حدثني الحسن بن محمد البجلي قال: حدثني أحمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال: حدثني أبي عن جدي الحسين بن زيد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: من لم يقل إني رابع الخلفاء الأربعة فعليه لعنة الله. قال الحسين بن زيد: فقلت لجعفر بن محمد عليه السلام: قد رويتم غير هذا، فإنكم لا تكذبون؟ قال: نعم، قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

١. سورة ص / ٢٦.

٢. سورة الأعراف / ١٤٢.

٣. سورة التوبة / ٣.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٩، ح ٢٣.

لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿١﴾ فكان آدم أول خليفة الله وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ^١ فكان داود الثاني وكان هارون خليفة موسى قوله تعالى ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ ^٢ وهو خليفة محمد ﷺ فَمَنْ لم يقل إِنِّي رابع الخلفاء الأربعة فعليه لعنة الله. ^٣

الطوسي رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: أَنَّ الملائكة سألت الله أن يجعل الخليفة منهم وقالوا: نحن نقديسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، فقال ابو عبد الله عليه السلام: فلما اجيبوا بما ذكر الله في القرآن، علموا أنهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدم عليه السلام بعد هبوطه أن يبنّي لهم في الأرض بيتاً يلود به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون، فقال الله تعالى: إِنِّي أعرف بالمصلحة منكم، وهو معنى قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ^٤

علي بن إبراهيم القمي رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام انه قال: وجدناه هذا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: فخلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصوراً، فكان يمرّ به إبليس اللعين، فيقول: لأمرٍ ما خلقت؟! فيقول: لعالمٍ!

فقال العالم عليه السلام: فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا لأعصيه، قال: ثم نفخ فيه، فلما بلغت الروح إلى دماغه، عطس عطسة فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك الله.

قال الصادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة. ^٥

١. سورة ص / ٢٦.

٢. سورة الأعراف / ١٤٢.

٣. مائة منقبة / ١٢٥؛ ونقل عنه في البرهان ١ / ١٦٩، ح ١٤٤.

٤. التبيان ١ / ١٣٦.

٥. تفسير القمي ١ / ٤١.

ورواها الميرزا محمد المشهدي رحمته الله في كنز الدقائق^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام انه قال: لما قيل لهم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^٢ الآية، قالوا: متى كان هذا؟ فقال الله تعالى حين قال ربك للملائكة الذين في الأرض [مع إبليس وقد طردوا عنها الجن بني الجن وخفت العباد]: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بدلاً منكم ورافعكم منها فاشتد ذلك عليهم، لأن العبادة عند رجوعهم إلى السماء تكون ثقل عليهم.

﴿قَالُوا﴾ ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ وكما فعلته الجن بنو الجن، الذين قد طردناهم عن هذه الأرض ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك من الصفات ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نظهر أرضك ممن يعصيك. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إني أعلم من الصلاح الكائن فيمن أجعله بدلاً منكم ما لا تعلمون، وأعلم أيضاً أن فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه وهو إبليس لعنه الله الحديث^٣.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾



شروع في بيان فضيلة خليفة الله في أرضه وأن حياته ابتداءً بالتعليم.

﴿وَ﴾ عاطفة. معطوف على قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿عَلَّمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿رَبُّكَ﴾. ابتدأت

١. كنز الدقائق ١/ ٢٢٤.

٢. سورة البقرة / ٢٩.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١٦.

الحياة البشرية بالتعليم والمعلم الأول هو «الله» تعالى وتعليمه بالإلهام.
 ﴿ءَادَمَ﴾ مفعول به أول. و ﴿ءَادَمَ﴾ ابوالبشر واسم الإنسان الأول.
 ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ مفعول به ثان. جمع اسم. و «ال» للجنس يفيد معنى الاستغراق
 ولعل المراد بها «ذوات المسميات وحقائق الأشياء لوجود خاصية الاسم فيها، لأنّ
 الاسم ما أنبأ عن المسمى»^١.

والظاهر أنّها غائبة عن العالم السماوي وخارجة عن محيط الكون، وقوله:
 ﴿عَرَضَهُمْ﴾ يدلّ على أنهم أصحاب حياة وعلم وكانوا في غيب عالم الكون، والحاصل:
 «إنّ هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله
 تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركتها
 واشتق كل ما في السموات والأرض من نورها وبهائها، وأنهم على كثرتهم وتعدددهم
 لا يتعددون تعدد الأفراد، ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، وانما يدور الأمر هناك
 مدار المراتب والدرجات ونزول الاسم من عند هؤلاء انما هو بهذا القسم من
 النزول»^٢.

ولذا تمّ عندنا مقالة شيخنا الصدوق في أنّ المراد بها: «أسماء الأئمة عليهم السلام»^٣ كما
 يأتي في ذيل الروايات فانتظر.

﴿كُلَّهَا﴾ تأكيد ومضاف إليه. ﴿كُلَّ﴾ لفظة عموم على وجه الاستيعاب
 والاستغراق. والضمير يرجع إلى ﴿الْأَسْمَاءَ﴾.
 ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي لا الزماني.

﴿عَرَضَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. «وحقيقة

١. مواهب الرحمن ١/ ٢١٥.

٢. الميزان ١/ ١١٨.

٣. كمال الدين وقام النعمة ١/ ١٥.

العَرَضُ: الإظهار للشيء لِيَتَصَفَّحَ^١. ويظهر من الضمير المفعولي أَنَّ ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ كانت من ذوي العقول والحياة والعلم كما مرّ.

﴿عَلَى الْمَلَكَةِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿عَرَضَهُمْ﴾. ﴿فَ﴾ تفرّيع على العرض. ﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿رَبُّكَ﴾. وما بعده مقول القول.

﴿أُنَبِّئُكَ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية ومفعول به. الضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿الْمَلَكَةِ﴾ والمفعولي يرجع إلى «الله» تعالى. الإنباء: الإعلام والإخبار. ﴿أُنَبِّئُكَ﴾: أخبروني. والأمر تعجيزي والنبأ: الخبر المهم والانباء: الإخبار به.

﴿بِأَسْمَاءَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أُنَبِّئُكَ﴾. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم إشارة إلى الحاضرة مضاف إليه. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه. فعل الشرط. وحذف الجواب لوضوح معناه.

﴿صَدِيقَيْنِ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. في ما أنكم أفضل من آدم ولو بالخطور في نفوسهم أو إنكار أنّه ﷺ خليفة الله في أرضه أو أنكم تعلمون حقائق الأشياء وواقعياتها.

الروايات

صحيحة معروف بن خربوذ عن أبي جعفر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: إِنَّ رَبِّي مَثَلُ لِي أُمِّي فِي الطِّينِ وَعَلَّمَنِي أَسْمَاءَهُمْ كُلَّهَا كَمَا عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا فَمَرَّ بِي أَصْحَابُ الرِّايَاتِ فَاسْتَغْفَرْتُ لَكَ وَلَشِيعَتِكَ يَا عَلِيّ، إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي فِي شِيعَتِكَ خَصْلَةً، قُلْتُ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم واتقى لا يغادر

منهم صغيرة ولا كبيرة ولهم تبدل سيئاتهم حسنات.^١
 نحوها صحيحة أخرى لمعروف بن خربوذ المروية في بصائر الدرجات^٢ ومثلها عدة من
 الروايات الأخر المرويات في بصائر الدرجات^٣ فراجعها.
 خبر محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: أهدى إلى رسول الله ﷺ والجوج
 فيه حبّ مختلط فجعل رسول الله ﷺ يلقي إلى عليّ حبة حبة ويسأله أي شيء هذا
 وجعل عليّ يخبره، فقال رسول الله ﷺ: أما أن جبرئيل أخبرني أن الله علّمك إسم
 كلّ شيء كما علّم آدم الأسماء كلّها.^٤
 خبر محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اهدى إلى رسول الله ﷺ حبّ
 فيطره من اليمن فوصفه بين يديه فقال: يا علي ما هذه وما هذه؟ فأخذ علي عليه السلام يجيبه
 عن شيء، فقال: إنّ جبرئيل أخبرني إنّ الله علّمك الاسماء كما علّم آدم عليه السلام.^٥
 العياشي رفعه عن أبي العباس، عن أبي عبد الله عليه السلام، سألته عن قول الله: ﴿وَعَلَّمَ
 ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ماذا علّمه؟ قال: الأرضين، والجبال، والشعاب^٦، والأودية، ثم
 نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط ممّا علّمه.^٧
 العياشي رفعه عن الفضل بن عباس، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قول
 الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ما هي؟ قال: أسماء الأودية، والنبات، والشجر،

١. بصائر الدرجات / ٨٥، ح ١١.

٢. بصائر الدرجات / ٨٦، ح ١٣.

٣. بصائر الدرجات / ٨٣، ح ١٤.

٤. بصائر الدرجات / ٤١٨، ح ١.

٥. كذا والظاهر أنّه فطير.

٦. بصائر الدرجات / ٤١٩، ح ٢.

٧. الشعاب: جمع شعب وهو الطريق في الجبل.

٨. تفسير العياشي ١ / ١١٨، ح ١٤.

والجبال من الأرض. ١

العباشي رفعه عن داود بن سرحان العطار، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام، فدعا بالحوّان فتغدينا، ثمّ جاءوا بالطّشت والدّست سنانه، فقلت: جعلت فداك، قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، الطّشت والدست سنانه منه؟ فقال: والفُجّاج والأودية وأهوى بيده، كذا وكذا. ٢

الدّست سنانه: معرّب كلمة الدست شوية بالفارسية.

الفُجّاج: الطريق الواسع بين جبلين وفي نسخة العجاج بدلها.

خبر أيمن بن محرز عن الصادق عليه السلام: أنّ الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم - وهم أرواح - على الملائكة فقال: ﴿أُنَبِّئُوكَ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنّكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسيحكم وتقديسكم من آدم عليه السلام ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٣ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَقَادَمُ أَنْبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ٤ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنّهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدتهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ٥.

ذكر الصدوق عليه السلام في ختام الرواية سنداً آخرّاً بالحديث فراجعه وقال بعد صفحة: «... فصحّ أنّ قوله عليه السلام ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أراد به أسماء الأئمة عليهم السلام ... فمعنى الأسماء أنّه سبحانه علّم آدم عليه السلام أوصاف الأئمة كلّها أوّلها وآخرها ومن أوصافهم: العلم والحلم والتقوى والشجاعة

١. تفسير العبّاشي ١/ ١١٨، ح ١٥.

٢. تفسير العبّاشي ١/ ٩١١، ح ١٦.

٣. سورة البقرة / ٣٢.

٤. سورة البقرة / ٣٣.

٥. سورة البقرة / ٣٣.

٦. كمال الدين وتام النعمة ١/ ١٣.

والعصمة والسخاء والوفاء... كذلك علّم الله ﷻ آدم الأسماء كلّها^١.

الطوسي رفعه عن النبي ﷺ انه قال: خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض [وقيل: قبضها ملك الموت] فجاء بنو آدم على قدر ذلك: منهم الأسود والأحمر والأبيض، والسهل والحزن، والخبيث والطيب^٢.

الطبرسي رفعه عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية، فقال: الأرضين والجبال والشعاب والادوية ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط ممّا علّمه^٣.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في تنمة الرواية الماضية في ذيل الآية السابقة: قال الإمام العسكري عليه السلام: ... ثمّ قال: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أسماء أنبياء الله وأسماء محمد ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والطيبين من آلهم، وأسماء الرجال من شيعتهم وعتاة أعدائهم. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ عرض محمداً ﷺ وعلياً عليه السلام والأئمة عليهم السلام ﴿عَلَى الْمَلَكَةِ﴾ أي عرض أشباحهم وهو أنوار في الأظلة ﴿فَقَالَ أُنِيعُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن جميعكم تسبحون وتقدسون، وأن ترككم هاهنا أصلح من إيراد من بعدكم، أي فكما لم تعرفوا غيب من في خللكم، فالخري أن لا تعرفوا الغيب إذا لم يكن، كما لا تعرفون أسماء أشخاص ترونها الحديث^٤.

١. كمال الدين وتمام النعمة ١٥ / ١.

٢. التبيان ١٣٦ / ١ (٢٧ / ٢).

٣. مجمع البيان ٧٦ / ١.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام. ٢١٦ / ١.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

«هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى عن ملائكته: بالرجوع إليه والأوبة وتسليم أنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله»^١.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿الْمَلَكَةِ﴾. يعني أجابوا بعد العرض عليهم. وما بعده مقول القول.

﴿سُبْحَنَكَ﴾ مفعول مطلق بفعل محذوف ومضاف إليه. نسبح ﴿سُبْحَنَكَ﴾. وهذه الكلمة تقال في مقام التوبة كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^٢ و﴿سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾^٣. ووقوف منهم في مقام الأدب والتعظيم لربِّ الأرباب.

﴿لَا﴾ نافية للجنس. ﴿عِلْمٌ﴾ اسمها.

﴿لَنَا﴾ جارٍ ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾ المحذوف. أي ﴿لَا عِلْمٌ﴾ موجود أو كائن ﴿لَنَا﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به أول مقدم ﴿عَلَّمْتَنَا﴾.

﴿عَلَّمْتَنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به ثانٍ. و ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعتراف منهم بالعجز والجهل وتقرير لقوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤.

﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

١. التبيان ٤٢/٢ (١/١٤١).

٢. سورة الأنبياء / ٨٧.

٣. سورة الأعراف / ١٤٣.

٤. سورة البقرة / ٣٠.

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد لضمير ﴿إِنَّكَ﴾. دال على الحصر.
 ﴿أَلْعَلِمُ الْحَكِيمُ﴾ خبراً ﴿إِنَّكَ﴾. تأكيد منهم على حصر العلم والحكمة في ذات الله تعالى أو في فعله.
 «والْحِكْمَةُ: هي التي تقف بك على مَرِّ الْحَقِّ الذي لا يخلطه باطل، والصدق الذي لا يشوبه كذب»^١.
 والجملة الأخيرة تعليل لقولهم: ﴿لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

روايتان

خبر مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذا قام إليه رجل فقال: أمير المؤمنين عليه السلام صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصَّ المسجد بأهله ثم قام متغيّر اللون فقال: الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه إلاّ عطاء إذ كل معط متقصّ سواه، المليء بفوائد النعم وعوائد المزيد وبجوده ضمن عيالة الخلق، فانهج سبيل الطلب للراغبين إليه، فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أضداد البحار من فلذ اللّجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده، لما أثر ذلك في وجوده، ولا أنفذ سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الافضال ما لا ينفده مطالب السؤال ولا يخطر لكثرته على بالٍ، لأنّه الجواد الذي لا تنقصه المواهب ولا يُنجله إلحاح الملحين ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^٢ الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسي كرامته وطول

١. التبيان ٤٤/٢ (١/١٤٢).

٢. سورة يس / ٨٢.

وَلَهُمْ إِلِيهِ وَتَعْظِيمُ جَلَالِ عَزِّهِ وَقُرْبِهِمْ مِنْ غَيْبِ مَلَكُوتِهِ أَنْ يَعْلَمُوا مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُمْ وَهُمْ مِنْ مَلَكُوتِ الْقُدُسِ بِحَيْثُ هُمْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى مَا فَطَرَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ قَالُوا «سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» الحديث. ١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في تنمة الرواية الماضية في ذيل الآية السابقة: ... قال الإمام العسكري عليه السلام: قالت الملائكة: «قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ» بكل شيء «الْحَكِيمُ» المصيب في كلِّ فعلٍ. الحديث. ٢.

«قَالَ يَتَّادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» ﴿٣٣﴾

تنمة محاوره الله تعالى مع الملائكة.

«قَالَ» فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر يرجع إلى «اللَّهِ». وما بعده مقول القول.

«يَتَّادُمُ» أداة نداء ومنادى. اسم منادى بحرف النداء مبني على الضم. «ابتداء خطاب آدم بنداؤه مع أنه غير بعيد عن سماع الأمر الإلهي للتنويه بشأن آدم وإظهار اسمه في الملأ الأعلى حتّى ينال بذلك حسن السمعة مع ما فيه من التكريم عند الأمر لأن شأن الأمر والمخاطب - بالكسر - إذا تُلطف مع المخاطب - بالفتح - أن يذكر اسمه

١. التوحيد / ٤٨، ح ١٣.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١٦.

ولا يقتصر على ضمير الخطاب حتى لا يساوي بخطابه كل خطاب^١.
﴿أُنَبِّئُهُمْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. خطاب لآدم
والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿الْمَلَكَةِ﴾. ﴿أُنَبِّئُهُمْ﴾: أعلمهم وأخبرهم.
﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أُنَبِّئُهُمْ﴾ والضمير يرجع إلى
﴿أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَّمَ^٢ اللَّهُ^٢ ءَادَمَ﴾ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ. ﴿فَ﴾
تفريع. ﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم بمعنى «حين».
﴿أُنَبِّئُهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿ءَادَمَ﴾ ومفعول به.
﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أُنَبِّئُهُمْ﴾.
﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾. جواب ﴿لَمَّا﴾.
﴿أَ﴾ استفهام تقرير. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.
﴿أَقُلُّ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنا». يرجع إلى ﴿اللَّهِ﴾.
﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور. والضمير يرجع إلى ﴿الْمَلَكَةِ﴾.
﴿إِنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
﴿أَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». خبر ﴿إِنِّي﴾.
﴿غَيْبَ﴾ مفعول به. ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَعَاطِفَةً﴾.
﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.
والجمله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بياناً لما أجمل في قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا
لَا تَعْلَمُونَ^٣﴾.

﴿وَعَاطِفَةً﴾. ﴿أَعْلَمُ﴾ معطوف على ﴿أَعْلَمُ﴾ السابق.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٠٣.

٢. سورة البقرة / ٣١.

٣. سورة البقرة / ٣٠.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿تُبْدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الابداء: الإظهار، والخطاب للملائكة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿مَا﴾ السابقة.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿تَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. الکتمان: الإسرار. وما يكتُمونه

ليس إلا أنهم يروون أنفسهم أفضل من آدم ويرون أنهم أحق بخليفة الله في أرضه.

الروايات

العايشي رفعه عن حَرِيز، عَمَّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما أن خلق الله آدم، أمر الملائكة أن يَسْجُدُوا له. فقالت الملائكة في أنفسها: ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا، فنحن جيرانه، ونحن أقرب خلقه إليه. فقال الله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ... مَا تُبْدُونَ وَمَا... تَكْتُمُونَ﴾ في ما أبدوا من أمر بني الجان، وَكَتَمُوا ما في أنفسهم، فَلَاذَتْ الملائكة الذين قالوا ما قالوا بالعرش.^١

خبر عبدالرحمن بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال [قال رسول الله ﷺ] ٢: إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى كان ولا شيء، فخلق خمسة من نور جلاله واشتق لكل واحد منهم اسماً من أسمائه المنزلة فهو الحميد وسماني محمداً وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً وله الأسماء الحسنی فاشتق منها حسناً وحسيناً وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه اسماً فلما خلقهم جعلهم في الميثاق عن يمين العرش وخلق الملائكة من نور فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسييح فذلك قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ^٣.

١. تفسير العياشي ١/ ١١٩، ح ١٧.

٢. إضافة من تقتضيه السياق.

٣. سورة الصافات / ١٦٥ و ١٦٦.

فلما خلق الله تعالى آدم نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي، خلقتهم من نور جلالي وشققت لهم اسماً من أسمائي، قال: يا رب فبحقك عليهم علّمني أسمائهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة سرّ من سرّي لا يطلع عليه غيرك إلّا بإذني، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطني على ذلك العهد فأخذ عليه العهد ثم علّمه أسمائهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علّمهم بأسمائهم ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَتَّخِذُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۙ^١، قال: ووافوا بولاية علي عليه السلام فرضاً من الله أوف لكم الجنة.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في تامة الرواية الماضية في ذيل الآية السابقة: قال الإمام العسكري عليه السلام: ... قال الله ﷻ: يا آدم أنبئ، هؤلاء الملائكة بأسمائهم وأسماء الأنبياء والأئمة فلما أنبأهم فعرفوها أخذ عليهم العهد والميثاق بالإيمان بهم والتفضيل لهم. قال الله تعالى عند ذلك ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ وما كان يعتقده إبليس من الإباء على آدم إن أمر بطاعته وإهلاكه إن سُلط عليه، ومن اعتقادكم أنّه لا أحد يأتي بعدكم إلّا وأنتم أفضل منه، بل محمد وآله الطيبون أفضل منكم، الذين أنبأكم آدم بأسمائهم.^٣

القاضي نعمان المصري رفعه عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤ قال: كان في

١. سورة البقرة / ٣٣-٣١.

٢. تفسير الفرات / (٥٨-٥٦)، ح ١٥ و ١٨؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٧/ ٦٢، ح ٣١ (١٥/ ٥٩٩).

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢١٦.

٤. سورة البقرة / ٣٠.

قولهم هذا منة على الله لعبادتهم، وانما قال ذلك بعض الملائكة لما عرفوا من حال من كان في الأرض من الجن قبل آدم فأعرض الله ﷻ عنهم، وخلق آدم ﷺ وعلمه الأسماء ثم قال: ﴿أُنَبِّئُكَ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ^١، قال لهم: اسجدوا لآدم فسجدوا، فقالوا في أنفسهم وهم سجدوا: ما كنا نظن أن الله يخلق خلقاً أكرم عليه منا ونحن جبرانه وأقرب الخلق إليه، فلما رفعوا رؤوسهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني ما أبدوه بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^٢ وما كتموه في أنفسهم، فقالوا: ما ظننا أن الله يخلق خلقاً أكرم عليه منا، فعلموا أنهم قد وقعوا في الخطيئة، فلاذوا بالعرش وطافوا حوله يسترضون ربهم فرضي عنهم.

وأمر الله الملائكة أن تبني في الأرض بيتاً لطوف به من أصاب ذنبا من ولد آدم ﷺ كما طافت الملائكة بعرشه فيرضي عنهم كما رضي عن ملائكته، فبنوا مكان البيت بيتاً رفع زمان الطوفان فهو في أسماء الرابعة، يلجه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، وعلى أساسه وضع إبراهيم ﷺ بناء البيت الحديث^٣.

١. سورة البقرة / ٣٣-٣١.

٢. سورة البقرة / ٣٠.

٣. دعائم الإسلام ١ / ٢٩١؛ ونقل عنه في مستدرک الوسائل ٩ / ٣٢٤، ح ٤.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّاۤ اِبٰلِیْسَ اَبٰی وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكٰفِرِیْنَ ﴿٢٤﴾

لَمَّا ظهر فضيلة آدم على الملائكة أمرهم بالسجود له حتى اعترفوا بفضلهم عملاً. ﴿وَ﴾ عاطفة، عطف القصة على القصة. عطف على ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ جَاعِلٌ فِی الْاَرْضِ خَلِیْفَةً﴾^١.

﴿إِذْ﴾ واعدة ﴿إِذْ﴾ تدلّ على أنّ الجملة مقصورة بذاتها. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿اللّٰهُ﴾. ﴿لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿قُلْنَا﴾. وَمَنْ في رتبته العالية. ﴿اَسْجُدُوْا﴾ فعل أمر وفاعله. مقول القول. السجود في اللغة هو التذلل والخضوع وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض خضوعاً لله تعالى. وهو على قسمين: الأوّل: «اختياري تعبدی، على الوجه المعروف لدى المسلمين، يوجب الثواب على الموافقة، والعقاب على المخالفة، كقوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوْا لِلّٰهِ وَاعْبُدُوْا﴾^٢.

وأخرى: تسخيری تكوينی، كسجود المخلوقات، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^٣٤.

وهذا الأمر من القسم الثاني لأنّ الملائكة ليس لهم اختيار. ﴿لِآدَمَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿اَسْجُدُوْا﴾. والسجود ﴿لِآدَمَ﴾ لا يدخل تحت

١. سورة البقرة / ٣٠.

٢. سورة النجم / ٦٢.

٣. سورة الرعد / ١٥.

٤. مواهب الرحمن / ١ / ٢٣١.

«أنَّ السجود في الإسلام لغير الله محرم لأن هذا شرع جديد نسخ ما كان في الشرائع الأخرى ولأن سجود الملائكة من عمل العالم الأعلى وليس ذلك بداخل تحت تكاليف أهل الأرض فلا طائل تحت إطالة البحث في أن آدم مسجود له أو هو قبلة للساجدين كالكعبة للمسلمين»^١.

﴿السببية والتعقيبية.

﴿سَجَدُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ويمكن أن يقال: «إنَّ سجود الملائكة لآدم ﷺ

يتصوّر على وجوه:

الأوّل: أن يكون السجود شكراً لله تعالى لهذه النعمة العظمى، بعد أن عرفوا منزلة آدم ﷺ فينطبق عليه التهنية لآدم ﷺ قهراً.

الثاني: أن يكون السجود الشكر لله تعالى مع قصد التهنية تبعاً لشكره تعالى.

الثالث: السجود لله محضاً وجعل آدم ﷺ قبلة، كما نسجد شكراً لله تعالى إلى

القبلة.

الرابع: السجود الحقيقي لآدم في مقابل السجود لله تعالى.

الخامس: السجود لله تعالى فقط، وجعل ذلك من الضميمة الخارجية الراجعة،

كالصلاة في المسجد مثلاً.

هذه هي الاحتمالات الثبوتية.

وأما في مقام الإثبات: فقد دلّ الدليل العقلي والنقلي على أن السجود غاية

التذلل والخشوع، ولا يكون إلا لمن هو في غاية العظمة والجلال، وبناءً على هذا يتعيّن

الوجه الأخير.

ويمكن أن يقال: إنّه بعد أمره تعالى بالسجود لآدم ﷺ، تسقط جميع تلك

الاحتمالات، إلا الوجه الرابع، لظهور الآية المباركة فيه.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/٤٠٨.

ولكن يُجَاب عنه: بأن ظهور الآية في ذلك الوجه ممنوع، بعد وجود تلك الاحتمالات، خصوصاً بعد ورود الرواية على أنه كان من سجدة الشكر لله تعالى^١.
﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿إِبْلِيسَ﴾ مستثنى. اسم خاص للشيطان الأكبر وهو من طائفة الجن وليس من الملائكة فالاستثناء منقطع وقد كتبت حوله ومكائده ومصايد وأمانيه ومواعيده ومواعظه، كتاباً وقد طبع^٢.

﴿أَبَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». أي ترك وامتنع.
﴿و﴾ عاطفة. ﴿أَسْتَكْبَرُ﴾ معطوف على ﴿أَبَى﴾. الاستكبار: شدة الكبر.
﴿و﴾ استئنافية.

﴿كَانَ﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه ضمير مستتر «هو». ويدل ﴿كَانَ﴾ على رسوخ معنى الخبر في إسمها.

﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور، خبر ﴿كَانَ﴾.
وهذه الجملة ﴿كَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ تدلّ على أنّ أرضية الكفر موجودة في ﴿إِبْلِيسَ﴾ ولكن كفر عصيان لا كفر جحود وظهر هذا الكفر من امتناعه للسجود واستكباره على الله تعالى.

الروايات

خبر علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لما رأى رسول الله ﷺ تيماً وعدياً وبني أمية يركبون منبره أفضعه، فأنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يتأسي به ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى﴾ ثم أوحى إليه يا محمد إني أُمِرْتُ فلم

١. مواهب الرحمن ١/ ٢٣٣.

٢. راجع كتاب إبليس اللعين، للمؤلف، منشورات دليل ما، قم، ١٤٢٩.

أطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وصيكَ.^١

صحيحة جميل قال: كان الطيار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة وإنما أمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال إبليس: لا اسجد، فما لابليس يعصى حين لم يسجد وليس هو من الملائكة؟ قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه السلام قال: فأحسن والله في المسألة، فقال: جعلت فداك أرايت ما ندب الله ﷻ إليه المؤمنين من قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم والضلال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة وكان إبليس ممن أقر بالدعوة الظاهرة معهم.^٢

الظاهر أن المراد بالطيار هو حمزة بن محمد الطيار وهو ممدوح مشكور معتبر، فما في تنقيح المقال^٣ من كونه إمامياً مجهولاً غير تام بما ورد في رجال الكشي بسند معتبر بل صحيح عن هشام بن الحكم قال: قال أبو عبد الله في شأنه: رحمه الله تعالى ولقاه نضرة وسروراً فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت عليه السلام.^٤

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله إن الكفر لأقدم من الشرك وأخبث وأعظم، قال: ثم ذكر كفر إبليس حين قال الله له: اسجد لآدم فأبى أن يسجد، فالكفر أعظم من الشرك فمن اختار على الله ﷻ وأبى الطاعة وأقام على الكبائر فهو كافر ومن نصب ديناً غير دين المؤمنين فهو مشرك.^٥

موثقة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر عنده سالم ابن أبي حفصة وأصحابه، فقال: إنهم ينكرون أن يكون من حارب علياً عليه السلام مشركين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: فإنهم يزعمون أنهم كفار، ثم قال لي: إن الكفر أقدم من الشرك ثم ذكر كفر إبليس حين قال

١. الكافي ١/ ٤٢٦، ح ٧٣.

٢. الكافي ٢/ ٤١٢، ح ١.

٣. تنقيح المقال ١/ ٣٧٧، طبع الحجري.

٤. اختيار معرفة الرجال / ٣٤٩، ح ٦٥١؛ ونقل عنه في جامع الرواة ١/ ٢٨١.

٥. الكافي ٢/ ٣٨٣، ح ٢.

له: اسجد فأبى أن يسجد وقال: الكفر أقدم من الشرك، فمن اجتري على الله فأبى الطاعة وأقام على الكبائر فهو كافر يعني مستخف كافر.^١
سالم بن ابن حفصة من البتريه الذين مرّ منا الكلام في شأنهم في ذيل الآية الثامنة من هذه السورة المباركة فراجع.

خبر موسى بن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الكفر والشرك أيهما أقدم؟ قال: فقال لي: ما عهدي بك تخاصم الناس، قلت: أمرني هشام بن سالم أن أسألك عن ذلك، فقال لي: الكفر أقدم وهو الحبود، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِلَهٌ أَبَدِيٌّ وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.^٢

رواها العياشي مرسلًا عن موسى بن بكير الواسطي في تفسيره.^٣

خبر جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أبلّيس أكان من الملائكة أم كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ فقال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء ولا كرامة، فأتيه الطيار فأخبرته بما سمعت فأنكره وقال: وكيف لا يكون من الملائكة؟ والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فدخل عليه الطيار فسأله وأنا عنده فقال له: جعلت فداك رأيت قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في غير مكان من مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذا المنافقون؟ قال: نعم: يدخل في هذا المنافقون والضّالّ وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة.^٤
ورواها العياشي في تفسيره^٥ وقد مرّ منا من المراد بالطيار أنفأ.

العياشي رفعه عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألت عن إبليس،

١. الكافي ٢/ ٣٨٤، ح ٣.

٢. الكافي ٢/ ٣٨٥، ح ٦.

٣. العياشي ١/ ١٢١، ح ٢٢.

٤. الكافي ٨/ ٢٧٤، ح ٤١٣.

٥. تفسير العياشي ١/ ١١٩، ح ١٨.

أكان من الملائكة، أو هل كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان من الجن، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان.^١

رواها في مجمع البيان^٢ عن الشيخ الصدوق بإسناده عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام في كتابه النبوة.

العياشي رفعه عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ أَوَّلَ كُفْرٍ بِاللَّهِ - حيث خلق الله آدم - كُفْرُ إبليس، حيث ردَّ على الله أمره، وأَوَّلَ الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه، وأَوَّلَ الحِرص حِرص آدم، نُهي عن الشجرة فأكل منها، فأخرجه حِرصه من الجنة.^٣

العياشي رفعه عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أَوَّلَ بُقْعَةٍ عُبِدَ اللهُ عليها ظَهَرُ الكُوفَةِ، لما أمر الله الملائكة أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ، سَجَدُوا على ظَهَرِ الكُوفَةِ.^٤

خبر يزيد بن سلام انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له في حديث: فأخبرني عن آدم لم سمى آدم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لأنه خلق من طين الأرض واديمها، قال: فآدم خلق من طين كله أو طين واحد؟ قال: بل من الطين كله، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة، قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أشقر وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق وفيه عذب وفيه ملح وفيه خشن وفيه لين وفيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب، قال: فأخبرني عن آدم

١. تفسير العياشي ١/ ١٢٠، ح ١٩.

٢. مجمع البيان ١/ ٨٢.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٢٠، ح ٢٠.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٢٠، ح ٢١.

خلق من حواء أم خلقت حواء من آدم؟ قال: بل حواء خلقت من آدم ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء ولم يكن بيد الرجال، قال: فمن كله خلقت أم من بعضه؟ قال: من بعضه، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في النساء كما يجوز في الرجال، قال: فمن ظاهره أو باطنه؟ قال: بل من باطنه ولو خلقت من ظاهره، لانكشفت النساء كما ينكشف الرجال فلذلك صارت النساء مستترات قال: فمن يمينه أو شماله؟ قال: بل من شماله ولو خلقت من يمينه لكان للانثى كحظ الذكر من الميراث، فلذلك صار للانثى سهم والذكر سهمان، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد. قال: فمن اين خلقت؟ قال: من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر، قال: صدقت يا محمد، الحديث.^١

علي بن محمد بن محمد بإسناده رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث: وسمى آدم آدم لأنه خلق من أديم الأرض وذلك أن الله تعالى بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء. وذلك من سهلها وحزنها ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب وماء ملح وماء مر وماء ممتن. ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين وأدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطين، فجعل الماء العذب في حلقة وجعل الماء المالح في عينيه وجعل الماء المر في أذنيه، وجعل الماء الممتن في أنفه، الحديث.^٢

معتبرة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أسرى برسول الله ﷺ وحضرت الصلاة، أذن جبرئيل وأقام الصلاة، فقال: يا محمد تقدّم، فقال له رسول الله ﷺ: تقدّم يا جبرئيل، فقال له: إنا لا نتقدم على آدميين منذ أمرنا

١. علل الشرايع / ٤٧٠، ح ٣٣.

٢. علل الشرايع / ١، ح ١.

بالسجود لآدم. ١

صحيحة محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إننا سمى آدم لآنه خلق من

أديم الأرض. ٢

قال الصدوق في ذيلها: اسم الأرض الرابعة أديم وخلق آدم منها، فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض.

خبر أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما سأله الشامي في الجامع بالكوفة في حديث: وسأله عن اسم إبليس ما كان في السماء؟ قال: كان اسمه الحارث وسأله لم سمى آدم آدم؟ قال: لآنه خلق من أديم الأرض... وسأله عن أول من كفر وأنشأ الكفر؟ فقال: إبليس لعنه الله، الحديث. ٣

خبر عباس بن هلال عن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه ذكر: أن اسم إبليس الحارث وإنما قول الله تعالى: يا إبليس، يا عاصي وسمي إبليس لآنه ألبس من رحمة الله تعالى. ٤

ألبس من رحمة الله: أي يئس منها.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في خطبة: ثم جمع سبحانه حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنّها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلّة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول: أجمدها حتى استمسكت وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود وأمد معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا اذهان يحيلها وفكر يتصرف بها وجوارح يخدمها وادوات

١. علل الشرايع / ٨، ح ٤.

٢. علل الشرايع / ١٤، ح ١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ٢٤٠، ح ١.

٤. معاني الأخبار / ١٣٨.

يُقَلِّبُهَا ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والاذواق والمشام والالوان والاجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المولتفة والاضداد المتعادية والأخلاق المتباينة من الحر والبرد والبله والجمود والمساء والشرور واستأدي الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمه فقال سبحانه: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة وتعزز بخلفة النار واستوهن خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية وانجازاً للعدة فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^١ ثم اسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجلد وجلاً وبالاغترار ندماً ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعد المرد إلى جنته وأهبطه إلى دار البلية وتنازل الذرية، الخطبة^٢.

قال الطوسي: واختلفوا في أمر الملائكة والسجود لآدم على وجهين: قال قوم: أنه أمرهم بالسجود تكرامة له وتعظيماً لشأنه وهو المروي في تفاسيرنا وأخبارنا^٣. قال الطوسي: واختلفوا في إبليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريح والطبري: انه كان منهم بدلالة استثنائهم من جملتهم هاهنا في قوله ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ﴾^٤ مع قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا^٥.

١. الحجر / ٣٧ و ٣٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

٣. التبيان ١ / ١٥٠ (٢ / ٦٠).

٤. سورة ص / ٧٥.

٥. التبيان ١ / ١٥٠ (٢ / ٦١).

قال الطبرسي: قال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمته الله انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة، قال: وقد جاءت الأخبار بذلك متواترة عن أئمة الهدى عليهم السلام وهو مذهب الإمامية.^١

أقول: الإنصاف أن الحق هنا مع شيخنا المفيد أعلى الله مقامه لا مع تلميذه شيخنا الطوسي قدس سره القدسي وسأذكر لك نص كلام الشيخ المفيد رحمته الله في المقام.

قال الشيخ المفيد رحمته الله: إِنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْجِنِّ خَاصَّةً وَانْه لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَا كَانَ مِنْهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^٢ وجاءت الأخبار متواترة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام بذلك وهو مذهب الإمامية كلها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث.^٣

﴿وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾



بعد بيان خلق آدم عليه السلام وما وقع بعدها، ذكر الله تكريمه بها آدم بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. معطوف على ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ في الآية السابقة. وما بعده مقول القول.
﴿يَتَّادُمُ﴾ أداة نداء واسم منادى.

١. مجمع البيان ١ / ٨٢.

٢. سورة الكهف / ٥٠.

٣. أوائل المقالات / ١٤٩، طبع الواعظ الجرندي.

﴿أَسْكُنْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» والخطاب لآدم عليه السلام. أمر في مقام الامتنان بالدخول في الجنة اتماماً للنعمة التي أنعم الله على آدم. المسكن: المأوى والمثوى.

﴿أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر في ﴿أَسْكُنْ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿زَوْجُكَ﴾ معطوف على ﴿أَنْتَ﴾ والمراد بها أمنا «حواء».

﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به. والمراد بها جنة من جنات الدنيا خلقها الله تعالى لاسكان آدم عليه السلام وحواء وليست الجنة الخلد ولا الجنة البرزخية لأنهما بعد الدنيا لا فيها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كُلَا﴾ فعل أمر وفاعله. الأكل: المَضْعُ لذي الطَّعم، وهو معروف.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿كُلَا﴾ والضمير يرجع إلى ﴿الْجَنَّةَ﴾.

﴿رَغَدًا﴾ مفعول مطلق، أي ﴿كُلَا﴾ أَكَلًا ﴿رَغَدًا﴾. الرَّغْدُ: النفع الواسع الكثير

الذي ليس فيه عناء، الطيب الواسع الهنيء.

﴿حَيْثُ﴾ اسم مكان مبهم وظرفه.

﴿شِعْتُمَا﴾ فعل ماض وفاعله. أي: من أي موضع أردتما الأكل من ﴿الْجَنَّةِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَقْرَبَا﴾ فعل نهي وفاعله. «القُرْبُ: الدُّنُو والمجاوَرَةُ متقارب المعنى»^١.

والمراد به هنا «كثرة الاهتمام بترك المنهي عنه فكأنه تعالى نهى عن الاقتراب منه فضلاً عن ارتكابه»^٢.

﴿هَذِهِ﴾ اسم إشارة، مفعول به.

١. التبيان ٢/ ٨٠.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٢٤٨.

﴿الشَّجَرَةَ﴾ بدل من ﴿هَذِهِ﴾. «الشجرة: كل ما قام على ساق من النبات»^١. ولعل ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ «كانت مثلاً لحقيقة الدنيا، فإنها تظهر لأنبياء الله تعالى وأوليائه بأشكال مختلفة:

فتارة: في صورة المرأة، كما ظهرت لنبينا الأعظم ﷺ في ليلة المعراج، وظهرت لعلي عليه السلام.

وأخرى: ظهرت لآدم عليه السلام وحواء في صورة الشجرة، وقد نهى الله عن قربها، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿فَتَشَقَّى﴾^٢، أي تقع في تعب الدنيا.

كما أن التأمل في مجموع الآيات والروايات الواصلة إلينا في قصة آدم عليه السلام، تدل على أن النهي عن الدنو إلى الدنيا والاقتراب منها لذلك، لا سيما لمن اتصف بالخلافة الإلهية»^٣.

﴿فَ﴾. للسببية. ﴿تَكُونَا﴾ فعل مضارع ناقص واسمه.

﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿تَكُونُ﴾. «أصل الظلم انتقاص الحق»^٤. و «الظلم والجور والعدوان متقارب»^٥.

الظلم: هو الاعتداء.

والمراد به هنا الظلم على النفس «لأن ارتكاب ما لا يرتضيه المعبود، ولو على نحو التنزه بالنسبة إلى بعض، لا يناسب العبودية المحضة، فيستفاد من ذلك أن النهي كان من مجرد الإشارة إلى ما يترتب على ارتكابه من آثار»^٦.

١. التبيان ٢/ ٨١.

٢. سورة طه / ١١٧.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٢٤٩.

٤. التبيان ٢/ ٨٢.

٥. التبيان ٢/ ٨٢.

٦. مواهب الرحمن ١/ ٢٥٠.

الروايات

قال القمي: حدثني أبي رفعه قال: سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم، أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟

فقال: كانت من جنان الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبداً، ولم يدخلها إبليس؛

قال: أسكنه الله الجنة وأتى جهالة إلى الشجرة فأخرجته، لأنه خلق خلقه لا يبقى إلا بالأمر والنهي [والغذاء] واللباس، والأكنان^١ والنكاح، ولا يدرك ما ينفعه مما يضره إلا بالأمر والنهي والتوفيق من الله.^٢

فجاءه إبليس، فقال: إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهاكما الله عنها، صرتما ملكين وبقيتما في الجنة أبداً، وإن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنة! وحلف لهما أنه لهما ناصح كما قال الله تعالى حكاية عنه:

﴿ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^٣. فقبل آدم قوله!

«لأكلا من الشجرة» فكان كما حكى الله: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾^٤ وسقط عنهما ما ألبسهما الله من لباس الجنة، وأقبلا يستتران بورق الجنة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٥ فقالا كما حكى الله تعالى

١. جمع كنّ، وهو ما كنّ وستر من الحرّ والبرد، مجمع البحرين ٣/ ١٥٩٩.

٢. «إلا بالتوقيف» البحار والبرهان، والتوقيف: نصّ الشارع المتعلّق ببعض الأمور، المعجم الوسيط ١٠٥١/ ٢ وقف.

٣. سورة الأعراف / ٢٠ و ٢١.

٤. سورة الأعراف / ٢٢.

٥. سورة الأعراف / ٢٢.

عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾^١.
فقال الله لهما: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^٢ قال: إلى يوم القيامة.^٣

خبر حسين بن ميسر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن جنة آدم عليه السلام، فقال: جنة من جنات الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنات الآخرة ما خرج منها أبداً.^٤

خبر عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل.^٥

خبر الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال: إن الله ارادتين ومشيتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهي آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى.^٦

الولد الذي أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بذبحه هو إسماعيل لا إسحاق المذكور في الرواية ولعل هذا خطأ نشأ من قلم النساخ والله العالم.

خبر محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال

١. سورة الأعراف / ٢٣.

٢. سورة الأعراف / ٢٤.

٣. تفسير القمي ١ / ٧١، ح ١٠.

٤. الكافي ٣ / ٢٤٧، ح ٢.

٥. الكافي ١ / ١٥٠، ح ٣.

٦. الكافي ١ / ١٥١، ح ٤.

أفضل عند الله ﷻ؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله جل وعزّ ومعرفة رسوله ﷺ أفضل من بغض الدنيا، وإنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عُصِيَ الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبي واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحوّا حين قال الله ﷻ لهما: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَغْداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثمّ الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حبّ النساء وحب الدنيا وحبّ الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلوّ والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلّهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا أن: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة.^١

دنيا بلاغ: أي تبلغك إلى الآخرة ويمكن أخذ الزاد منها إليها.

العياشي رفعه عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني لا تأكلا منها.^٢

العياشي رفعه عن عطاء، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام: عن رسول الله ﷺ، قال: إنّما كان لبث آدم وحوّاء في الجنة حتّى خرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتّى أكلا من الشجرة، فأهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك.

قال: فحاجّ آدم ربّه، فقال: يا ربّ، رأيته قبل أن تخلّفني كنت قدّرت عليّ هذا الذنب وكُلّ ما صرت وأنا صائرٌ إليه، أو هذا شيء فعلته أنا من قبل أن تُقدّره عليّ، غلبت عليّ شقوتي، فكان ذلك منّي وفعلي، لا منك ولا من فعلك؟

١. الكافي ٢/ ١٣٠، ح ١١.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٢١، ح ٢٣.

قال له: يا آدم، أنا خَلَقْتُكَ، وعَلَّمْتُكَ أَنِّي أَسْكَنْتُكَ وَزَوَّجْتُكَ الْجَنَّةَ، وبنعمتي وما جعلت فيك من قُوَّةٍ، قويت بجوارحك على معصيتي، ولم تَغِبْ عن عيني، ولم يَحُلْ علمي من فعلك، ولا ممَّا أنت فاعله.

قال آدم: يا ربِّ، الحُجَّةُ لك عليَّ. يا ربِّ، فحين خلقتني وصوَّرتني ونَفَخْتَ فِيَّ من روحك! قال الله تعالى: يا آدم، إِنِّي أَسْجَدْتُ لَكَ مَلَائِكَتِي، ونَوَّهْتُ بِاسْمِكَ فِي سَمَواتِي، وابتدأتك بكرامتي، وأَسْكَنْتُكَ جَنَّتِي، ولم أَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا بِرِضَا مِنِّي عَلَيْكَ، أَبْلُوكَ بِذَلِكَ من غير أن يكون عَمِلْتَ لِي عملاً تستوجب به عندي ما فعلتُ بك؟ قال آدم: يا ربِّ، الخير منك، والشرُّ مِنِّي.

قال الله تعالى: يا آدم، أنا الله الكريم، خلقتُ الخير قبل الشرِّ، وخلقْتُ رحمتي قبل غضبي، وقَدَّمْتُ بكرامتي قبل هواني، وقَدَّمْتُ باحتجاجي قبل عذابي. يا آدم، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الشَّجَرَةِ؟ وأُخْبِرَكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجَتِكَ؟ وأُحَذِّرُكَ قَبْلَ أَنْ تُصِيرَا إِلَى الْجَنَّةِ؟ وَأُعَلِّمُكُمَا أَنَّكُمَا إِن أَكَلْتُمَا مِنَ الشَّجَرَةِ، كَتُمَا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِكُمَا عَاصِيَيْنَ لِي؟ يا آدم، لا يجاورني في جَنَّتِي ظالم عاصٍ لِي.

قال: فقال: بلى يا ربِّ؟ الحُجَّةُ لك علينا، ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَعَصَيْنَا، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا نَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قال: فَلَمَّا أَقْرَأَ لِرَبِّهِمَا بِذَنْبِهِمَا، وَأَنَّ الحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ لِهَمَا، تَدَارَكَتْهُمَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَتَابَ عَلَيْهِمَا رَبُّهُمَا، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

قال الله: يا آدم، اهبط أنت وزوجك إلى الأرض، فإذا أَصْلَحْتُمَا أَصْلَحْتُكُمَا، وَإِنْ عَمِلْتُمَا لِي قَوِيَّتِكُمَا، وَإِنْ تَعَرَّضْتُمَا لِرِضَايَ تَسَارَعْتُ إِلَى رِضَاكُمَا، وَإِنْ خِفْتُمَا مِنِّي آمَنْتُكُمَا مِنْ سَخَطِي. قال: فبكيا عند ذلك، وقالا: رَبَّنَا، فَأَعِنَّا عَلَى صَلَاحِ أَنْفُسِنَا وَعَلَى الْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ عَنَّا. قال الله تعالى لهما: إِذَا عَمِلْتُمَا سُوءاً فَتُوبَا إِلَيَّ مِنْهُ أَثْبَ عَلَيْهِمَا وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

قالا: فَأَهْبَطْنَا بِرَحْمَتِكَ إِلَى أَحَبِّ الْبَقَاعِ إِلَيْكَ. قال: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جِبْرِئِيلَ أَنْ

أَهْبِطُهَا إِلَى الْبَلَدَةِ الْمُبَارَكَةِ مَكَّةَ قَالَ: فَهَبَطَ بِهِمَا جَبْرَائِيلُ، فَأَلْقَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الصَّفَا، وَأَلْقَى حَوَّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أُلْقِيَا قَامَا عَلَى أَرْجُلَيْهِمَا، وَرَفَعَا رُؤُوسَهُمَا إِلَى السَّمَاءِ، وَضَجَّ بِأَصْوَاتِهِمَا بِالْبَكَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَخَضَعَا بِأَعْنَاقِهِمَا. قَالَ: فَهَتَفَ اللَّهُ بِهِمَا: مَا يُبْكِيكُمَا بَعْدَ رِضَايَ عَنْكُمَا؟ قَالَ: فَقَالَا: رَبَّنَا أَبْكَتَنَا خَطِيئَتُنَا، وَهِيَ أَخْرَجَتَنَا مِنْ جِوَارِ رَبَّنَا، وَقَدْ خَفِيَ عَلَيْنَا تَقْدِيرُكَ لَكُمَا، رَبَّنَا وَبَدَّتْ لَنَا عَوْرَاتُنَا، وَاضْطَرَرْنَا ذُنُوبَنَا إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا وَمَطْعَمِهَا وَمَشْرِبِهَا، وَدَخَلْنَا وَخَشَةً شَدِيدَةً لِتَفْرِيقِكَ بَيْنَنَا.

قَالَ: فَرَحِمَهُمَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَوْحَى إِلَى جَبْرَائِيلَ: أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُ آدَمَ وَحَوَّاءَ لِمَا شَكِيَا إِلَيَّ، فَاهْبِطِ عَلَيْهِمَا بِخِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ الْجَنَّةِ، وَعَزِّمَاهُمَا عَنِّي بِفِرَاقِ الْجَنَّةِ، وَاجْمَعْ بَيْنَهُمَا فِي الْخِيَمَةِ، فَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمَا لِبُكَائِهِمَا وَوَحْشَتِهِمَا وَوَحْدَتِهِمَا، وَانْصِبْ لَهُمَا الْخِيَمَةَ عَلَى التُّرْعَةِ الَّتِي بَيْنَ جِبَالِ مَكَّةَ، قَالَ وَالتُّرْعَةُ مَكَانُ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدُهُ الَّتِي رَفَعَتْهَا الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَهَبَطَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى آدَمَ بِالْخِيَمَةِ عَلَى مَكَانِ أَرْكَانِ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدِهِ فَنَصَبَهَا.

قَالَ: وَأَنْزَلَ جَبْرَائِيلَ آدَمَ مِنَ الصَّفَا، وَأَنْزَلَ حَوَّاءَ مِنَ الْمَرْوَةِ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْخِيَمَةِ، قَالَ: وَكَانَ عَمُودُ الْخِيَمَةِ قَضِيبٌ يَاقُوتٍ أَحْمَرٌ، فَأَضَاءَ نُورُهُ وَضَوْؤُهُ جِبَالَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا، قَالَ: وَامْتَدَّ ضَوْءُ الْعَمُودِ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ حَرَمًا، فَهُوَ مَوَاضِعُ الْحَرَمِ الْيَوْمَ، كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ حَيْثُ بَلَغَ ضَوْءُ الْعَمُودِ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ حَرَمًا حُرْمَةً الْخِيَمَةِ وَالْعَمُودِ، لِأَنَّهُنَّ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَاتِ فِي الْحَرَمِ مِثْلَ مِثْلِهَا، وَالسَّيِّئَاتِ فِيهِ مِثْلَ مِثْلِهَا.

قَالَ: وَمَدَّتْ أَطْنَابُ الْخِيَمَةِ حَوْلَهَا، فَامْتَهَى أَوْتَادُهَا مَا حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: وَكَانَتْ أَوْتَادُهَا مِنْ عُصُونِ الْجَنَّةِ، وَأَطْنَابُهَا مِنْ ضَفَائِرِ الْأَرْجَوَانِ^١، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرَائِيلَ: أَهْبِطْ عَلَى الْخِيَمَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْرُسُونَهَا مِنْ مَرَدَةِ الْجِنِّ، وَيُؤْنِسُونَ آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَيَطُوفُونَ حَوْلَ الْخِيَمَةِ تَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ وَالْخِيَمَةِ. قَالَ: فَهَبَطَتْ

١. الْأَرْجَوَانُ: شَجَرٌ مِنَ الْفَصِيلَةِ الْقَرْنِيَّةِ، لَهُ زَهْرٌ شَدِيدُ الْحُمْرَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَلَيْسَتْ لَهُ رَائِحَةٌ.

الملائكة، فكانوا بحضرة الحيمة يَحْرُسُونَهَا من مَرَدَةِ الشياطين والعُتَاة، ويطوفون حول أركان البيت والحيمة كل يوم وليلة، كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المَعْمُور، وأركان البيت الحرام في الأرض حِيال البيت المَعْمُور الذي في السماء.

قال: ثم إن الله أوحى إلى جِبْرِئِيل بعد ذلك: أن اهْبِطْ إلى آدم وحواء، فنحّهما عن مواضع قواعد بيتي، فإنّي أريد أن اهْبِطَ^٢ في ظلالٍ من ملائكتي إلى أرضي، فأرفع أركان بيتي لملائكتي ولحلقتي من ولد آدم. قال: فهبط جِبْرِئِيل على آدم وحواء فأخرجهما من الحيمة، ونحّاهما عن ثُرْعَةِ البيت الحرام، ونحّى الحيمة عن موضع الثُرْعَةِ، قال: ووضع آدم على الصّفا، ووضع حواء على المروة، ورفع الحيمة إلى السماء. فقال آدم وحواء: يا جِبْرِئِيل، أَسْحَطْ من الله حولتنا وفرّقت بيننا، أم برضاً تقديرًا من الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سَخَطًا من الله عليكما، ولكن الله لا يُسأل عما يفعل. يا آدم، إنّ السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنّسوك ويَطُوفُوا حول أركان البيت والحيمة، سألوا الله أن يبنّي لهم مكان الحيمة بيتاً على موضع الثُرْعَةِ المباركة حِيال البيت المَعْمُور، فيَطُوفُونَ حوله كما كانوا يَطُوفُونَ في السماء حول البيت المَعْمُور، فأوحى الله إليّ أن أُنْحِكَ وحواء وأرفع الحيمة إلى السماء. فقال آدم: رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فكان آدم على الصّفا وحواء على المروة.

قال: فدخل آدم لفراق حواء وحشةً شديدةً وحُزن، قال: فهَبَطَ من الصّفا يريد المروة شوقاً إلى حواء وليُسَلِّمَ عليها، وكان في ما بين الصّفا والمروة وادٍ، وكان آدم يرى المروة من فوق الصّفا، فلما انتهى إلى موضع الوادي غابت عنه المروة، فسعى في

١. حِيال الشيء: قُبَالته.

٢. قال المجلسي رحمته الله: وهبوطه تعالى كناية عن توجّه أمره واهتمامه بصدور ذلك الأمر، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [سورة البقرة / ٢١٠] والظلال: ما أظلّك من شيء، وهاهنا كناية عن كثرة الملائكة واجتماعهم، أي اهبط أمري مع جم غفير من الملائكة.

الوادي حذراً لما لم يرَ المَرْوَةَ، مخافة أن يكون قد ضلَّ عن طريقه، فلما أن جاز الوادي وارتفع عنه نظر إلى المَرْوَةَ، فمشى حتَّى انتهى إلى المَرْوَةَ، فصعد عليها، فسلم على حوّاء، ثمّ أقبلًا بوجههما نحو موضع التُّرْعَةِ يَنْظُرَان هل رفع قواعد البيت، ويسألان الله أن يرُدّهما إلى مكانهما، حتَّى هَبَطَ من المَرْوَةَ، فرجع إلى الصِّفا فقام عليه، وأقبل بوجهه نحو موضع التُّرْعَةِ فدعا الله، ثمّ إنّه اشتاق إلى حوّاء، فَهَبَطَ من الصِّفا يُريد المَرْوَةَ، ففعل مثل ما فعله في المرّة الأولى، ثمّ رجع إلى الصِّفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرّة الأولى، ثمّ إنّه هَبَطَ من الصِّفا إلى المَرْوَةَ ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأولىين.

ثمّ رجع إلى الصِّفا فقام عليه، ودعا الله أن يجمع بينه وبين زوجته حوّاء، قال: فكان ذهاب آدم من الصِّفا إلى المَرْوَةَ ثلاث مرّات، ورجوعه ثلاث مرّات، فذلك ستّة أشواط، فلما أن دعيا الله وبكيا إليه وسألاه أن يجمع بينهما، استجاب الله لهما من ساعتها من يومها ذلك من زوال الشّمس.

فأتاه جَبْرَيْل وهو على الصِّفا واقف يدعو الله مقبلاً بوجهه نحو التُّرْعَةِ، فقال له جَبْرَيْل: انزل يا آدم من الصِّفا فالْحَقْ بِحَوّاء، فنزل آدم من الصِّفا إلى المَرْوَةَ، ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرّات حتَّى انتهى إلى المَرْوَةَ، فصعد عليها وأخبر حوّاء بما أخبره جَبْرَيْل، ففرّحا بذلك فرحاً شديداً، وحَمداً الله وشكراه، فلذلك جرّت السُّنة بالسعي بين الصِّفا والمَرْوَةَ، ولذلك قال الله: ﴿إِنَّ الصِّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^١.

قال: ثمّ إنّ جَبْرَيْل أتاهما فأنزلهما من المَرْوَةَ، وأخبرهما أنّ الجبار تبارك وتعالى قد هَبَطَ إلى الأرض، فرفع قواعد البيت الحرام بحَجَرٍ من الصِّفا، وحَجَرٍ من المَرْوَةَ، وحَجَرٍ من طُورِ سِيناء^٢، وحَجَرٍ من جبل السَّلام، وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى

١. سورة البقرة / ١٥٨.

٢. طُورِ سِيناء: وهو اسمُ جبلٍ بقُربِ أَيْلَةَ وعنده بُليدٌ فُتِحَ في زمن النبي ﷺ، وما أظنّه إلّا كُورَة

جَبْرِئِيلُ أَنْ ابْنَهُ وَأَتَمَّهُ، قَالَ: فاقتلع جَبْرِئِيلُ ٱلْأَحْجَارَ ٱلْأَرْبَعَةَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ مِنْ مَوَاضِعِهِنَّ بِجَنَاحِيهِ، فَوَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ ٱللَّهُ فِي أَرْكَانِ ٱلْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِهِ ٱلتِّي قَدَّرَهَا ٱلْجِبَّارُ، وَنَصَبَ أَعْلَامَهَا.

ثُمَّ أَوْحَى ٱللَّهُ إِلَى جَبْرِئِيلَ أَنْ ابْنَهُ وَأَتَمَّهُ بِحِجَارَةٍ مِنْ أَبِي قَبَيْسٍ^١، وَاجْعَلْ لَهُ بَابَيْنِ: بَابَ شَرْقِيٍّ، وَبَابَ غَرْبِيٍّ، قَالَ: فَأَتَمَّهُ جَبْرِئِيلُ، فَلَمَّا أَنْ فَرَّغَ مِنْهُ طَافَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ حَوْلَهُ، فَلَمَّا نَظَرَ ٱدَمُ وَحَوَاءُ إِلَى ٱلْمَلَائِكَةِ يَطُوفُونَ حَوْلَ ٱلْبَيْتِ، انْطَلَقَا فُطَافًا بِٱلْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، ثُمَّ خَرَجَا يَطْلُبَانِ مَا يَأْكُلَانِ، وَذَلِكَ مِنْ يَوْمِهَا ٱلَّذِي هُبِطَ بِهِمَا فِيهِ^٢.

ٱلْعِيَاشِيُّ رَفَعَهُ عَنْ جَابِرِ ٱلْجُعْفِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ آبَائِهِ ٱلْإِسْلَامِيِّينَ، قَالَ: إِنَّ ٱللَّهَ اخْتَارَ مِنْ ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَكَّةَ، وَاخْتَارَ مِنْ مَكَّةَ بَكَّةَ^٣، فَأَنْزَلَ فِي بَكَّةَ سُورِدِقًا مِنْ نُورٍ مَحْفُوفًا بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ، ثُمَّ أَنْزَلَ فِي وَسْطِ ٱلسُّرَادِقِ عَمَدًا أَرْبَعَةً، وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْعَمَدِ ٱلْأَرْبَعَةِ لَوْلُؤَةً بَيَضَاءَ، وَكَانَ طُولُهَا سَبْعَةَ أَذْرُعٍ فِي تَرَابِيعِ ٱلْبَيْتِ، وَجَعَلَ فِيهَا نُورًا مِنْ نُورِ ٱلسُّرَادِقِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْقَنَادِيلِ^٥، وَكَانَتِ ٱلْعَمَدُ أَصْلُهَا فِي ٱلثَّرَى وَٱلرُّؤُوسُ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ. وَكَانَ ٱلرَّيْعُ ٱلْأَوَّلُ مِنْ زُمُرُدٍ أَخْضَرَ، وَٱلرَّيْعُ ٱلثَّانِي مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، وَٱلرَّيْعُ ٱلثَّالِثُ مِنْ لَوْلُؤٍ أَبْيَضَ، وَٱلرَّيْعُ ٱلرَّابِعُ مِنْ نُورٍ سَاطِعٍ، وَكَانَ ٱلْبَيْتُ يَنْزِلُ فِي مَا بَيْنَهُمَا مَرْتَفَعًا مِنْ ٱلْأَرْضِ، وَكَانَ نُورُ ٱلْقَنَادِيلِ يَبْلُغُ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْحَرَمِ، وَكَانَ أَكْبَرُ ٱلْقَنَادِيلِ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَتِ ٱلْقَنَادِيلُ ثَلَاثًا مِائَةً وَسِتِّينَ قِنْدِيلًا، فَٱلرُّكْنُ ٱلْأَسْوَدُ بَابُ ٱلرَّحْمَةِ، إِلَى

بِمَضْرُوعٍ، وَقَالَ ٱلْجَوْهَرِيُّ: طُورُ سَيْنَاءَ جَبَلٌ بِٱلشَّامِ. مَعْجَمُ ٱلْبَلَدَانِ ٤ / ٥٤.

١. أَبُو قَبَيْسٍ: وَهُوَ اسْمُ ٱلْجَبَلِ ٱلْمَشْرِفِ عَلَى مَكَّةَ. مَعْجَمُ ٱلْبَلَدَانِ ١ / ١٠٣.

٢. تَفْسِيرُ ٱلْعِيَاشِيِّ ١ / ١٢١، ح ٢٤.

٣. بَكَّةَ: هِيَ مَكَّةَ بَيْتُ ٱللَّهِ ٱلْحَرَامِ، أُبْدِلَتْ ٱلْمِيمُ بَاءً، وَقِيلَ: بَكَّةَ، بَطْنُ مَكَّةَ، وَقِيلَ: مَوْضِعُ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَكَّةَ وَمَا وَرَاءَهُ، وَقِيلَ: ٱلْبَيْتُ مَكَّةَ، وَمَا وَلَاهُ بَكَّةَ. مَعْجَمُ ٱلْبَلَدَانِ ١ / ٥٦٢.

٤. ٱلسُّرَادِقُ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْ حَائِطٍ أَوْ مَضْرَبٍ أَوْ خِيَاءٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَا يُمَدُّ فَوْقَ ٱلْبَيْتِ.

٥. ٱلْقِنْدِيلُ: مِصْبَاحُ ٱلْكُؤُوبِ فِي وَسْطِ قَيْتِلٍ، يُمَلَأُ بِٱلْمَاءِ وَٱلزَّيْتِ وَيُشْعَلُ.

رُكن الشَّامِيّ، فهو باب الإنابة، وباب الرُّكن الشَّامِيّ باب التَّوسُّل، وباب الرُّكن اليماني باب التَّوْبَةِ، وهو باب آل مُحَمَّد ﷺ وشيعتهم إلى الحجر، فهذا البيت حُجَّةُ الله في أرضه على خَلْقِهِ.

فلَمَّا هَبَطَ آدَمُ إلى الأرض هَبَطَ على الصَّفا، ولذلك اشتَقَّ الله له اسماً من اسم آدم، لقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾^١، ونزلت حواء على المروة، فاشتَقَّ الله لها اسماً من اسم المرأة، وكان آدم نزل بمرآة من الجنة، فلَمَّا لم يخلق آدم المرأة إلى جنب المقام^٢، وكان يَرَكُنُ إليه، سأل رَبُّهُ أن يُهبطَ البيت إلى الأرض، فأهبط فصار على وجه الأرض، فكان آدم يَرَكُنُ إليه، وكان ارتفاعها^٣ من الأرض سبعة أذرع، وكانت له أربعة أبواب، وكان عَرْضُهَا خمسة وعشرين ذراعاً في خمسة وعشرين ذراعاً ترابعية، وكان السُّرَادِقُ مائتي ذراع في مائتي ذراع.^٤

العياشي رفعه عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: كان إبليس أوّل من تغنى، وأوّل من ناح، وأوّل من حدا، لما أكل آدم من الشجرة تغنى، فلَمَّا هَبَطَ حدا، فلَمَّا استقر على الأرض ناح يُذَكِّرُهُ ما في الجنة.^٥

خبر مُحَمَّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام، فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك: أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله ﷻ ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^٦ فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم:

١. سورة آل عمران / ٣٣.

٢. كذا في النسخ، وفي العبارة اضطراب ظاهر، وفي تفسير البرهان طبع مؤسسة البعثة ١ / ١٩١، يعلّق بدل يخلق.

٣. كذا، والظاهر ارتفاعه.

٤. تفسير العياشي ١ / ١٢٧، ح ٢٥.

٥. تفسير العياشي ١ / ١٢٨، ح ٢٦.

٦. سورة طه / ١٢١.

﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها، لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾^١ وإنما ينهيكما أن تقربا غيرها ولم ينهيكما عن الأكل منها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^٢ ولم يكن آدم وحوّا شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾^٣ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتبه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله ﷻ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^٤ وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٥، الحديث. ٦.

خبر عبدالسلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروى إنها الحنطة، ومنهم من يروى إنها العنب، ومنهم من يروى إنها شجرة الحسد، فقال عليه السلام: كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت إن شجرة الجنة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب

١. سورة الأعراف / ٢٠.

٢. سورة الأعراف / ٢٠ و ٢١.

٣. سورة الأعراف / ٢٢.

٤. سورة طه ١٢١ و ١٢٢.

٥. سورة آل عمران / ٣٣.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٩٥، ح ١.

وليست كشجرة الدنيا، وإنَّ آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته وبإدخاله الجنة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل مني؟ فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: «لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال ﷻ: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض، فإياك ان تنظر إليهم بعين الحسد، فأخرجك عن جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم عليه السلام، فأخرجهما الله ﷻ عن جنته فاهبطهما عن جواره إلى الأرض.^١

معتبرة محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: إنّما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى أُخرجتا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى اهبطهما الله من يومها ذلك.^٢

لأنّ المراد بمحمد بن إسحاق المدني صاحب السير ولا أقل من حسنه واعتباره بل وثوقه عندنا.

خبر المفصل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة [بعدهم] صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٣٠٦، ح ٦٧.

٢. الخصال ٢/٣٩٦، ح ١٠٣.

أحبائي، وأوليائي، وحججي على خلقي، وأئمة بريتي، ما خلقت خلفاً هو أحبُّ إليَّ منهم، ولن تولّاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم مني ومحّلهم من عظمتي عدّته عذاباً لا أعدّبه أحداً من العالمين وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقرّ بولايتهم ولم يدّع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جنّاتي^١، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحثهم كرامتي، وأحللتهم جوارِي، وشفّعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي فأيتكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه دون خيرتي؟ فأبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمني محّلها من عظمة ربّها، فلما أسكن الله ﷻ آدم وزوجته الجنة قال لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فنظرا إلى منزلة محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبّهم إليك، وما أشرفهم لديك! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما، هؤلاء خزنة علمي، وأمنائي على سرّي، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي ومحّلهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهبي وعصيان فتكونا من الظالمين! قالوا: ربنا ومن الظالمون؟ قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حقّ. قالوا: ربنا فأرنا منازل^٢ ظالمهم في ناركَ حتّى نراها كما رأينا منزلتهم في جنّتك. فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع مافيهما من ألوان النّكال

١. في بعض النسخ: «جناني».

٢. في بعض النسخ «منزلة».

والعذاب وقال ﷻ: مكان الظالمين لهم المدّعين لمنزلتهم في أسفل درك منها كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وكلّما نضجت جلودهم بدّلوا^١ سواها ليزوقوا العذاب يا آدم ويا حوّاء لا تنظرا إلى أنوارى وحجّجى بعين الحسد فأهبطكما عن جوارى وأحلّ بكما هوانى، فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما وورى عنهما من سواتهما وقال: مانهيكما ربّكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكمأ لمن الناصحين فدليهما بغرور وحملهما على تمنى منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلا شعيراً فأصل الحنطة كلّها ممّا لم يأكله وأصل الشعير كلّه ممّا عاد مكان ما أكلاه، فلمّا أكلا من الشجرة طار الحليّ والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناديهما ربّهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما: إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين؟ فقالا: ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين، قال: اهبطا من جوارى فلا يجاورني في جتّي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش، فلمّا أراد الله ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنّكما إنّما ظلمتما أنفسكما بتمنى منزلة من فضّل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه فسلا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا: اللّهمّ إنّنا نسألك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام إلّا تبت علينا ورحمتنا فتاب الله عليهما إنّّه هو التواب الرّحيم فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أمهم فيأبون حملها ويشفقون من ادّعائها وحملها الإنسان الذي قد عرف، فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

١. في بعض النسخ «بدّلناهم».

جَهُولًا ﴿٢٠١﴾

الطوسي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: شجرة الكافور. ٣
الطبرسي رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنه قال: في ذيل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ﴾ أي لا تأكلا منها. ٤

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٠٢﴾

تتمة قصة إسكان آدم في الجنة واغراء إبليس له وإخراجه منها وهبوطه إلى
الأرض.

﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿أَزَلَّهُمَا﴾ فعل ماض ومفعول به، معطوف على ﴿لَا تَقْرَبَا﴾ في الآية السابقة.
الإزال: جعل الغير زالاً. الزلّة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد. الازلال:
مجاز مشهور في صدور الخطيئة والغلط المضّر ومنه سمّي العصيان ونحوه الزلل.
والمراد به هنا ليست إلّا إلقاء الوسوسة في القلب من غير رؤية الشخص. كما

١. سورة الأحزاب / ٧٢. قال العلامة المجلسي رحمته الله: لا يتوهم أن آدم عليه السلام صار بتمنى منزلتهم من
الظالمين المدعين لمنزلتهم على الحقيقة حتى يستحق بذلك أليم النكال فان عده من الظالمين في هذا
الخبر نوع من التجوز فان من تشبه بقوم فهو منهم وتشبهه عليه السلام التمنى ومخالفة الأمر الندي لا في
ادعاه المنزلة - إلى آخر كلامه - . بحار الأنوار ٥ / ٤٧.

٢. معاني الأخبار / ١٠٨، ح ١.

٣. التبيان ١ / ١٥٨ (٢ / ٨١).

٤. مجمع البيان ١ / ٨٥.

قال إبليس لآدم: ﴿هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّيَلَىٰ﴾^١ وقال: ﴿مَا نَهَاكَ رَبُّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَلَكَئِينَ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^٢ وقال: ﴿إِنِّي لَكُمْ لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^٣.

﴿الشَّيْطَانُ﴾ فاعله. وهو هنا ﴿إِبْلِيسَ﴾.

﴿عَنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَزْلَهُمَا﴾ والضمير يرجع إلى الجنة.

﴿فَ﴾ تفريعية وتسببية.

﴿أَخْرَجَهُمَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾

ومفعول به. يعني الإزالة سبب لإخراجها.

﴿مِمَّا﴾ حرف جر و «ما» موصولة. متعلق بـ ﴿أَخْرَجَهُمَا﴾. و «ما» موصولة

ترجع إلى النعم التي شرحها الله ﷻ في الآية السابقة.

﴿كَانَا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور، خبر.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قُلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿أَخْرَجَهُمَا﴾. وما بعده مقول القول.

﴿أَهْبِطُوا﴾. فعل أمر وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى آدم وحواء وذريتهما.

الهبوط: النزول والوقوع. «والمراد به هنا النزول من المحل الذي لا عناء فيه إلى دار

التعب والفناء، والكدورة والشقاء، ولا اختصاص لذلك بآدم ﷺ وحواء، بل هو

جار في مطلق الإنسان»^٤.

﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِ﴾ حرف جر.

١. سورة طه / ١٢٠.

٢. سورة الأعراف / ٢٠.

٣. سورة الأعراف / ٢١.

٤. مواهب الرحمن ١ / ٢٥٢.

﴿بَعْضٌ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَدُوٌّ﴾.
 ﴿عَدُوٌّ﴾ خبر، وجملة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إما استثنائية أو حال من الضمير
 الفاعلي في ﴿أَهْبِطُوا﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.
 ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾.
 ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ مبتدأ مؤخر. بمعنى الاستقرار أو مكانه. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿مَتَّعٌ﴾ معطوف على ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾. «المتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقارب المعنى
 وضده: التألم»^١.

«وَكُلُّ شَيْءٍ مَّمْتَعَتْ بِهِ فَهُوَ مَتَاعٌ»^٢.
 ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَتَّعٌ﴾. الحين: المدة. والحاصل: «إِنَّ
 الأرض هي الغاية من حياة الإنسان فقط، فقد خلق آدم ﷺ للأرض وللمتعة
 بخيراتها والبقاء فيها إلى وقت محدود. وأنها دار الأضداد والعداوة والشقاء تكويناً،
 لكونها دار الكون والفساد، وهداية خلفاء الله تعالى، وإغواء الشياطين»^٣.

الروايات

خبر مسمع عن أبي عبد الله ﷺ قال: لما هبط بآدم إلى الأرض احتاج إلى الطعام
 والشراب فشكا ذلك إلى جبرئيل ﷺ فقال له جبرئيل: يا آدم كن حراثاً، قال: فعلمني
 دعاءً، قال: قل: اللهم اكفني مؤونة الدنيا وكلّ هول دون الجنة والبسني العافية حتى
 تهتني المعيشة.^٤

١. التبيان ٢/ ٩٧.

٢. التبيان ٢/ ٩٨.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٢٥٤.

٤. الكافي ٥/ ٢٦٠، ح ٤.

العياشي رفعه عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حين أهبط آدم إلى الأرض، أمره أن يخرُث بيده فيأكل من كدّه بعد الجنة ونعيمها، فلبث يجار ويكي على الجنة مائتي سنة، ثم إنه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام ولياليها، ثم قال: أي رب ألم تخلّقني؟ فقال الله: قد فعلت. فقال: ألم تنفخ فيّ من رُوحك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تُسكنني جنتك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت أو شكرت؟

قال آدم: لا إله إلا أنت سبحانك إنّي ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، فرحمه الله بذلك وتاب عليه، إنّه هو التّوّاب الرحيم.^١
جأز الرجل إلى الله: أي تضرّع بالدعاء.

صحيحة زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أعطي الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوّة، قال آدم: يا رب سلّطت إبليس على وُلدي وأجريت فيهم مجري الدم في العروق وأعطيته ما أعطيته فما لي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة والحسنة بعشر أمثالها.

قال: رب زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى حين تبلغ النفس الحلقوم.

قال: رب زدني، قال: أغفر ولا أبالي، قال: حسبي.

قال: قلت له: جعلت فداك، بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه.

قلت: وما كان منه، جعلت فداك؟ قال: ركعتان ركعهما في السماء في أربعة

آلاف سنة.^٢

الصدوق بإسناده إلى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما سأله

١. تفسير العياشي ١/ ١٢٩، ح ٢٧.

٢. تفسير القمي ١/ ٤٢.

الشامي في حديث: وسأله عن بكاء آدم على الجنة وكم كانت دموعه التي جرت من عينيه؟ فقال عليه السلام: بكى مائة سنة، أي وخرج من عينه اليمنى مثل الدجلة والعين الأخرى مثل الفرات... وسأله عن أكرم واد على وجه الأرض، فقال له: واد يقال له: سرانديب فسقط فيه آدم عليه السلام من السماء، الحديث^١.

صحيحة أبي نصر البزنطي قال: سألت الرضا عليه السلام عن الحرم وأعلامه كيف صار بعضها أقرب من بعض وبعضها أبعد من بعض؟ فقال: إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة أهبط على أبي قبيس فشكى إلى ربه تعالى الوحشة وإنه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة، فاهبط الله تعالى إليه ياقوتة حمراء فوضعها في موضع البيت، فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان ضوءها يبلغ موضع الأعلام، فعلمت الأعلام على ضوءها فجعله حرماً^٢.

وللصدوق عليه السلام سندان آخران لهذه الرواية ذكرهما بعدها وكلاهما صحيحان.

خبر عبد الحميد بن أبي ديلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمى الصفا صفا لأن المصطفى آدم هبط عليه فقطع للجبل اسم من اسم آدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٣ وهبطت حواء على المروة وإنها سميت المروة لأن المرأة هبطت عليها فقطع للجبل اسم من اسم المرأة^٤.

خبر علي بن حسان الواسطي عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أهبط آدم من الجنة على الصفا، وحواء على المروة وقد كانت امتشطت في الجنة، فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ، فحلّت مشطتها فانتشر من مشطتها العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة، فطارت به الريح فالقت أثره في الهند،

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٤٤ و ٢٤٣.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٨٤، ح ٣١.

٣. سورة آل عمران / ٣٣.

٤. علل الشرايع ٢/ ٤٣١، ح ١.

فلذلك صار العطر بالهند.

وفي حديث آخر إنها حلت عقيصتها فأرسل الله تعالى على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب.^١

العقيصة: المنسوجة من شعر الرأس.

خبر علي بن عتبة عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رنّ إبليس أربع رنّات: أولهنّ يوم لُعن وحين أُهبط إلى الأرض وحين بعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل وحين أنزلت أم الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أُهبط من الجنة.^٢

رنّ: رفع صوته بالبكاء، نخر الإنسان أو الدابة: مدّ الصوت في خياشيمه.

محمد بن سهل البحراني يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة عليه السلام وعلي بن الحسين عليه السلام، فأما آدم فبكى على الجنة حتّى صار في خذّيه أمثال الأودية، الحديث.^٣

الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام إذ جاءه غلام يهودي من ولد هارون وسأله عن مسائل في حديث: قال: أخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض؟ وعن أوّل عين نبعت على وجه الأرض؟ وعن أوّل حجر وضع على وجه الأرض؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا سؤالك عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنّها الزيتون وكذبوا، إنّما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنة فغرسها وأصل النخل كلّها منها، وأمّا قولك: أوّل عين نبعت على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنّها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر وكذبوا، هي عين الحيوان التي إنتهى موسى وفتاه إليها فغسل فيها السمكة المألحة فحييت وليس

١. علل الشرايع ٢/ ٤٩١، ح ١.

٢. الخصال ١/ ٢٦٣، ح ١٤١.

٣. الخصال ١/ ٢٧٢، ح ١٥.

من ميت يصيبه ذلك الماء إلا حيي، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين يطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين، وأما قولك: أول حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنه الحجر الذي في بيت المقدس وكذبوا إنَّها هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام معه من الجنة فوضعه في الركن والناس يستلمونه وكان أشدَّ بياضاً من الثلج فاسودَّ من خطايا بني آدم، الحديث.^١

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ 

ثم بعد ازالال الشيطان لهما وإخراجهما عن الجنة، طلب آدم العفو من ربه حيث ارتكب النهي التنزيهي ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^٢ وهذا الإرتكاب لا يجمع مع العبودية التامة المحضة.

﴿فَ﴾ تفرعية على طلب آدم ومبادرته إلى العفو.

﴿تَلَقَّى﴾ فعل ماضٍ. أي: استقبل بإكرام ومسرةٍ لآله لقاء أمر محبوب والشاهد عليه ﴿وَتَلَقَّيْنَاهُمُ الْمَلَكَةَ﴾^٣ إلى آخره. والتلقى إما بطريق الوحي أو الإلهام. ﴿آدَمُ﴾ فاعله.

﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تَلَقَّى﴾.

﴿كَلِمَتٍ﴾ مفعول به. والكلمات هي نفس الأسماء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^٤. و ﴿تَلَقَّى آدَمُ﴾ أن يذكر في توبته أسماءهم وأن يدعو الله تعالى بحقهم

١. كمال الدين وتمام النعمة ١/ ٢٩٧، ح ٥.

٢. سورة البقرة / ٣٥.

٣. سورة الأنبياء / ١٠٣.

٤. سورة البقرة / ٣١.

واستفاد من شفاعتهم إلى الله تعالى. كما ورد في الروايات أنه سأل الله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

﴿فَ﴾ سببية.

﴿تَابَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿رَبِّهِ﴾. أصل التوبة: الرجوع عما سلف، وتوبة الله هي رجوعه إلى عبده بالرحمة.

﴿عَلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَابَ﴾ والضمير يرجع إلى ﴿ءَادَمُ﴾. وكل توبة من العبد مقرون بتوبتين من الله توبة قبل توبة العبد برجوعه عليه بالرحمة والشفقة، وتوبة بعد توبة العبد وهي قبول توبة العبد وعفو ومغفرته. وتوبة العبد ليست إلا الندم على ما قرط والرجوع عما فعل في عصيان الله تعالى.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه يرجع إلى ﴿رَبِّهِ﴾.

﴿هُوَ﴾ ضمير فصل تأكيد اسم ﴿إِنَّهُ﴾؛ يفيد الحصر.

﴿التَّوَابُ﴾ خبر ﴿إِنَّهُ﴾. صيغة مبالغة لأن توبة العباد كثيرة وقد مرَّ أنَّ كل توبة من العبد محفوفة بتوبتين ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ فيصير الله تواباً.

﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر ثانٍ لـ ﴿إِنَّهُ﴾. و «﴿الرَّحِيمُ﴾» جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العود للذنوب حتى تترتب عليه الآثام، وأما الإثم المترتب فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعده من الله^١.

الروايات

حسنة كثير بن كلثمة عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾ كَلِمَتِي، قال: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٢٥.

فاغفرلي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفرلي وارحمي وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

وفي رواية أخرى في قوله ﷺ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ قال: سأله بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة صلى الله عليهم.^١

خبر ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ. إلا تبت علي، فتاب الله عليه.^٢

أبي سعيد المدائني يرفعه في قول الله ﷻ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ.^٣

خبر المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾^٤ ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو انه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ إلا تبت علي، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، الحديث.^٥

خبر معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أتى يهودي النبي ﷺ فقام بين يديه يَحْدُ النظر إليه فقال: يا يهودي ما حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى ابن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وقلق له البحر وأظله

١. الكافي ٨/ ٣٠٤، ح ٤٧٢.

٢. معاني الأخبار / ١٢٥، ح ١؛ الخصال ١/ ٢٧٠، ح ٨؛ أمالي الصدوق، المجلس الثامن عشر،

ح ٢/ ١٣٤، رقم ١٢٩.

٣. معاني الأخبار / ١٢٥، ح ٢.

٤. سورة البقرة / ١٢٤.

٥. الخصال ١/ ٣٠٤، ح ٨٤.

بالغمام؟ فقال له النبي ﷺ : إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه ولكنني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة، كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي، فغفرها الله له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما انجيتني من الغرق، فنجاه الله منه، وإن إبراهيم لما ألقى في النار قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما انجيتني منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتني منها، فقال الله جلّ وجلاله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^١.

يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبوة.

يا يهودي: ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته فقدّمه وصلّ خلفه.^٢

خبر فرات بن الأحنف عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لولا أن آدم أذنب ما أذنب مؤمن أبداً، ولولا أن الله ﷻ تاب على آدم ما تاب على مذنّب أبداً.^٣

العياشي رفعه عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه وهدى، قال: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدك إني عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم إنه لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ وبحمدك، إني عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك خير الغافرين. اللهم إنه لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ وبحمدك، إني عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي

١. سورة طه / ٦٨.

٢. أمالي الصدوق، المجلس التاسع والثلاثون، ح ٤ / ٢٨٧، رقم ٣٢٠.

٣. علل الشرايع / ٨٤.

إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.^١

العياشي رفعه عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ ذُرِّيَّتَهُ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُتَكَيٍّ عَلَى عَلِيِّ عليه السلام وَفَاطِمَةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا تَتْلُوهُمَا، وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام يَتْلُوَانِ فَاطِمَةُ عليها السلام فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، إِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِحَسَدٍ، أَهْبَطَكَ مِنْ جَوَارِي.

فَلَمَّا اسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَثَّلَ لَهُ النَّبِيُّ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِحَسَدٍ، ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ فَأَنْكَرَهَا، فَرَمَتْهُ الْجَنَّةُ بِأَوْرَاقِهَا، فَلَمَّا تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ حَسَدِهِ وَأَقَرَّ بِالْوَلَايَةِ وَدَعَا بِحَقِّ الْخُمْسَةِ: مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾.^٢

العياشي رفعه عن مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُلُويِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيِّ عليه السلام قَالَ: الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا تَبَتَّ عَلَيَّ، قَالَ: وَمَا عَلِمَكَ بِمُحَمَّدٍ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ فِي سُرَادِقِكَ الْأَعْظَمِ مَكْتُوبًا وَأَنَا فِي الْجَنَّةِ.^٣

فَرَاتُ الْكُوفِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا نَزَلَتْ الْخَطِيئَةُ بِآدَمَ وَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ عليه السلام فَقَالَ: يَا آدَمُ ادْعُ رَبَّكَ، قَالَ: يَا حَبِيبِي جَبْرَائِيلُ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: قُلْ: رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْخُمْسَةِ الَّذِينَ تَخْرِجُهُمْ مِنْ صُلْبِي آخِرَ الزَّمَانِ إِلَّا تَبَتَّ عَلَيَّ وَرَحْمَتِي، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا جَبْرَائِيلُ سَمِّهِمْ لِي، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَبِحَقِّ عَلِيِّ وَصِيِّ نَبِيِّكَ وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سَبْطِي نَبِيِّكَ إِلَّا تَبَتَّ عَلَيَّ فَارْحَمْنِي.

١. تفسير العياشي ١/ ١٢٩، ح ٢٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٣٠، ح ٣٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٣٠، ح ٣١.

فدعا بهنَّ آدم فتاب الله عليه وذلك قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ وما من عبدٍ مكروبٍ يخلص النية ويدعو بهنَّ إلا استجاب الله له.^١
 صحيحة أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ آدم بقي على الصفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة وعلى خروجه من الجنة من جوار الله عز وجل فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل مالي لا أبكي وقد أخرجني الله من جواره واهبطني إلى الدنيا.

قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فأنزل الله عليه قُبَّةً من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكة فهو الحرم، فأمر الله عز وجل جبرئيل عليه السلام أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية وأمره أن يغتسل ويحرم.
 وأخرج من الجنة أوَّل يوم من ذي القعدة، فلما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أخرج جبرئيل إلى مني فبات بها، فلما أصبح أخرج جبرئيل إلى عرفات وقد كان علَّمه حين أخرج من مكة الإحرام وعلَّمه بالتلبية، فلما زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية وأمره أن يغتسل، فلما صلى العصر وقَّفه بعرفات وعلَّمه الكلمات التي تلقاها من ربه وهي: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي إنَّك أنت الغفور الرحيم، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنَّك خير الغافرين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنَّك أنت التواب الرحيم.

فبقي إلى أن غابت الشمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرَّع ويبكي إلى الله فلما غربت الشمس رده إلى المشعر فبات به، فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله تعالى بكلمات وتاب عليه ثم أفاض [أفضى] إلى منى وأمره جبرئيل أن يخلق الشعر

١. تفسير الفرات ١/ ٥٧ و ٥٨، ح ١٦؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٦/ ٣٣٣، ح ١٥ (١١/ ٤٦١).

الذي عليه فخلق.

ثم رده إلى مكة فأتى به إلى الجمرة الأولى فعرض له إبليس عندها، فقال: يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه سبع حصيات، وأن يكبر مع كل حصاة كبيرة ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبر مع كل حصاة تكبيرة ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة، فأمره أن يرميه بسبع حصيات ويكبر عند كل حصاة، فرمى وكثر مع كل حصاة تكبيرة، فذهب إبليس لعنه الله وقال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم أبداً. فانطلق به إلى البيت الحرام وأمره أن يطوف به سبع مرات ففعل. فقال: له: إن الله قد قبل توبتك وحلت لك زوجك.

قال: فلما قضى آدم حجّه لقيته الملائكة بالابطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك، أما إنّنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام^١.
برّ الله حجك أي قبله.

صحيححة الحسن بن محبوب عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عمر آدم يوم خلقه الله إلى يوم قبضه تسعمائة وثلاثين سنة ودفن بمكة ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال ثم برأ زوجته من أسفل اضلاعه وأسكنه جنته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلا ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى الله وخرجها من الجنة بعد غروب الشمس فما بات فيها^٢.

صحيححة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال آدم صلوات الله عليه: يا ربّ بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم وما علمك بمحمد؟ فقال: حين خلقتني رفعت رأسي، فرأيتُ في العرش مكتوباً:

١. تفسير القمي ١/ ٤٤؛ ونقل عنه في البرهان ١/ ١٩٢، ح ٣.

٢. تفسير القمي ١/ ٤٥؛ ونقل عنه في البرهان ١/ ١٩٣، ح ٤.

محمد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين.^١

خبر ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله رب العالمين، فقال له ربه: يرحمك ربك، فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا رب خلقت خلقاً أحب إليك مني؟ فلم يجب، ثم قال الثانية فلم يجب، ثم قال الثالثة فلم يجب.

ثم قال الله تعالى له: نعم، ولولا هم ما خلقتك، فقال: يا رب فأرنيهم فأوحى الله تعالى إلى ملائكة الحجب أن أرفعوا الحجب، فلما رفعت إلى آدم بخمسة أشباح قدام العرش، فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمد نبيي وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه وهذه فاطمة ابنة نبيي، وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبيي، ثم قال: يا آدم هو ولدك، وفرح بذلك.

فلما افترف الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا، فهذا الذي قال الله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فلما هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه: محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين، ويكني آدم بأبي محمد عليه السلام.^٢

قال الشيخ الطوسي: روى في أخبارنا: أنّ الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.^٣

قال الطبرسي: قيل: وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام: أنّ آدم رأي مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة فسأل عنها، ف قيل له هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند

١. قصص الأنبياء / ٥١، ح ٢٦؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٦ / ٣٢٤، ح ٦ (١١ / ٤٥٦).

٢. اليقين في أمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / ١٧٤ و ١٧٥؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٦ / ٣٢٥، ح ٨ (١١ / ٤٥٦).

٣. التبيان ١ / ١٦٩.

٢٨٢ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

الله تعالى والأسماء: محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتوصل آدم عليه السلام إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته.^١

وقال الطبرسي أيضاً في تفسيره الآخر: وفي رواية أهل البيت عليهم السلام أن الكلمات هي أسماء أصحاب الكساء عليهم السلام.^٢

هذه الرواية لا تختص بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بل رواها العامة أيضاً في كتبهم منهم: أبو الفتح محمد بن علي النظري عام ٤٨٠ في كتابه الخصابص.

ونقل عنه العلامة الأميني رحمته الله في كتابه الكبير: الغدير.^٣

ومنهم: ابن مغازلي في كتابه المناقب.^٤

ومنهم: الديلملي في مسند الفردوس ونقل عنه السيوطي في الدر المنثور.^٥

ومنهم: المعين الكاشفي في معارج النبوة.^٦

ومنهم: صاحب ينابيع المودة.^٧

ومنهم: صاحب تفسير اللوامع.^٨

ومنهم: القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد ونقل عنه السيد هاشم البحراني رحمته الله في كتابه: غاية

المرام^٩ والبرهان في تفسير القرآن^{١٠}.

١. مجمع البيان ١/ ٨٩.

٢. جوامع الجامع ١/ ٤٠.

٣. الغدير ٧/ ٣٠١.

٤. المناقب ٦٣.

٥. الدر المنثور ١/ ٦٠.

٦. معارج النبوة ٩، طبع هند.

٧. ينابيع المودة ٩٧.

٨. تفسير اللوامع ١/ ٢١٥، طبع لاهور.

٩. غاية المرام ٣٩٣.

١٠. البرهان في تفسير القرآن ١/ ١٩٨، ح ١٦.

ومنهم: السيوطي في تفسيره الدر المنثور^١.

ومنهم: صاحب أرجح المطالب^٢ ونقل عنه في إحقاق الحق^٣.

وغيرهم في غيرها، فلا تختص نقل هذه الرواية بطريقنا، طريق أهل البيت عليهم السلام بل رواها أعلام العامة أيضاً كما مرّ. فراجع إن شئت إلى ما كتبه حول الآية الشريفة في كتابي المطبوع عام ١٤١٢ هـ. ق. بقم المقدسة وباللغة الفارسية: «ولايت وامامت»^٤.

وأما الروايات الواردة حول التوبة فكثيرة جداً راجع في هذا المجال إلى عنوان التوبة في كتابي «موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام»^٥ في أكثر من سبعين رواية ولكن هنا أذكر لك ثلاث روايات حول التوبة فقط التي ذكرها الشيخ أبو الفتوح الرازي رحمته الله في تفسيره «روض الجنان وروح الجنان» ذيل الآية الشريفة:

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: توبوا إلى ربكم فإنّي أتوب إليه في كل يوم مائة مرة^٦.

وعنه عليه السلام: ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة^٧.

وعنه عليه السلام: إنّ الله يقبل توبة عبده ما لم يُعْرِغْ^٨.

يُعْرِغُ: يعني ما لم يبلغ نفسه إلى الحلقوم.

وأما المكان الذي قبل الله فيه توبة آدم عليه السلام فقد ورد في الكافي الشريف أنه كان في الملتزم يعني بين الحجر الأسود وباب البيت الحرام فقد وردت هذه الروايات فيه:

صحيحة جميل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما طاف آدم بالبيت وانتهى

١. الدر المنثور / ١ / ٦٠.

٢. أرجح المطالب / ٣٢٠.

٣. إحقاق الحق / ٩ / ١٠٥.

٤. ولايت وامامت / (١١٦-١١١).

٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام / ٢ / (٢٨٤-٢٥٧).

٦. روض الجنان وروح الجنان / ١ / ٢٢٩.

٧. روض الجنان وروح الجنان / ١ / ٢٢٩.

٨. روض الجنان وروح الجنان / ١ / ٢٣٢.

إلى الملتزم، قال له جبرئيل عليه السلام: يا آدم أقرّ لربك بذنوبك في هذا المكان، قال: فوقف آدم عليه السلام فقال: يا رب إن لكل عامل أجراً وقد عملت فما أجري؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم قد غفرت ذنبك، قال: يا رب ولولدي ولذريتي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم من جاء من ذريتك إلى هذا المكان وأقرّ بذنوبه وتاب كما تاب، ثم استغفر، غفرت له.^١

موثقة إبراهيم بن أبي البلاد قال: حدثني أبو بلال المكي قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام طاف بالبيت ثم صلى في ما بين الباب والحجر الأسود ركعتين، فقلت له: ما رأيت أحداً منكم صلى في هذا الموضع؟ فقال: هذا المكان الذي تيب على آدم فيه.^٢

رجال السند كلهم ثقات إلا أبي بلال المكي لم يرد توثيقه بل هو مجهول.

صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه إذا كان انتهى إلى الملتزم قال لمواليه: اميطوا عني حتى أقرّ لربي بذنوبي في هذا المكان فإن هذا المكان لم يقرّ عبدٌ لربه بذنوبه ثم استغفر الله إلا غفر الله له.^٣

اميطوا عني: أي تنحوا عني أو نحو الناس عني.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

كرر ذكر الهبوط لأن الأول يدل على أصله والثاني يدل على الغرض منه وغايته وهي وقوع الإنسان في دار التكليف وظهور سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

١. الكافي ٤/ ١٩٤، ح ٣.

٢. الكافي ٤/ ١٩٤، ح ٥.

٣. الكافي ٤/ ٤١٠، ح ٤.

﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وتكريره لأجل اتصال ما تعلق بمدلول ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا﴾^١ وذلك قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^٢.

﴿أَهْبَطُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَهْبَطُوا﴾، والضمير يرجع إلى ﴿الْحَنَّةِ﴾.

﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿أَهْبَطُوا﴾.

﴿فَ﴾ تفريع على الهبوط أو استئناف.

﴿إِمَّا﴾ مُرَكَّبٌ من «إن» شرطية و«ما» الزائدة دالة على تأكيد.

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ فعل مضارع ونون تأكيد ثقيلة ومفعول به. في محل جزم فعل الشرط. وهو الشرط الإجمالي ويأتي تفصيله.

﴿مَتَى﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

﴿هُدًى﴾ فاعل ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ والمراد به الدين الإلهي وشرائع الأنبياء ﷺ.

﴿فَ﴾ استئنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ. تفصيل للشرط السابق.

﴿تَبِعَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». فعل الشرط.

﴿هُدًى﴾ مفعول به ومضاف إليه. وهو نفس ﴿هُدًى﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿لَا﴾ نافية، تعمل عمل «ليس». نفي للجنس.

﴿خَوْفٌ﴾ اسمه. والخوف كله من الضرر. ويتعلق بالماضي.

﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿لَا﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا﴾ معطوف على ﴿لَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ اسم ﴿لَا﴾.

﴿يَحْزَنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَا﴾. والحزن: اهتم ويتعلق بالمستقبل.

١. سورة البقرة / ٣٦.

٢. سورة البقرة / ٣٦.

الروايات

خبر أبي إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إِنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَﻤَ لَمَّا أَصَابَ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْحَنْظَلَةَ [الْحَظِيئَةَ] أَخْرَجَهُمَا مِنَ الْجَنَّةِ وَاهْبَطَهُمَا إِلَى الْأَرْضِ فَأَهْبَطَ آدَمَ عَلَى الصِّفَا وَاهْبَطَ حَوَّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ وَإِنَّمَا سَمَّى صِفَا لِأَنَّهُ شَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِ آدَمَ الْمُصْطَفَى وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾^١ وَسَمَّيْتُ الْمَرْوَةَ مَرْوَةً لِأَنَّهُ شَقَّ لَهَا مِنْ اسْمِ الْمَرْأَةِ فَقَالَ آدَمُ: مَا فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُ لَا تَحِلُّ لِي وَلَوْ كَانَتْ تَحِلُّ لِي هَبَطْتُ مَعِيَ عَلَى الصِّفَا وَلَكِنَّهَا حَرَّمَتْ عَلَيَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، فَمَكَثَ آدَمُ مُعْتَزِلًا حَوَّاءَ، فَكَانَ يَأْتِيهَا نَهَارًا فَيَتَحَدَّثُ عِنْدَهَا عَلَى الْمَرْوَةِ فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَخَافَ أَنْ تَغْلِبَهُ نَفْسُهُ يَرْجِعُ إِلَى الصِّفَا فَيَبِيتُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لِآدَمَ أَنْسَ غَيْرَهَا وَلِذَلِكَ سَمَّيْتُ النِّسَاءَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ حَوَّاءَ كَانَتْ أَنْسًا لِآدَمَ لَا يَكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَرْسُلُ إِلَيْهِ رَسُولًا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ مِنْ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَتَلَقَّاهُ بِكَلِمَاتٍ فَلَمَّا تَكَلَّمَ بِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ جَبْرَائِيلَ عليه السلام فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آدَمُ التَّائِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ الصَّابِرُ لِبَلِيَّتِهِ إِنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِأُعَلِّمَكَ الْمَنَاسِكَ الَّتِي تَطْهَرُ بِهَا فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ ، الْحَدِيثُ ٢.**

وروى الكليني نظيرها في الحديث الذي بعده في الكافي الشريف.^٣

حسنة محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى جَبْرَائِيلَ عليه السلام: أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَأَتَى قَدْ رَحِمْتَ آدَمَ وَحَوَّاءَ لَمَّا شَكَا إِلَى مَا شَكَا فَأَهْبَطَ عَلَيْهِمَا بِخِيَمَةٍ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ وَعَزَّهْمَا عَنِّي بِفِرَاقِ الْجَنَّةِ وَأَجْمَعَ بَيْنَهُمَا فِي الْخِيَمَةِ فَإِنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمَا لِبُكَائِهِمَا وَوَحْشَتِهِمَا فِي وَحْدَتِهِمَا وَأَنْصَبَ الْخِيَمَةَ عَلَى التَّرْعَةِ الَّتِي بَيْنَ جِبَالِ مَكَّةَ، قَالَ: وَالتَّرْعَةُ: مَكَانُ الْبَيْتِ وَقَوَاعِدُهُ الَّتِي رَفَعَتْهَا الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ آدَمَ،**

١. سورة آل عمران / ٣٣.

٢. الكافي ٤ / ١٩٠، ح ١.

٣. الكافي ٤ / ١٩١، ح ٢.

فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، قال: وأنزل جبرئيل آدم من الصفا وأنزل حواء من المروة وجمع بينهما في الخيمة، الحديث.^١ لأن المراد بمحمد بن إسحاق في السند هو محمد بن إسحاق بن يسار المدني المتوفى ١٥١ صاحب السير وهو إن كان عامياً إلا أن له ميلاً ومحبة شديدة كما رواها الكشي^٢، ولا أقل من حسنه. التَّرعة: الباب ومفتح الماء حيث يستقى الناس والدرجة والروضة في مكان مرتفع ومقام الشارية على الحوض. قاله الفيروزآبادي في القاموس.

صحيحة أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الحرم وأعلامه كيف صار بعضها أقرب من بعض وبعضها أبعد من بعض؟ فقال: إن الله تعالى لما أهبط آدم من الجنة هبط على أبي قبيس فشكا إلى ربه الوحشة وأنه لا يسمع ما كان يسمعه في الجنة فأهبط الله تعالى عليه ياقوتة حمراء فوضعها في موضع البيت فكان يطوف بها آدم فكان ضؤوها يبلغ موضع الأعلام فيعلم الأعلام على ضئوها وجعله الله حرماً.^٣

لا تنافي بين هبوط آدم عليه السلام على الصفا وبين هبوطه على أبي قبيس، لأن جبل أبي قبيس يلي جبل الصفا من الحلف على يمين من نظر إلى الكعبة على الصفا، وأنها متصلان تقريباً وإن كان أبو قبيس أكبر من الصفا وقال العلامة المجلسي في عدم التنافي: «لعل المراد به الصفا لأنه جزء من أبي قبيس أو لأنه نزل أولاً على الصفا ثم صعد الجبل»^٤.

خبر عبد الله الصيقل قال: خرج علينا أبو الحسن يعني الرضا عليه السلام في يوم خمسة وعشرين من ذي القعدة فقال: صوموا، فإني أصبحت صائماً، قلنا: جعلنا فداك أي يوم هو؟ فقال: يوم نشرت فيه الرحمة ودحيت فيه الأرض ونصبت فيه الكعبة وهبط

١. الكافي ٤/ ١٩٥، ح ٢.

٢. إختيار معرفة الرجل المعروف برجال الكشي / ٣٩٠، ح ٧٣٣.

٣. الكافي ٤/ ١٩٥، ح ١.

٤. مرآة العقول ١٧/ ١٩.

فيه آدم عليه السلام ١.

صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام : قال: قلت: كيف كان أول الطيب؟ فقال لي ما يقول من قبلكم فيه. قال: قلت: يقولون: أن آدم لما هبط إلى أرض الهند فبكى على الجنة سالت دموعه فصارت عروقاً في الأرض فصارت طيباً، فقال: ليس كما يقولون، ولكن حواء كانت تغلف قرونها من أطراف شجر الجنة فلما هبطت إلى الأرض وبلت بالمعصية رأت الحيض فأمرت بالغسل فنفضت قرونها فبعث الله تعالى ريحاً طارت به وحفظته فذرت به حيث شاء الله ﷻ من ذلك الطيب. ٢

نفي الإمام عليه السلام فيها: هبوط آدم بهند وما بعدها من كلام البزنطي المنقول من الناس يعني من العامة.

الصدوق بإسناده عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل رجل أبي عليه السلام وقال: حدثني عن رضي الرب عن آدم، فقال: إن آدم أنزل، فنزل في الهند وسأل ربه تعالى هذا البيت فأمر، أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً وأتى مناسكه فقصاها، الحديث. ٣

لم يرد في هذه الرواية هبوط آدم عليه السلام بالهند بل ورد فيها، إن آدم أنزل، أي اهبط ولم يذكر محل هبوطه ونزوله ثم قال فيها: فنزل في الهند، والفاء تدل على الترتيب.

يعني أنه عليه السلام بعد هبوطه ونزوله، نزل في الهند ولذا لا تنافي بين هذه الرواية والروايات الماضية من أن هبوطه كان على الصفا، لأن بعد هبوطه على الصفا وقبول توبته من الممكن إنه، سافر إلى الهند ونزل بها مدة. هذا ما خطر ببالي حول هذه الرواية. وقد حمل العلامة المجلسي الروايات الواردة هبوطه بالهند على التقية حيث يقول ﷺ في مرآة العقول: «يحتمل أن يكون الهبوط أولاً على الصفا والمروة فتكون الأخبار الدالة على هبوطهما بالهند محمولة على التقية أو يكون المراد هبوطهما بعد دخول مكة وإخراجهما من البيت» ٤.

١. الكافي ٤/ ١٤٩، ح ٤.

٢. علل الشرايع / ٤٩٢، ح ٢.

٣. علل الشرايع / ٤٠٧، ح ٢.

٤. مرآة العقول ١٧/ ١٣.

خبر أبي لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ يوم الجمعة سيِّد الأيام وأعظم عند الله ﷻ من يوم الأضحى ويوم الفطر، فيه خمس خصال: خلق الله ﷻ فيه آدم ﷺ، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها شيئاً إلاَّ آتاه، ما لم يسأل حراماً، وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلاَّ وهنَّ يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة.^١

حسنه محمد بن إسحاق عن أبي جعفر ﷺ عن آبائه ﷺ عن علي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إنَّما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى أخرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى اهبطهما الله من يومها ذلك.^٢

الرواية حسنة من حيث السند بمحمد بن إسحاق بن يسار المدني صاحب السير.

العياشي رفعه عن جابر قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: تفسيرها: علي ﷺ الهدى، قال الله فيه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.^٣

السيد هاشم البحراني رفعه إلى الحافظ رجب البرسي رفعه عن ابن عباس في معنى هذه الآية: الهدى علي بن أبي طالب ﷺ. وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ﴾^٤ يعني: علياً ﷺ.^٥

في كيفية نزول آدم ﷺ من الجنة وحزنه على فراقها راجع إن شئت بحار الأنوار^٦ في أكثر من

١. الخصال ١/ ٣١٥، ح ٩٧.

٢. الخصال ٢/ ٣٩٦، ح ١٠٣.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٣١، ح ٣٢.

٤. سورة المؤمنون / ٧١.

٥. اللوامع النورانية في أسماء علي ﷺ وأهل بيته القرآنية / ١٩.

٦. بحار الأنوار ١١/ ٢١٧-٢٠٤ (٥/ ١٤٥-١٣٨).

ثلاثين رواية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 

تمت الآية السابقة واستيعاب لأقسام ذرية آدم وفيه تعريض بالمشركين.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، مبتدأ، معطوف على ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَٰذَا﴾^١.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. الكفر: السَّتر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿كَذَّبُوا﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾. والتكذيب: خلاف التصديق. ولعل المراد بالكفر والتكذيب هنا الكفر والتكذيب الاعتقادي لا العملي المحض كما عليه ظاهر الآية الشريفة.

﴿بِآيَاتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كَذَّبُوا﴾. و «ب» يكثر دخولها على متعلق مادة التكذيب مع أنها متعدّ بنفسه.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم إشارة. جمع هذا. مبتدأ ثان.

﴿أَصْحَابُ﴾ خبر ﴿أُولَٰئِكَ﴾. جمع صاحب وهو هنا بمعنى الملائم.

﴿النَّارِ﴾ مضاف إليه. وجملة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ﴾ وهو المبتدأ

الأول.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. يرجع إلى الكفار والمكذبين.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر، والضمير يرجع إلى ﴿النَّارِ﴾.

﴿خَالِدُونَ﴾ خبر ﴿هُمْ﴾.

قال الشيخ طوسي: «الاستدلال بهذه الآية: على أن من مات مُصراً على كفره غير تائب منه، وكَذَّبَ بآيات ربه، فهو مخلَّد في نار جهنم. صحيح؛ لأن الظاهر يفيد ذلك»^١.

الروايات

معتبرة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد، فأما الحرص: فإنَّ آدم عليه السلام حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها، وأما الاستكبار: فإبليس حيث أمر بالسجود لآدم فأبى، وأما الحسد، فابن آدم حيث قتل أحدهما صاحبه.^٢

صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: والله إنَّ الكفر لأقدم من الشرك وأخبث وأعظم، قال: ثمَّ ذكر كفر إبليس حين قال لهك اسجد لآدم فأبى أن يسجد فالكفر أعظم من الشرك، فمن اختار الله على الله ﷻ وأبى الطاعة وأقام على الكبائر فهو كافر ومن نصب ديناً غير دين المؤمنين فهو مشرك.^٣

صحيحة محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلُّ شيءٍ يحجره الاقرار والتسليم فهو الإيمان وكل شيءٍ يحجره الإنكار والجحود فهو الكفر.^٤
معتبرة أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ علياً صلوات الله عليه باب فتحه الله من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً.^٥

معتبرة فضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الله ﷻ نصب علياً علماً بينه

١. التبيان ٢/ ١٢٧.

٢. الكافي ٢/ ٢٨٩، ح ١.

٣. الكافي ٢/ ٣٨٣، ح ٢.

٤. الكافي ٢/ ٣٨٧، ح ١٥.

٥. الكافي ٢/ ٣٨٨، ح ١٦.

وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره، كان كافراً ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ومن جاء بولايته دخل الجنة ومن جاء بعداوته دخل النار.^١

معتبرة السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان: البطن والفرج.^٢

معتبرة حمزة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة مخوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم مخوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار.^٣

معتبرة بكر بن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الشك والمعصية في النار، ليسا منّا ولا إلينا.^٤

خبر أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنة في الجنة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^٥ قال: على نيّته.^٦

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال: قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالات على صدق محمد ﷺ على ما جاء به من أخبار القرون السالفة، وعلى ما أدّاه إلى عباد الله من ذكر تفضيله، لعلي عليه السلام وآله الطيبين، خير

١. الكافي ٢/ ٣٨٨، ح ٢٠.

٢. الكافي ٢/ ٧٩، ح ٥.

٣. الكافي ٢/ ٨٩، ح ٧.

٤. الكافي ٢/ ٤٠٠، ح ٥.

٥. سورة الاسراء / ٨٤.

٦. الكافي ٢/ ٨٥، ح ٥.

الفاضلين والفاضلات، بعد محمد سيد البريات ﴿أُولَئِكَ﴾ الدافعون لصدق محمد في إنبائه، والكذّبون له في نصب أوليائه: عليّ سيّد الأوصياء والمنتجين من ذريته الطاهرين ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

الروايات حول الكفر والنار كثيرة جداً فإن شئت راجع إلى العنوانين في كتابنا «موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام)»^٢.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

«بعد أن ذكر سبحانه خلق الإنسان، وحالاته وأطواره، خاطب طائفة خاصّة - وهم اليهود - وبدأ بذكرهم، لأنهم أقدم الطوائف التي أرسل فيهم الأنبياء والرسول، وأنزل فيهم الكتب، وهم أوّل طائفة من الأمم هبطوا من ذروه المقام الإنساني، إلى درك حضيض البهيمية، وهم السابقون في نقض عهد الله مصرّين على ذلك، وملتمزين بغيّهم وجحودهم»^٣.

﴿يَا﴾ أداة نداء. ﴿بَنِي﴾ منادى. جمع ابن.

﴿إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه. ﴿إِسْرَءِيلَ﴾ مركب من كلمتين: ١- «إسرا»: ومعناه العبد أو الصفوة و ٢- «ئيل»: وهو الله بالعبرانية. فمعناه «عبدالله» أو «صفوة الله». والمراد به يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام). والخطاب يتوجه إلى ذرية يعقوب (عليه السلام). ﴿أَذْكُرُوا﴾ فعل أمر وفاعله. الذكر: بكسر الذال وضمها يطلق على خطور شيء

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٢٢٧، ح ١٠٦.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) ٩ / ٣٧٠ و ١١ / ١٩٩.

٣. مواهب الرحمن ١ / ٢٧٩.

ببال من نسيه.

﴿نَعَمْتَ﴾ مفعول به ومضاف إليه والضمير يرجع إلى الله تعالى. «والمراد بذلك: جميع النعم الواصلة إليهم، مما اختصوا به، دون آبائهم، أو اشتركوا فيها معهم، وكان نعمة على الجميع»^١.

ونعم الله عليهم كثيرة نحو: نجاتهم من آل فرعون بفرق البحر وغرق فرعون وجنوده ومواعدة الطور وغيرها.

﴿أَلَتِي﴾ اسم موصول، نعت لـ ﴿نَعَمْتَ﴾.

﴿أَنْعَمْتُ﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى «الله» تعالى.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْعَمْتُ﴾.

كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

وكما قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٣.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَوْفُوا﴾ فعل امر وفاعله. معطوف على ﴿أَذْكُرُوا﴾. الوفاء: الحفظ والإتمام وعدم النقص، ضده الغدر.

﴿بِعَهْدِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَوْفُوا﴾. وعهد الله هو طاعته والإتيان بأوامره وترك معصيته ونواهي.

﴿أُوفِ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر وفاعله ضمير مستتر «أنا» يرجع

١. التبيان ٢/ ١٣٥.

٢. سورة المائدة / ٢٠.

٣. سورة الجاثية / ١٦.

إلى «الله» تعالى.

﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. وهو رضوان الله تعالى ودخول العباد

إلى الجنة.

﴿وَ﴾ عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾.

﴿إِنِّي﴾ مفعول به مقدم، وتقديمه يفيد الحصر «وتقديم المفعول مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإياي اذهبون أكد من نحو إياي اذهبوا... ووجهه عندي أن تقديم المفعول يحتمل الاختصاص، إلا أن الأصل فيه أن يدل على الاختصاص إلا إذا أقامت القرينة على التقوى فإذا كان مع التقديم اشتغال الفعل بضمير المقدم نحو زيدا ضربته كان الاختصاص أوكد أي كان احتمال التقوى أضعف وذلك لأن أسناد الفعل إلى الضمير بعد اسناده إلى الظاهر المتقدم يفيد التقوى فتعين أن تقديم المفعول للاختصاص دون التقوى إذ التقوى قد حصل بإسناد الفعل أولاً إلى الاسم أو الظاهر المتقدم وثانياً إلى ضمير المقدم»^١.

﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿أَرْهَبُونَ﴾ فعل أمر وفاعله ونون الوقاية و «ي» محذوف مفعول به وجعلت بدله الكسرة تحت نون الوقاية: الرهبة: الحَشْيَةُ والمَخَافَةُ والخوف المشوب بالاضطراب.

الروايات

موثقة سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جل وعز: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال:

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٤٠.

بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: أوف لكم بالجنة. ١

خبر خيثمة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ونحن وديعة الله في عباده ونحن حرم الله الأكبر ونحن ذمة الله ونحن عهد الله، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده. ٢

الحفر: نقض العهد والعذر به.

معتبرة طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قرأت في كتاب علي عليه السلام: إن الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال لأن العلم كان قبل الجهل. ٣

صحيحة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر الزنا من بعدى كثر موت الفجأة، وإذا طفف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فیدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم. ٤

حسنة الحسن بن علي الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن

١. الكافي ١/ ٤٣١، ح ٨٩.

٢. الكافي ١/ ٢٢١، ح ٣.

٣. الكافي ١/ ٤١، ح ١.

٤. الكافي ٢/ ٣٧٤، ح ٢.

زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.^١
الكليني بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في صفة المؤمن: ... خالص الود،
وثيق العهد، وفي العقد الحديث.^٢

الصدوق بإسناده إلى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في ما سأله
الشامي عنه عليه السلام في حديث طويل وسأله عن ستة من الأنبياء لهم اسمان: فقال: يوشع
بن نون وهو ذوالكفل، ويعقوب وهو إسرائيل، والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو
ذوالنون، وعيسى وهو المسيح ومحمد وهو أحمد عليه السلام، الحديث.^٣

خبر محمد بن عمار عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص
توأمين، فولد عيص ثم ولد يعقوب، فسمى يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص،
ويعقوب هو إسرائيل ومعنى إسرائيل عبدالله، لأن اسرا هو عبد، وايل هو الله ﷻ.^٤
الصدوق قال: ورؤي في خبر آخر إن اسرا هو القوة، وايل هو الله ﷻ فمضى
إسرائيل: قوة الله ﷻ.^٥

خبر ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده
شيث فما وفي له، ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه سام فما
وفت أمته، ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه إسماعيل فما
وفت أمته، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون
فما وفّت أمته، ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه

١. الكافي ٤/ ٥٦٧، ح ٢.

٢. الكافي ٢/ ٢٢٨.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٤٥.

٤. علل الشرايع ٤٣، ح ١.

٥. علل الشرايع ٤٣، ح ٢.

شمعون بن حمون الصفا فما وفّت امته، وإني مفارقكم عن قريب وخارج من بين أظهركم وقد عهدت إلى أمتي في علي بن أبي طالب عليه السلام وإثما^١ [الراكبة سنن من قبلها من الأمم في مخالفة وصيي وعصيانه، ألا وإني مجدّد عليكم عهدي في عليّ، فمن نكث فإنما تيكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً].

أيها الناس إنّ عليّاً إمامكم بعدي وخليفتي عليكم وهو وصيي ووزير وأخي وناصري وزوج ابنتي وأبو ولدي وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائمي، من أنكره فقد أنكرني ومن أنكرني فقد أنكر الله تعالى ومن أقرّ بإمامته فقد أقرّ بنبوتي، ومن أقرّ بنبوتي فقد أقرّ بوحدانيّة الله تعالى.

أيها الناس من عصي عليّاً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصي الله تعالى ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله.

أيها الناس من ردّ عليّ في قول أو فعل فقد ردّ عليّ، ومن ردّ عليّ فقد ردّ عليّ الله فوق عرشه.

أيها الناس من اختار منكم عليّ عليّ إماماً فقد اختار عليّ نبياً، ومن اختار عليّ نبياً فقد اختار عليّ الله تعالى ربّاً.

أيها الناس إنّ عليّاً سيّد الوصيين وقائد الغر المحجلّين ومولى المؤمنين، وليّه وليي ووليي وليّ الله، وعدوّه عدوّي، وعدوّي عدوّ الله.

أيها الناس أوفوا بعهد الله في عليّ يوف لكم في الجنة يوم القيامة.^٢

لتفصيل تسلسل الأوصياء بعد الأنبياء عليهم السلام راجع إن شئت كتاب «إثبات الوصية» للمسعودي رحمه الله صاحب مروج الذهب المتوفى عام ٣٤٦.

صحيحة جميل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال له رجل: جعلتُ فداك، إنّ الله يقول:

١. الضمير راجع إلى الأئمة.

٢. معاني الأخبار / ٣٧٢.

﴿أَدْعُوْنِيْ اَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^١ وإِنَّا ندعو فلا يستجاب لنا، قال: لَأَنْتُمْ لَا تُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ،
لو وفيتم لوفى الله لكم.^٢

العياشي رفعه عن سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِيْ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أوفوا بولاية علي عليه السلام فرضاً من الله أوف لكم الجنة.^٣

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^ط

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾

«شروع في دعوة بني إسرائيل إلى الإسلام وهدى القرآن وهذا هو المقصود من خطابهم ولكن قدم بين يديه ما يهيئ نفوسهم إلى قبوله كما تتقدم المقدمة على الغرض، والتخليّة على التحلية»^٤.

و «تفصيلٌ بعد إجمال، فإنّ قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِيْ﴾^٥ يشمل الإيمان بالنبي ﷺ، إلّا أنّه تعالى ذكره بالخصوص تنبيهاً لهم وتعظيماً لأمره.

وهذه الآية المباركة تدلّ بالدلالة الالتزامية العادية على إخبار موسى عليه السلام بشريعة خاتم الأنبياء ﷺ، لأنّ كلّ شريعة سابقة لابدّ أن تُخبر بالشريعة اللاحقة، كما أخبر تعالى عن الشرائع السابقة في القرآن»^٦.

١. سورة غافر / ٦٠.

٢. تفسير القمي ١/ ٤٦.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٣١، ح ٣٣.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور / ٤٤٣.

٥. سورة البقرة / ٤٠.

٦. مواهب الرحمن ١/ ٢٨٤.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿ءَامِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿إِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾. ﴿ءَامِنُوا﴾ أي صدّقوا. الإيمان: التصديق.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر، متعلّق بـ ﴿ءَامِنُوا﴾. ﴿أَنْزَلْتُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى «الله» تعالى. أي ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ على محمد ﷺ من القرآن. ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿لَمَّا﴾ جار و ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر متعلّق بـ ﴿مُصَدِّقًا﴾. ﴿مَعَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بصلة الموصول المحذوفة، تقديره: ﴿لَمَّا﴾ هو موجود ﴿مَعَكُمْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾. والمراد بـ ﴿مَا مَعَكُمْ﴾ كتابي العهد العتيق والعهد الجديد.

«يعني: إنّ القرآن مُصَدِّقٌ لما مع اليهود من بني إسرائيل مِنَ التوراة. فأمرهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم أنّ في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة؛ لأنّ الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوّة محمد ﷺ وتصديقه نظير الذي في التوراة والإنجيل. وموافق لما تقدّم من الإخبار به، فهو مصداق ذلك الخبر»^١.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَا تَكُونُوا﴾ فعل نهي وفاعله. معطوف على ﴿ءَامِنُوا﴾. ﴿أَوَّلَ﴾ مفعول به. ﴿كَافِرٍ﴾ مضاف إليه. ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿كَافِرٍ﴾. والضمير يرجع إلى «القرآن» وهو ﴿مَا أَنْزَلْتُ﴾ هـ. والكفر بالقرآن كفر بمن جاء به ﷺ.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَا تَشْتَرُوا﴾ فعل نهي وفاعله. معطوف على ﴿لَا تَكُونُوا﴾. ﴿لَا تَشْتَرُوا﴾: لا تتبادلوا.

﴿بِقَايَتِي﴾. جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿لَا تَشْتَرُوا﴾، والمراد بها الآيات الواردة في القرآن الكريم أو مطلق تشريعات الله في معارف الدين وأحكامه. ﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به. الثمن: هو العوض في البيع. نكرة في سياق النهي وهو كالنفي يشمل كل عوض.

﴿قَلِيلًا﴾ نعتة. القلة: النقصان في العدد. يدلّ على أنّ كل ما أخذ في مقابل الاعراض عن آيات الله فهو قليل، وإن كان يصدق عليه الكثرة في الظاهر. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿إِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ معطوف على ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾^١. والرهبة مقدمة التقوى.

الروايات

العباشي رفعه عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني: فلاناً وصاحبه ومن تبعهم ودان بدينهم، قال الله يعنيهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني: علياً عليه السلام.^٢

يعني: ولا تكونوا أول كافر بعلي عليه السلام.

الطوسي قال: روي عن النبي ﷺ: من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.^٣

١. سورة البقرة / ٤٠.

٢. تفسير العبّاشي ١/ ١٣١، ح ٣٤.

٣. التبيان ٢/ ١٤٧ (١/ ١٨٧).

ورواها مرسلاً الطبرسي في مجمع البيان^١ والشيخ أبو الفتوح الرازي في روض الجنان^٢.
الطوسي قال: روي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
قال عليه السلام: «كان لحبي بن أخطب وكعب بن أشرف وآخرين منهم مأكلة على يهود في
كل سنة، وكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته
وذكره، فذلك الثمن القليل الذي أريد به في الآية»^٣.

ورواها الطبرسي مرسلاً في مجمع البيان^٤.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله ﷻ لليهود: ﴿وَأَمِنُوا﴾
أيها اليهود ﴿بِمَا أُنزِلَتْ﴾ على محمد نبي من ذكر نبوته وإنباء إمامة أخيه على وعترته
الطاهرين ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ فإن مثل هذا الذكر في كتابكم: إن محمداً النبي سيد
الأولين والآخرين، المؤيد بسيد الوصيين وخليفة رسول رب العالمين، فاروق هذه
الامة وباب مدينة الحكمة ووصي رسول رب الرحمة.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي﴾ المنزلة بنبوة محمد وإمامة علي والطيبين من عترته ﴿ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ بأن تجحدوا نبوة النبي محمد ﷺ وإمامة الإمام عليه السلام وأهلهما عليهم السلام وتعتاضوا عنها
عرَض الدنيا، فإن ذلك - وإن كثر - إلى نفاذ وخسار وبوار.

ثم قال ﷻ: ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ في كتمان أمر محمد وأمر وصيه، فإنكم إن تتقوا لم
تقدحوا في نبوة النبي ولا في وصية الوصي، بل حجج الله عليكم قائمة وبراهينه بذلك
واضحة، قد قطعت معاذيركم وأبطلت تمويهكم.

وهؤلاء يهود المدينة جحدوا نبوة محمد ﷺ وخانوه، وقالوا: نحن نعلم أن
محمداً نبياً وأن علياً وصيه، ولكن لست أنت ذاك ولا هذا - يشيرون إلى علي - فأنطلق

١. مجمع البيان ١ / ٩٥.

٢. روض الجنان ١ / ٢٤٢.

٣. التبيان ٢ / ١٤٩ (١ / ١٨٨).

٤. مجمع البيان ١ / ٩٥.

الله ثيابهم التي عليهم، وخفافهم التي في أرجلهم، يقول كل واحد منهم للابسه: كَذَبْتَ يا عدو الله، بل النبي محمد هذا، والوصي علي هذا، ولو أذن الله لنا لضغطناكم وعقرناكم وقتلناكم.

فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِعَمَلِهِمْ لَعْنَهُ سَيُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ذُرِّيَّاتَ طَيِّبَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ، وَلَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ عَذَابًا أَلِيمًا، إِنَّهَا يَعَجَّلُ مَنْ يَخَافُ الْفُوتَ.^١

البوار: الهلاك. التمويه: التلبس. عقره: جرحه. زِيلته فتزِيل: فرّقته فتفرّق.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾

انتقال من غرض التحذير من الضلال إلى غرض التحذير من الإضلال.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَا تَلْبِسُوا﴾ فعل نهي وفاعله. اللبس: الخلط بين المتشابهات بحيث يعسر معه التمييز أو يتعذر.

﴿الْحَقَّ﴾ مفعول به. ﴿الْحَقَّ﴾: الأمر الثابت.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿لَا تَلْبِسُوا﴾. الباطل: ضد الحق. «لبس الحق بالباطل» ترويج الباطل في صورة الحق وهذا اللبس هو مبدأ التضليل والإلحاد.^٢
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تَكْتُمُوا﴾ معطوف بـ ﴿تَلْبِسُوا﴾. الكتان: الستر والتغطية والجحد وترك

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٢٨، ح ١٠٨.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١ / ٤٥٥.

الاعتراف.

﴿الْحَقَّ﴾ مفعول به. ﴿و﴾ حالة.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. والضمير يرجع إلى رؤساء أهل الكتاب.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر.

الروايات

معتبرة أبي بصير عن إحداهما عليه السلام قال: قال: إن الله لم يدع الأرض بغير عالمٍ ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل.^١

صحيحة عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أبى الله أن يعرف باطلاً حقاً، أبى الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلاً لا شك فيه، وأبى الله أن يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقاً لا شك فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا، ما عُرِفَ حق من باطل.^٢

الطوسي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال للحارث بن حوط: يا حار، إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله.^٣

ورواها الطبرسي مرفوعاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قاله للحارث بن حوط.^٤

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: خاطب الله بها قوماً من اليهود لبسوا الحق بالباطل بأن زعموا أن محمداً نبياً وأن علياً وصي ولكنهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسائة سنة، فقال لهم رسول الله ﷺ أترضون التوراة بيني وبينكم حكماً؟ فقالوا: بلى، فجاءوا بها، وجعلوا يقرءون منها خلاف ما فيها، فقلب الله ﷻ الطومار

١. الكافي ١/ ١٧٨، ح ٥.

٢. المحاسن ٢٧٧ / (١/ ٤٣٢)، ح ٤٠٠.

٣. التبيان ١/ ١٩٠.

٤. مجمع البيان ١/ ٩٥.

الذي كانوا فيه يقرءون، وهو في يد قراءين منهم، مع أحدهما أوله ومع الآخر آخره، فانقلب ثعباناً له رأسان، وتناول كل رأس منهما يمين من هو في يده وجعل يرصّضه ويهشّمه ويصيح الرجالن ويصرخان.

وكانت هناك طوامير أخر، فنطقت وقالت: لا تزالان في العذاب حتى تقرءا ما فيها من صفة محمد ﷺ ونبوته وصفة علي ﷺ وإمامته على ما أنزل الله فيها، فقراءه صحيحاً وآمناً برسول الله ﷺ واعتقد إمامة علي ولي الله ووصي رسول الله ﷺ .

فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بأن تقرؤا لمحمد ﷺ وعلي ﷺ من وجه وتجدوهما من وجه، وبأن ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ من نبوة محمد هذا وإمامة علي هذا. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنكم تكتُمونه، وتكابرون علومكم وعقولكم، فإن الله - إذا كان قد جعل أخباركم حجة ثم جحدتم - لم يضيع هو حجته، بل يقيمها من غير جهتكم، فلا تُقدِّروا أنكم تغالبون ربكم وتقاہرونه.^١

وقد روت الخاصة والعامة أن رسول الله ﷺ قال: عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ.

من الخاصة أعلى الله كلمتهم راجع بحار الأنوار^٢ للعلامة المجلسي قدس سره القدوسي.
ومن العامة: ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق^٣ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة^٤.

وقال الموفق بن أحمد الخوارزمي المتوفى عام ٥٦٨ في كتابه المناقب: «قال رسول الله ﷺ سيكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطل»^٥.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٣٠.

٢. بحار الأنوار ٣٨ / ٤٠ - ٢٦ (١٦ / ٣٤ - ٢٤).

٣. تاريخ مدينة دمشق ٣ / ١٢٠.

٤. شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٩٧.

٥. المناقب ١٠٥، ح ١٠٨.

٣٠٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

وقال الفخر الرازي في تفسيره في ذكر أدلة الجهر بالبسملة: وأما أن علي بن أبي طالب عليه السلام كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله عليه السلام: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار.^١
فراجع إن شئت إلى ما كتبه حول الحديث في كتابي المطبوع ولايت و امامت^٢ باللغة الفارسية والحمد لله على أول النعم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

«بعد أن أمرهم الله تعالى بالإيمان، أمرهم بأهم وظائف العبودية، وهي الصلاة على ما قررتها الشريعة، ثم أمرهم بأهم الوظائف الاجتماعية، وهي الزكاة بما قررتها الشريعة، من بذل المال والسعي في الحوائج، بل زكاة الجاه. ثم أمرهم بالركوع مع الراكعين، لأنّ العبادة الاجتماعية أهمّ من العبادة الفردية، لما فيها من المصالح الكثيرة»^٣.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَقِيمُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾^٤. والاقامة غير القراءة، إقامة الصلاة: الإتيان بها على موازينها الشرعية.
﴿الصَّلَاةُ﴾ مفعول به. ﴿الصَّلَاةُ﴾ في اللغة الدعاء وفي الشرع العبادة الخاصة يعرفها المسلمون وغيرهم.

١. التفسير الكبير ١/ ٢٠٥.

٢. ولايت و امامت / ١٩٣.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٢٨٦.

٤. سورة البقرة / ٤١.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿ءَاتُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿أَقِيمُوا﴾. ﴿ءَاتُوا﴾: أعطوا.

﴿الزَّكَاةَ﴾ معفول به. ﴿الزَّكَاةَ﴾ في اللغة النَّمُو والنَّهْي والزيادة والتطهير وفي

الشرع: «ما يجب إخراجه عن المال نِهَاءً ما يَنْتَقِي وَيُثْمِر»^١.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿ارْكَعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. الركوع في اللغة:

الانحناء والانخفاض، وفي الشرع: من أركان الصلاة ومعروف. «والمراد بالركوع إمَّا الركعة، ويكنى به عن الصلاة، لأنَّه أهمُّ أركانها، أو لأجل أنَّ الركوع كان أشقَّ عليهم من السجود، فذكرهم تبارك وتعالى بالخصوص، أو للإشارة إلى نبذ عبادتهم والإتيان بهذه العبادة الجديدة»^٢.

﴿مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿ارْكَعُوا﴾. «حثٌّ على صلاة الجماعة»^٣.

الروايات

صحيحة زرارة ومحمّد بن مسلم و أبي بصير وبريد وفضيل كلّهم عن

أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: فرض الله الزكاة مع الصلاة.^٤

تعرف بصحيحة الفضلاء.

خبر معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام. قال: إنّ الله تبارك وتعالى قرن

الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة

١. التبيان ٢/ ١٦٣.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٢٨٦.

٣. التبيان ٢/ ١٦٨.

٤. الكافي ٣/ ٤٩٧، ح ٥.

لم يقيم الصلاة.^١

موثقة سماعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله ﻻ يفرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلَّا بأدائها وهي الزكاة بها حقنوا دماءهم وبها سموا مسلمين، الحديث.^٢

صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله ﻻ يفرض الزكاة كما فرض الصلاة ولو أنَّ رجلاً حمل الزكاة فأعطاهما علانية لم يكن عليه في ذلك عيب، وذلك أن الله ﻻ يفرض في أموال الأغنياء للفقراء ما يكتفون به الفقراء، ولو علم أنَّ الذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم وإنَّما يؤتي الفقراء في ما أتوا من منع منعهم حقوقهم لا من الفريضة.^٣

قال الفيض رحمته الله: يُؤتى وأُتوا كلاهما على المجهول من الإتيان بمعنى المجيء يعني: أنَّ الفقراء لم يصابوا بالفقر والمسكنة من قلة قدر الفريضة المقدرة لهم في أموال الأغنياء، وإنَّما يصابون بالفقر والدَّلة ويدخل عليهم ذلك في جملة ما دخل عليهم من البلاء، من منع الأغنياء عنهم الفريضة المقدرة لهم في أموالهم.^٤

صحيحة هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام في حديث قال: نزلت الزكاة وليس للناس أموالٌ وإنَّما كانت الفطرة.^٥

ورواها العياشي مرسلًا في تفسيره.^٦

العياشي رفعه عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﻻ:

١. الكافي ٣/٥٠٦، ح ٢٣.

٢. الكافي ٣/٤٩٨، ح ٨.

٣. الكافي ٣/٤٩٨، ح ٧.

٤. الوافي ١٠/٤٨.

٥. الفقيه ٢/١١٧، ح ٥٠٥.

٦. تفسير العياشي ١/١٣٢، ح ٣٨.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قال: هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين.^١
العباشي رفعه عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن
صدقة الفطر، أواجبة هي بمنزلة الزكاة؟ فقال: هي مما قال الله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ﴾ هي واجبة.^٢

العباشي رفعه عن سالم بن مكرم الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أعط الفطرة
قبل الصلاة وهو قول الله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ والذي يأخذ الفطرة عليه أن
يؤدّي عن نفسه وعن عياله، وإن لم يعطها حتى ينصرف من صلاته فلا تعدّ فطرة.^٣
خبر إسحاق بن مبارك قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن صدقة الفطرة، أهي مما
قال الله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾؟ فقال: نعم.^٤

خبر عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال
رسول الله ﷺ: إنّ عمود الدين الصلاة وهي أوّل ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فإن
صحت نُظِرَ في عمله وإن لم تصح لم يُنْظَر في بقيّة عمله.^٥

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: إنّ أفضل الفرائض
بعد المعرفة الصلاة وأوّل ما يحاسب العبد عليها، فإن قبلت قبل ماسواها وإن ردّت ردّت
ما سواها.^٦

وعنه عليه السلام: الصلاة قربان كلّ تقي.^٧

١. تفسير العبّاشي ١/ ١٣١، ح ٣٥.

٢. تفسير العبّاشي ١/ ١٣١، ح ٣٦.

٣. تفسير العبّاشي ١/ ١٣٢، ح ٣٩.

٤. التهذيب ٤/ ٨٩.

٥. التهذيب ٢/ ٢٣٧.

٦. روض الجنان ١/ ٢٤٧.

٧. روض الجنان ١/ ٢٤٧.

وعنه عليه السلام : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة.^١
 وعنه عليه السلام : موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد.^٢
 وعنه عليه السلام : الصلاة كفارة الخطايا، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ﴾^٣.
 وعنه عليه السلام : الزكاة قنطرة الإسلام.^٤
 ابن شهر آشوب السروي المازندراني عن أبي عبيدة المَرْزُبَانِي وأبي نُعَيْم الإصفهاني في كتابيهما «ما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام» والنطنزي في الخصائص، وروى أصحابنا عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ نزلت في رسول الله وعلي ابن أبي طالب وهما أول من صلى وركع.^٥
 أبي صالح عن ابن عباس قوله: ﴿أَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أنها نزلت في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهم أول من صلى وركع.^٦
 وهكذا رواها ابن مردويه في كتابه: ما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام^٧ والخوارزمي في مناقبه.^٨
 خبر زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام.^٩
 النسائي بسنده عن عفيف - يعني الكندي - قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا

١. روض الجنان ١/ ٢٤٧.

٢. روض الجنان ١/ ٢٤٧.

٣. سورة هود/ ١١٤.

٤. روض الجنان ١/ ٢٤٨.

٥. روض الجنان ١/ ٢٥٠.

٦. المناقب ٢/ ١٣.

٧. تفسير الحبري / ٢٣٧.

٨. ما نزل من القرآن في عليٍّ عليه السلام / ٢٢٢، ح ٣١١، المطبوع مع مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام في عام ١٤٢٢ بقم المقدسة.

٩. المناقب / ٢٨٠، ح ٢٧٤.

١٠. المناقب / ٥٦، ح ٢٢، طبع جماعة المدرسين عام ١٤١١.

أريد أن أتباع لأهلي من ثيابها وعطرها فأتيت العباس بن عبدالمطلب وكان رجلاً تاجراً فأنا عنده جالس حيث أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت، إذ جاء شاب فرمي ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام على يمينه ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلقهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم! قال العباس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا عليّ ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إن ابن أخي هذا أخبرني: أن ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على الأرض كلّها أحدٌ على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.^١

وقد كتبت حول هذا الحديث ومفاده في كتابي: ولايت و امامت^٢ فراجعه إن شئت.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتَبُونَ﴾ 

ذكر الله في هذه الآية بعض أفعال اليهود الفاسدة لأنهم «كانوا يدعون إلى الإيمان وتلاوة الكتاب، وقد وصفوا أنفسهم بالعدل، وخالفوا إلى غيره، ووبّخهم على هذا الفعل توبيخاً شديداً، والخطاب وإن كان موجّهاً إلى بني إسرائيل، لكنّه عامٌ إلى جميع من يأمر بالحق ولا يعمل به، وهو من أعظم القبائح النظامية في الاجتماع»^٣.

﴿أ﴾ حرف استفهام، تقرير وتوبيخ بلفظ الاستفهام.

١. الخصائص / ٣.

٢. ولايت و امامت / ١٥١.

٣. مواهب الرحمن / ١ / ٢٨٨.

﴿تَأْمُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والمخاطب أحبار اليهود أو جميع بني إسرائيل الذين خوطبوا من قبل بل يشمل غيرهم من الذين يأمرون بالحق ولا يعملون به. ﴿النَّاسِ﴾ مفعول به. والمراد بهم إمّا عامة اليهود أو جميع ﴿النَّاسِ﴾ من عدا الأمر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿تَأْمُرُونَ﴾. ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ في اللغة الصلّة والإحسان ويطلق على كلّ خيرٍ من الإحسان «والفرق بين البرِّ والحيِّر: إنّ البرَّ يَدُلُّ على قَصْد، والحيِّرُ قَدْ يَقَعُ على وَجْهِ السَّهْوِ»^١. ﴿وَالْحَالِيَةَ﴾.

﴿تَنْسَوْنَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والنسيان أخص من السهو والغفلة، وضده: الذكر. «وحدّ النسيان: عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره لها. والفرق بين النسيان والسهو: إنّ السهو يكون ابتداءً وبعد الدُّكْر، والنسيان لا يكون إلّا بعد الدُّكْر. والدُّكْر والنسيان معاً من فعل الله تعالى؛ لأنّ الإنسان يجتهد أن يتذكّر شيئاً فلا يذكره»^٢.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه، الأنفس: جمع نفْس «وهي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح»^٣. ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تتركونها، وليس المراد بذلك ما يضادّ الدُّكْر؛ لأنّ ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه»^٤.

١. التبيان ٢/ ١٧٢.

٢. التبيان ٢/ ١٧٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٦٠.

٤. التبيان ٢/ ١٧٤.

﴿و﴾ حالة. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تَتْلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. التلاوة: القراءة والدراسة.

﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به. والمراد به التوراة إن كان المخاطب اليهود وغيرها من

الكتب السماوية إن كان المخاطب جميع الناس.

﴿أ﴾ حرف استفهام، توبيخ شديد. ﴿فَ﴾ تفرعية على ﴿تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «العقل من العقل، لأنه يربط صاحبه عن

ارتكاب القبائح، ويحرضه على إتيان المحاسن، وهو ضدّ الجهل، وله إطلاقات كثيرة

في السنة»^١.

الروايات

حسنة أو معتبرة عن خيثة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام أودّعه فقال: يا

خيثة أبلغ من ترى من موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وأن يعود غنيهم

على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم وأن يشهد حيّهم جنازة ميتهم وأن يتلاقوا في

بيوتهم، فإنّ لقياً بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا، يا خيثة أبلغ

موالينا أنّا لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل وأنهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع، وأنّ

أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ خالفه إلى غيره.^٢

واللقاء اسم من اللقاء. وأيضاً روى الكليني آخرها بسند صحيح عن خيثة في الكافي.^٣

صحيحة أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة

١. مواهب الرحمن ١/ ٢٨٩.

٢. الكافي ٢/ ١٧٥، ح ٢.

٣. الكافي ٢/ ٣٠٠، ح ٥.

من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره.^١

وفي هذا المجال راجع باب من وصف عدلاً وعمل بغيره من الكافي الشريف.^٢

العياشي رفعه عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: فوضع يده على حلقه، قال: كالذابح

نفسه.^٣

العياشي رفعه عن الحجاج عن أبي إسحاق عمّن ذكره: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تتركون.^٤

قال علي بن إبراهيم القمي في الآية: نزلت في القصاص والخطاب، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبرٍ منهم خطيبٌ مضقّعٌ، يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه.

وقال الكمي في ذلك:

مُضَيَّبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهَا لَمَّا قَالَ فِيهَا، مَخْطِيٌّ حِينَ يَنْزِلُ

ولغيره في هذا المعنى:

وغير تقيٍّ يأمر الناس بالتقي طبيبٌ يداوي الناس وهو عليلٌ
مُضَقَّعٌ: أي بليغٌ.

الطبرسي رفعه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟

١. الكافي ٢/ ٣٠٠، ح ٣.

٢. الكافي ٢/ ٢٩٩.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٣٣، ح ٤٠.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٣٣، ح ٤١.

٥. تفسير القمي ١/ ٤٦.

فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبرِّ وينسون أنفسهم^١.
وروى الشيخ أبو الفتوح الرازي نحوها مع زيادة في تفسيره روض الجنان^٢ فراجع.

نجل الطبرسي رفعه عن رسول الله ﷺ. في وصاياه لعبد الله بن مسعود: ... يا ابن مسعود لا تكوننَّ ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، الحديث^٣.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه^٤.

صاحب مصباح الشريعة رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه قال: من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله تعالى وتوحيده وأمان عصمته لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنَّه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلماً أظهر [أمرأ] يكون حجة عليه، ولا ينتفع الناس به قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ويقال له: يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك، وأرخت عنه عنانك؟!^٥

المجلسي نقلاً من مناقب ابن الجوزي عن أبي نعيم الإصفهاني بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا تكن ممن يريد الآخرة بعمل الدنيا أو بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين ويعمل فيها عم الراغبين، أن أُعطي منها لم يشيع وإن ملك الكثير لم يقنع، يأمر بالمعروف ولا يأتمر وينهى ولا ينتهى، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم ويبغض العاصين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه

١. مجمع البيان ٩٨ / ١.

٢. روض الجنان ٢٥٢ / ١.

٣. مكارم الأخلاق ٣٦٠ / ٢، ح ٢٦٦٠؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٠٩ / ٧٤ (٤٣٣ / ٣٠).

٤. روض الجنان ٢٥٣ / ١.

٥. مصباح الشريعة ١٨؛ ونقل عنه في تفسير نور الثقلين ٩٥ / ١، ح ١٧١.

ويقيم على ما يكره الله منه، تعجبه نفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً، وإن ناله رخاء أعرض مغترّاً، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، يقدم المعصية ويسوّف التوبة، يصف العبر ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو من القول مكثراً ومن العمل مقلّ، يناقش في ما يفنى ويسامح في ما يبقى، يرى المغنم مغرمّاً والمغرم مغنياً، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معاصي غيره ما يستقله من معاصي نفسه ويستكثر من طاعته ما يحتقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء يرشد غيره ويغوي نفسه ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

يتوجه هذا الخطاب إلى جميع المكلفين الذين لهم شرائط التكليف ولا يختص بنبي إسرائيل.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَسْتَعِينُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ٢. «الاستعانة وهي طلب العون إنما يتم في ما لا يقوى الإنسان عليه وحده من المهات والنوازل، وإذ لا معين في الحقيقة إلا الله سبحانه فالعون على المهات مقاومة الإنسان لها بالثبات والاستقامة والاتصال به تعالى بالانصراف إليه، والاقبال عليه بنفسه، وهذا هو الصبر

١. بحار الأنوار ٦٨ / ٧٥، ح ١٦ (٣١ / ١٧٢).

٢. سورة البقرة / ٤٣.

والصلوة، وهما أحسن سبب على ذلك، فالصبر يصغر كل عزيمة نازلة، وبالأقبال على الله والالتجاء إليه تستيقظ روح الإيمان، وتنبه: ان الإنسان متَّكٍ على ركن لا ينهدم، وسبب لا ينفضم»^١.

﴿بِالصَّبْرِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَعِينُوا﴾. «أصل الصَّبْر هو: مَنَعَ النَّفْسِ حَاجَتَهَا، وَكَفَّهَا عَنْ هَوَاهَا. ومنه الصَّابِر على المصيبة؛ لَكَفَّهِ نَفْسَهُ عن الجزع»^٢.
فالصبر: «هو كَفَّ النَّفْسِ عن الهوى مع مراعاة تكليف المولى»^٣.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿الصَّلَاةِ﴾ معطوفة على ﴿الصَّبْرِ﴾. والاستعانة بالصلاة هي استعانة بالله تعالى على مهام الأمور.
﴿و﴾ استئنافية.

﴿إِنَّهَا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى ﴿الصَّلَاةِ﴾.
﴿لَا﴾ لام المرحلة. تأكيد. ﴿كَبِيرَةٌ﴾. خبر ﴿إِنَّهَا﴾. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.
﴿عَلَى الْخَشَعِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كَبِيرَةٌ﴾. والخشوع: الخضوع والأول بالقلب والثاني بالجوارح.

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^٤.
هال الأمر: أي أفزعه وعظم عليه.

١. الميزان ١/ ١٥٢.

٢. التبيان ٢/ ١٨٠.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٢٩١.

٤. الكافي ٣/ ٤٨٠، ح ١.

معتبرة بكار بن كَرْدَم وغير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: جعل قرّة عيني في الصلاة ولذتي في النساء.^١

حسنة عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: جعل قرّة عيني في الصلاة ولذتي في الدنيا النساء وريحانتي الحسن والحسين عليهما السلام.^٢

خبر سليمان عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ قال: الصبر: الصيام وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ يعني: الصيام.^٣

وروى العياشي نحوها مرفوعاً عن سليمان الضراء عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في تفسيره.^٤

العياشي رفعه عن مسمع قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمٌّ من غموم الدنيا أن يتوضّأ، ثم يدخل مسجده فيركع ركعتين فيدعو الله فيها؟ أما سمعت الله يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.^٥

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٦ مرفوعاً عن الصادق عليه السلام والملا فتح الله الكاشاني في تفسيره منهج الصادقين^٧.

العياشي رفعه عن عبد الله عن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام. [في قوله تعالى] ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قال: الصبر هو الصوم.^٨

١. الكافي ٥/ ٣٢١، ح ٧.

٢. الكافي ٥/ ٣٢١، ح ٩.

٣. الكافي ٤/ ٦٣، ح ٧.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٣٣، ح ٤٤.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٣٣، ح ٤٢.

٦. مجمع البيان ١/ ١٠٠.

٧. منهج الصادقين ١/ ١٩٥.

٨. تفسير العياشي ١/ ١٣٣، ح ٤٣.

وقال الطبرسي: روى عن أئمتنا عليهم السلام: أن المراد بالصبر الصوم.^١

معتبرة أو صحيحة أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد وينادي مناد من عند الله يُسمع آخرهم كما يسمع أولهم يقول: أين أهل الصبر؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الذي صبرتم؟ فيقولون صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معصية الله، قال: فينادي مناد من عند الله: صدق عبادي خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب.

قال: ثم ينادي مناد آخر، يُسمع آخرهم كما يُسمع أولهم، فيقول: أين أهل الفضل. فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوديتم به؟ فيقولون: كنّا يجهل علينا في الدنيا فنحتمل ويُسَاء إلينا فنعفو. قال: فينادي مناد من عند الله تعالى صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب.

قال: ثم ينادي مناد من عند الله ﷻ يُسمع آخرهم كما يُسمع أولهم فيقول: أين جيران الله في داره؟ فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ماذا كان عملكم في دار الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله في داره؟ فيقولون: كنّا نتحابّ في الله ﷻ وتبازل في الله ونتوازر في الله، فينادي مناد من عند الله: صدق عبادي خلّوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنة بغير حساب. قال: فينطلقون إلى الجنة بغير حساب.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فهؤلاء جيران الله في داره، يخاف الناس ولا يخافون، يُحاسب الناس ولا يُحاسبون.^٢

١. مجمع البيان ١/ ٩٩.

٢. أمالي الطوسي، المجلس الرابع، ح ١٢/ ١٠٢، رقم ١٥٨.

عُنُقُ من الناس: أي جماعة من الناس.

الطوسي رفعه وقال: كان النبي ﷺ إذا أحزنه أمرٌ، إستعان بالصلاة والصوم.^١

ورواها الطبرسي في مجمع البيان.^٢

إبراهيم بن محمد الثقفي رفعه وقال: إنَّ النجاشي الشاعر شرب الخمر في شهر رمضان فحدّه أمير المؤمنين عليه السلام فلما أصبح أقامه في سراويل فضربه ثمانين ثمّ زاده عشرين سوطاً وقال: هذا لجرأتك على ربك وإفطارك في شهر رمضان فغضب ولحق بمعاوية.

فدخل طارق بن عبدالله على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين ما كنا نرى أنّ أهل المعصية والطاعة وأهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا وحملتنا على الجادة التي كنا نرى أنّ سبيل من ركبها النار، فقال علي عليه السلام: ﴿وَأَنبَأَ لَكَبِيرُهُ إِلَّا عَلَى الْحَشِيعِينَ﴾ يا أخا بني نهد فهل هو إلّا رجلٌ من المسلمين انتهك حرمة من حُرّم الله فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^٣، الحديث.^٤

ورواها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة^٥ الطبعة الحديثة بيروت.

السروي رفعه عن الباقر عليه السلام وابن عباس في قوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، الخاشع: الذليل في صلاته المقبل عليها، يعني

١. التبيان ١/ ٢٠٢.

٢. مجمع البيان ١/ ٩٩.

٣. سورة المائدة / ٨.

٤. منتخب الغارات ١/ ٥٢٣، ح ٢٠٢؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٣/ ٢٧٣، ح ٥٣٧ (١٤/ ٣٠٤).

٥. نهج البلاغة ١/ ٧٩٩.

رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام^١.

ورواها فرات الكوفي في تفسيره^٢ والحبري في تفسيره^٣.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: الأيمان نصفان: نصف صبرٌ ونصف شكرٌ^٤.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد^٥.

ثاني الشهيدان رفعه عن ابن عباس أنه نص إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق فأناخ، فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^٦.

المجلسي قال: ذكر والدي رحمه الله أنه رأى في كتاب عتيق جمعه بعض محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. هذا الخبر، ووجدته أيضاً في كتاب عتيق مشتمل على أخبار كثيرة:

قال: روى عن محمد بن صدقة أنه قال: سأل أبوذر الغفاري سلمان الفارسي رضي الله عنهما: يا أبا عبد الله ما معرفة الإمام أمير المؤمنين بالنورانية؟ قال: يا جندب فامض بناحتي نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده، قال: فانتظرناه حتى جاء، قال صلوات الله عليه: ما جاء بكم؟ قالوا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية؟

١. المناقب ٢/ ٢٠.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٥٩، ح ٢٠.

٣. تفسير الحبري / ٢٣٨.

٤. روض الجنان ١/ ٢٥٧.

٥. روض الجنان ١/ ٢٥٧.

٦. مسكن الفؤاد / ٥٦.

قال صلوات الله عليه: مرحباً بكما - إلى أن قال سلمان - : يا أخا رسول الله ومن أقام الصلاة أقام ولايتك؟ قال: نعم يا سلمان تصديق ذلك قوله تعالى في الكتاب العزيز: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فالصبر رسول الله ﷺ والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل: إنها لكبيرة، لأنّ الولاية كبيرة حملها إلا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لأنّ أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبية يقرّون لمحمد ﷺ ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل وهو الذين وضعهم الله في كتابه العزيز فقال: ﴿إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، الحديث^١.

الحديث لطيف فراجع تمامه في مصدره.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بهذه الآية وصف الله سبحانه الخاشعين بكثرة خوفهم من الله ووجلهم منه تعالى.

﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول. نعت ومنعوتة ﴿الْخَاشِعِينَ﴾ في الآية السابقة.

﴿يَظُنُّونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. المراد بالظن هنا العلم واليقين لأنّ مورده الاعتقاد بالآخرة ولا يفيد فيه الظن المصطلح والتعبير بالظن لأنّ ظن الاعتقاد بالآخرة يوجب الخشوع في مقابل الربّ فكيف بالعلم به:

أو لأنهم يظنون أنّهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الإقامه على

١. بحار الأنوار ٢٦/١، ح ١ (١١/٢٤٢).

معصية الله.

أو الذين يظنون انقضاء أجلهم وسرعة موتهم فيكونون أبداً على حذرٍ ووجلٍ.
﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل، اسمه. تأكيد.

﴿مُلْتَقُوا﴾ خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾. من اللقاء والملاقاة والتلاقي وهو الملاصقة بين اثنين سواء كانا من الجواهر أو الأعراض أو المجردات.

﴿رَبِّهِمْ﴾ مضاف إليه أول وثان. «أي ﴿مُلْتَقُوا﴾ جزاء ﴿رَبِّهِمْ﴾ فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة له تفخياً وتعظيماً لشأن الجزاء»^١. وهي في يوم القيامة.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. تأكيد. معطوف على ﴿أَنَّهُمْ﴾ الأول.

﴿إِلَيْهِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿أَنَّهُمْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾.

﴿رَاجِعُونَ﴾ خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾. الرجوع: العود إلى الحال الأول وهو البعث والنشور

وإحياء الأموات في يوم القيامة.

«ويُحْتَمَلُ أن يكون المراد به: إنهم إليه صائرون، كما يقول القائل: رَجَعَ الأمرُ إلى

فلان وإن كان قطّ لم يكن له، ومعناه: صار إليه»^٢.

«ومعنى الآية: إنهم يَقَرُّونَ بالنشأة الآخرة، فجعل رجوعهم بعد الموت إلى

المحشر رجوعاً إليه»^٣. لأنه هو ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾^٤.

الروايات

خبر بشير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: أصلحك الله من

١. التبيان ٢/ ١٩٤.

٢. التبيان ٢/ ١٩٥.

٣. التبيان ٢/ ١٩٥.

٤. سورة الحمد / ٤.

أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن أبغض لقاء الله أبغض لقاءه؟ قال: نعم، قلت: فو الله إننا لنكره الموت، فقال: ليس ذلك حيث تذهب، إنما ذلك عند المعاينة إذا رأي ما يحب فليس شيء أحب إليه من أن يتقدم، والله تعالى يحب لقاءه وهو يحب لقاء الله حينئذ، وإذا رأي ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه.^١

حسنة عبد الملك بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما نزل النصر على الحسين بن علي عليه السلام حتى كان بين السماء والأرض ثم خير النصر أو لقاء الله فاختار لقاء الله.^٢

روى نحوها أيضاً في الكافي^٣.

الصدوق بإسناده عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: فقال عليه السلام: وأما قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾^٤ وذكر الله المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ وقوله لغيرهم: ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾^٥ وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾^٦ فأما قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ يعني: البعث فسماه الله لقاءه وكذلك ذكر المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ يعني يوقنون أنهم يبعثون ويمشرون ويحاسبون ويحجزون بالثواب والعقاب فالظن هاهنا اليقين خاصة وكذلك قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾^٧ يعني: من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآتٍ من الثواب والعقاب، فاللقاء

١. الكافي ٣/ ١٣٤، ح ١٢.

٢. الكافي ١/ ٤٦٥، ح ٧.

٣. الكافي ١/ ٢٦٠، ح ٨.

٤. سورة السجدة / ١٠.

٥. سورة التوبة / ٧٧.

٦. سورة الكهف / ١١٠.

٧. سورة العنكبوت / ٥.

هاهنا ليس بالرؤية، واللقاء هو البعث، فافهم جميع ما في كتاب الله من لقاءه فإنه يعني بذلك البعث. وكذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ تَبْلُغَهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾^١ يعني: أنه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون، قال: فرّجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك فقد حللت عني عقدة، الحديث.^٢

معتبرة هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام. عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام قال في حديث: سئل أمير المؤمنين عليه السلام بماذا أحببت لقاء الله؟ قال: لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه.^٣

خبر ابن ظبيان عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت، فقال: السلام عليك يا إبراهيم، قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟ قال: بل داع يا إبراهيم فأجب، قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلّ وجلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم، فقال الله جلّ وجلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ إن الحبيب يحب لقاء حبيبه.^٤

العياشي رفعه عن أبي معمر عن علي عليه السلام في قوله ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ يقول عليه السلام: يوقنون أنه مبعوثون، والظن منهم يقين.^٥

الطبرسي قال: جاء في الحديث: من حلف على مال امرئ مسلم كاذباً لقي الله

١. سورة الأحزاب / ٤٤.

٢. التوحيد / ٢٦٧.

٣. الخصال / ١، ٣٣، ح ١.

٤. أمالي الصدوق، المجلس السادس والثلاثون، ح ٢ / ٢٦٤، رقم ٢٨١؛ علل الشرايع / ٣٧، ح ٩.

٥. تفسير العياشي / ١، ١٣٤، ح ٤٥.

وهو عليه غضبان.^١

وروى نظيرها الشيخ أبو الفتوح الرازي مرفوعاً عن رسول الله ﷺ في تفسيره روض الجنان.^٢

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: من فارق الجماعة واستذلَّ الإمارة لقي الله ولا وجه له عنده.^٣

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ الذين يقدرون أنهم يلقون ربهم اللقاء الذي هو أعظم كراماته وإنما قال: ﴿يَظُنُّونَ﴾. لأنهم لا يرون بماذا يجتم لهم، والعاقبة مستورة عنهم، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إلى كراماته ونعيم جنانه لإيمانهم وخشوعهم، لا يعلمون ذلك يقيناً، لأنهم لا يأمنون أن يغيروا ويبدلوا، قال رسول الله ﷺ: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، الحديث.^٤

الحبري بإسناده عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ نزلت في علي عليه السلام وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وأصحاب لهم.^٥
رواها من العامة الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل.^٦
ومنا ابن شهر آشوب السروي رواها عن الباقر عليه السلام في كتابه المناقب.^٧

١. مجمع البيان ١/ ١٠١.

٢. روض الجنان ١/ ٢٥٩.

٣. روض الجنان ١/ ٢٥٩.

٤. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٣٨، ح ١١٦؛ ونقل عنه في البرهان ١/ ٢٠٨؛ وبحار الأنوار ٦/ ١٧٦ (٣/ ٤٧).

٥. تفسير الحبري / ٢٣٩، ح ٧.

٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ١/ ٨٩، ح ١٢٦.

٧. المناقب ٢/ ٢٠.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^١

«كُرِّرَ سبحانه وتعالى تذكيرهم بالنعم عليهم، إتماماً للحجة، وإثباتاً لاستحقاقهم الطعن واللوم، فإنهم مع كثرة نِعَمِ الله تعالى عليهم، بالغوا في الجحود بالإسلام، وإنكار ما جاء به النبي ﷺ وقد اقترن في الآية السابقة الوعد بوفاء العهد لهم، إن هم وفوا بعهدته تعالى، وفي هذه الآية قرنه سبحانه بالخوف عن عذاب الآخرة، فجَمَعَ سبحانه بين الرجاء والخوف»^٢. والآية بعينها مكررة في نفس السورة.^٣

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قد مضى تفسيره في السابق.^٤

﴿وَ﴾ عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿نِعْمَتِيَ﴾ من باب عطف الخاص على العام.

﴿أَنِّي﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. خبر ﴿أَنِّي﴾ التفضيل: الترجيح.

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضَّلْتُكُمْ﴾ في زمانهم الخاص. لا على الإطلاق ولا في جميع الخصال فيكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين «وأمة نبينا محمد ﷺ أفضل من أولئك؛ لقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٥ وعليه إجماع الأمة؛ لأنهم أجمعوا على أن أمة محمد ﷺ أفضل من سائر الأمم، كما أن محمداً ﷺ

١. يأتي تكرارها في الآية ١٢٢ من هذه السورة.

٢. مواهب الرحمن / ١ / ٣٠٦.

٣. راجع سورة البقرة / ١٢٢.

٤. في ذيل سورة البقرة / ٤٠.

٥. سورة آل عمران / ١١٠.

أفضل الأنبياء من ولد آدم ﷺ»^١.

ويأتي نظير هذه الفقرة الأخيرة من الآية الشريفة في آية ١٢٠ من هذه السورة أيضاً.

الروايات

خبر هشام بن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابته فخر ساجداً فأطال وأطال ثم رفع رأسه وركب دابته، فقلت: جعلت فداك، قد أطلت السجود، فقال: إنني ذكرت نعمة أنعم الله بها عليّ فأحببت أن أشكر ربّي.^٢

خبر أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلا غفر الله له قبل أن يستغفر، وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرّف أنّها من عند الله إلا غفر الله له قبل أن يحمدّه.^٣

العياشي رفعه عن هارون بن محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال: هم نحن خاصة.^٤

العياشي رفعه عن محمد بن علي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال: هي خاصة بآل محمد ﷺ.^٥

العياشي رفعه عن أبي داود عمّن سمع رسول الله ﷺ يقول: أنا عبد الله اسمي أحمد، وأنا عبد الله اسمي إسرائيل، فما أمره فقد أمرني، وما عناه فقد عناني.^٦

١. التبيان ٢/ ٢٠١.

٢. الكافي ٢/ ٩٨، ح ٢٦.

٣. الكافي ٢/ ٤٢٧، ح ٨.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٣٤، ح ٤٦.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٣٤، ح ٤٧.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٣٤، ح ٤٨.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ



وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

«عَظَفَ التحذير على الذكر، فإنه لما ذكرهم بالنعمة وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم فعقب بالتحذير من ذلك»^١. والآية بمضمونها مكررة في هذه السورة.^٢

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿اتَّقُوا﴾ فعل أمر وفاعله، والمراد بالتقوى هنا معناه اللغوي لا المصطلح الشرعي.

﴿يَوْمًا﴾ مفعول به. وتنكيره يدل على هوله وفضاعته.

﴿لَا﴾ نافية. ﴿تَجْزَى﴾ فعل مضارع. جزئ: قضى. ﴿نَفْسٌ﴾ فاعله.

﴿عَنْ نَفْسٍ﴾. جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَجْزَى﴾. «وتنكير النفس في الموضعين وهو في حيز النفي يفيد عموم النفوس»^٣.

﴿شَيْئًا﴾ مفعول به أول ﴿لَا تَجْزَى﴾ أو مفعول مطلق. «أي: لا تُقابل مكروهاها بشيء يدرأه عنها. قال الله تعالى: ﴿هَلْ نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٤ وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^{٥٦}.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٦٨.

٢. راجع سورة البقرة / ١٢٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٦٩.

٤. سورة النمل / ٩٠.

٥. سورة غافر / ١٧.

٦. التبيان ٢/ ٢٠٤.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿لَا يُقْبَلُ﴾ معطوف على ﴿لَا تَجْزَى﴾. فعل مضارع مجهول منفي.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا يُقْبَلُ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿نَفْسٍ﴾.

﴿شَفَعَةً﴾ نائب فاعل. الشفاعة: «مأخوذة من الشفع الذي هو خلاف الوتر فكأنه سؤال من الشفيع، شفع سؤال المشفوع له»^١ و «أصل الشفاعة أَنْ يَشْفَعَ الواحد للواحد فيصير شفعا، ومنه الشَّفِيعُ لَأَنَّهُ يَصِلُ جُنَاحُ الطَّالِبِ وَيَصِيرُ ثَانِيًا لَهُ»^٢.

وهذه الآية في نفي الشفاعة «مخصوص عندنا بالكفار؛ لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن تكون في إسقاط المضارّ دون زيادة المنافع.

والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي ﷺ فَيُشَفَّعُهُ اللهُ تعالى، وَيُسْقِطُ بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة؛ لما روي من قوله ﷺ: «ادَّخَرْتُ شَفَاعِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^٣؛.

«والشفاعة ثَبَتَتْ^٥ عندنا للنبي ﷺ وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة

١. التبيان ٢/ ٢٠٩.

٢. التبيان ٢/ ٢١٣.

٣. تجده في: النكت في مقدّمات الأصول للشيخ المفيد / ٥٤؛ التوحيد للصدوق / ٤٠٧، ت ٦؛ الذخيرة للسيد المرتضى / ٥٠٧؛ سنن ابن ماجة ٢/ ١٤٤١، ت ٤٣١٠؛ المستدرک للحاكم ٢/ ٣٨٢؛ المعجم الأوسط للطبراني ٦/ ١٧٤، ت ٥٩٤٢؛ تاريخ مدينة دمشق ١٣/ ٤٦٣، ت ١٤٧٦؛ مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٨؛ وغيرها.

٤. التبيان ٢/ ٢١٠.

٥. هي من مفردات القاموس المعرفي العقائدي الإسلامي، وعلى أن جذورها العرفية في واقع مختلف المجتمعات - قديماً وحديثاً - عملياً واضحة بيّنة ثابتة، ولكن الجديد فيها النظرة الإسلامية وكيفية الطرح لها ومن ثم ما رافقها من آراء ناتجة عن اختلاف أنظار علماء ومتكلمي المذاهب الإسلامية لها كلّ وما تملّيه عليه التزاماته المعرفية والمذهبية حتّى أنّ بحثها اللغوي أضحى متأثراً بها، وعلى كلّ فالكلام في الشفاعة يدور حول ثلاثة أمور:

١- الشافع: لا خلاف بين المسلمين أنّ الشافع يوم القيامة يكون النبي الأكرم والأئمة المهديون من آله

صلوات الله عليهم وصالح المؤمنين. وعليه نصوص كثيرة.

٢- المشفوع له: يذهب المعتزلة إلى أنها مختصة بالمؤمنين ومن استحق الثواب، فيُشفع له للزيادة والرفعة.

وأما الشيعة الإثني عشرية والأشاعرة فذهابون إلى أنها إسقاط العقاب عن مستحقه بعدم دخولهم النار أو عدم خلودهم.

هذا كله بعد اتفاق كلمتهم جميعاً أنها ليست للكفار ومن لم يؤمن. بل هي في حق المؤمن صاحب الذنب ولعل خصوص الكبيرة منه.

٣- السبب والعلّة: فقد علم مما تقدّم.

ولعلّه لدى التّبع للمسألة تجدها تنشعب عن المعنى اللغوي لها الذي يدور حول زيادة منفعة أو إسقاط عقاب.

هذا وقد أولاها متكلمو علماء المسلمين عامّة اهتمامهم في بحوثهم العقائدية وأثبتوها بما لا يقبل الجدل، فقد فصل الكلام فيها بعض وأجل آخر، وأفردها بالتأليف والبحث آخرون، وهكذا كل حسب ظرفه، ومن الفريقين. وبما أنّ الكلام حولها يطول ويخرج عن حدود الهامش فالإحالة على المصادر أولى وللفريقين.

فأمّا من الشيعة الإمامية الإثني عشرية فممن فصل الكلام فيها: والشيخ السبحاني في موسوعة التفسيرية الكلامية مفاهيم القرآن ٤/ (٣١٣-١٥٧)؛ والعلامة الطباطبائي في تفسير الميزان

١/ ١٥٧ وكذا الشيخ المكارم الشيرازي في تفسير الأمل ١/ ١٦١ وغيرهم من المعاصرين كثير

وأما من القدماء فتجدها في المصادر التالية للمثال لا الاستيعاب:

أوائل المقالات للشيخ المفيد ٩١؛ الحدود والحقائق للشريف المرتضى ١٦٣؛ والذخيرة ٥٠٤؛ وشرح تجريد الاعتقاد للقوشجي ٣٨٣؛ كشف المراد للعلامة الحلي ٣٣٠؛ وأنوار الملكوت في شرح الياقوت ١٧٥؛ اللوامع الإلهية ٤٠٤؛ وإرشاد الطالبين للمقداد السيوري ٤٢٧.

وأما من كتب العامة فللمثال أيضاً:

الإبانة للأشعري ٢٤١؛ التوحيد للماتريدي ٣٦٦؛ الإنصاف للباقلاني ٢٣١؛ شرح الأصول الخمسة للقاضي ٦٨٧؛ أصول الدين للبرزدوي ١٦٢ و ٢٤٤؛ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ١٢٥؛ الأربعين في أصول الدين للغزالي ٤١٩؛ البداية في أصول الدين للصابوني ٨٣؛ الأربعين ٢/ ٢٤٥؛ والشفاة العظمى في يوم القيامة والبراهين ٢/ ١٨٥، وهي للفخر الرازي؛ لباب العقول للمكلائي ٣٧٥؛ شرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ٢٣٩؛ شرح المواقف للجرجاني ٥٨٨؛ الكليات لأبي البقاء ٥٣٦؛ كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١٠٣٤؛ وغيرها

المعصومين، وكثير من المؤمنين الصالحين»^١.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا يُؤْخَذُ﴾ معطوف على ﴿لَا يُقْبَلُ﴾.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا يُؤْخَذُ﴾.

﴿عَدَلُ﴾ نائب فاعل. العَدْلُ: الفداء والعوض كما قال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا

عَدْلٌ»^٢.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿يُنْصَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. خبر. «النصر: هو إعانة

العدو على عدوه ومحاربه إمّا بالدفاع معه أو الهجوم معه»^٣.

«والنصرة قد تكون بالحجة وقد تكون بالغلبة، فالله ﷻ ينصر المؤمنين بالحجة

التي تؤيدهم، وأمّا النَّصْرُ بالغلبة فبحسب المصلحة»^٤.

الروايات

خبر ابن عمارة قال: قال الصادق عليه السلام: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا:

الكثير ومن الفرقين.

وللتوسعة أكثر أنظر: موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية ١/ ٢٧٥؛ شرح المصطلحات الكلامية ١٧٧/؛ معجم العناوين الكلامية والفلسفية ٧٩؛ موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي ١/ ٦٦٦.

ولعل من المفيد مراجعة مصادر اللغة المشار إليها في ما سبق صفحة: ٢١٠، هامش ١. ولزيت الاطلاع أيضاً راجع ما أورده حجة البحث والعلم الشيخ الأمين بالله في موسوعته الغدير في الكتاب والسنة والأدب بواسطة الفهرس الموضوعي: على ضفاف الغدير ١٢٣.

١. التبيان ٢/ ٢١١.

٢. سورة البقرة/ ١٢٣.

٣. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٧٢.

٤. التبيان ٢/ ٢١٩.

المعراج والمسألة في القبر والشفاعة.^١

الصدوق بإسناده إلى التميمي عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: من كذب بشفاعة رسول الله ﷺ لم تنله.^٢

صحيحة خالد القلانسي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذي ذريتي.^٣

خبر داود بن سليمان عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة أنا شفيعهم يوم القيامة ولو آتوني بذنوب أهل الأرض معين أهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحبة لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده.^٤

الصدوق رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.^٥

ورواها الطوسي مرفوعاً عنه عليه السلام قال: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.^٦ وهكذا رواها الطبرسي بلفظ الطوسي وقال قبلها: «ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول»^٧ ثم ذكرها.

ورواها الشيخ أبو الفتوح مرفوعاً في تفسيره^٨ بلفظ الصدوق.

١. أمالي الصدوق، المجلس التاسع والأربعون، ح ٥ / ٣٧٠، رقم ٤٦٤.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٦٦، ح ٢٩٢.

٣. أمالي الصدوق، المجلس التاسع والأربعون، ح ٣ / ٣٧٠، رقم ٤٦٢.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٥٩، ح ١٧.

٥. الفقيه ٣ / ٥٧٤، ح ٤٩٦٣.

٦. التبيان ٢ / ٢١٠ (١ / ٢١٣).

٧. مجمع البيان ١ / ١٠٤.

٨. روض الجنان ١ / ٢٦٦.

الصدوق بإسناده إلى رسول الله ﷺ انه قال: من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدلٌ ولا صرفٌ يوم القيامة. فقيل: يا رسول الله ما الحدث؟ قال: من قتل نفساً بغير نفسٍ، أو مَثَلٌ مُثْلَةً بغير قودٍ، أو ابتدَع بدعة بغير سنة، أو انتهب مُهَبَةً ذاتِ شرف.

قال: فقيل: ما العدل يا رسول الله؟ قال: الفدية، قال: فقيل: ما الصرف يا رسول الله؟ قال: التوبة.^١

وقال الطوسي: :: العدل المذكور في الآية: الفدية. وروى ذلك عن النبي ﷺ.^٢
علي بن إبراهيم القمي في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ وهو قوله ﷺ: والله لو أن كل ملك مقرب وكل نبي مرسل شفَعوا في ناصب ما شَفَعُوا.^٣

قال الطوسي: وفي الحديث: انصر أخاك ظالماً ومظلوماً.
معناه: إن كان مظلوماً فامنع منه الظلم وإن كان ظالماً فامنع من الظلم وانهه.^٤
الطبرسي قال: جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: إني أشفع يوم القيامة فاشفع ويشفع عليٌّ فيشفع أهل بيتي فيشفعون وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار.^٥
ورواها الملا فتح الله الكاشاني في تفسيره منهج الصادقين.^٦

١. معاني الأخبار / ٢٦٥، ح ٢.

٢. التبيان ٢ / ٢١٦ (١ / ٢١٥).

٣. تفسير القمي ١ / ٥٧، طبع بيروت الأعلمي؛ ونقل عنه في نورالثقلين ١ / ٩٨، ح ١٨٤.

٤. التبيان ٢ / ٢١٧ (١ / ٢١٦).

٥. مجمع البيان ١ / ١٠٤.

٦. منهج الصادقين ١ / ١٩٩.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: إشفعوا تُوجدوا.^١
 الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: الشفيع جناح الطالب.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله ﷻ: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تدفع عنها عذاباً قد استحقته عند النزع ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ يشفع لها بتأخير الموت عنها ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ لا يقبل منها فداء مكانه، يماث ويترك هو. قال الصادق عليه السلام: وهذا اليوم يوم الموت فإن الشفاعة والفداء لا تغني عنه، فأما في القيامة فإننا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء.^٣

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلٍ فَرَّعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ أَعْدَابٍ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

تذكير ببعض نعم الله على قوم بني إسرائيل.
 ﴿و﴾. عاطفة. على قوله ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾.^٤
 ﴿إِذْ﴾ متعلقة بمعطوف عليه، يعني ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾
 ﴿إِذْ﴾ ...
 ﴿نَجَّيْنَكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. النجاة: الاستنقاذ والتخلص.

١. روض الجنان ١/ ٢٦٥.

٢. روض الجنان ١/ ٢٦٥.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٤١، ح ١١٩؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٩/ ٣١٢ (١٨٩/٤).

٤. سورة البقرة / ٤٧.

«مادة (ن ج و) تدلّ على الانفصال والانقطاع عن الشيء والخلاص منه»^١.
 «وتعلق الإنجاء بالمخاطبين لأن إنجاء سلفهم إنجاء لهم»^٢.
 ﴿مَنْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿حَجَّيْنَكُمْ﴾. ﴿ءَالَ﴾
 أخص من «الأهل»، لأنّ الآل لا يضاف إلّا لذوي القدرة والشرف.
 و ﴿فِرْعَوْنَ﴾ لقب كان يطلق على كلّ مَنْ ملك مصر نحو شاه وإيران، قيصر
 وروم، خاقان وترك.

وفرعون زمن موسى ﷺ هو رعمسيس الثاني.

﴿يُسْؤِمُونَكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به، حال من ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، يحصل
 بها بيان ما وقع الإنجاء منه. ﴿يُسْؤِمُونَكُمْ﴾: يُؤْلُونَكُمْ وَيُكَلِّفُونَكُمْ وَمُذْيِقُونَكُمْ
 ويعاملونكم معاملة المحقوق بها عومل به. يقال: سامه خسفاً إذا أذله واحتقره.
 ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. السُّوء: الضّر القبيح والمراد به هنا
 أشدّ ﴿الْعَذَابِ﴾ وأفظعه وهو عذاب التسلّط والتسخير.
 ﴿يُذَيِّحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بيان لجملة ﴿يُسْؤِمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.
 ﴿يُذَيِّحُونَ﴾: يقتلون. الذبح: هنا القتل.
 ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي ذكوركم وهو أعم من الرجال
 والأطفال.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿يَسْتَحْيُونَ﴾ معطوف على ﴿يُذَيِّحُونَ﴾. ﴿يَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ويتركون.
 ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. النساء: اسم يطلق على الكبار والصغار من
 الأنث.

١. مواهب الرحمن ١/ ٣١٤.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٧٧.

﴿وَ﴾ استثنائية. ﴿فِي ذَٰلِكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.
 ﴿بَلَاءٌ﴾ مبتدأ مؤخر. البلاء: الاختيار والامتحان ويستعمل في الخير والشر.
 ولكن المراد به هنا: المصيبة.
 ﴿مَنْ رَبَّكُمُ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بصفة محذوفة في ﴿بَلَاءٌ﴾.
 ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لـ ﴿بَلَاءٌ﴾.

الروايات

خبر سعيد بن جبیر عن سید العابدین علي بن الحسین عليه السلام عن أبيه
 سید الشهداء حسين بن علي عليه السلام عن أبيه سید الوصیین أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال
 رسول الله ﷺ: لما حضرت يوسف عليه السلام الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله
 واثنى عليه، ثم حدثهم بشدة تنالهم، يقتل فيها الرجال وتشق بطون الحبال وتذبح
 الأطفال حتى يظهر الله الحق في القائم من ولد لاوي بن يعقوب وهو رجل أسمر
 طوال، ونعته لهم بنعته، فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة على بني إسرائيل وهم
 منتظرون قيام القائم أربع مائة سنة حتى إذا بُشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره
 واشتدَّت عليهم البلوى وحمل عليهم بالخشب والحجارة وطلب الفقيه الذي كانوا
 يستريحون إلى أحاديثه فاستتر وراسلوه فقالوا: كنّا مع الشدة نستريح إلى حديثك
 فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر،
 وكانت ليلة قمرء، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت
 حديث السن وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة فعدل عن موكبه وأقبل إليهم
 وتحتة نعله وعليه طيلسان خز، فلما رآه الفقيه عرفه بالنعته فقام إليه وانكبَّ على قدميه
 فقبلها ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرانيك، فلما رأي الشيعة ذلك علموا أنه
 صاحبهم فأكبوا على الأرض شكراً لله ﷻ، فلم يزداهم على أن قال: أرجو أن يعجل الله
 فرجكم، ثم غاب بعد ذلك، وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت

الغيبة الثانية أشدَّ عليهم من الأولى وكانت نيفاً وخمسين سنة واشتدَّت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنه لا صبر لنا على استتارك عنا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيب نفوسهم وأعلمهم أن الله ﷻ أوحى إليه أنه مفرِّج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم: الحمد لله، فأوحى الله ﷻ إليه قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم «الحمد لله»، فقالوا: كلُّ نعمة فمن الله، فأوحى الله ﷻ إليه قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة فقالوا: لا يأتي بالخير إلَّا الله، فأوحى الله ﷻ إليه قل لهم: قد جعلتها عشراً فقالوا لا يصرف السوء إلَّا الله فأوحى الله ﷻ إليه قل لهم: لا تبرحوا فقد أذنت لكم في فرجكم، فبيناهم كذلك إذ طلع موسى ﷺ راكباً حماراً. فأراد الفقيه أن يعرف الشيعة ما يستبصرون به فيه وجاء موسى حتَّى وقف عليهم فسلم عليهم فقال له الفقيه: ما اسمك؟ فقال: موسى، قال: ابن من؟ قال ابن عمران، قال ابن من؟ قال ابن قاهت ابن لاوي بن يعقوب قال بماذا جئت بالرسالة من عند الله ﷻ فقال إليه فقُبِّل يده، ثم جلس بينهم خطيب نفوسهم وأمرهم أمره ثم فرَّقهم فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة.^١

صحيحة محمد الحلبي عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن يوسف بن يعقوب صلوات الله عليها حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي يعقوب اسمه موسى بن عمران ﷺ، غلامٌ طوال جعدٌ آدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمى عمران ابنه موسى.

فذكر أبان بن عثمان عن أبي الحسين عن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ انه قال: ما خرج موسى حتَّى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل كلَّهم يدَّعي أنه موسى بن عمران.

١. كمال الدين وقام النعمة ١/ ١٤٥، ح ١.

فبلغ فرعون أتهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام وقال له كهنته وسحرته: إنَّ هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام ولد إلَّا ذبح ووضع على أمِّ موسى قابلة فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيي النساء هلكننا، فلم نبق فتعالوا: لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى عليه السلام: بل باشروهنَّ فإنَّ أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهمَّ من حرَّمه فإنِّي لا أُحرِّمه، ومن تركه فإنِّي لا أتركه ووقع على أمِّ موسى فحملت، فوضع على أمِّ موسى قابلة تحرسها فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت، فلما حملته أمُّه وقعت عليها المحبة وكذلك حجب الله على خلقه فقالت لها القابلة: مالك يا بنية تصفرِّين وتذوبين؟ قالت لا تلوميني فإنِّي إذا ولدت أخذ ولدي فذبح قالت: لا تحزني فإنِّي سوف أكرمك عليك فلم تُصدِّقها فلما أن ولدت إلتنفت إليها وهي مقلبة فقالت: ما شاء الله فقالت لها ألم أقل إنِّي سوف أكرمك عليك ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثم خرجت إلى الحرس فقالت: انصرفوا - وكانوا على الباب فإنها خرج دم منقطع فانصرفوا، فأرضعته فلما خافت عليه الصوت أوحى الله إليه أن اعملي التابوت، ثم اجعليه فيه، ثم أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر فوضعته في التابوت، ثم دفعته في اليم، فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر وإنَّ الريح ضربته فانطلقت به فلما رآته قد ذهب به الماء همَّت أن تصبح فربط الله على قلبها.

قال: وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون وهي من بني إسرائيل، قالت لفرعون: إنَّها أيام الربيع فأخرجني واضرب لي قبة على شطِّ النيل حتَّى أتنزّه هذه الأيام، فضربت لها قبة على شطِّ النيل إذا أقبل التابوت يريدتها، فقالت: هل ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: إي والله يا سيِّدتنا إنا لنرى شيئاً، فلما دنا منها ثارت إلى الماء فتناولته بيدها وكاد الماء يغمرها حتَّى تصايحوا عليها فجذبته وأخرجته من الماء

فأخذته فوضعتة في حجرها، فإذا هو غلامٌ أجمل الناس وأسترهم فوقعت عليها منه محبة فوضعتة في حجرها وقالت: هذا ابني، فقالوا: إي والله يا سيدتنا والله مالك ولد ولا للملك فاتخذني هذا ولداً فقامت إلى فرعون وقالت: إني أصبت غلاماً طيباً حلواً نتخذه ولداً فيكون قرّة عين لي ولك فلا تقتله، قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: والله ما أدري إلا أن الماء جاء به، فلم تزل به حتى رضي، فلما سمع الناس أن الملك قد تبني ابناً لم يبق أحدٌ من رؤوس من كان مع فرعون إلا بعث إليه امرأته لتكون له ظئراً أو تحضنه فأبى أن يأخذ من امرأةٍ منهنّ ثدياً، قالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقروا أحداً، فجعل لا يقبل من امرأةٍ منهنّ، فقالت أم موسى لأخته: قصّيه، انظري أترين له أثراً، فانطلقت حتى أتت باب الملك فقالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً وهاهنا امرأةٌ صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم، فقالت: ادخلوها، فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممن أنت؟ قالت: من بني إسرائيل، قالت: اذهبي يا بنية فليس لنا فيك حاجة، فقلن لها النساء: انظري عافاك الله يقبل أو لا يقبل، فقالت امرأة فرعون: رأيتم لو قبل هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل - يعني الظئر - فلا يرضى، قلن: فانظري يقبل أو لا يقبل. قالت امرأة فرعون: فاذهبي فادعيها، فجاءت إلى أمها وقالت: إنّ امرأة الملك تدعون فدخلت عليها فدفعت إليها موسى فوضعتة في حجرها، ثم ألقيته ثديها فازدحم اللبن في حلقه، فلما رأت امرأة فرعون إنّ ابنها قد قبل قامت إلى فرعون فقالت: إني قد أصبت لابني ظئراً وقد قبل منها، فقال: ممن هي؟ قالت: من بني إسرائيل، قال فرعون: هذا مما لا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل، فلم تزل تكلمه فيه وتقول: ما تخاف من هذا الغلام، إنّما هو ابنك ينشؤ في حجرك، حتى قلبته عن رأيه ورضي.

فنشاء موسى عليه السلام في آل فرعون وكتمت أمّه خبره وأخته والقابلة، حتى هلكت أمّه والقابلة التي قبلته، فنشاء عليه السلام لا يعلم به بنو إسرائيل، قال: وكانت بنو إسرائيل

تطلبه وتسأل عنه فيعمى عليهم خبره، قال: فبلغ فرعون أنهم يطلبونه ويسألون عنه، فأرسل إليهم فراد في العذاب عليهم، وفرّق بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه، قال: فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مقمرة إلى شيخ لهم عنده علم، فقالوا: قد كنّا نستريح إلى الأحاديث، فحتّى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء؟ قال: والله إنكم لا تزالون فيه حتّى يجيئ الله تعالى ذكره بسلام من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران، غلام طوال جعدّ فيبناهم كذلك إذ أقبل موسى يسير على بغلة حتّى وقف عليهم فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: موسى، قال: ابن من؟ قال: ابن عمران، قال: فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبلها وثاروا إلى رجله فقبلوها فعرفهم وعرفوه واتّخذ شيعة الحديث.^١

سند المذكور في أول الحديث صحيح ورواها المسعودي في إثبات الوصية^٢ والقطب الراوندي بسنده الصحيح إلى الصدوق في قصص الأنبياء^٣. وروى العلامة المجلسي عنهما في بحار الأنوار^٤.
وأما نسب موسى ورد هكذا: موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله كما في التبيان^٥ ومجمع البيان^٦ وروض الجنان^٧.

خبر عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجامع بالكوفة فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن يوم الأربعاء والنظير منه وثقله؟ وأيّ أربعاء هو؟ فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقى

١. كمال الدين وتمام النعمة ١/١٤٧، ح ١٣.

٢. إثبات الوصية / ٤٩ و ٥١ وما بعدها.

٣. قصص الأنبياء / ١٤٩، ح ١٦٠.

٤. بحار الأنوار ٣٨/١٣، ح ٩ (٥٢٨/٥).

٥. التبيان ١/٢٣٣.

٦. مجمع البيان ١/١٠٨.

٧. روض الجنان ١/٢٨٤.

إبراهيم عليه السلام في النار ويوم الأربعاء وضعوا المنجنيق ويوم الأربعاء أغرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله ﷻ أرض قوم لوط عليها سافلها ويوم الأربعاء أرسل الله ﷻ الريح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سلط الله على نمرود البقة ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، الحديث.^١

وروى نحوها في عيون أخبار الرضا عليه السلام.^٢

خبر سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمرو داود بن كثير الرقي وأبوبصير وأبان بن تغلب على مولانا الصادق عليه السلام فرأيناه جالسا على التراب و... إلى أن قال الإمام عليه السلام: أما مولد موسى عليه السلام فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر باحضار الكهنة فدلوا على نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل فلم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيف وعشرون ألف مولود، وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تعالى آياه، الحديث.^٣

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ ستراً له من النار.^٤

وفي هذا المجال راجع عنوان «الولد» في كتابنا موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ° إن شئت.

١. الخصال ٢/٣٨٨، ح ٧٨.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٤٧.

٣. الغيبة / ١٠٤ و ١٠٦.

٤. روض الجنان ١/٢٧٦.

٥. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ١٢/٢٣٨.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾

يذكر الله في هذه الآية نعمة عظيمة أخرى على بني إسرائيل.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ﴾ في أول الآية السابقة.
 ﴿فَرَقْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. الفرق: الفصل، القطع، الانفراج.
 ﴿بِ﴾ للسببية والفضيلة. ﴿كُمُ﴾ في محل جر.
 ﴿الْبَحْرَ﴾ مفعول به. البحر: الماء الكثير الواسع. ﴿ذَ﴾ تفرعية.
 ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَغْرَقْنَا﴾ معطوف على ﴿أَنْجَيْنَا﴾. «الغرق: الرسوب في الماء ويُشَبَّه به الدَّيْنُ والْبَلْوَى»^١.

﴿آلَ﴾ مفعول به. والمراد به هنا جنده واتباعه وأنصاره.
 ﴿فِرْعَوْنَ﴾ مضاف إليه. ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.
 ﴿وَ﴾ حالية ومابعداها حال من الضمير الفاعلي في كل من ﴿فَرَقْنَا﴾ و ﴿أَنْجَيْنَا﴾ و ﴿أَغْرَقْنَا﴾.
 ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تَنْظُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. «وإسناد النظر إليهم باعتبار أن أسلافهم كانوا ناظرين ذلك لأن النعمة على السلف نعمة على الأبناء لا محالة فضمير الخطاب مجاز»^٢.

الروايات

العياشي رفعه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا يرفعه قال: لما صار

١. التبيان ٢/ ٢٥٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٨٠.

موسى عليه السلام في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل عليه السلام على رَمَكَة، فلمّا رأى فرس فرعون الرَمَكَة أتبعها، فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا.^١
الرَمَكَة: الأنثى من البراذين.

القمي قال في قصة حنين: ثمّ رفع رسول الله ﷺ يده فقال: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان، فنزل عليه جبرائيل فقال: يا رسول الله دعوت بما دعابه موسى حين فلق الله له البحر ونجاه من فرعون.^٢

المفيد رفعه عن عبد الله بن جندب عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان على مقدّمة فرعون ستمائة ألف ومأتى ألف وعلى ساقته ألف ألف، قال: لما صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر فتمثّل له جبرئيل على ماذيانه، فلمّا رأى فرس فرعون الماذيانه أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا.^٣

الطبرسي قال: وجملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس: إنّ الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر، فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً فاتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الأنثا وكان موسى في ستمائة ألف وعشرين ألفاً فلما عاينهم فرعون قال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾^٤، فسرى موسى ببني إسرائيل حتّى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون، فقالوا: ﴿أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلٍ أَنْ نَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ

١. تفسير العياشي ٢/ ٢٨٤، ح ٤١.

٢. تفسير القمي ١/ ٢٨٦، طبع الأعلمي ببيروت؛ ونقل عنه في نور الثقلين ١/ ١٠١، ح ١٩٥.

٣. الاختصاص ٢٦٦.

٤. سورة الشعراء (٥٦-٥٤).

مَا جِئْتَنَا^١، هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه، فقال موسى ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمُ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^٢ فقال له يوشع بن نون: بِمَ أُمِرْتُ؟ قال: أُمِرْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَايَ الْبَحْرَ، قال: اضرب، وكان الله تعالى أوحى أَنْ اطع موسى إذا ضربك، قال: فبات البحر له أفكل أي رعدة، لا يدري في أي جوانبه يضربه، فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقاً فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه.

فقالوا: إِنَّا لَا نَسْلُكُ طَرِيقاً نَدِيّاً، فأرسل الله ريح الصبا حتّى جففت الطريق كما قال. فاضرب لهم طريقاً في البحر ييساً، فجزوا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض: ما لنا لا نرى أصحابنا، فقالوا لموسى: أين أصحابنا؟ فقال: في طريق مثل طريقكم، فقالوا: لا نرضى حتّى نراهم، فقال ﷺ: اللَّهُمَّ أعني على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله تعالى إليه: أَنْ قُلْ بِعَصَاكَ هَكَذَا وَهَكَذَا يَمِيناً وَشِمَالاً، فأشار بعصاه يميناً وشمالاً فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم إلى بعض، فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر وكان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبرئيل على فرس أنثى وديق وتقحم البحر، فلما رآها الحصان تقحم خلفها، ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر، اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعاً ونجا موسى ومن معه.^٣

نقل صاحب اكثر الدقائق^٤ هذا الكلام عن مجمع البيان عن ابن عباس وهكذا روى نحوها الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان.^٥

١. سورة الأعراف / ١٢٩

٢. سورة الأعراف / ١٢٩.

٣. مجمع البيان / ١ / ١٠٧.

٤. كنز الدقائق / ١ / ٢٤٣.

٥. التبيان / ١ / ٢٣٠.

الطبرسي قال: روى: أنّ بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابنا لانراهم؟ فقال: سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم، قالوا: لا نرضى حتى نراهم، فقال: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة، فأوحى إليه: أن قل بعصاك هكذا، فصارت فيها كواءً فتراءوا وسمع بعضهم كلام بعض^١.

رواها أيضاً الزمخشري في الكشف^٢.

المجلسي نقلاً من صاحب عرائس المجالس رفعه عن عبدالله [بن سلام] قال: قال رسول الله ﷺ: أنّه قال عند ذلك [أي قال موسى عليه السلام] عند وصوله البحر: اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان [وعليك التكلان] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا، وقال كل سبط: قد قتل إخواننا، فأوحى الله سبحانه إلى جبال الماء: أن تشبكي فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين، ولما خرجت ساقية عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه، وأراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى الله سبحانه: أن اترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون، فلما وصل فرعون قال لقومه: أنظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائي وعبيدي ولم تكن في خيل فرعون أنثى، فجاء جبرئيل على فرس أنثى وعليه عمامة سوداء وتقّدمهم وخاض البحر وظن أصحاب فرعون أنّه منهم، فلما سمعت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم، فلما أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان وقال: إني قد أتيت هذا الموضع مراراً ومالي عهد بهذه الطرق، وإني لا

١. جوامع الجامع ١/ ٤٥.

٢. الكشف ١/ ١٣٩.

آمن أن يكون هذا مكرًا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا، فلم يطعه فرعون وذهب معاجلاً على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع ونفر حتى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلما توافوا في البحر وهم أولهم بالخروج أمر الله البحر، فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل، قالوا فلما سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى: ما هذه الضوضاء؟ فقال لهم: إن الله سبحانه قد اهلك فرعون وكل من كان معه، فقالوا: إن فرعون لا يموت لأنه خلق خلق من لا يموت، ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوماً لا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه الإنسان؟ فأمر الله سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض وعليه درعه حتى نظر إليه بنو إسرائيل ... ١٠

الرواية عامية، نقلتها تأييداً كما نقلها العلامة المجلسي قدس الله سره القدوسي.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

عدت نعمة أخرى على بني إسرائيل وردّهم بالكفر وعبادة العجل.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ معطوف على إذات السابقة.

﴿وَعَدْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. الوعد: الميعاد.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به. وهو كليم الله. «وموسى: اسم مركّب من اسمين بالقبطية، (مو): هو الماء، و (سى): شجر. وسُمّي به؛ لأنّ التابوت الذي كان فيه موسى وُجدَ عند الماء والشجر، وَجَدْتُهُ جوارى آسية امرأة فرعون وقد خرجنَ

ليغتسلن، فسُمِّي بالمكان الذي وُجد فيه.

وهو: موسى بن عمران بن يَصْهَر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب إسرائيل

الله»^١.

﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرف لـ ﴿وَعَدْنَا﴾.

﴿لَيْلَةً﴾ تمييز. كما قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمِّ

مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^٢.

«الليلة: الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني، واليوم: من طلوع

الفجر الثاني إلى غروب الشمس»^٣.

وابتدأت بشهر ذي القعدة إلى العشر الأول من ذي الحجة.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة للترتيب. ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله.

﴿أَلْعَجَلْ﴾ مفعول به. «العجل»: ولد البقرة.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾. والضمير يرجع

إلى ﴿مُوسَى﴾. أي بعد ذهاب موسى إلى الطور.

﴿و﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿ظَلِمُوا﴾ خبر. «يعني ظالموا أنفسهم»^٤.

الروايات

معتبرة أو صحيحة الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: لهذا الأمر

وقت؟ فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاقون، إنّ موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربّه

١. التبيان ٢/ ٢٦٤.

٢. سورة الأعراف / ١٤٢.

٣. التبيان / ٢٦٨.

٤. التبيان / ٢٧٥.

واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد اخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدّثناكم الحديث فجاء على ما حدّثناكم [به] فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتّين.^١

تؤجروا مرتّين: يعني مرة للتصديق وأخرى للقول بالبداة وروى العياشي نحوها عن الفضيل بن يسار في تفسيره.^٢

الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام في ما سأله الشامي عنه في حديث طويل: وسأله عن الثور ما باله غاض طرفه لم يرفع رأسه إلى السماء؟ قال عليه السلام: حياءً من الله عز وجل لما عبد قوم موسى العجل نكس رأسه، الحديث.^٣

خبر الحسين بن خالد عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: عن كم تجزي البدنة؟ قال: عن نفس واحدة، قلت: فالبقرة؟ قال: تجزي عن خمسة إذا كانوا يأكلون على مائدة واحدة، قلت: كيف صارت البدنة لا تجزي إلا عن واحدة والبقرة تجزي عن خمسة؟ قال: لأنّ البدنة لم تكن فيها من العلة ما كان في البقرة، إنّ الذين أمروا قوم موسى عليه السلام بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس، وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد وهم: أذنيوية وأخوه مبدوية وابن أخيه وابنته وامراته وهم الذين أمروا بعبادة العجل، وهم الذين ذبحوا البقرة التي أمر الله تبارك وتعالى بذبحها.^٤

رواها بسند آخر في الخصال^٥، والسندان ضعيفان بعلي بن معبد البغدادي فقط وللصدوق توضيح في ذيل الرواية في الخصال فراجع إن شئت.

١. الكافي ١/ ٣٦٨، ح ٥.

٢. تفسير العياشي ٢/ ١٥٨، ح ٧٠ و ٧١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٤١.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٨٣، ح ٢٢.

٥. الخصال ١/ ٢٩٢، ح ٥٥.

العباشي رفعه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قال: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة، ثم بدا لله فزاد عشراً، فتم ميقات ربه للأول والآخر أربعين ليلة.^١

الطوسي قال: وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس: إن السامري كان رجلاً من أهل باكرم وكان من قوم يعبدون البقر وكان حبّ عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل، فلما قصد موسى إلى ربه خلف هارون في بني إسرائيل، قال لهم هارون: إنكم تحملتم أوزاراً من زينة آل فرعون وامتنعة وحلي، فتطهروا منها، فإنها نجس، واولد لهم ناراً وقال لهم: اقذفوا ما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتنعة وذلك الحلي، فيقذفون به فيها. حتى إذا انكسر الحلي ورأى السامري أثر فرس جبرئيل، فأخذ تراباً من أثر حافره ثم اقبل إلى النار، فقال لهارون: يا نبي الله القى ما في يدي؟ قال: نعم، ولم يظن هارون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والامتنعة فقذف فيها وقال: كن عجباً جسداً له خوار وكان البلاء والفتنة وقال: هذا إلهكم وإله موسى، فعكفوا عليه واحبوه حباً لم يرمثله قطاً.^٢

روى نحوها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والمشهدى في كنز الدقائق^٤.

وقال الطبرسي في آخره: قال ابن عباس: فكان البلاء والفتنة، وذكر اسم السامري وقال: قيل:

كان اسمه ميخا وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر.^٥

وهكذا روى المسعودي نظيرها مع اختلاف في إثبات الوصية^٦ فراجعها إن شئت.

١. تفسير العبّاشي ١/ ١٣٤، ح ٤٩.

٢. التبيان ١/ ٢٣٧.

٣. مجمع البيان ١/ ١٠٩.

٤. كنز الدقائق ١/ ٢٤٥.

٥. مجمع البيان ١/ ١١٠.

٦. إثبات الوصية / ٦٠، طبع انصاريان، قم المقدسة، سنة ١٤١٧.

خبر محمد بن زياد عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام في قوله تعالى جل ذكره: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ﴾ قال: كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرّج الله عنكم وأهلك أعداءكم أتيتكم بكتاب من عند ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وامثاله، فلما فرّج الله عنهم أمره الله أن يأتي الميعاد وأوحى إليه أن يعطيه الكتاب بعد أربعين، فجاء السامري فشبه على مستضعفين بني إسرائيل فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم عند أربعين وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعين، أخطأ موسى وأراد ربكم أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه، فأظهر العجل الذي عمله، فقالوا له: كيف يكون العجل إلهنا؟ قال: إنّما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما تكلم موسى من الشجرة فضلّوا بذلك، فنصب السامري عجلاً مؤخّره إلى حائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض بعض مردته، فهو الذي يضع فاه على دبره ويكلّم بما تكلم لما قال: هذا إلهكم وإله موسى.

ثم إنّ الله تعالى أبطل تمويه السامري وأمر الله أن يقتل من لم يعبد من عبده فاستسلم المقتولون وقال القاتلون: نحن أعظم مصيبةً منهم نقتل بأيدينا آباءنا وابنائنا وإخواننا وقربائنا، فلما استمر القتل فيهم، فهم ستمائة ألف إلا اثني عشر ألفاً الذي لم يعبدوا العجل، فوقف الله بعضهم، فقال لبعضهم: أو ليس الله قد جعل التوسل بمحمد وآله أمراً لا يخيب معه طالبه وهكذا توسّلت الأنبياء والرسل فما بالناس لا تتوسّل فضجّوا: يا ربنا بجاه محمد الأكرم وبجاه علي الأفضل الأعلم وبجاه فاطمة الفضلي وبجاه الحسن والحسين، وبجاه الذرية الطيبين من آل طه وياسين، لما غفرت لنا ذنوبنا وغفرت هفواتنا وأزلت هذا القتل عنا، فنودى موسى عليه السلام كفّ عن القتل. ١

١. قصص الأنبياء / ١٧٠، ح ١٩٧؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٣ / ٢٣٠، ح ٤٢.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ 

تنمة الآية السابقة.

﴿ثُمَّ﴾ عاطفة، للترتيب.

﴿عَفَوْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، العفو: الصفح والمغفرة والتجاوز.

﴿عَنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَفَوْنَا﴾.

﴿مِّنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَفَوْنَا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة. مضاف إليه. إشارة إلى اتخاذهم العجل. ثم تابوا بعد ذلك

ثم قبل الله توبتهم وعفا عنهم وهذا العفو من الشرك والكفر محل المنّة.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه أي: لكي.

﴿تَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. الشكر: الاعتراف بالنعمة

مع ضرب من التعظيم^١. و «لَا يُسْتَحَقُّ إِلَّا عَلَى نِعْمَةٍ»^٢.

الروايات

صحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في

خطبته: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك وتصل من

قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك.^٣

خبر عبدالله بن إسحاق بن الجعفري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مكتوب في

التوراة: اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت

١. التبيان ٢/ ٢٧٩.

٢. التبيان ٢/ ٢٨١.

٣. الكافي ٢/ ١٠٧، ح ١.

ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.^١
 خبر أبي عبدالله صاحب السابري في ما أعلم أو غيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال:
 في ما أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام: يا موسى اشكرني حق شكري، فقال: يا رب وكيف
 أشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به إلا وأنت أنعمت به عليّ؟ قال: يا
 موسى الآن شكرتني حين علمت أنّ ذلك مني.^٢
 صحيحة صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد
 بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها.^٣
 وروى نظيرها الصدوق بسنده الصحيح في الخصال.^٤
 الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو
 عنه شكراً للقدرة عليه.^٥
 الطوسي رفعه وقال: ومنه قوله عليه السلام: من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية
 منها كتب له صدقة.^٦
 وقال: العافية من الطير والدواب: طلاب الرزق.^٧ ورواها البرسي في مجمع البيان.^٨
 الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى النبي ﷺ انه قال: التحدث بالنعم شكر.^٩

١. الكافي ٢/ ٩٤، ح ٣.

٢. الكافي ٢/ ٩٨، ح ٢٧.

٣. الكافي ٢/ ٩٦، ح ١٤.

٤. الخصال ١/ ٢١، ح ٧٣.

٥. نهج البلاغة، الحكمة ١١.

٦. التبيان ١/ ٢٣٩.

٧. التبيان ١/ ٢٣٩.

٨. مجمع البيان ١/ ١١٠.

٩. روض الجنان ١/ ٢٨٨.

وعنه عليه السلام : فإن ذكره فقد شكره ومن كتبه فقد كفره.^١
وعن داود عليه السلام انه قال: سبحانه من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره
شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.^٢
في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام انه قال: ثم قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ
عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل
- لعلكم أيها الكائنون في عصر محمد عليه السلام من بني إسرائيل - تشكرون تلك النعمة
على أسلافكم وعليكم بعدهم. ثم قال عليه السلام: وإنما عفا الله تعالى عنهم لأنهم دعوا الله
بمحمد وآله الطيبين وجددوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطاهرين، فعند
ذلك رحمهم الله وعفا عنهم.^٣
ورواها السيد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٤ وصاحبها
البرهان^٥ وبحار الأنوار^٦.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

ذكر أهم نعمة على بني إسرائيل وهي نزول الكتاب السماوي والشرعية عليهم.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ عطف على «إذات» السابقة.

١. روض الجنان ١/ ٢٨٨.

٢. روض الجنان ١/ ٢٨٨.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ٤/ ٢٥٢.

٤. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٥٨.

٥. البرهان ١/ ٢١٦.

٦. بحار الأنوار ١٣/ ٢٣٢، ح ٤٣ (٥/ ٦٧٤).

﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. أي اعطينا. ﴿مُوسَى﴾ مفعول به أول.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ثان. والمراد به التوراة. والتعريف للعهد.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْفُرْقَانَ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابَ﴾. ﴿الْفُرْقَانَ﴾ «مصدر بوزن فعلان مشتق من

الفرق وهو الفصل استعير لتمييز الحق من الباطل فهو وصف لغوي للفرقة فقد يطلق على كتاب الشريعة وعلى المعجزة وعلى نصر الحق على الباطل وعلى الحجة القائمة على الحق^١. وكلُّ كتابٍ سماويٍّ في عهده يكون فرقاناً وكلُّ شريعةٍ سماويةٍ تكون فرقاناً.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. أي: لكي.

﴿تَهْتَدُونَ﴾ فعل مضارع فاعله. خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. والشكر مقدم على الإهداء.

والعمل بالكتاب والشريعة يوجب الإهداء.

روايتان

في تفسير القمي في حديث طويل مذكور في سورة طه وفيه: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِيفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^٢ فهموا بهارون حتى هرب من بينهم وبقوا في ذلك حتى تم ميقات موسى أربعين ليلة، فلما كان يوم عشرة من ذي الحجة أنزل الله عليه الألواح فيه التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.^٣

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال عليه السلام: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ قال: واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب - وهو التوراة - الذي أخذ على بني إسرائيل الإيمان به والانقياد لما يوجهه والفرقان آتيناه أيضاً، فرق به

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٨٥.

٢. سورة طه / ٩١.

٣. تفسير القمي ٢/ ٣٦، طبع الأعلمي؛ ونقل عنه في نور الثقلين ١/ ١٠٢، ح ١٩٦.

ما بين الحقّ والباطل، وفُرق ما بين المحقّين والمبطلين.

وذلك أنّه لما أكرمهم الله تعالى بالكتاب والإيمان والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى عليه السلام: هذا الكتاب قد أقرّوا به، وقد بقي الفرقان، فرّق ما بين المؤمنين والكافرين والمحقّين والمبطلين فجدد عليهم العهد به، فإنّي قد آليت على نفسي قسمًا حقًا لا أتقبل من أحدٍ إيمانًا ولا عملاً إلّا مع الإيمان به.

قال موسى عليه السلام: وما هو يا ربّ؟

قال الله تعالى: يا موسى تأخذ على بني إسرائيل أنّ محمّدًا خير النبيّين وسيد المرسلين وأنّ أخاه ووصيه عليًّا خير الوصيّين وأنّ أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأنّ شيعته المتقادين له، المسلمّين له ولأوامره ونواهيه ولخلفائه، نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنات عدن. قال: وأخذ عليهم موسى عليه السلام ذلك، فمنهم من اعتقده حقًا ومنهم من أعطاه بلسانه دون قلبه، فكان المعتقد منهم حقًا يلوح على جبينه نور مبين ومن أعطاه بلسانه دون قلبه ليس له ذلك النور، فذلك الفرقان الذي أعطاه الله تعالى موسى عليه السلام وهو فرّق ما بين المحقّين والمبطلين.

ثمّ قال الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي لعلّكم تعلمون أنّ الذي به يُشرف العبد عند الله تعالى هو اعتقاد الولاية كما تشرف به أسلافكم.^١

رواها السيّد شرف الدين الحسيني الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٢ والفيض في تفسيره الصافي^٣ والسيّد هاشم البحراني في تفسيره البرهان^٤ والعلامة المجلسي في بحار الأنوار^٥.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٤٥.

٢. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٥٨.

٣. الصافي / ٣٤ من طبع الحجري.

٤. البرهان ١ / ٢١٦.

٥. بحار الأنوار ١٣ / ٢٣٢، ح ٤٣.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ
فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ
إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

تبينت الآية قصة رجوع موسى ﷺ إلى قومه وأمرهم بالتوبة عن عبادة العجل
وكيفية توبتهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ﴾ في الآية السابقة، أي أذكر.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿مُوسَىٰ﴾ فاعله.

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿قَالَ﴾. وهم بني إسرائيل.

﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿قَوْمٍ﴾ اسم منادى منصوب لأنه منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة
والكسرة دالة عليها.

﴿إِنَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿ظَلَمْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. خبر ﴿إِنَّكُمْ﴾. والمراد بالظلم هنا المعصية
والشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿بِاتِّخَاذِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ظَلَمْتُمْ﴾.

﴿الْعِجَلَ﴾ مفعول به الأول، والثاني محذوف وتقديره «إلهًا» أو «معبودًا» أو
يكتفى بمفعول واحد على معنى «بعبادتكم» ﴿الْعِجَلَ﴾.

﴿فَ﴾ للسببية. ﴿تُوبُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تُوبُوا﴾. الباري: الخالق الصانع، وهو من الأسماء الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^١.

﴿فَ﴾ عاطفة للترتيب، وما بعدها بيان للتوبة المشروعة لهم.

﴿أَقْتُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، والأمر امتحاني نظير ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام وذبحه ولده إسماعيل.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه والمراد بقتل ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ هنا:

أ: أن يقتل بعضكم بعضاً، مثلاً قتل الأبرياء عبدة العجل.

ب: أن يستسلموا للقتل، وهذا يناسب مع ما مرّ منا من أن الأمر امتحاني.

ج: أن المراد بقتل النفس، جهاد النفس وقتل الهوى النفسانية والشهوات الشيطانية، فيكون المراد بالقتل: القهر والغلبة والتذليل.

﴿ذَلِكُمْ﴾ اسم إشارة. مبتدأ. أي توبتكم بهذا الشكل المذكور من قتل الأنفس.

﴿حَيْرٌ﴾ خبر.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿حَيْرٌ﴾. لأن التوبة مطهرة لكم وكفارة لذنوبكم وطاعة لله تعالى ويرتفع بها العقاب الأخروي.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿حَيْرٌ﴾.

﴿بَارِيكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان، إلى هنا تمت مقالة النبي موسى عليه السلام.

﴿فَ﴾ تفريع وترتيب بعد ﴿تُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ وبعد توبتهم وقتل أنفسهم أو

استسلام للقتل.

﴿تَابَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿بَارِيكُمْ﴾.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَابَ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل، تأكيد.
 ﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ خبران لـ ﴿إِنَّهُ﴾.

الروايات

علي بن إبراهيم القمي قال: إن موسى ﷺ لما خرج إلى الميقات ورجع إلى قومه وقد عبدوا العجل قال لهم موسى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾. فقالوا: كيف نقتل أنفسنا؟ فقال لهم موسى: اغدوا - كل واحد منكم - إلى بيت المقدس ومعه سكين أو حديدة أو سيف، فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل، فكونوا أنتم ملثمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضهم بعضاً. فاجتمع سبعون ألف رجل ممن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلما صلى بهم موسى ﷺ وصعد المنبر، أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل جبرئيل ﷺ فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل فقد تاب الله عليكم، فقتل منهم عشرة آلاف وأنزل الله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾^١.

ونقل عن تفسير القمي، صاحب البرهان^٢ وبحار الأنوار^٣.

قال ابن قتال النيسابوري في ذكر فضائل أمة محمد رسول الله ﷺ: ... ومن ذلك تخفيف الله ﷻ عنهم في أمر التوبة فقال لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فكانت توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً: الأب ابنه، والابن أباه، والأخ أخاه، والأم ولدها، ومن فرّ من القتل أو دفع عن نفسه أو ألقى السيف بيده أو رحم على ذي رحمه

١. تفسير القمي ٤٧/١.

٢. البرهان ١/٢١٨، ح ٢.

٣. بحار الأنوار ١٣/٢٢٢.

لم يقبل توبته ثم أمرهم الله تعالى بالكف عن القتل بعد أن قتلوا سبعين ألفاً في مكان واحد، فهذا توبتهم وجعل توبتنا: الاستغفار باللسان، والندم بالجنان وترك العود بالأبدان.^١

الطبرسي قال: فروى: أن موسى أمرهم أن يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم وجاء هارون باثني عشر ألفاً لم يعبدوا العجل ومعهم الشفار المرفهة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين ألفاً، تاب الله على الباقيين وجعل قتل الماضيين شهادة لهم.^٢ الشفار: جمع الشفرة وهي السكين العظيمة العريضة، المرفهة: المرققة حدها.

الطبرسي قال: وروى: أن موسى وهارون وقفوا يدعون الله ويتضرعان إليه وهم يقتل بعضهم بعضاً حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي.^٣

الطبرسي قال: روى: أن الرجل كان يبصر ولده وقريبه فلم يمكنهم إمضاء أمر الله - سبحانه - فأرسل الله عليهم ضباباً لا يترءون تحتها وامروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم وأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم فقتلوههم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالوا: يا رب هلك بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشفت الضبابة ونزلت التوبة، فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفاً.^٤

الضبابة: سحابة رقيقة كالدخان وروى مثلها أبو الفتوح الرازي في روض الجنان^٥ والزمخشري في الكشف^٦ والبيضاوي في أنوار التنزيل^٧.

١. روضة الواعظين ٢/ ٣٠٣؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢٢/ ٤٤٩.

٢. مجمع البيان ١/ ١١٣.

٣. مجمع البيان ١/ ١١٣.

٤. جوامع الجامع ١/ ٤٦.

٥. روض الجنان ١/ ٢٩٣.

٦. الكشف ١/ ١٤٠.

٧. أنوار التنزيل / ٣٠ من طبع الحجري.

أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: المؤمنون كنفسٍ واحدةٍ^١.
وفي هذا المجال راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام^٢ ونقلًا عنه صاحبها
البرهان^٣ وبحار الأنوار^٤.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَنُومُ سَيِّ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ

وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

بيان لقصة أخرى من قصص بني إسرائيل تدل على غاية جهالتهم وكانت
عقوبة هذا الجهل من أعجل العقوبات التي حلت بهم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ أي اذكروا.

﴿قُلْتُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، وما بعده مفعول القول. ﴿يَتَا﴾ أداة نداء.

﴿مُوسَى﴾ منادى. ﴿لَن﴾ حرف نصب وتوكيد واستقبال.

﴿نُؤْمِنَ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «نحن»، أي ﴿لَن﴾ نقرّ

﴿لَكَ﴾ بالصدق أو ﴿لَن﴾ نصدق.

﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾. «وانما عدى ﴿نُؤْمِنَ﴾ باللام لتضمينه

معنى الإقرار بالله.

﴿حَتَّى﴾ حرف غاية.

﴿نَرَى﴾ فعل مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾ وفاعله ضمير

١. روض الجنان ١/ ٢٩٣.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٥٤.

٣. البرهان ١/ ٢١٧.

٤. بحار الأنوار ١٣/ ٢٣٤.

مستتر «نحن». «الرُّؤْيَةُ والإبصار والنظر نظائر في اللغة»^١.

﴿اللَّهُ﴾ مفعول به.

﴿جَهْرَةً﴾. قائم مقام مفعول مطلق لبيان نوع فعل ﴿نَرَى﴾. «الجهرة والعلانية والمعانية نظائر»^٢ «وأصل الباب الظهور»^٣.

﴿فَ﴾ للسببية.

﴿أَخَذْتُكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به، والأخذ هنا بمعنى العقوبة.

﴿الصَّعِقَةُ﴾ فاعل. ﴿الصَّعِقَةُ﴾: نار كهربائية محرقة من السحاب ونتيجتها

الموت.

﴿وَ﴾ حالة. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تَنْظُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. أي تشاهدون وأهلكهم الله على مرأى من أصحابهم الذين لم يعاندوا ولم يسألوا مثل ذلك.

تنبيه

ولست أدري ان كان الذين ينكرون وجود الله في هذا العصر، لا شيء إلا لأنهم لم يشاهدوه جهرة، لست أدري: هل استند هؤلاء في انكارهم إلى كفر أولئك الإسرائيليين وعنادهم؟

قال اليهود لموسى: لن نؤمن حتى نرى الله جهرة... وقال من قال في هذا العصر: لا وجود إلا لما نراه بالعين، ونلمسه باليد، ونشمه بالأنف، ونأكله بالفم... هكذا يكرر التاريخ صورة المكابرة ومعاندة الحق في كل جيل.^٤

١. التبيان ٢/ ٢٩٦.

٢. التبيان ٢/ ٢٩٩.

٣. التبيان ٢/ ٣٠٠.

٤. التفسير الكاشف ١/ ١٠٥.

الروايات

صحيحة صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته في ذلك، فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرّة: إنّنا روينا أنّ الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^١ و﴿لَا تُحِيطُونَ بِهِ﴾^٢ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^٣ أليس محمد؟ قال: بلى، قال: كيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ و﴿لَا تُحِيطُونَ بِهِ﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي خلافه من وجه آخر؟! آخر؟!

قال أبو قرّة: فإنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^٤ فقال أبو الحسن: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^٥ يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأته عيناه، ثم أخبر بها رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^٦ فأيات الله غير الله وقد قال الله: ﴿وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة.

١. سورة الأنعام / ١٠٣.

٢. سورة طه / ١١٠.

٣. سورة الشورى / ١١.

٤. سورة النجم / ١٣.

٥. سورة النجم / ١١.

٦. سورة النجم / ١٨.

فقال ابو قرّة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما اجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء^١.

وهي تدل بالصراحة على عدم إمكان رؤية الله تعالى.

صحيحة عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت أبا عبد الله عليه السلام في ما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب^٢.

خبر عبد الله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيثار، لا يُعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يوجد في حكمه، ذلك الله، لا إله إلا هو، قال: فخرج الرجل وهو يقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^٣.

خبر علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون يا بن رسول الله: أليس من قولك: أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن، فكان في ما سأله أن قال له: فما معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ

١. الكافي ١/ ٩٥، ح ٢.

٢. الكافي ١/ ٩٨، ح ٧.

٣. سورة الأنعام / ١٢٤.

٤. الكافي ١/ ٩٧، ح ٥.

تَرْنِي^١ الآية، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأل هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله، تعالى أن يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله سبحانه وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله سبحانه كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى عليه السلام إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً في ما ادّعت من مناجاة الله أياك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته. فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يُعرف بآياته ويُعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحتهم، فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى! سلني ما سألك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ^٢ قَالَ لَنْ تَرْنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ^٣ وَهُوَ يَهْوَى^٤ فَسَوْفَ تَرْنِي^٥ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ^٦ بَايَةً مِنْ آيَاتِهِ^٧ جَعَلَهُ^٨

٣٦٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

دَكَاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ ۖ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^١ منهم بأنك لا تُرى، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، الحديث.^٢

خبر ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال: من الجبال التي تطايرت يوم موسى سبعة أجبل فلحقت بالحجاز واليمن، منها: بالمدينة أحد ورقان وبمكة: ثور وثبير وحراء، وباليمن: صبر وحضور.^٣

الروايات الواردة حول نفي الرؤية من طريق أئمة أهل البيت عليه السلام كثيرة فإن شئت راجع الكافي^٤ والتوحيد^٥ للشيخ الصدوق وفيه أكثر من عشرين رواية وبحار الأنوار^٦، وفيه أكثر من ثلاثين حديثاً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

تتمة القصة السابقة وتدلل على جواز الرجعة.^٧
﴿ثُمَّ﴾ للترتيب. ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. أي أحييناكم.
﴿مِنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلل بـ ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾.
﴿مَوْتِكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. والتصريح بالموت والبعث في هذه

١. سورة الأعراف / ١٤٣.

٢. التوحيد / ١٢١، ح ٢٤؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام / ١ / ٢٠٠؛ ونقل عنها في بحار الأنوار ٤ / ٤٧.

٣. الخصال ٢ / ٣٤٤، ح ١٠.

٤. الكافي ١ / ٩٥، باب في إبطال الرؤية.

٥. التوحيد / ١٠٧، باب ماجاء في الرؤية.

٦. بحار الأنوار ٤ / ٢٦، باب نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها.

٧. كما في التبيان ٢ / ٣٠٩.

الآية يدل على أن ﴿الَصَّعِقَةُ﴾ في الآية السابقة كانت سبباً لموتهم.
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، أي لكي وهذه لام الغرض.
﴿تَشْكُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾.

الروايات

خبر أبي صامت الحلواني عن أبي جعفر عليه السلام قال: فضل أمير المؤمنين عليه السلام : ما جاء به أخذ به وما نهى عنه إنتهى عنه، جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ والفضل لمحمد ﷺ ، المتقدم بين يديه كالمقدم بين يدي الله ورسوله والمتفضل عليه كالمفضل على رسول الله ، والراذ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، فإن رسول الله ﷺ باب الله لا يؤتى إلاّ منه وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله ﷻ وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده وجرى للأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، جعلهم الله ﷻ أركان الأرض أن تميد بأهلها وعُمد الإسلام ورابطة على سبيل هداه، لا يهتدي هاد إلا يهداهم ولا يضلّ خارج من الهدى إلا بتقصير عن حقهم، أمناء الله على ما أهبط من علم أو عذر أو نذر، والحجة البالغة على مَنْ في الأرض، يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأوّلهم، ولا يصل أحدٌ إلى ذلك إلاّ بعون الله.
وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أنا قسيم الله بين الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلاّ على حد قسمي، وأنا الفاروق الأكبر وأنا الإمام لمن بعدي، والمؤدّي عمن كان قبلي، لا يتقدّمني أحدٌ إلاّ أحمد ﷺ وإني وإياه على سبيل واحد إلاّ أنّه هو المدعوّ باسمه ولقد أُعطيتُ الستّ: علم المنايا والبلايا والوصايا، وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرّات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس.^١
رواها محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات^٢ وروى أيضاً نظيرها في الفقرة الأخيرة في

١. الكافي / ١ / ١٩٧، ح ٣.

٢. بصائر الدرجات / ١٩٩، ح ١.

بصائر الدرجات^١.

خبر الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم... فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا عليه السلام: أنها الحق، قد كانت في الأمم السالفة ونطق به القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقُذة بالقُذة، قال: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه، قال: إنَّ الإسلام بدء غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ثمَّ يكون ماذا؟ قال: ثمَّ يرجع الحق إلى أهله الحديث^٢.

حسنة مثنى الخنّاط عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: أيام الله ﷻ ثلاثة: يوم يقوم القائم ويوم الكرّة ويوم القيامة^٣. ورواها أيضاً بسند حسن آخر في الخصال^٤ وهكذا رواها حسن بن سليمان الحلي في مختصر البصائر^٥ بسند موثق عن موسى الخنّاط. خبر عباية الأسدي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا سيّد الشّيب، وفيّ سنة من أيوب، [و] والله ليجمعنَّ الله لي أهلي كما جمعوا ليعقوب^٦. ورواها مراسلاً عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام مع زيادة في الإرشاد^٧ فراجع إن شئت.

١. بصائر الدرجات / ٢٠٢، ح ٥ و ٦.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٠١، ح ١.
٣. معاني الأخبار / ٣٦٥.
٤. الخصال ١ / ١٠٨، ح ٧٥.
٥. مختصر البصائر / ٨٩، ح ٢.
٦. أمالي المفيد، المجلس الثامن عشر، ح ٤ / ١٤٥.
٧. الإرشاد ١ / ٢٩٠.

خبر الأصمغ بن نباتة: أنَّ عبد الله بن أبي بكر الشكري قام إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ أبا المعتمر تكلم آنفاً بكلام لا يحتمله قلبي، فقال: وما ذاك؟ قال: يزعم أنَّك حدَّثته، أنَّك سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سنّاً من أبيه، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: فهذا الذي كبر عليك؟ قال: نعم، فهل تؤمن أنت بهذا وتعرفه؟ فقال: نعم ويلك يا ابن الكواء، أفقه^١ عني أخبرك عن ذلك، إنَّ عزيراً خرج من أهله وامراته في شهرها وله يؤمئذ خمسون سنة، فلما ابتلاه الله ﷻ بذنبه أماته مائة عام ثم بعثه فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة، وردَّ الله عزيراً في السن الذي كان به.

فقال: أسألك، فقال له أمير المؤمنين ﷺ: سل عما بدا لك، فقال: نعم، إنَّ أناساً من أصحابك يزعمون أنَّهم يُردُّون بعد الموت، فقال أمير المؤمنين ﷺ: نعم، تكلم بما سمعت ولا تزد في الكلام فما قلت لهم؟

قال: قلت: لا أؤمن بشيء مما قلتم، فقال له أمير المؤمنين ﷺ: ويلك إنَّ الله ﷻ ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم فأماتهم قبل آجالهم التي سميت لهم، ثم ردهم إلى الدنيا ليستوفوا أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلك.

قال: فكبر^٢ على ابن الكواء ولم يهتد له، فقال له أمير المؤمنين ﷺ: ويلك تعلم أنَّ الله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾^٣ فانطلق بهم معه ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملائكة من بني إسرائيل أنَّ ربي قد كلمني فلو أنَّهم سلَّموا ذلك له وصدَّقوا به لكان خيراً لهم ولكنهم قالوا لموسى ﷺ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ﴾ يعني الموت ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ

١. أفقه: إفهم.

٢. كبر عليه الأمر: شقَّ وثقل.

٣. سورة الأعراف / ١٥٥.

مِنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^١.

أفترى يا ابن الكواء أن هؤلاء قد رجعوا إلى منازلهم بعد ما ماتوا؟ فقال ابن الكواء: وما ذاك ثم أمانهم مكانهم؟! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك أو ليس قد أخبرك الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلٰوٰى﴾^٢ فهذا بعد الموت إذ بعثهم.

وأيضاً مثلهم يا ابن الكواء الملاء من بني إسرائيل حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^٣. وقوله أيضاً في عزيز حيث أخبر الله تعالى فقال: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ^٤﴾ وأخذه بذلك الذنب مائة عام، ثم بعثه وردّه إلى الدنيا ف ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ^٥﴾ فلا تشكّن يا ابن الكواء في قدرة الله تعالى.^٦

الروايات الواردة حول الرجعة من طرق أئمتنا عليهم السلام كثيرة جداً فإن شئت راجع: مختصر البصائر^٧ للشيخ حسن بن سليمان الحلبي في أكثر من مائة وأربعين حديثاً وبحار الأنوار^٨ في أكثر من مائة وستين حديثاً وكتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام^٩ وغيرها من كتب الأخبار والحمد لله ربّ الجنّة والنار والمبدأ والمعاد.

١. سورة البقرة / ٥٥ و ٥٦.

٢. سورة البقرة / ٥٧.

٣. سورة البقرة / ٢٤٣.

٤. سورة البقرة / ٢٥٩.

٥. سورة البقرة / ٢٥٩.

٦. مختصر البصائر / ١٠٢، ح ٢٠.

٧. مختصر البصائر / (١٧٠-١٨٧) و (٤٩٨-٤٢٩).

٨. بحار الأنوار / ٥٣ (١٤٤-٣٩) / [٢١] (٦٣٣-٥٦٢).

٩. موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام / ٤ / ١٣٦.

﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾



ذكر بعض نعم الله على قوم بني إسرائيل.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿ظَلَّلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. معطوف على ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾. الظل: الستر وكل ما يستر عن الضياء يُسمَّى ظلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْبُتْقِينَ فِي ظِلِّهِ وَعُيُونٌ﴾^١.
﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ظَلَّلْنَا﴾. والضمير يرجع إلى قوم بني إسرائيل لأتّهم المخاطبين.

﴿الْغَمَامَ﴾ مفعول به. أي السحاب. إتهم يسرون في الصحرا فيحتاجون إلى الستر حفظاً عن حرارة الشمس فسترهم الله بالسحابة عن الشمس وحرارتها.
﴿وَ﴾ عاطفة وما بعدها نعمة أخرى على بني إسرائيل.

﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فعل ماضٍ وفاعله وجار ومجرور معطوف على ﴿ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ﴾.

﴿الْمَنَّاءَ﴾ مفعول به. أصله بمعنى إحسان، «ف» ﴿الْمَنَّاءَ﴾ الذي كان يسقط على بني إسرائيل ممّا منّ الله عليهم أي أحسن به إليهم^٢ والظاهر أنّه نوع من الحلوى.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿السَّلْوَىٰ﴾ معطوف على ﴿الْمَنَّاءَ﴾. ﴿السَّلْوَىٰ﴾ كلّ ما يتسلّى به الإنسان في المصيبة وأصله: السُّلُو: زوال الهم. وقيل: «هو طائر بريّ لذيذ اللحم سهل الصيد

١. سورة المرسلات / ٤١.

٢. التبيان ٢ / ٣١٩.

كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء فيمسكونه قبضاً ويسمى هذا الطائر أيضاً السمانى بضم السين وفتح الميم مخففة بعدها ألف فنون مقصور كجبارى، وهو أيضاً اسم يقع للواحد والجمع، وقيل: هو الجمع وأما الفرد فهو سماناة^١.
﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. مقول قول محذوف وتقديره: وقلنا.

﴿مِنْ﴾ تبعية.

﴿طَيَّبْتِ﴾ مجرور بـ ﴿مِنْ﴾. «الطيب ما تستطيبه النفس، وهو من الأمور الإضافية، فربَّ طيبٍ يستطيبه قومٌ دون آخرين، وذكر كلمة ﴿مِنْ﴾ في الآية الشريفة لهذه الجهة»^٢.

﴿مَا﴾ موصولة. ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿ظَلَمُونَا﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَكِنْ﴾ حرف استدراك.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به مقدم ومضاف إليه، وتقديمه يفيد الحصر.

﴿يَظْلِمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. «في هذه الآية الشريفة إشارة إلى أمر وجداني، وهو كَلَّ مَنْ كفر بنعمة أسديت إليه، فقد ظلم نفسه، لأنَّ ذلك سببٌ لانقطاع تلك النعمة وزوالها، أو يستوجب عذاب الله تعالى، ومما ظلموا به أنفسهم جحودهم لله تعالى الذي هو من أعظم الظلم»^٣.

الروايات

خبر سليمان عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إنَّ الله تعالى أعظم وأعزُّ وأجلُّ وأمنع من

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٤٩٣.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٣٤٩.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٣٤٩.

أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^١ يعني: الأئمة منا. ثم قال في موضع آخر: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^٢ ثم ذكر مثله.

الظاهر أن الآية الأخيرة هي التي في سورة النحل^٣ يعني قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ كما يشهد عليه الرواية الآتية. فما في المتن فيه تصحيف ظاهر.

خبر محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في حديث طويل: ... ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إن الله أعز وأمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلى الظلم ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، الحديث.^٤

خبر عبدالرحمن بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكمأة من المنّ والمنّ من الجنة وماؤها شفاء للعين.^٥

رواها البرقي في المحاسن^٦ وصاحب طب الأئمة^٧ والطوسي مختصراً في التبيان^٨ والطبرسي في مجمع البيان^٩ والمشهد في كنز الدقائق^{١٠} والثعلبي في تفسيره الكشف والبيان^{١١} والسيوطي في

١. سورة المائدة / ٥٥.

٢. الكافي ١/ ١٤٦، ح ١١.

٣. سورة النحل / ١١٨.

٤. الكافي ١/ ٤٣٥، ح ٩١.

٥. الكافي ٦/ ٣٧٠، ح ٢.

٦. المحاسن ٢/ ٣٣٥، ح ٧٨٦.

٧. طب الأئمة / ٨٢.

٨. التبيان ١/ ٢٥٨.

٩. مجمع البيان ١/ ١١٦.

١٠. كنز الدقائق ١/ ٢٥١.

١١. الكشف والبيان ١/ ٢٠٠.

الدر المنشور^١.

الكَمَاة: فُطِر من الفصيلة الكمثية وهي أرضية تنتفخ حاملات أبواغها فتجني وتؤكل مطبوخة وبالفارسية: قارچ زميني است كه از زیر خاك برآيد.

وَالْمَنّ: كل حلل ينزل من السماء وينعقد عسلاً ويحُفُّ جفاف الصمغ كالطَرْنَجِين.

خبر دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الكَمَاة من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل وهي شفاء للعين، والعَجْوَة التي في البرني من الجنة وهي شفاء من السَّم^٢.

العَجْوَة: ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة.

البرني: وهو نوع من أجود التمر.

الطوسي رفعه إلى الصادق عليه السلام انه قال: نومة الغداة مشؤمة تطرد الرزق وتُصَفِّرُ اللون وتقبحه وتغيّره وهو نوم كل مشؤم، إن الله يقسم الأرزاق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وإياكم وتلك النومة، وكان المنّ والسلوى ينزل على بني إسرائيل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام تلك الساعة لم ينزل نصيبه. وكان إذا انتبه فلا يرى نصيبه احتاج إلى السؤال والطلب^٣.

وروى مثل الفقرة الأولى^٤ في الاستبصار^٥ مرفوعاً وروى الفقرة الأخيرة في التبيان^٦ والطبرسي في مجمع البيان^٧ والمشهدى في كنز الدقائق^٨ والكاشاني في منهج الصادقين^٩ مختصراً.

١. الدر المنشور ١/ ٧٠.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٧٥، ح ٣٤٩.

٣. التهذيب ٢/ ١٣٩، ح ٣٠٨.

٤. الاستبصار ١/ ٣٥٠، ذيل الحديث الثاني.

٥. التبيان ٢/ ٣٢٣ (١/ ٢٦٠).

٦. مجمع البيان ١/ ١١٧.

٧. كنز الدقائق ١/ ٢٥٢.

٨. منهج الصادقين ١/ ٢١٣.

صحيفة محمد بن مسلم عن إحداهما عليه السلام قال: سألته عن النوم بعد الغداة فقال: إنَّ الرزق ييسر تلك الساعة فأنا أكره أن ينام الرجل تلك الساعة.^١
الطوسي رفعه إلى الصادق عليه السلام انه قال: الجلوس بعد صلاة الغداة في التعقيب والدعاء حتّى تطلع الشمس أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض.^٢
رواها الصدوق مرفوعاً إلى الصادق عليه السلام في الفقيه.^٣

خبر الطوسي قال: كان سبب إنزال المن والسلوى عليهم أنّه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه حين قالوا لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَنِعْدُونَ﴾^٤ فأمرهم بالمسير إلى بيت المقدس فلما ساروا تاهوا في قدر خمس فراسخ أو ستة. كلما أصبحوا ساروا غادين فامسوا، فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه فلم يزلوا كذلك، حتّى تمت أربعين سنة تفضل عليهم في تلك الحال وأحسن إليهم وأنزل عليهم المن والسلوى فكانت ريح الجنوب تحشره عليهم.^٥

في هذا المجال راجع تفسير القمي^٦ ومجمع البيان^٧ وكنز الدقائق^٨.

روى أبو منصور الطبرسي في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود: ... قال اليهودي: فإنّ موسى عليه السلام أعطى المنّ والسلوى فهل أعطى لمحمد عليه السلام نظير هذا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد أعطى ما هو أفضل من هذا، إنّ الله أحلّ له الغنائم ولأُمته، ولم تحل الغنائم لأحد غيره قبله، فهذا أفضل من المن

١. التهذيب ٢/ ١٣٨، ح ٣٠٦؛ الاستبصار ١/ ٣٥٠، ح ٢.

٢. التهذيب ٢/ ١٣٨، ح ٣٠٧.

٣. فقيه من لا يحضره الفقيه ١/ ٣٢٩، ح ٩٦٦.

٤. سورة المائدة / ٢٤.

٥. التبيان ٢/ ٣٢٠ (١/ ٢٥٩).

٦. تفسير القمي ١/ ٤٨.

٧. مجمع البيان ١/ ١١٦.

٨. كنز الدقائق ١/ ٢٥٢.

والسلوى، ثم زاده: أن جعل النية ولأُمته بلا عمل عملاً صالحاً ولم يجعل لاحد من الامم ذلك قبله، فإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرة. قال له اليهودي: إن موسى عليه السلام قد ظلل عليه الغمام؟

قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك وقد فعل ذلك بموسى في التيه، وأعطى محمد ﷺ أفضل من هذا، أن الغمامة كانت تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره، فهذا أفضل مما أعطى موسى، الحديث^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ السَّيْلُ فَاصْبِرُوا كَمَا إِذَا أَتَى النَّفْرَ وَالْكَافُونَ﴾. قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ﴾. ما كنتم في التيه يقيكم حر الشمس وبرد القمر ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ﴾. الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولوه.

﴿وَالسَّلَوَى﴾ السَّمانى طير، أطيب طير لحماً، يسترسل لهم فيصطادونه. قال الله ﷻ: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ واشكروا نعمتي وعظموا من عظمته ووقروا من وقّره، ممن أخذت عليكم العهود والمواثيق لهم محمدًا وآله الطيبين.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما بدّلوا وقالوا غير ما به أمروا، ولم يفوا بما عليه عاهدوا لأن كفر الكافر لا يقدح في سلطاننا وممالكنا، كما أن إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يضرون بها بكفرهم وتبديلهم.

ثم قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: عباد الله عليكم باعتماد ولايتنا أهل البيت، وأن لا تفرقوا بيننا، وانظروا كيف وسّع الله عليكم حيث أوضح لكم الحجة ليسهل عليكم معرفة الحق، ثم وسّع لكم في التقية لتسلموا من شرور الخلق، ثم إن بدّلتم وغيرتم عرض عليكم التوبة وقبلها منكم، فكونوا لنعم الله شاكرين^٢.

السَّمانى: وهو طائر صغير من رتبة الدجاجيات، جسمه منضعفا ممثلي، وهو من القواطع التي تهاجر شتاءً إلى الحبشة والسودان ويستوطن أوربة وحوض البحر المتوسط.

١. الاحتجاج ١/ ٢١٩.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٥٧.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ 

بيان نعمة أخرى من نعم الله تعالى على قوم بني إسرائيل.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذْ﴾ أي أذكروا حين.
﴿قُلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. وما بعده مقول القول.
﴿ادْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿هَذِهِ﴾ اسم إشارة، مفعول به.
﴿الْقَرْيَةَ﴾ بدل أو عطف بيان من ﴿هَذِهِ﴾. و ﴿الْقَرْيَةَ﴾ هي المكان الصغير الذي
يجتمع فيه الناس وإذا اطلق فلا يفهم منه إلا البلد الصغير. وقيل: إنها بيت المقدس،
وقيل: أريحا قريب منه.^١
﴿فَ﴾. للسببية. ﴿كُلُوا﴾ فعل أمر و فاعله.
﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿كُلُوا﴾، والضمير يرجع إلى ﴿الْقَرْيَةَ﴾.
﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿كُلُوا﴾. ﴿شِئْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿رَغَدًا﴾ نائب عن المفعول المطلق أي أكلاً ﴿رَغَدًا﴾. الرغد: السعة والكثرة.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ادْخُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿كُلُوا﴾.
﴿الْبَابَ﴾ مفعول به، والمراد بها بيت المقدس.
﴿سُجَّدًا﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿ادْخُلُوا﴾. وهو مصدر بمعنى اسم
الفاعل كعدل بمعنى عادل. أي ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ ساجدين أي خاشعين لله تعالى
ومتواضعين وخاضعين.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿قُولُوا﴾ معطوف على ﴿ادْخُلُوا﴾.

١. راجع التبيان ٢/ ٣٢٩.

﴿حِطَّةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: مسألتنا أو أمرنا حطة. ومعنى الحط: النزول والهبوط. ﴿قُولُوا حِطَّةٌ﴾: يعني ﴿قُولُوا﴾ اللهم حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا بِتَشْرِفِنَا بِيْتِكَ. ﴿نَغْفِرْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن» لأنه جواب أمر ﴿قُولُوا﴾.

﴿لَكُمُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَغْفِرْ﴾.

﴿خَطَيْنَكُمُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿سَ﴾ حرف تسويف للقريب.

﴿تَرِيدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ مفعول به، وعد بالزيادة من خير الدنيا والآخرة لـ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

الروايات

الكليني بإسناده إلى خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين عليه السلام أنه قال فيها: ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون وكباب حطة في بني إسرائيل وكسفينة نوح في قوم نوح، الحديث.^١

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: أنا الهادي وأنا المهتدى وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأراامل وأنا ملجأ كل ضعيف ومأمن كل خائف وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة وأنا حبل الله المتين وأنا عروة الله الوثقى وكلمة التقوى وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده وأنا جنب الله الذي يقول: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرْتُ عَلَى مَا قَرَأْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^٢ وأنا يد الله المسبوبة على عباده بالرحمة

١. الكافي ٨ / ٣٠.

٢. سورة الزمر / ٥٦.

والمغفرة، وأنا باب حِطَّةٍ، من عرفني وعرف حَقِّي فقد عرف ربَّه لأني وصيُّ نبيِّه في أرضه وحجته على خلقه، لا ينكر هذا إلا رادَّ على الله ورسوله.^١

الصدوق بإسناده إلى حديث أربعمائة لأَمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ... نحن باب حِطَّةٍ وهو باب السلام من دخله نجى ومن تخلف عنه هوى، الحديث.^٢

الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث طويل فيه سبعون منقبة من مناقبه: «وأما العشرون: فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: مثلك في أمتي مثل باب حِطَّةٍ في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله ﷻ، الحديث.^٣

خبر الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لكلِّ أمةٍ صديق وفاروق وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب وأنه سفينة نجاتها وباب حطتها، وأنه يوشعها وشمعونها وذوقرنيها، معاشرا لناس أن علياً خليفة الله وخليفتي عليكم بعدي، وأنه لأَمير المؤمنين وخير الوصيين، ومن نازعه فقد نازعني ومن ظلمه فقد ظلمني ومن غلبه فقد غلبني، ومن برَّه فقد برَّني ومن جفاه فقد جفاني ومن عاداه فقد عاداني ومن والاه فقد والاني وذلك أنه أخي ووزير ومخلوق من طيبتني وكنت أنا وهو نوراً واحداً.^٤

رواها القطب الراوندي مختصراً في كتابه قصص الأنبياء.^٥

العياشي رفعه عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام في قول

١. التوحيد / ١٦٤، ح ٢.

٢. الخصال / ٢، ٦٢٦.

٣. الخصال / ٢، ٥٧٤.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام / ٢، ١٣، ح ٣٠.

٥. قصص الأنبياء / ١٧٣، ح ٢٠١.

الله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: نحن باب حِطَّتكم.^١
رواها الطبرسي في مجمع البيان^٢ وجوامع الجامع^٣ والمشهدي في كنز الدقائق^٤ والكاشاني في
منهج الصادقين^٥.

العياشي رفعه عن أبي إسحاق عمن ذكره: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ مغفرة، حُطَّ عنا: أي
اغفر لنا.^٦

خبر أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما انتهى بهم [أي بني إسرائيل] موسى
إلى الأرض المقدسة قال لهم: ﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا
عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ﴾^٧ - وقد كتبها الله لهم - ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَأِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ
الَّذِينَ يَتَخَفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾^٨.
قالوا: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي
وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^٩، فلما أبوا أن يدخلوها حرّمها الله عليهم
فتأهوا في أربع فراسخ أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين.

قال أبو عبدالله عليه السلام: وكانوا إذا أمسوا نادى منادهم أمسيتم الرحيل فيرتحلون
بالخداء والزجر حتّى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصباحوا في منزلهم

١. تفسير العياشي ١/ ١٣٥، ح ٥٠.

٢. مجمع البيان ١/ ١١٩.

٣. جوامع الجامع ١/ ٤٨.

٤. كنز الدقائق ١/ ٢٥٤.

٥. منهج الصادقين ١/ ٢١٥.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٣٥، ح ٥١.

٧. سورة المائدة / ٢١.

٨. سورة المائدة / ٢٢ و ٢٣.

٩. سورة المائدة / ٢٤ و ٢٥.

الذي ارتحلوا منه. فيقولون: قد أخطأتم الطريق فمكثوا بهذا أربعين سنة ونزل عليهم المنّ والسلوى حتّى هلكوا جميعاً إلّا رجلين: يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا وأبناؤهم وكانوا يتيهون في نحو من أربع فراسخ فإذا ارادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم عليهم وخفّاهم.

قال: وكان معهم حجر إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكلّ سبط عين، فإذا ارتحلوا رجع الماء فدخل الحجر ووضع الحجر على الدابة.^١ في السند إمّا تعليق أو سقط لأنّ المفيد روى عن الصدوق عن محمد بن الحسن بن الوليد وكذا رواها القطب الراوندي في قصص الأنبياء^٢ بإسناده عن الصدوق عن الصفار عن إبراهيم بن هاشم عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام مع اختلاف واختصار. وفي هذا السند أيضاً سقط لأنّ الصدوق لا يروى عن الصفار إلّا بواسطة استاده ابن الوليد، نعم لو كان مراد القطب من الصدوق والده لا نفسه يتم السند ولكن كان خلاف دينه لأنّه يروي عن الصدوق الولد لا الوالد.

والشاهد لما ذكرنا رواية المفيد [عن الصدوق] عن ابن الوليد عن الصفار. المفيد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام انه قال: إنّ الله أمر لبني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ثمّ بدا له فدخلها أبناء الأنبياء.^٣ خبر السيوطي قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب قال: إنّما مثلنا في هذه الأمّة كسفينة نوح وكباب حطّة في بني إسرائيل.^٤ ولكن في المطبوعة «كتاب حطّة» ومن الواضح أنّه غلط مطبعي والصحيح ما ضبطناه.

١. الإختصاص / ٢٦٥.

٢. قصص الأنبياء / ١٧١، ح ١٩٨.

٣. الإختصاص / ٢٦٦.

٤. الدر المنثور / ١ / ٧١.

﴿قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ 

بيان أن بني إسرائيل قد غيروا ما أمروا به فخالفوه ولم يتبعوه ولهذا التبديل
مصاديق مختلفة عندهم.

﴿فَ﴾ تفريع على قوله: ﴿قُولُوا حِطَّةً﴾. ﴿بَدَّلَ﴾ فعل ماضٍ. أي غَيَّرَ.
﴿الَّذِينَ﴾ فاعله. ﴿ظَلَمُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. صلة ﴿الَّذِينَ﴾.
﴿قَوْلًا﴾ مفعول به. ﴿غَيْرَ﴾ نعت ﴿قَوْلًا﴾ أو بدل منه.
﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، مضاف إليه.

﴿قِيلَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قِيلَ﴾ ومن «تبدلهم بالقول: إثمهم أمروا أن
يقولوا: حِطَّةً، وأن يدخلوا الباب سُجَّدًا، وطُوطِئ لهم الباب ليدخلوه كذلك،
فدخلوه يزحفون على أستاههم وقالوا: حِطَّة في شعيرة، مستهزئين»^١. أو «أنهم أمروا
أن يقولوا ما يستحقون به العفو والصفح والثواب، ولكنهم خالفوا وقالوا ما
يستوجبون عليه المؤاخذه والعقاب»^٢.

﴿فَ﴾ سببية. ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.
﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَا﴾.
﴿ظَلَمُوا﴾ مرّ آنفاً. جاء بالاسم الظاهر في موضع المضمّر لئلا يتوهم أن الرجز
عمّ جميع بني إسرائيل بل يختص بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

١. التبيان ٢/ ٣٤٢ (١/ ٢٦٨).

٢. التفسير الكاشف ١/ ١١٠.

﴿رَجَزًا﴾ مفعول به. الرَّجْزُ: القَدْرُ و «في لغة أهل الحجاز: العذاب»^١.
 ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿رَجَزًا﴾.
 ﴿بِ﴾ سببية. ﴿مَا﴾ موصولة. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿يَفْسُقُونَ﴾. فعل مضارع وفاعله. يدلّ على دوام فسقهم.

الروايات

حسنة أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد عليه السلام
 هكذا: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ﴾ «قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
 الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ ﴿رَجَزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾»^٢.
 ورواها العياشي عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام في تفسيره.^٣
 الطوسي قال: الرجز في لغة أهل الحجاز: العذاب، وفي لغة غيرهم، الرجز،
 لأنّ الرجز: الشر، ومنه قوله عليه السلام في الطاعون: إنه رجزٌ عُدّب به بعض الأمم.^٤
 روى نحوها وأسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله، الطبرسي في مجمع البيان^٥ والمشهدى في كنز الدقائق^٦.
 الطبرسي قال: رُوي: أنّه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من
 كبرائهم.^٧
 نسبه الطوسي في التبيان^٨ إلى قيل مع زيادة في آخره: «وشيوخهم وبقي الأبناء وانتقل العلم

١. التبيان ٢/٣٤٣.

٢. الكافي ١/٤٢٣، ح ٥٨.

٣. العياشي ١/١٣٥، ح ٥٢.

٤. التبيان ٢/٣٤٣ (١/٢٦٨).

٥. مجمع البيان ١/١١٩.

٦. كنز الدقائق ١/٢٥٥.

٧. جوامع الجامع ١/٤٨.

٨. التبيان ٢/٣٤٣ (١/٢٦٨).

والعبادة إليهم».

ونسبه في مجمع البيان^١ مع الزيادة إلى ابن زيد.

وروى نحوها: الفيض في الصافي^٢ والمشهدي في كنز الدقائق^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤ ومن العامة: الزمخشري في الكشاف^٥ والبيضاوي في أنوار التنزيل^٦.

خبر زياد بن المنذر عن الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا آلَ بَابٍ سُجَّدًا﴾^٧ إن ذلك حين فصل موسى من أرض التيه فدخلوا العمران، وكان بنو إسرائيل أخطوا خطيئة، فأحب الله أن ينقذهم منها إن تابوا، فقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية فاسجدوا وقولوا: حطة، تنحط عنكم خطاياكم، فأما المحسنون ففعلوا ما أمروا به، وأما الذين ظلموا فزعموا حنطة حمراء، فبدلوا فأنزل الله تعالى عليهم رجزاً^٨.

البرقي عن أبي يوسف عن القندي قال: أصاب الناس وباء ونحن بمكة، فأصابني، فكتبت إلى أبي الحسن عليه السلام، فكتب إلي: كل التفاح، فأكلته، فعوفيت^٩.
الرواية معتبرة سنداً، لأن المراد بأبي يوسف هو يعقوب بن يزيد الكاتب كان جليلاً في أصحابنا ثقة في الحديث روى عن الرضا عليه السلام. والمراد بالقندي هو زياد بن مروان القندي واقفي معتمد.

ورواها أيضاً بسند آخر في المحاسن^٩.

١. مجمع البيان ١/ ١٢٠.

٢. الصافي ٣٦، طبع الحجري.

٣. كنز الدقائق ١/ ٢٥٥.

٤. منهج الصادقين ١/ ٢١٥.

٥. الكشاف ١/ ١٤٣.

٦. أنوار التنزيل ٣١، طبع الحجري.

٧. قصص الأنبياء ١٤٧، ح ٢٠٢.

٨. المحاسن ٢/ ٣٧٠، ح ٩٢٨؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٥٩/ ٢١٠، ح ٢ (١٣٧/ ٢٤).

٩. المحاسن ٢/ ٣٦٩، ح ٩٢٦.

وروى نحوها الكليني بسند صحيح إلى زياد بن مروان القندي في الكافي^١. والرجل معتمد
فسند الكافي أيضاً معتبر.

والوباء: الطاعون، أو كل مرض عام كما قاله في القاموس^٢.

السيوطي قال: اخرج أحمد و عبد بن حميد ومسلم و النسائي وابن جرير وابن
أبي حاتم عن سعيد بن مالك وأسماء بن زيد و خزيمة بن ثابت قالوا: قال
رسول الله ﷺ: إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب، عذب به أناس من قبلكم فإذا
كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا بلغكم أنه بأرض فلا تدخلوها.^٣

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ

اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

تذكيرٌ بنعمة أخرى لقوم بني إسرائيل.

﴿و﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾؛ أو استئناف.

﴿إِذْ﴾ أذكروا.

﴿اسْتَسْقَى﴾ فعل ماضٍ، الاستقساء: طلب الماء وهنا طلبه عن طريق دعاء

الرب.

﴿مُوسَى﴾ فاعل.

١. الكافي ٦/٣٥٦، ح ٥.

٢. القاموس المحيط ١/٣٢.

٣. الدر المنثور ١/٧٢.

٤. سورة البقرة / ٥٨.

﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَسْتَسْقَى﴾.

﴿فَ﴾ للسببية. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومابعد مفعول القول.

﴿أَضْرَبَ﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿بِعَصَاكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أَضْرَبَ﴾.

«عصا موسى ﷺ معروفة في الكتب السماوية، وقد كانت مظهرًا لمعجزات كثيرة، وأصلها من آس الجنة، كان آدم ﷺ حملها معه من الجنة إلى الأرض، كان طولها عشرة أذرع على طول موسى ﷺ، ولها شعبتان تتوقدان نوراً في الظلمة، وكانت تتوراث مع الأنبياء وأوصيائهم، حتى دفعها شُعيب إلى موسى بن عمران ﷺ وهي موجودة الآن، وستظهر حتى تلقف أساس الظلم والعدوان على يد خليفة من خلفاء الرحمن إن شاء الله تعالى»^١.

﴿الْحَجَرِ﴾ مفعول به، «ال» للعهد لا للجنس لأنه كان حجراً معيناً من أحجار

الجنة.

﴿فَ﴾ للسببية.

﴿أَنْفَجَرَتْ﴾ فعل ماضٍ، الانفجار: الانشقاق.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْفَجَرَتْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿الْحَجَرِ﴾.

﴿أَنْتَنَّا عَشْرَةَ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿عَشْرَةَ﴾ مبني على الفتح ولأن العدد يطابق

المعدود بجزئيهما تذكيراً وتأنيثاً.

﴿عَيْنًا﴾ تمييز للعدد المركب. «العين» من الأسماء المشتركة والمراد بها هنا العين

الجارية المائية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿عَلِمَ﴾ فعل ماضٍ، إمّا بإلهام من الله تعالى أو بجعل موسى ﷺ أو بالتباني

والقرار من قبلهم فلا يقعوا في التنافس والتزاحم.

﴿كُلُّ﴾ فاعله.

﴿أُنَاسٍ﴾ مضاف إليه. جمع لا مفرد له والمراد به هنا كل سبط من الأسباط.

﴿مَشْرَبُهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. المشرب: مكان الشرب كالمأكل مكان

الأكل والمسكن مكان السكن.

﴿كُلُوا﴾ فعل أمر وفاعله، في محل نصب مفعول به بفعل محذوف تقديره:

وقلنا لهم ﴿كُلُوا﴾. أي ﴿كُلُوا﴾ من ﴿الْمَنِّ وَالسَّلَوىِ﴾^١.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَشْرَبُوا﴾ معطوف على ﴿كُلُوا﴾، أي ﴿أَشْرَبُوا﴾ من ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾.

﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا﴾. ﴿مِن

رِّزْقِ اللَّهِ﴾: من نعم الله عليكم.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ ناهية.

﴿تَعَثُّوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله. عَثَا يَعَثُ: الفساد أو شدة الفساد.

﴿فِى الْأَرْضِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا تَعَثُّوا﴾.

﴿مُفْسِدِينَ﴾ اسم فاعل، حال لفاعل ﴿لَا تَعَثُّوا﴾. جاء تأكيداً له.

«وفي الآية المباركة إيحاء إلى أن كل فساد في الأرض عظيم وشديد، أو أن الفساد

يجب أن يُتحرز حتى عن موهومه، فضلاً عن مظنونه ومعلومه.

وورود النهي عقيب الانعام فيه إيحاء أيضاً إلى أن النعمة يجب أن لا تكون سبباً

لفسادهم، فلا يقابلوها بالغي والكفران. ويعرف من ذلك أن فساد بني إسرائيل

وتبديلهم نعم الله تعالى بالكفران، لا ينفك عنهم، وقد طُبعوا على ذلك، كما شاهد

ذلك نبينا الأعظم ﷺ في مشرقي قريش ويهود عصر التنزيل^١.

الروايات

خبر أبي سعيد الخراساني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن القائم إذا قام بمكة وأراد أن يتوجه إلى الكوفة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شرباً، ويحمل حجر موسى بن عمران وهو وقرعير، فلا ينزل منزلاً إلا انبعث عين منه فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظامئاً روى، فهو زادهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة.^٢

روى الصدوق نحوها في كمال الدين^٣ والراوندي في الخرائج^٤ مع زيادة.

خبر طاووس قال: أتى قوم من اليهود عمر بن الخطاب وهو يومئذ وال على الناس فقالوا له أنت والي هذا الأمر بعد نبيكم وقد أتيناك نسألك عن أشياء إن أنت أخبرتنا بها آمنا وصدقنا واتبعناك فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أقفال السموات السبع ومفاتيحها وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه وأخبرنا عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس وأخبرنا عن موضع طلعت فيه الشمس ولم تعد إليه وأخبرنا عن خمسة لم يخلقوا في الأرحام وعن واحد واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة وعن ثمانية وتسعة وعشرة وحادي عشر واثني عشر قال فأطرق عمر ساعة ثم فتح عينيه ثم قال سألتكم عمر بن الخطاب عما ليس له به علم ولكن ابن عم رسول الله يخبركم بما سألتوني عنه فأرسل إليه فدعاه فلما أتاه قال له يا أبا الحسن إن معشر اليهود سألوني عن أشياء لم أجبهم فيها بشيء وقد ضمنوا لي إن أخبرتهم أن يؤمنوا

١. مواهب الرحمن / ١ / ٣٦١.

٢. الكافي / ١ / ٢٣١، ح ٣.

٣. كمال الدين / ٦٧٠.

٤. الخرائج / ٦٩٠.

بالنبي ﷺ فقال لهم علي عليه السلام يا معشر اليهود اعرضوا علي مسائلكم فقالوا له مثل ما قالوا لعمر فقال لهم علي عليه السلام أتريدون أن تسألوا عن شيء سوى هذا قالوا لا يا أباشير وشبير فقال لهم علي عليه السلام أمّا أقفال السموات فالشرك بالله ومفاتيحها قول لا إله إلا الله وأما القبر الذي سار بصاحبه فالحوت سار بيونس في بطنه البحار السبعة وأما الذي أُنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس فتلك نملة سليمان بن داود عليه السلام وأما الموضع الذي طلعت فيه الشمس فلم تعد إليه فذاك البحر الذي أنجى الله ﷻ فيه موسى عليه السلام وغرق فيه فرعون وأصحابه وأما الخمسة الذي لم يخلقوا في الأرحام فآدم وحواء وعصا موسى وناقاة صالح وكبش إبراهيم عليه السلام وأما الواحد فالله الواحد لا شريك له وأما الاثنان فآدم وحواء وأما الثلاثة فجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وأما الأربعة فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأما الخمس فخمس صلوات مفروضات على النبي ﷺ وأما الستة فقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^١ وأما السبعة فقول الله ﷻ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾^٢ وأما الثمانية فقول الله ﷻ: ﴿وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^٣ وأما التسعة فالآيات المنزلات على موسى بن عمران عليه السلام وأما العشرة فقول الله ﷻ: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^٤ وأما الحادي عشر فقول يوسف لأبيه عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾^٥ وأما الاثناعشر فقول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾^٦ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا. قال: فأقبل اليهود يقولون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنك ابن عم رسول الله ﷺ ثم أقبلوا على عمر فقالوا: نشهد أن

١. سورة ق / ٣٨.

٢. سورة النبا / ١٢.

٣. سورة الحاقة / ١٧.

٤. سورة الأعراف / ١٤٢.

٥. سورة يوسف / ٤.

هذا أخو رسول الله وأنه أحق بهذا المقام منك وأسلم من كان معهم وحسن إسلامهم.^١

الطوسي قال: وروى أنه (أي الحجر) كان مثل شكل الرأس.^٢

رواه الطبرسي في مجمع البيان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.

ابن شهر آشوب رفعه عن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام في خبر طويل في قوله: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبُهُمْ﴾ الآية، فقال: إن قوم موسى لما شكوا إليه الجذب والعطش استسقوا موسى فاستسقى لهم فسمعت ما قال الله له ومثل ذلك جاء المؤمنون إلى جدي رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله تعرفنا من الأئمة بعدك فقال وساق الحديث إلى قوله فإنك إذا زوجت علياً من فاطمة خلقت منها أحد عشر إماماً من صلب علي يكونون مع علي اثني عشر إماماً كلهم هداة لأمتك يهتدون بها كل أمة بإمام منها ويعلمون كما علم قوم موسى مشربهم.^٥

قال ابن شهر آشوب: موسى عليه السلام أعطاه الله اثنتي عشرة عينا قوله: ﴿فَإِنْ فَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ومحمد أمر البراء بن عازب بغرس سهمه يوم الميضة بالحديدية في قلب جافة فتفجرت اثنتا عشرة عينا حتى كفت ثمانية آلاف رجل وكان لموسى عليه السلام انفجار الماء من الحجر ولمحمد عليه السلام انفجار الماء من بين أصابعه وهذا أعجب وأنزل الله لموسى عموداً من السماء يضيء لهم ليلتهم ويرتفع نهارهم ورسول الله أعطى بعض أصحابه عصا تضيء أمامه وبين يديه وأعطى قتادة بن النعمان عرجونا فكان العرجون

١. الخصال ٢/٤٥٦، ح ١.

٢. التبيان ١/٢٧٠.

٣. مجمع البيان ١/١٢١.

٤. منهج الصادقين ١/٢٢٠.

٥. المناقب ١/٣٤٤؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٦/٢٦٥.

يضيء أمامه عشر. ١

خبر جابر الجعفي قال: قال سيدي الباقر محمد بن علي عليه السلام في قوله الله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ إلى قوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ أَنَّ قوم موسى شكوا إلى ربهم الحر والعطش فاستسقى موسى الماء وشكا إلى ربه تعالى مثل ذلك وقد شكوا المؤمنون إلى جدي رسول الله فقالوا يا رسول الله عرفنا من الأئمة بعدك فما مضى نبي إلا وله أوصياء وأئمة بعده وقد علمنا أن عليا وصيك فممن الأئمة بعده فأوحى الله تعالى إليه أَنِي قد زوجت عليا بفاطمة في سمائي تحت ظل عرشي وجعلت جبرئيل خطيبها وميكائيل وليها وإسرافيل القابل عن علي وأمرت شجر طوبى فنشرت عليهم اللؤلؤ الرطب والدر والياقوت والزبرجد الأحمر والأخضر والأصفر والمناشير المخطوطة بالنور فيها أمان للملائكة مذخور إلى يوم القيامة وجعلت نحلتها من علي خمس الدنيا وثلاثي الجنة وأربعة أنهار في الأرض الفرات ودجلة والنيل ونهر بلخ فزوجها يا محمد بخمسمائة درهم تكون سنة لأمتك فإنك إذا زوجت عليا من فاطمة جرى منهما أحد عشر إماما من صلب علي سيد كل أمة إمامهم في زمنه فيعلمون كما علم قوم موسى مشربهم وكان بين تزويج أمير المؤمنين بفاطمة في السماء وبين تزويجها في الأرض أربعون يوما. ٢

قال ابن طاووس الحسيني: في ما تذكره ونرويه من كتاب الإستنصار في النص على الأئمة الأطهار...، فمن ذلك ما سمعناه عن الشيخ الفقيه أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان القمي رحمته الله في كتابه المعروف بإيضاح، دفائن النواصب بمكة في المسجد الحرام سنة اثنتي عشرة وأربعمئة حدثني الشيخ أبو الحسن قال حدثنا محمد بن الحسين بن أحمد قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا محمد بن الحسين قال حدثنا

١. المناقب ١/ ٢١٨؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٦/ ٤٠٨.

٢. دلائل الإمامة / ٩٢، ح ٢.

إبراهيم بن هاشم قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثني زياد بن المنذر قال حدثني سعد بن طريف عن الأصبع عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول معاشر الناس اعلموا أن الله تعالى بابا من دخله أمن من النار ومن الفزع الأكبر فقام إليه أبوسعيد الخدري فقال يا رسول الله اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه فقال هو علي بن أبي طالب سيّد الوصيين وأمير المؤمنين وأخو رسول رب العالمين وخليفته على الناس أجمعين معاشر الناس من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية علي بن أبي طالب فإن ولايته ولايتي وطاعته طاعتي معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب والأئمة من ذريتي فإنهم خزان علمي فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال يا رسول الله وما عدة الأئمة فقال يا جابر سألتني رحمك الله عن الإسلام بأجمعه عدتهم عدة الشهور وهي ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كَتَبِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١ وعدتهم عدة العيون التي تفجرت لموسى بن عمران عليه السلام حين ضرب بعصاه الحجر ﴿فَأَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ وعدتهم عدة نقباء بني إسرائيل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^٢. فالأئمة يا جابر اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم^٣.

الطبرسي قال: وروى أنه (أي حجر موسى) كان حجراً مربعاً^٤.

الطبرسي قال: فقد روى أنه حجر حمله معه من الطور^٥.

الطبرسي قال: روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: نزلت ثلاثة احجار من

١. سورة التوبة / ٣٦.

٢. سورة المائدة / ١٢.

٣. اليقين في إمرة الإمام أمير المؤمنين / ٣٧٤؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٦ / ٢٦٣.

٤. مجمع البيان / ١ / ١٢١.

٥. جوامع الجامع / ١ / ٤٩.

الجنة: مقام إبراهيم وحجر بني إسرائيل والحجر الأسود، استودعه الله إبراهيم عليه السلام حجراً أبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فأسود من خطايا بني آدم.^١
ابومنصور الطبرسي رفعه عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليه السلام في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود: ... قال له اليهودي: فإنّ موسى عليه السلام قد أعطى الحجر فانجست منه اثنتا عشرة عيناً.

قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة قد أعطى ما هو أفضل من ذلك، وذلك أنّ أصحابه شكوا إليه الظمّ وأصابهم ذلك حتّى التقت خواصر الخيل فذكروا له ﷺ، فدعا بركوة يمانية ثمّ نصب يده المباركة فيها فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء فصدرنا وصدرت الخيل رواء وملأنا كل مزادة وسقاء.

ولقد كنا معه بالحديبية فإذا تمّ قليب جافة، فأخرج سهماً من كنانته، فناوله البراء بن عازب وقال له: اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه فيها، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشر عيناً من تحت السهم.

ولقد كان يوم الميضة عبرة وعلامة للمنكرين لنبوته كحجر موسى حيث دعا بالمیضة فنصب يده فيها ففاضت الماء وارتفع، حتّى تؤضاً منه ثمانية آلاف رجل فشرّبوا حاجتهم وسقوا دوابهم وحملوا ما ارادوا. الحديث.^٢

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾. قال واذكروا يا بني إسرائيل إذا استسقى موسى لقومه، طلب لهم السقيا، لما لحقهم العطش في التيه، وضجوا بالبكاء إلى موسى، وقالوا أهلكنا العطش. فقال موسى اللهم بحقّ محمد سيّد الأنبياء، وبحقّ علي سيّد الأوصياء وبحقّ فاطمة سيّدة

١. مجمع البيان ١/ ٢٠٣.

٢. الاحتجاج ١/ ٢١٨.

النساء، وبحق الحسن سيّد الأولياء، وبحق الحسين سيّد الشهداء وبحق عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء. فأوحى الله تعالى إليه يا موسى ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾. فضربه بها ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي أَبٍ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ﴾ ﴿مَشَرَبُهُمْ﴾ فلا يزاحم الآخرين في مشربهم. قال الله ﷻ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ الذي آتاكموه ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ولا تسعوا فيها وأنتم مفسدون عاصون. قال رسول الله ﷺ من [أ]قام على موالاتنا أهل البيت سقاء الله تعالى من محبته كأسا لا ييغون به بدلا، ولا يريدون سواه كافيا ولا كاليا ولا ناصرا. ومن وطن نفسه على احتمال المكاره في موالاتنا جعله الله يوم القيامة في عرصاتها بحيث يقصر كل من تضمنته تلك العرصات أبصارهم عما يشاهدون من درجاتهم وإن كل واحد منهم ليحيط بها له من درجاته، كإحاطته في الدنيا (لما يلقاه) بين يديه، ثم يقال له وطنت نفسك على احتمال المكاره في موالاة محمد وآله الطيبين فقد جعل الله إليك ومكنك من تخليص كل من تحب تخليصه من أهل الشدائد في هذه العرصات. فيمد بصره، فيحيط بهم، ثم ينتقد من أحسن إليه أو بره في الدنيا بقول أو فعل أو رد غيبة أو حسن محضر أو إرفاق، فينتقده من بينهم كما ينتقد الدرهم الصحيح من المكسور. ثم يقال له اجعل هؤلاء في الجنة حيث شئت. فينزلهم جنان ربنا. ثم يقال له وقد جعلنا لك، ومكناك من إلقاء من تريد في نار جهنم. فيراهم فيحيط بهم، وينتقدهم من بينهم كما ينتقد الدينار من القراضة. ثم يقال له صيرهم من النيران إلى حيث شئت. فيصيرهم حيث يشاء من مضايق النار. فقال الله تعالى لبني إسرائيل الموجودين في عصر محمد ﷺ فإذا كان أسلافكم إنما دعوا إلى موالاة محمد وآله فأنتم [الآن] لما شاهدتموهم فقد وصلتم إلى الغرض والمطلب الأفضل إلى موالاة محمد وآله، فتقربوا إلى الله ﷻ بالتقرب إلينا ولا

تتقربوا من سخطه، ولا تتباعدوا من رحمته بالإزراء عنا.^١
ورواها الملا فتح الله الكاشاني في منهج الصادقين^٢ عن تفسير أهل البيت عليهم السلام.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاءً سَالَتْهُ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾

الآية دالة على قصر همّة بني إسرائيل واقتصارهم على الماديّات بل المأكولات
وعدم قابليتهم إلى نيل المقامات المعنوية والكمالات الانسانية.
﴿وَ﴾ عاطفة، معطوفة على الجمل الماضية وبأسلوبها. ﴿إِذْ﴾ اذكروا.
﴿قُلْتُمْ﴾. فعل ماض وفاعله. والضمير الخطاب على ما تقدم من نظاها من
خطاب المعاصرين لأجل موافقتهم مع آبائهم الذين يعملون هذه الأفعال ويقولون
هذه المقالات.

﴿يَا﴾ حرف نداء. ﴿مُوسَىٰ﴾ اسم منادى.
﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب وتأکید للمستقبل وللتأييد.
﴿نَّصْبِرَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿لَنْ﴾ وفاعله ضمير مستتر «نحن».
﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ جار ومجرور ونعت، متعلق بـ﴿لَنْ نَّصْبِرَ﴾ والمراد به هو

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري / ٢٦١؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٨ / ٩١.

٢. منهج الصادقين ١ / ٢١٧.

﴿أَلْمَنَ وَالسَّلَوَى﴾^١. الطعام: كل ما يتغذى به وغلب استعماله في الحنطة لأجل الغلبة الاستعمالية.

﴿فَ﴾. عاطفة.

﴿أَدْعُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت»، والضمير الفاعلي يرجع إلى النبي موسى ﷺ والدعاء هنا بمعنى السؤال والطلب من الله تعالى.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَدْعُ﴾. ﴿رَبِّكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿تُخْرِجُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب طلب الأمر وفاعله ضمير مستتر «هو».

الخراج: الإبراز.

وفيه أياء إلى أنهم واثقون بإجابة الله دعوة موسى ﷺ، وحذف مفعول ﴿تُخْرِجُ﴾ وتقديره «زرعاً» أو «طعاماً» أو «أكلاً» أو «شيئاً» أو «نباتاً».

﴿لَنَا﴾. جار ومجرور متعلق بـ﴿تُخْرِجُ﴾.

﴿مِمَّا﴾ مركب من «من» تبعيضية و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿تُخْرِجُ﴾.

﴿تُنْبِتُ﴾ فعل مضارع. ﴿الْأَرْضُ﴾ فاعل.

﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوفة من الموصول «ما» أو متعلق بـ﴿تُخْرِجُ﴾ أو بدل ﴿مَا تُنْبِتُ﴾. «من» بيانية أو تبعيضية.

البقل: كل نبات عشبى يغتذى الإنسان به أو بجز منه كالخس والخيار والجزر، ويكثر اطلاقه على الحبوب الجافة لبعض الخضروات كالفاصوليا والوبيا والفول والعدس وغيرها من الحبوب.

﴿وَ﴾. جميع الواو عاطفة هنا.

﴿قَتَّاهَا﴾ معطوف على ﴿بَقَلَهَا﴾ ومضاف إليه. القشاء: الخيار.

﴿وَفُومَهَا﴾ الفوم: الحنطة وقيل: هو الثوم^١ وإبدال الثاء فاءً شائع في كلام العرب، وقيل: الحِمَصُ^٢ بلغة أهل الشام.

﴿وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا﴾^٣ معروفان.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى النبي موسى ﷺ وما بعده مقول القول.

﴿أَ﴾ استفهام تعجبي.

﴿تَسْتَبْدِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الاستبدال: طلب الشيء بدلاً من الآخر.

﴿الَّذِي﴾ مفعول به. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.

﴿أَدْنَى﴾ خبره. ﴿أَدْنَى﴾ هنا بمعنى أدون وأردى، وإن كان معناه اللغوي القرب من الدنو نحو قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^٤.

﴿بِالَّذِي﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَسْتَبْدِلُونَ﴾.

﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾ خبره.

﴿أَهْطُوا﴾. فعل أمر فاعله. أي انزلوا. وفيه نوع من التهديد والتوبيخ.

﴿مِصْرًا﴾ مفعول به. أي ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار.

﴿فَ﴾ عاطفة، لتعقيب ما، بعدها عقيب النزول بأحد الأمصار.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور. خبر مقدم ﴿إِنْ﴾.

١. بالفارسية: سير.

٢. بالفارسية: نخود.

٣. بالفارسية: پیاز.

٤. سورة النجم / ٩.

- ﴿مَا﴾ موصولة، اسم مؤخر ﴿إِنَّ﴾ .
- ﴿سَأَلْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿و﴾ عاطفة أو استئنافية.
- ﴿ضُرِبَتْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. أي فُرِضَتْ ووضعت.
- ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ضُرِبَتْ﴾. والضمير يرجع إلى جميع بني إسرائيل.
- ﴿الذِّلَّةُ﴾ نائب فاعل ﴿ضُرِبَتْ﴾. أي الصفار والهوان. ﴿و﴾ عاطفة.
- ﴿الْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة والحاجة والخضوع الشديد والفقر النفسي لأنَّ الفقر يسكن الشخص ويقلل حركته. المسكين: الفقير.
- ﴿و﴾ عاطفة.
- ﴿بَاءُ﴾ فعل ماض وفاعله. أي انصرفوا ورجعوا. البوء: الرجوع.
- ﴿بِغَضَبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَاءُ﴾.
- ﴿مَرَبِّ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿بِغَضَبٍ﴾.
- ﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. إشارة إلى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ﴾
- ﴿بِغَضَبٍ﴾.
- ﴿بِ﴾ للسببية. ﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.
- ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾.
- ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر ﴿كَانُوا﴾. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ على الدوام والاستمرار.
- ﴿بِقَايَةِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَكْفُرُونَ﴾.
- ﴿و﴾ عاطفة. ﴿يَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿النَّبِيِّنَ﴾ مفعول به.
- ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يَقْتُلُونَ﴾.
- ﴿إِنَّمَا﴾ وصف الله سبحانه قتل النبيين بغير الحق، وهو كذلك إذ لا يعقل أن يكون

قتل الأنبياء بالحق، فالقيد ليس باحترازي، فهو إما لأجل تعظيم الذنب الذي اقترفوه، وزيادة الشنعة عليهم. أو من باب تقرير زعمهم واعتقادهم، يعني مع أنكم تعتقدون أن هذا القتل كان بغير حق، فكيف تُقدمون عليه مع هذا الاعتقاد، وقد قتلوا من أنبياء الله تعالى أشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم^١.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم اشاره، مبتدأ. اشارة إلى نفس المشار إليه بـ﴿ذَلِكَ﴾ الأولى. أو اشارة إلى الكفر بآيات ﴿بَيَّاتِ اللَّهِ﴾ وقتل الأنبياء.
﴿بِ﴾ للسببية.

﴿مَا﴾ مصدرية وما تلاها بتأويل مصدر في محل جر، الجار والمجرور متعلق بخبر محذوف للمبتدأ.

﴿عَصَوْا﴾ فعل ماض وفاعله. أي بعصيانهم. ﴿وَّ﴾ عاطفة.
﴿كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ معطوف على ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.
«الاعتداء: تجاوز الحد الذي حدّه الله لعباده إلى غيره، وكلّ متجاوز حدّ شيء إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه»^٢.

الروايات

خبر إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ذَلِكْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ قال والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيا فهم ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصيةً^٣.

١. مواهب الرحمن ١/ ٣٦٨.

٢. التبيان ٢/ ٣٧٢.

٣. الكافي ٢/ ٣٧١ ح ٦.

رواها البرقي في المحاسن^١ وسبط الطبرسي في مشكاة الأنوار^٢. ونحوها في تفسير العياشي^٣.
حسنة حنان قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام على المائدة فمال على البقل وامتنعت
أنا منه لعلّه كانت بي، فالتفت إليّ فقال: يا حنان أما علمت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يؤت
بطبق إلّا وعليه بقل. قلت: ولم جعلت فداك؟ فقال: لأنّ قلوب المؤمنين خضرة وهي
تحنّ إلى أشكالها. ٤

رواها البرقي بسند حسن في المحاسن^٥ وفي هذه المجال راجع بحار الأنوار^٦.
صحيحة عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أكلتم القثاء فكلوه من
أسفله فإنّه أعظم لبركته. ٧

ورواها البرقي بسنده الصحيح في المحاسن^٨ وراجع بحار الأنوار^٩.
والقثاء: ما يقال له بالفارسية «خيار».
معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أكل العدس
يرقّ القلب ويكثر الدمعة. ١٠

ورواها البرقي بسنده المعتبر في المحاسن^{١١} وراجع في هذا المجال بحار الأنوار^{١٢}.

١. المحاسن ١/ ٣٩٩، ح ٢٩٧.

٢. مشكاة الأنوار / ٢٨٧..

٣. تفسير العياشي ١/ ١٣٥، ح ٥٤.

٤. الكافي ٦/ ٣٦٢، ح ٢.

٥. المحاسن ٢/ ٣٠٩، ح ٦٦٧.

٦. بحار الأنوار ٦٣/ ١٩٩.

٧. الكافي ٦/ ٣٧٣، ح ٢.

٨. المحاسن ٢/ ٣٧٦، ح ٩٥٣.

٩. بحار الأنوار ٦٣/ ٢٥٢.

١٠. الكافي ٦/ ٣٤٣، ح ١.

١١. المحاسن ٢/ ٣٠٦، ح ٦٥٣.

١٢. بحار الأنوار ٦٣/ ٢٥٧.

خبر ميسر بن زياد الزطبي وكان خاله قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلوا البصل فإن فيه ثلاث حصال: يطيب النكهة ويشد اللثة ويزيد في الماء والجماع.^١

رواها البرقي في المحاسن^٢ مرفوعاً مع حذف كلمتي «والجماع» ولكن روى في حديث قبله ترتب زيادة الجماع على أكل البصل.

وهكذا رواها الصدوق في الخصال^٣.

قال العلامة المجلسي: «تطيب النكهة: وهي بالفتح، ريح الفم آجلاً، لا تنافي البخر وتنته عاجلاً»^٤.

خبر زيد بن أسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخلتم بلاداً فكلوا من بصلها يطرد عنكم وباءها.^٥

رواها البرقي في المحاسن^٦ وراجع في هذا المجال بحار الأنوار^٧.

الطوسي قال: وروى أن رجلاً جاء برجل إلى النبي ﷺ فقال: هذا قاتل أخي وهو بواء به: أي مقتوله به.^٨

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٩.

الطوسي قال: أنه روى أنهم كانوا إذا قتلوا النبي في أول النهار قامت سوق بقتلهم في آخره.^{١٠}

-
١. الكافي ٦/ ٣٧٤، ح ٣.
 ٢. المحاسن ٢/ ٣٣٠، ح ٧٦٢.
 ٣. الخصال ١/ ١٥٧، ح ٢٠٠.
 ٤. بحار الأنوار ٦٣/ ٢٤٩ (٢٥/ ٣٩٥).
 ٥. الكافي ٦/ ٣٧٤، ح ٥.
 ٦. المحاسن ٢/ ٣٣٠، ح ٧٦٣.
 ٧. بحار الأنوار ٦٣/ ٢٤٦.
 ٨. التبيان ٢/ ٣٦٧ (١/ ٢٧٨).
 ٩. مجمع البيان ١/ ١٢٢.
 ١٠. التبيان ٢/ ٣٧٠ (١/ ٢٧٩).

٤٠٢ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

الطوسي قال: روى أبوهريرة عن النبي ﷺ أنه قال: اختلف بنو إسرائيل بعد موسى بخمسائة سنة حتى كثر منهم أولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمأتي سنة. ١
رواها الطبرسي في مجمع البيان. ٢

الطبرسي قال: الفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. ٣
ونحوها في التبيان. ٤

الطبرسي رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: الغنى غنى النفس. ٥
ورواها المشهدي في كنز الدقائق. ٦

ولكن روى الصدوق بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: في حديث:
خير الغنى غنى النفس الحديث. ٧

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه عن علي بن موسى عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وأنه يرقق القلب ويكثر الدمعة وأنه بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى بن مريم عليه السلام. ٨
رواها الصدوق مستنداً في عيون أخبار الرضا عليه السلام. ٩

١. التبيان ٣٧١ / ٢ (٢٨٠ / ١).

٢. مجمع البيان ١٢٥ / ١.

٣. مجمع البيان ١٢٢ / ١.

٤. التبيان ٣٥٩ / ٢ (من طبعة آل البيت عليه السلام).

٥. مجمع البيان ١٢٤ / ١.

٦. كنز الدقائق ٢٦١ / ١.

٧. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والسبعون ح ٥٧٦ / ١، الرقم ٧٨٨ ونقلته عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ١٩٩ / ٨، ح ٢٦.

٨. روض الجنان ٣١٠ / ١.

٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٤١ / ٢، ح ١٣٦.

ومن العامة رواها: الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان»^١ والقرطبي في تفسيره^٢.

رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر الحلي قال: كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي عليه السلام أما بعد فأنتم أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة وإن الله جعلكم الفلك الجارية في اللجج الغامرة يلجأ إليكم اللاجيء ويعتصم بحبلكم الغالي من اقتدى بكم اهتدى ونجا ومن تخلف عنكم هلك وغوى وإني كتبت إليك عند الحيرة واختلاف الأمة في القدر فتفضي إلينا ما أفضاه الله إليكم أهل البيت فتأخذ به فكتب إليه الحسن بن علي عليه السلام أما بعد فإننا أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه فأما عندك وعند أصحابك فلو كنا كما ذكرت ما تقدمتمونا ولا استبدلتم بنا غيرنا ولعمري لقد ضرب الله مثلكم في كتابه حيث يقول «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» هذا لأوليائك في ما سألوا ولكم في ما استبدلتم ولو لا ما أريد من الاحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيء مما نحن عليه ولئن وصل كتابي إليك لتجدن الحجة عليك وعلى أصحابك مؤكدة حيث يقول الله تعالى «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ»^٣ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» فأتبع ما كتبت إليك في القدر فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر إن الله تعالى لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة ولا يهمل العباد من الملكة ولكنه المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم فإن ائتمروا بالطاعة لن يكون عنها صادا مشبوا وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها ولا كلفهم إياها جبرا بل تمكينه إياهم وعذاره إليهم طرقهم وممكنهم فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه ووضع التكليف

١. كشف والبيان / ١ / ٢٠٥.

٢. الجامع لأحكام القرآن / ١ / ٤٢٧.

٣. سورة يونس / ٣٥.

عن أهل النقصان والزمانة والسلام.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال علي عليه السلام وإن رسول الله كان كلما أراد غزوة ورى بغيرها إلا غزاة تبوك فإنه عرفهم أنه يريد لها وأمرهم أن يتزودوا لها فتزودوا لها دقيقا كثيرا يختبزون في طريقهم ولحماً مالحاً وعسلاً وتمرّاً وكان زادهم كثيراً لأن رسول الله كان حثهم على التزود لبعد الشقة وصعوبة المفاوز وقلة ما بها من الخيرات فساروا أياماً وعتق طعامهم وضائق من بقاياهم صدورهم فأحبوا طعاماً طرياً فقال قوم منهم يا رسول الله قد بשמنا هذا الذي معنا من الطعام فقد عتق وصار يابساً وكاد يريح ولا صبر لنا عليه فقال رسول الله ﷺ ما معكم قالوا خبز ولحم قديد مالح وعسل وتمر فقال رسول الله ﷺ فأنتم الآن كقوم موسى لما قالوا ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ فما الذي تريدون قالوا نريد لحماً طرياً قديداً ولحماً مشوياً من لحم الطيور ومن الحلواء المعمول قال رسول الله ﷺ ولكنكم تحالفون في هذه الواحدة بني إسرائيل لأنهم أرادوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل فاستبدلوا ﴿الَّذِي هُوَ أَذْيُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ وأنتم تستبدلون الذي هو أفضل بالذي هو دونه وسوف أسأله لكم ربي قالوا يا رسول الله فإن فينا من يطلب مثل ما طلبوا ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَقَثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصْلِهَا﴾ فقال رسول الله ﷺ سوف يعطيكم الله ذلك بدعاء رسول الله فآمنوا به وصدقوه الحديث.^٢

١. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية / ٣٣؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ١٠ / ١٣٦.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥٦٤ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢١ / ٢٤١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

بيان أحوال المؤمنين من الأديان المختلفة وما وعدهم الله من الأجر، وتأني
نظيرتها في سورة المائدة آية ٦٩ بفرق بين ترتيب النصارى والصابئين وقد بحثنا عن
إعرابها هناك، كما نذكر رواياتنا هنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المراد بهم «المتصفون بالإيمان ظاهراً المتسمون بهذا الاسم»^١،
أو المراد بهم المؤمنون بالله من غير الأديان الثلاثة، أمثال ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو
وقس بن ساعدة وغيرهم المسمون بالحنيفيين الذين اهتموا بصفاء فطرتهم إلى الإيمان
بالله وتركوا المحرمات كالكذب وشرب الخمر والزنا.^٢

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ المراد بهم اليهود، ﴿هَادُوا﴾: تابوا، لأنهم تابوا من عبادة
العجل و «سُموا يهوداً لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالاً»^٣.
﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصران أو نصري وهم اتباع عيسى بن مريم عليه السلام وسُموا
بذلك لأنهما من بلدة يقال لها الناصرة في أرض فلسطين.

﴿وَالصَّبِيَّانَ﴾. جمع صابئ، وهم قوم يقرّون بالصانع وبالمعاد وبيعض
الأنبياء عليه السلام كيحییٰ وبقراءون الزبور وهو كتاب داود عليه السلام، قد يقال: بأنهم من أهل
الكتاب ولكن قال الشيخ الطوسي: «والفقهاء بأجمعهم يُجيزون أخذ الجزية منهم.

١. الميزان ١/ ١٩٣.

٢. راجع التفسير الكاشف ١/ ١١٨.

٣. التبيان ٢/ ٣٧٦.

وعندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا أهل الكتاب»^١.

نتيجة المعنا إلى هنا: «أن الأسماء والتسمي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين لا يوجب عند الله تعالى أجراً ولا أمناً من العذاب كقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾^٢، وإنما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، ... وهذا مما تكررت فيه آيات القرآن أن السعادة والكرامة تدور مدار العبودية، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لتسميه شيئاً، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه إلا مع لزوم العبودية»^٣.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ من الأديان الثلاثة أو غيرها، ومن الإيمان بالله الإيمان برسوله الخاتم محمد المصطفى ﷺ .

﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المعاد ويوم القيامة.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والعمل الصالح جزء لا ينفك من الإيمان بالله وبالرسل ولازمه.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي ﴿أَجْرُهُمْ﴾ محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ويصل إليهم. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا كانوا مؤمنين برسول الله ﷺ ، أو من حيث وصول أجورهم إليهم إذا كانوا من غير المؤمنين برسول الله ﷺ .

تنبيه

«من المعروف أن الصَّابئة فرقتان متمايزتان تماماً، هما:

١- المنديا أو الصبوه، قيل: هي فرقة يهودية الهوى، وأظهر طقوسها التعميد

١. التبيان ٢/ ٣٨٢.

٢. سورة البقرة / ١١١.

٣. الميزان ١/ ١٩٣.

- الغطس - في الماء الجاري، أو الصَّبْع، ولذا تراهم غالباً يعيشون في الأماكن القريبة من الأنهار؛ لسهولة ويسر إجراء طقسهم هذا.

٢- صابئة حرّان: وهي فرقة وثنية بقيت أمداً في ظلّ الإسلام دافعة للجزية باقية على دينها. وأساس عبادتها للروحانيّات والنجوم، وقد أولتهم كتب الفرق والمذاهب اهتماماً؛ لما خرج من بينهم من علماء مشاركون يشار إليهم. وربّما نسب إلى الصابئة عموماً أنبياء، منهم: يحيى، إدريس - هرمس -، شيث النبيّ - أمازون - .

وقيل: إنّ لديهم من الكتب المقدسة عندهم ما يلي:

١- كنزه ربّه، أو كنزه ربّاه، كنز الربّ، وفيه صحف آدم وشيث وإدريس، وآراء ومعتقدات حول بدء الخليقة.

٢- دراشه أديها، أو أفشاد هي، أو سدرا هي، أي: تعاليم يحيى أو دروس يحيى وتعاليمه، ويعتقدون أنّه موحى إليه توسط جبرائيل، وأنّها شرح لما جاء في صحف آدم وشيث وإدريس.

٣- القستا: وفيه تعاليم حول الزواج وشروطه.

٤- درفش: يحوي بعض المراسم الدينية اليومية.

٥- كتيبات يقرأونها في أعيادهم ومناسباتهم الخاصة.

وكلّ هذه باللّغة الكلدانية - أي السريانية أو الآرامية - ولم تترجم بعد، لذا صعب الاطّلاع على محتواها لغيرهم، ولغير العارف بلغتهم.

للتوسعة في معرفتهم. أنظر: الفهرست لابن النديم^١، دائرة المعارف الإسلامية^٢،

١. الفهرست لابن النديم / ٦٦٣.

٢. دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٨٩.

٤٠٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

دائرة معارف القرن العشرين^١، الملل والنحل للشهرستاني^٢، الصائبة لغضبان الناشئ،
الأديان والمذاهب بالعراق^٣، فصلية المورد العراقية^٤.
ولمعرفة الأحكام الشرعية الشاملة لهم. ينظر: الخلاف^٥، تذكرة الفقهاء^٦،
مختلف الشيعة^٧، ومدخل «جزية» من معجم فقه الجواهر^٨، الموسوعة الفقهية
الكويتية^٩، أحكام أهل الذمة^{١٠} ١١.

الروايات

خبر علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: قلت لأبي الحسن
الرضا عليه السلام: لم سمي الحواريون الحواريين؟ قال: أمّا عند الناس فإِنَّهم سموا حواريين
لأنَّهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز
الحوار، وأمّا عندنا فسمي الحواريون الحواريين لأنَّهم كانوا مخلصين في أنفسهم
ومخلصين لغيرهم من اوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير، قال: فقلت له: فلم سمي
النصاري نصارى؟ قال: لأنَّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام، نزلتها مريم

١. دائرة معارف القرن العشرين ٦/ ٤٢٦.

٢. الملل والنحل (لشهرستاني) ١/ ٢٣٠.

٣. الأديان والمذاهب بالعراق / (١٩٦٠).

٤. فصلية المورد العراقية، العدد ٢، سنة ٥/ ٦٠ ومصادرهم.

٥. الخلاف ٥/ ٥٤٢.

٦. تذكرة الفقهاء ٩/ ٢٨٢، م ١٦٥ ومصادرهم.

٧. مختلف الشيعة ٤/ ٤٤٤، م ٥٨.

٨. معجم فقه الجواهر ٢/ ١٧٢، ت ٢.

٩. الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٦/ ٢٩٣.

١٠. أحكام أهل الذمة ١/ ٩٢ وما بعدها.

١١. هامش تفسير التبيان ٢/ ٣٨٣ من طبع آل البيت عليه السلام.

وعيسى عليه السلام بعد رجوعهما من مصر.^١

أقول: الخبز الحوار: نخل مرة بعد مرة. أو أنه مأخوذ من الدقيق الأبيض وهو لبابها.

خبر رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر، أولهم ابن آدم الذي قتل أخاه، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، واثنان في بني إسرائيل هودا قومهما ونصراهما، وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^٢ واثنان من هذه الأمة أحدهما شرهما في تابوت من قوارير تحت الفلق في بحار من النار.^٣

وروى نحوها في الخصال.^٤

خبر إسحاق بن عمار عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنه قال يا إسحاق ان في النار لواديا يقال له سقر لم يتنفس منذ خلقه الله لو إذن الله ﻻ له في التنفس بقدر مخطط لا حترق ما على وجه الأرض وان أهل النار ليتعودون من حر ذلك الوادي ومنتنه وقدره وما اعد الله فيه لأهله وان في ذلك الوادي لجبالا يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ومنتنه وقدره وما اعد الله فيه لأهله وان في ذلك الجبل لشعبا يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ومنتنه وقدره وما اعد الله فيه لأهله وان في ذلك الشعب لقليبا يتعوذ جميع أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب ومنتنه وقدره وما اعد الله فيه لأهله وان في ذلك القليب لحية يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ومنتنها وقدرها وما اعد الله في انيابها من السم لأهلها وان في جوف تلك الحية كسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمة قال: قلت جعلت فداك من الخمسة؟ ومن الاثنان؟ قال: فاما الخمسة فقبائل الذي قتل هابيل

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٧٩، ح ١٠؛ علل الشرائع ١/ ٨٠.

٢. سورة النازعات / ٢٤.

٣. عقاب الأعمال / ٢٥٥، ح ١.

٤. الخصال ٢/ ٣٤٦، ح ١٥.

ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه فقال ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾^١ وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^٢ ويهود الذي هود اليهود وبولس الذي نصر النصارى ومن هذه الأمة أعرايان.^٣

وروى نحوها في عقاب الأعمال.^٤

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله وبما فرض عليهم الإيمان به من الولاية لعلي بن أبي طالب والطيبين من آلهم ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني اليهود ﴿وَالنَّصَارَى﴾ الذين زعموا أنهم في دين الله متناصرون ﴿وَالصَّبِيَّاتِ﴾ الذين زعموا أنهم صبا إلى دين (الله، وهم بقولهم) كاذبون ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ من هؤلاء الكفار، ونزع عن كفره، ومن آمن من هؤلاء المؤمنين في مستقبل أعمارهم، وأخلص ووفى بالعهد والميثاق المأخوذين عليه لمحمد وعلي وخلفائهما الطاهرين ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [ومن عمل صالحا] من هؤلاء المؤمنين ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ هناك حين يخاف الفاسقون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٥ إذا حزن المخالفون، لأنهم لم يعملوا من مخالفة الله ما يخاف من فعله، ولا يحزن له. ونظر أمير المؤمنين [علي] عليه السلام إلى رجل [فرأى] أثر الخوف عليه، فقال ما بالك قال إني أخاف الله. قال يا عبد الله خف ذنوبك، وخف عدل الله عليك في مظالم عباده، وأطعه في ما كلفك، ولا تعصه في ما بصلحك، ثم لا تخف الله بعد ذلك، فإنه لا يظلم أحدا ولا يعذبه فوق استحقاقه أبدا، إلا أن تخاف سوء العاقبة بأن تغير أو تبدل. فإن أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة، فاعلم أن ما تأتيه من خير فيفضل الله

١. سورة البقرة / ٢٥٨.

٢. سورة النازعات / ٢٤.

٣. الخصال ٢/ ٣٩٨، ح ١٠٦.

٤. عقاب الأعمال / ٢٥٥، ح ٣.

٥. سورة البقرة / ٦٢.

وتوفيقيه وما تأتيه من شر فيأمهال الله، وإنظاره إياك، وحلمه عنك.^١
 نقل العلامة المجلسي عن الشيرازي في كتاب النزول عن مالك بن أنس عن
 حميد عن أنس بن مالك في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نزلت في عليٍّ عليه السلام صدق -
 وهو أول الناس - برسول الله ﷺ الخبر.^٢
 ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله الأقوال في معنى الصابئين وقال في ختامها: «وقال
 آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب، والفقهاء بأجمعهم يميزون أخذ الجزية منهم،
 وعندنا لا يجوز ذلك، لأنهم ليسوا أهل الكتاب».^٣

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾



قصة أخرى من قصص بني إسرائيل.
 ﴿وَإِذْ﴾ واذكروا. ﴿أَخَذْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.
 ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الميثاق: المفعول إمّا بيمين وإمّا بعهد أو غير
 ذلك من الوثائق، وهو العهد المؤكّد. أي ﴿أَخَذْنَا﴾ العهد المؤكّد من اسلافكم. ولعلّ
 هذا الميثاق هو تعلّم التوراة والالتزام بها.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿رَفَعْنَا﴾ معطوف على ﴿أَخَذْنَا﴾.
 ﴿فَوْقَكُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٦٤؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٦٧ / ٣٩١.

٢. بحار الأنوار ٣٨ / ٢٣٣ (١٦ / ١٦٨ من طبع الحديث، بيروت).

٣. التبيان ٢ / ٣٨٢ (١ / ٢٨٣).

٤١٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

﴿أَلْطُورُ﴾ مفعول به. ﴿أَلْطُورُ﴾: الجبل، يعني رفع الله الجبل فوقهم بالإعجاز لكي أقرأوا بالتوراة وآمنوا بها وإلا قذفناه عليكم.

﴿خُذُوا﴾ فعل أمر وفاعله، ابتداء مقول القول. أخذ كل شيء بحسبه: وأخذ كتاب الله هو تعليمه وتعلّمه والعمل به.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. وهو كتابهم السماوي التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿خُذُوا﴾. «القوة: مجاز في الإيعاء واتقان التلقي والعزيمة على العمل به كقوله تعالى: ﴿يَسْحَبِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^١ ٢. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: أي بجِدٍّ و يقين.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿أَذْكُرُوا﴾ معطوف على ﴿خُذُوا﴾. أي احفظوا ولا تنسوه.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بصلة الموصول المحذوفة تقديره: ﴿مَا﴾ هو كائن أو موجود أو ﴿مَا﴾ جاء ﴿فِيهِ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿تَتَّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. بالعمل بكتاب الله.

الروايات

صحيحة إسحاق بن عمار ويونس قالا: سألنا أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى

﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أقوّة في الأبدان أو قوّة في القلب؟ قال: فيهما جميعاً.^٣

١. سورة مريم / ١٢.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٢٤.

٣. المحاسن ١/ ٤٠٧، ح ٣٢٥.

ورواها العياشي في تفسيره^١ وهكذا وردت في الفقه الرضوي^٢ ومجمع البيان^٣.
 العياشي رفعه عن محمد بن أبي حمزة عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام عن
 قول الله ﷻ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ قال: السجود ووضع اليدين على الركبتين في
 الصلاة وأنت راکع^٤.
 العياشي رفعه عن عبد الله الحلبي قال: قال ﴿أَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ واذكروا ما في تركه
 من العقوبة^٥.

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٦ والمشهدي في كنز الدقائق^٧.
 الصدوق بإسناده عن عبد الله بن العباس قال: إنما سمي الجبل الذي كان عليه
 موسى طور سيناء لأنه جبل كان عليه شجرة الزيتون، وكل جبل يكون عليه ما ينتفع
 به من النبات والأشجار من الجبال سمي طور سيناء وطور سينين، وما لم يكن عليه ما
 ينتفع به من النبات والأشجار من الجبال سمي طور ولا يقال طور سيناء وطور
 سينين^٨.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال الله ﷻ لهم و
 [اذكروا] ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وعهودكم أن تعلموا بما في التوراة، وما في الفرقان
 الذي أعطيته موسى مع الكتاب المخصوص بذكر محمد وعلي والطيبين من آلهما، بأنهم
 سادة الخلق، والقوامون بالحق وإذ أخذنا ميثاقكم أن تقرؤا به، وأن تؤدوه إلى

١. تفسير العياشي ١/ ١٣٦، ح ٥٥.

٢. فقه الرضوي / ٣٧٨.

٣. مجمع البيان ١/ ١٢٨.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٣٦، ح ٥٦.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٣٦، ح ٥٧.

٦. مجمع البيان ١/ ١٢٨.

٧. كنز الدقائق ١/ ٢٦٦.

٨. علل الشرايع ١/ ٦٧.

أخلافكم، وتأمرهم أن يؤدوه إلى أخلافهم إلى آخر مقدراتي في الدنيا، ليؤمنن بمحمد نبي الله، ويسلمن له ما يأمرهم [به] في علي ولي الله عن الله، وما يخبرهم به [عنه] من أحوال خلفائه بعده القوامين بحق الله، فأيتيم قبول ذلك واستكبرتموه. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الجبل، أمرنا جبرئيل أن يقطع من «جبل فلسطين» قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخا في فرسخ، فقطعها وجاء بها، فرفعها فوق رؤوسهم. فقال موسى ﷺ لهم إما أن تأخذوا بما أمرتم به فيه، وإما أن ألقى عليكم هذا الجبل. فالجئوا إلى قبوله كارهين إلا من عصمه الله من العناد، فإنه قبله طائعا مختارا. ثم لما قبلوه سجدوا وعفروا، وكثير منهم عفر خديه لا لإرادة الخضوع لله، ولكن نظر إلى الجبل هل يقع أم لا، وآخرون سجدوا طائعين مختارين. [ثم قال ﷺ] فقال رسول الله ﷺ احمدا الله معاشر شيعتنا على توفيقه إياكم، فإنكم تعفرون في سجودكم لا كما عفره كفرة بني إسرائيل، ولكن كما عفره خيارهم. قال الله ﷻ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ من هذه الأوامر والنواهي من هذا الأمر الجليل من ذكر محمد وعلي وآلهما الطيبين. ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ في ما آتيناكم، اذكروا جزيل ثوابنا على قيامكم به، وشديد عقابنا على إياكم له. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتتقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقوا بذلك جزيل الثواب.^١

رواها الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٢ والمجلسي في بحار الأنوار^٣.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٦٦.

٢. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٦٥.

٣. بحار الأنوار ٢٦ / ٢٨٨، ح ٤٨.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

تتمة الآية السابقة.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب. ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي أعرضتم وأدبرتم.

﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿ذَلِكَ﴾. إشارة إلى جميع ما تقدم

ذكره في الآية السابقة.

﴿فَلَوْلَا﴾ استثنائية. ﴿لَوْلَا﴾ حرف شرط غير جازم، امتناعية.

﴿فَضْلُ﴾ مبتدأ.

﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه، والمراد بـ ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ هنا توبتهم بعد نكث الميثاق أو

إمهالهم.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾.

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ معطوف على ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾. و ﴿رَحْمَتُهُ﴾ هي افتتاح باب التوبة

وقبول توبتهم، أو تمديد إمهالهم ترحمًا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وعدم التعجيل في عقوبتهم.

﴿لَ﴾ واقعة في جواب ﴿لَوْلَا﴾. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾. والخسران: هو ذهاب

رأس المال.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله ﷻ [لهم] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾

يعني تولى أسلافكم ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عن القيام به، والوفاء بما عاهدوا عليه. ﴿فَلَوْلَا

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ يعني على أسلافكم، لو لا فضل الله عليهم بإمهاله إياهم

للتوبة، وإنظارهم لمحو الخطيئة بالإجابة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قد خسرتكم الآخرة والدنيا، لأن الآخرة [قد] فسدت عليكم بكفركم، والدنيا كان لا يحصل لكم نعيمها لاخترامنا لكم، وتبقى عليكم حسرات نفوسكم وأمانيتكم التي قد اقتطعت من دونها. ولكننا أمهلناكم للتوبة، وأنظرناكم للإجابة، أي فعلنا ذلك بأسلافكم فتاب من تاب منهم، فسعد، وخرج من صلبه من قدر أن يخرج منه الذرية الطيبة التي تطيب في الدنيا [بالله تعالى] معيشتها، وتشرف في الآخرة بطاعة الله مرتبتها. وقال الحسين بن علي عليه السلام أما إنهم لو كانوا دعوا الله بمحمد وآله الطيبين بصدق من نياتهم، وصحة اعتقادهم من قلوبهم أن يعصمهم حتى لا يعاندوه بعد مشاهدة تلك المعجزات الباهرات، لفعل ذلك بجوده وكرمه. ولكنهم قصرُوا، وآثروا الهوى بنا ومضوا مع الهوى في طلب لذاتهم^١.

رواها البحراني في البرهان^٢ والمجلسي في بحار الأنوار^٣.

﴿وَلَقَدْ عَامَتْهُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

«أمرهم الله سبحانه بترك العمل يوم السبت، وحرم عليهم صيد الأسماك فيه، فكانت الحيتان تتجمع في هذا اليوم آمنة مطمئنة، ولكن ثلثة من اليهود احتالوا وتأولوا... حيث حبسوا الحيتان يوم السبت وحصروها في مكان لا تستطيع تجاوزه، وأخذوها يوم الأحد، وقالوا: ان الله نهى عن صيد الحيتان في هذا اليوم، ولم ينه عن

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٦٧.

٢. البرهان في تفسير القرآن ١ / ٢٣٣.

٣. بحار الأنوار ٢٦ / ٢٨٩.

حبسها، و﴿فرق بعيد بين الحبس وبين الصيد﴾^١.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَ﴾ لام الابتداء، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
﴿عَلِمْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي عرفتُم. ﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به.
﴿أَعْتَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله. أي ظلموا وجاوزوا ما حُدَّ لهم. لأنَّ صيد الحيتان هو حبسها.
﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الَّذِينَ﴾ تقديره: حال كونهم منكم.

﴿فِي السَّبْتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْتَدُوا﴾.
﴿فَلَنَّا﴾ للسببية. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قُلْنَا﴾. ﴿كُونُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿قِرْدَةً﴾ خبر ﴿كُونُوا﴾، أخبار عن سرعة مسخهم.
﴿خَسِئِينَ﴾ أي مُبْعِدِينَ، الخاسي: المُبْعَد. المطرود.

الروايات

خبر محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿إِنَّ [أ]ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم وذلك أَنَّ الله تبارك وتعالى يقول ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ ^ط فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ^ق وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ^٢﴾ الآية فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات إِنَّ الله ﷻ بعث ﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ^٣﴾ ^٣ أَنْ أَعْبُدُوا

١. التفسير الكاشف ١/ ١٢٠.

٢. سورة آل عمران / ٧.

٣. سور: الأعراف / ٥٩، هود / ٢٥، المؤمنون / ٢٣، العنكبوت / ١٤، نوح / ١.

اللَّهُ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا^١ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَأَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَلَغُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَقَالَ ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ^٢ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ^٣ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ^٤﴾ فَبَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ إِلَى قَوْمِهِمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ [بِهِ] مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَنْ آمَنَ مُخْلِصًا وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِذَلِكَ وَذَلِكَ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ^٥﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ يَعَذِّبُ عَبْدًا حَتَّى يَغْلُظَ عَلَيْهِ فِي الْقَتْلِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا النَّارَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا فَلَمَّا اسْتَجَابَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْهُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَالشَّرْعَةَ وَالْمَنْهَاجَ سَبِيلٌ وَسُنَّةٌ وَقَالَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ^٦﴾ وَأَمَرَ كُلَّ نَبِيٍّ بِالْأَخْذِ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ وَكَانَ مِنَ السُّنَّةِ الَّتِي وَالسَّبِيلِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ ﷻ بِهَا مُوسَى ﷺ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّبْتَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ السَّبَبِ وَلَمْ يَسْتَحِلَّ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ وَاسْتَحْلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي نَهَا اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ ﷻ النَّارَ وَذَلِكَ حَيْثُ اسْتَحْلَوْا الْحِيتَانَ وَاحْتَبَسُوهَا وَأَكَلُوهَا يَوْمَ السَّبَبِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَشْرَكُوا بِالرَّحْمَنِ وَلَا شَكَّوا فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبَبِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ^٧﴾ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى ﷺ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَجَعَلَ لَهُمْ شَرْعَةً

١. سورة نوح / ٣.

٢. سورة الشورى / ١٣.

٣. سور: آل عمران / ١٨٢، الأنفال / ٥١، الحج / ١٠.

٤. سورة النساء / ١٦٣.

ومنهاجاً فهدمت السبب الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار وإن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً ثم بعث الله محمداً ﷺ وهو بمكة عشر سنين فلم يمت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إيمان التصديق ولم يعذب الله أحداً ممن مات وهو متبع لمحمد ﷺ على ذلك إلا من أشرك بالرحمن الحديث.^١

العياشي رفعه عن عبد الصمد بن برار قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كانت القردة وهم اليهود الذين اعتدوا في السبت، فمسخهم الله قُروداً.^٢
خبر علي بن عقبة عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن اليهود أمروا بالامساك يوم الجمعة فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا يوم السبت، فحرم عليهم الصيد يوم السبت.^٣

خبر عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ واليوم الذي مات فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟ فقال: إن يوم الحسين عليه السلام؟ أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام وذلك أن أصحاب الكساء الذي كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي ﷺ بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين للناس عزاء وسلوة فلما مضى منهم

١. الكافي ٢/ ٢٨، ح ١.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٣٦، ح ٥٨.

٣. علل الشرايع ١/ ٦٩.

أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة. قال: عبدالله بن الفضل الهاشمي فقلت له: يا ابن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟ فقال: بلى إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماماً وحجةً على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله ﷺ ولم يسمع منه وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع رسول الله ﷺ في أحوال في آن يتوالى فكانوا متي نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله ﷺ وقول رسول الله له وفيه فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله ﷻ ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة. قال عبدالله بن الفضل الهاشمي فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليه الجوائز من الأموال فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه حكم الله ما بيننا وبينهم. قال ثم قال عليه السلام: يا ابن عم وإن ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالائنا ويقولون بإمامتنا زعموا أن الحسين عليه السلام لم يقتل وأنه شبه للناس أمره كعيسى ابن مريم فلا لأئمة إذن على بني أمية ولا عتب على زعمهم يا ابن عم من زعم أن الحسين عليه السلام لم يقتل فقد كذب رسول الله ﷺ وعلياً وكذب من بعده الأئمة عليهم السلام في إخبارهم بقتله ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه. قال عبدالله بن

الفضل فقلت له: يا ابن رسول الله: فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال ﷺ ما هؤلاء من شيعتي وإني بريء منهم كذا وكذا وكذا إبطال القرآن والجنة والنار. قال: فقلت فقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: إن أولئك مسخو ثلاثه أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا وإن القردة اليوم مثل أولئك وكذلك الخنازير وسائر المسوخ ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله لا يحل أن يؤكل لحمه ثم قال ﷺ: لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم صغروا عصيان الله وكفروا به وأشركوا وضلوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق.^١

الصدوق بإسناده إلى علل محمد بن سنان عن الرضا ﷺ انه قال: ... وحرم الخنزير لأنه مشوه، جعله الله عظة للخلق وعبرة وتحويلاً ودليلاً على ما مسخ على خلقته ولأنّ غذاءه اقدر الاقدار مع علل كثيرة وكذلك حرم القرد لأنه مسخ مثل الخنزير وجعل عظة وعبرة للخلق ودليلاً على ما مسخ على خلقته وصورته وجعل فيه شبهاً من الإنسان ليدل على انه من الخلق المغضوب عليهم، الحديث.^٢

خبر علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: حدثنا علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر بن محمد ﷺ قال: المسوخ ثلاثة عشر الفيل والدب والأرنب والعقرب والضَّبُّ^٣ والعنكبوت والدُّعْمُوصُ^٤ والجرى والوطواط^٥ والقرد والخنزير والزهره وسهيل. قيل: يابن رسول الله ما كان سبب مسخ هؤلاء؟ قال: أمّا الفيل فكان رجلاً جباراً لوطياً لا يدع رطباً ولا يابساً وأمّا الدب فكان رجلاً مؤنثاً يدعو الرجال إلى نفسه وأمّا الأرنب فكانت امرأة قذرة لا

١. علل الشرايع ١/ ٢٢٥، ح ٢.

٢. عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/ ٩٤.

٣. بالفارسية: كرم سياه رنگی است که در ته آبگیرها و برکه ها به هنگام خشک شدن آب پدید آید.

٤. بالفارسية: خفاش.

٥. بالفارسية: سوسمار.

تغتسل من حيض ولا غير ذلك وأما العقرب فكان رجلاً هماًزاً لا يسلم منه احد وأما الضب فكان رجلاً اعرابياً يسرق الحجاج بمحجنه وأما العنكبوت فكانت امرأة سحرت زوجها وأما الدعموص فكان رجلاً نهماً يقطع بين الاحبه وأما الجرى فكان رجلاً ديوثاً يجلب الرجال على حلائله وأما الوطواط فكان رجلاً سارقاً يسرق الرطب من روس النخل وأما القردة فاليهود «أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ» وأما الخنازير فالنصارى حين سالوا المائدة فكانوا بعد نزولها أشد ما كانوا تكذيباً وأما سهيل فكان رجلاً عشاراً باليمن وأما الزهرة فكانت امرأة تسمى ناهيد وهي التي تقول الناس انه افتتن بها هاروت وماروت.^١

خبر مغيرة عن أبي عبدالله عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاً منهم القردة والخنازير والحفّاش والضب والدب والفيل والدعموص والجريث والعقرب وسهيل والقنفذ والزهرة والعنكبوت فأما القردة فكانوا قوماً ينزلون بلده على شاطئ البحر اعتدوا في السبت فصادوا الحيتان فمسخهم الله ﷻ قرده وأما الخنازير فكانوا قوماً من بني إسرائيل دعا عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فمسخهم الله ﷻ خنازير وأما الحفّاش فكانت امرأة مع ضره لها فسحرتها فمسخها الله ﷻ حفّاشاً وأما الضب فكان اعرابياً بدوياً لا يرع عن قتل من مر به من الناس فمسخه الله ﷻ ضباً وأما الفيل فكان رجلاً ينكح البهائم فمسخه الله ﷻ فيلاً وأما الدعموص فكان رجلاً زاني الفرج لا يدع من شيء فمسخه الله ﷻ دعموصاً وأما الجريث فكان رجلاً نهماً فمسخه الله ﷻ جريثاً وأما العقرب فكان رجلاً هماًزاً لمازاً فمسخه الله ﷻ عقرباً وأما الدب فكان رجلاً يسرق الحاج فمسخه الله ﷻ دباً وأما السهيل فكان رجلاً عشاراً صاحب مكاس فمسخه الله ﷻ سهيلاً وأما الزهرة فكانت امرأة فتنت بها هاروت وماروت فمسخها الله ﷻ زهرة وأما العنكبوت فكانت امرأة سيئة الخلق عاصية

١. علل الشرايع ٢/ ٤٨٦، ح ٢.

لزوجها مولية عنه فمسخها الله ﷻ عنكبوتاً وأما القنفذ فكان رجلاً سيء الخلق فمسخه الله ﷻ قنفذاً.^١

خبر حفص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان مسافراً فليسافر يوم السبت فلو أن حجراً زال عن جبل في يوم السبت لردّه الله إلى مكانه.^٢

أبو منصور الطبرسي رفعه إلى الإمام ابن محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ في احتجاجه على اليهود في جواز نسخ الشرايع في حديث طويل: وإن الله ﷻ جعل كتابي المهيم على كتبهم الناسخ لها ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وبتحريم ما أحلوا من ذلك أن موسى جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتى أن الله تعالى قال لمن اعتدى منهم في صيدها يوم السبت ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فكانوا ولقد جئت بتحليل صيدها حتى صار صيدها حلالاً قال الله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ﴾^٣ وجئت بتحليل الشحوم كلها وكنتم لا تأكلونها.^٤

الجزائري رفعه وقال: قال علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ كانوا يسكنون على شاطئ بحر فنهاهم الله وأنبيأوه عن اصطيد السمك في يوم السبت فتوصلوا إلى حيلة يحلوا بها ما حرم الله عليهم فأخذوا أخاديد وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض يتهياً للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهياً لها الخروج إذا همت بالرجوع فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان الله لها فدخلت في أخاديد وحصلت في الحياض والغدران فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى الحج لتأمن صائدها فلما همت بالرجوع فلم تقدر وبقيت ليلاً في

١. علل الشرايع ٢/ ٤٨٧، ح ٤؛ الخصال ٢/ ٤٩٦، ح ١.

٢. الخصال ٢/ ٣٩٣، ح ٩٧.

٣. سورة المائدة / ٩٦.

٤. الاحتجاج ١/ ٥٠.

مكان يتهيأ أخذها بلا اصطيد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع وكانوا يأخذونها يوم الأحد ويقولون ما اصطدنا يوم السبت حتى كثر من ذلك ما لهم وتنعموا بالنساء فكانوا في المدينة نيفا وثمانين ألفا فعل هذا منهم سبعون ألفا وأنكر عليهم الباقون وذلك أن طائفة منهم وعظومهم فأبوا فاعتزلوهم إلى قرية أخرى فمسخ الله الذين اعتدوا قردة فجاءوا إليهم يعرفوا هؤلاء الناظرون معارفهم يقول المطلع لبعضهم أنت فلان فتدمع عيناه ويومي برأسه أن نعم فما زالوا كذلك ثلاثة أيام ثم بعث الله عليهم مطراً وريحاً فجرفهم إلى البحر وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام وأما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنها هي أشباهها لا هي بأعيانها ولا من نسلها ثم قال ﷺ إن الله مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله ﷻ حال من قتل أولاد رسول الله ﷺ وهتك حرمة إن الله تعالى لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ ثم قال ﷺ أما إن هؤلاء الذين اعتدوا في السبت لو كانوا حين هموا بقبيح فعالمهم سألوا ربهم بجاه محمد وآله الطيبين أن يعصمهم من ذلك لعصمهم كذلك الناهون لو سألوا الله ﷻ أن يعصمهم بجاه محمد وآله الطيبين لعصمهم ولكن الله ﷻ لم يلهمهم ذلك ولم يوفقهم له فجرت معلومات الله فيهم على ما كان سطر في اللوح المحفوظ.^١

أنت تجد الروايات الواردة حول المسخ في كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ^٢ والروايات الواردة في السبت فيه أيضاً^٣ فراجعها إن شئت.

١. قصص الأنبياء / ٣٥٧.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ / ١٠ / ٢٤٤.

٣. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ / ١٢ / ٣٥٨.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

تنمة الآية السابقة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول. والضمير المفعولي يرجع إلى العقوبة المستفادة من قوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^١.

﴿نَكَالًا﴾ مفعول به ثانٍ. النكال: العقاب الشديد الذي يوجب عبرة الآخرين ويوجب منعهم من هذا العمل.

﴿لِّمَا﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿نَكَالًا﴾.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان.

﴿يَدَيْهَا﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثانٍ. والضمير يرجع إلى العقوبة والمراد من ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ هو المعاصرون لهذه العقوبة، أي عبرة لمعاصريها.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، معطوفة على ﴿مَا﴾ السابقة.

﴿خَلْفَهَا﴾ ظرف مكان و مضاف إليه. يعني يكون عبرة للأُمم التي ستخلفها وتأتي بعدها.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَوْعِظَةً﴾ معطوف على ﴿نَكَالًا﴾. الوعظ: الترهيب من الشر.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَوْعِظَةً﴾.

الروايات

العياشي رفعه عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿فَجَعَلْنَاهَا

نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ قال لما معها ينظر إليها من أهل القرى ولما خلفها قال: ونحن ولنا فيها موعظة. ١

رواها في مجمع البيان^٢ ومنهج الصادقين^٣.

قال الشيخ الطوسي: ويحتمل أن تكون «الهاء» راجعة إلى الأمة الذين اعتدوا وهم أهل إيلة: قرية على شاطئ البحر. وروى ذلك عن أبي جعفر عليه السلام. ٤

رواها في مجمع البيان^٥ ومنهج الصادقين^٦ وكنز الدقائق^٧ ونور الثقلين^٨.

الشيخ ابوالفتوح الرازي رفعه إلى النبي ﷺ انه قال: السعيد من اتعظ بغيره. ٩

الآمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: اتعظوا من كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم. ١٠

في التفسير المنسوب للإمام عسكري عليه السلام: ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ لما اصطادوا السموك فيه ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعدين عن كل خير ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ [أي] جعلنا تلك المسخة التي أخزيناها ولعناهم بها ﴿نَكَالًا﴾ عقاباً وردعاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ بين يدي المسخة من ذنوبهم الموبقات التي

١. تفسير العياشي ١/ ١٣٦، ح ٥٩.

٢. مجمع البيان ١/ ١٣٠.

٣. منهج الصادقين ١/ ٢٢٥.

٤. التبيان ٢/ ٤٠٢ (١/ ٢٩١).

٥. مجمع البيان ١/ ١٣٠.

٦. منهج الصادقين ١/ ٢٢٥.

٧. كنز الدقائق ١/ ٢٦٧.

٨. نور الثقلين ١/ ١١٠، ح ٢٣٧.

٩. روض الجنان ١/ ٣٢٦.

١٠. غرر الحكم، ح ٢٤٩٥.

استحقوا بها العقوبات ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾ للقوم الذين شاهدوهم بعد مسخهم یرتدعون عن مثل أفعالهم لما شاهدوا ما حل بهم من عقابنا ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يتعظون بها، فيفارقون المخزيات ويعظون [بها] الناس، ويحذرونهم المرديات.^١

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا^٢

قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

شروع في بيان قصة أخرى من قصص قوم بني إسرائيل وهي قصة البقرة وبها سُميت هذه السورة.

وإجمال القصة: «إنَّ شيخاً غنياً من بني إسرائيل قتله [أو قتل ابنه] بنو عمه طمعاً في ميراثه، ثم ادعى القتل على أناس أبرياء انهم قتلوه، وطالبوهم بديته، ليدفعوا عنهم تهمة القتل، فوقع الاختلاف بينهم والشجار، فترافعوا إلى موسى ﷺ، وحيث لا بينة تكشف عن الواقع سألو موسى - كالمعتاد - أن يدعو الله ليبين لهم ما خفي من أمر القاتل، فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة، ويضربوا القاتل ببعضها، فيحيا، ويخبر بقاتله، وبعد أخذ ورد، وإن الأمر: هل هو هزل أو جد، وبعد السؤال عن أوصاف البقرة أولاً وثانياً وثالثاً فعلوا، وعاد القاتل إلى الحياة وأخبر بها كان»^٢.

﴿وَإِذْ﴾ معطوفة على قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^٣.

﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ فعل وفاعل. ﴿لِقَوْمِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٦٨.

٢. التفسير الكاشف / ١ / ١٢٦.

٣. سورة البقرة / ٤٠ و ٤٧.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ابتداء مقول القول. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَذَنُّوْاْ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. أي ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بذبح. ﴿بَقْرَةً﴾ مفعول به، اسم للأنثى، والثور: للذكر، مثل: ناقة وجمل. ﴿قَالُواْ﴾ فعل ماض وفاعله، و «حذفت الفاء منه «وهو جواب؛ لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على»^١ ما قبله. ﴿أَ﴾ استفهام حقيقي.

﴿تَتَّخِذُنَا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به أول. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مفعول به ثان. اهْزَأْ: اللَّعِب والسُّخْرِيَّة، «أي: سخرت ولعبت ولا يجوز أن يقع من أنبياء الله ﷺ في ما يؤدونه هزؤ ولا لعب. وظنوا في أمره إياهم عن الله بذبح البقره عند تدارئهم في القتل أنه هازئ لاعب، ولم يكن لهم ذلك»^٢. ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى النبي موسى عليه السلام وما بعده مقول القول.

﴿أَعُوذُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا». العوذ والعياذ هو الالتجاء عما يخاف من شره.

﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَعُوذُ﴾. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿أَكُونُ﴾ فعل مضارع ناقص منصوب واسمه ضمير مستتر «أنا».

﴿مِنَ الْجَنَهِلِينَ﴾ جار ومجرور. خبر ﴿أَكُونُ﴾. والجهل تارة يطلق على ما يقابل

١. التبيان ٢/ ٤٠٧.

٢. التبيان ٢/ ٤٠٧.

العقل وأخرى على ما يقابل العلم، والظاهر أن المراد به هنا هو الأول.

الروايات

صحيحة أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول إن رجلا من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام إن سبط آل فلان قتلوا فلانا فأخبرنا من قتله قال ايتوني ببقرة **﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم **﴿قَالُوا آدُعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكْرٌ^١ يعني لا صغيرة ولا كبيرة **﴿عَوَانُ بَيْتِ ذَلِكَ﴾**^٢ ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم **﴿قَالُوا آدُعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا﴾** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ^٣ ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة لأجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم **﴿قَالُوا آدُعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾** إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا^٤ قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ^٤ فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال لا أبيعها إلا بملا مسكها ذهباً فجاءوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك فقال اشتروها فاشتروها وجاءوا بها فأمر بذبحها ثم أمر أن يضرب الميت بذنبها فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال يا رسول الله إن ابن عمي قتلني دون من يدعى عليه قتلي فاعلموا بذلك قاتله فقال رسول الله موسى بن عمران عليه السلام لبعض أصحابه إن هذه

١. سورة البقرة / ٦٨.

٢. سورة البقرة / ٦٨.

٣. سورة البقرة / ٦٩.

٤. سورة البقرة / ٧٠ و ٧١.

البقرة لها نبأ فقال وما هو قال إن فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وإنه اشترى تبعاً فجاء إلى أبيه ورأى أن المقاليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره فقال له أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك قال فقال له رسول الله موسى بن عمران عليه السلام أنظروا إلى البر ما بلغ بأهله.^١

ورواها العياشي في تفسيره^٢ مرفوعاً إلى البنظي ونقل عنه في مجمع البيان^٣.

خبر الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث: إن الذين امروا قوم موسى عليه السلام بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد وهم اذنيوية وأخوه مبدوية وابن أخيه وابنته وامرأته، هم الذين امروا بعبادة العجل وهو الذين ذبحوا البقرة التي امر الله تبارك وتعالى بذبحها.^٤

رجال السند كلهم ثقات إلا علي بن معبد لأنه إمامي مجهول ولكن رواها الصدوق في غير واحد من كتبه نحو: الخصال^٥ وعلل الشرايع^٦ وذكرها في من لا يحضره الفقيه^٧ ولكن قال فيه: «لأن الذين أمرهم السامري بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس...».

قال علي بن إبراهيم القمي: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجالهم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلماؤهم خطب امرأة منهم فأنعمت له وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً ردياً فلم ينعموا له فحسد ابن عمه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل قال موسى من قتله قال لا أدري وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٣، ح ٣١.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٣٧، ح ٦٠.

٣. مجمع البيان ١/ ١٣٤.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٨٣، ح ٢٣.

٥. الخصال ١/ ٢٩٢، ح ٥٥.

٦. علل الشرايع / ٤٤٠.

٧. من لا يحضره الفقيه ٢/ ٢٠٠، ذيل ح ٢١٣٦.

فعظم ذلك على موسى فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا ما ترى يا نبي الله وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكره ابنه أن ينبهه وينغض عليه نومه فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته فلما انتبه أبوه قال له يا بني ما ذا صنعت في سلعتك قال هي قائمة لم أبعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنبهك وأنغض عليك نومك قال له أبوه قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة فقال لهم موسى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فعلموا أنهم قد أخطئوا فقالوا ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۚ وَالْفَارِضُ الَّتِي قَدْ ضَرَبَهَا الْفَحْلُ وَلَمْ تَحْمِلْ وَالْبَكْرُ الَّتِي لَمْ يَضْرِبْهَا الْفَحْلُ﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ۚ أَيُّ شَدِيدَةِ الصُّفْرِ ۚ تَسْرُ النَّظِيرِينَ ۖ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۖ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ۚ أَيُّ لَمْ تَذَلَّ ۖ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ۚ أَيُّ لَا تَسْقِي الزَّرْعَ ۚ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ۚ أَيُّ لَا نَقْطُ فِيهَا إِلَّا الصُّفْرَةَ ۚ قَالُوا الْفَسَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَنَّبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۚ ٤ هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال لا أبيعها إلا بملء جلدتها ذهباً فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم موسى لا بد لكم من ذبحها بعينها بملء جلدتها

١. سورة البقرة / ٦٨.

٢. سورة البقرة / ٦٩.

٣. سورة البقرة / (٦٩-٧١).

٤. سورة البقرة / ٧١.

ذهبا فذبحوها ثم قالوا ما تأمرنا يا نبي الله فأوحى الله تعالى إليه قل لهم اضربوه ببعضها وقولوا من قتلك فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا من قتلك يا فلان فقال فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به وهو قوله ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢.١

ورواها مختصراً في مجمع البيان^٣.

العياشي رفعه عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن الله أمر بني إسرائيل أن يذبخوا بقرةً وانما كانوا يحتاجون إلى ذنبها، فشدد الله عليهم^٤.

الطبرسي قال: روى ابن جريح وقتادة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: أنهم امروا بأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم وأيم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد^٥.

وروى نحوها الكاشاني في منهج الصادقين^٦ والمشهدى في كنز الدقائق^٧.

الطبرسي رفعه عن النبي ﷺ. انه قال: لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم، والاستقصاء شؤم^٨.

خبر ابن عباس عليه السلام قال: كان في مدينة اثنا عشر سبطاً أمة ابرار وكان فيهم شيخ له ابنه وله ابن أخ خطبها إليه فأبى ان يزوجه فزوجها من غيره فقعد له في الطريق إلى

١. سورة البقرة / ٧٣.

٢. تفسير القمي ١ / ٤٩.

٣. مجمع البيان ١ / ١٣٥.

٤. تفسير العياشي ١ / ١٣٨، ح ٦١.

٥. مجمع البيان ١ / ١٣٥.

٦. منهج الصادقين ١ / ٢٣٠.

٧. كنز الدقائق ١ / ٢٧٣.

٨. جوامع الجامع ١ / ٥٣.

المسجد فقتله وطرحه على طريق أفضل سبط لهم ثم غذا يخاصمهم فيه فانتهاوا إلى موسى عليه السلام فاخبروه فامرهم ان يذبحوا بقرة **﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا﴾** نسألك من قتل هذا تقول اذبحوا بقرة قال **﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** ولو انطلقوا إلى بقرة لاجيزت ولكن شددوا فشد الله عليهم **﴿قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾** قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ وذلول فرجعوا إلى موسى وقالوا لم نجد هذا النعت إلا عند غلام من بني إسرائيل وقد أبي ان يبيعها إلا بملء مسكها دنانير قال فاشتروها فابتاعوها فذبحت قال فاذ جدوه من لحمها فضر به فجلس فقال موسى من قتلك فقال قتلني ابن أخي الذي يخاصم في قتلي قال فقتل فقالوا يا رسول الله ان لهذه البقرة لنبأ فقال عليه السلام وما هو قالوا انها كانت لشيخ من بني إسرائيل وله ابن بار به فاشترى الابن بيعا فجاء لينقدمهم الثمن فوجد اباه نائما فكره ان يوقظه والمفتاح تحت رأسه فأخذ القوم متاعهم فانطلقوا فلما استيقظ قال له يا ابت اني اشتريت بيعا كان لي فيه من الفضل كذا وكذا واني جئت لانقدمهم الثمن فوجدتك نائما وإذا المفتاح تحت رأسك فكرهت ان أوقظك وان القوم اخذوا متاعهم ورجعوا فقال الشيخ أحسنت يا بني فهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقيه كانت لهم فقال رسول الله ﷺ أنظروا ماذا صنع به البر. ١

ورواها في بحار الأنوار. ٢

خبر مقاتل عن أبي الحسن عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَذْبَحُوا بَقْرَةً وَكَانَ يُجْزِيهِمْ مَا ذَبَحُوا وَمَا تيسَّرَ لَهُمْ مِنَ الْبَقَرِ فَعَتَتُوا وَشَدَّدُوا فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ. ٣

رواها في بحار الأنوار. ٤

١. قصص الأنبياء / ١٥٩، ح ١٧٤.

٢. بحار الأنوار ١٣ / ٢٦٥، ح ٣.

٣. قصص الأنبياء / ١٦٠، ح ١٧٥.

٤. بحار الأنوار ١٣ / ٣٦٦، ح ٤.

قال الإمام قال الله ﷻ ليهود المدينة واذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخُوا بَقَرَةً﴾ تضربون ببعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حيا سويا بإذن الله ﷻ، ويخبركم بقاتله. وذلك حين ألقى القتيل بين أظهرهم، فألزم موسى ﷺ أهل القبيلة بأمر الله تعالى أن يحلف خمسون من أمثالهم بالله القوي الشديد إله [موسى و] بني إسرائيل، مفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين [إنا] ما قتلناه، ولا علمنا له قاتلا، فإن حلفوا بذلك غرموا دية المقتول، وإن نكلوا نصوا على القاتل أو أقر القاتل فيقاد منه فإن لم يفعلوا حبسوا في محبس ضنك إلى أن يحلفوا أو يقرؤا أو يشهدوا على القاتل. فقالوا يا نبي الله أما وقت أياننا أموالنا و [لا] أموالنا أياننا قال لا، هكذا حكم الله. وكان السبب أن امرأة حسناء ذات جمال وخلق كامل، وفضل بارع، ونسب شريف وستر ثخين كثر خطابها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة، فرضيت بأفضلهم علما وأثخنهم سترا، وأرادت التزويج به، فاشتد حسد ابني عمه الآخرين له [غيطا]، وغبطاه عليها لإيثارها إياه فعمدا إلى ابن عمهما المرضي، فأخذه إلى دعوتها، ثم قتلاه وحمله إلى محلة تشتمل على أكثر قبيلة في بني إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلا. فلما أصبحوا وجدوا القتيل هناك، فعرف حاله، فجاء ابنا عمه القاتلان له، فمزقا [ثيابهما] على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤوسهما، واستعديا عليهما، فأحضرهم موسى ﷺ وسألهم، فأنكروا أن يكونوا قتلوه أو علموا قاتله. فقال فحكم الله ﷻ على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فالتزموه. فقالوا يا موسى أي نفع في أياننا [لنا] إذا لم تدرأ عنا الغرامة الثقيلة أم أي نفع في غرامتنا لنا إذا لم تدرأ عنا الأيمان فقال موسى ﷺ كل النفع في طاعة الله والايثار لأمره، والانتها عما نهى عنه. فقالوا يا نبي الله غرم ثقیل ولا جناية لنا، وأيمان غليظة ولا حق في رقابنا [لو] أن الله عرفنا قاتله بعينه، وكفانا مئونته، ف ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا﴾^١ هذا القاتل لتنزل به ما يستحقه من العقاب،

وينكشف أمره لذوي الألباب. فقال موسى ﷺ إن الله ﷻ قد بين ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم، ولا أعترض عليه في ما أمر. ألا ترون أنه لما حرم العمل في يوم السبت، وحرم لحم الجمل لم يكن لنا أن نقترح عليه أن يغير ما حكم به علينا من ذلك، بل علينا أن نسلم له حكمه، ونلتزم ما ألزمننا، وهم بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثهم فأوحى الله ﷻ إليه يا موسى أجبههم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أبين لهم القاتل ليقتل، ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فإني إنها أريد بإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أمتك، دينه الصلاة على محمد وآله الطيبين، والتفضيل لمحمد ﷺ وعلي ﷺ بعده على سائر البرايا، أغنيه في الدنيا في هذه القضية، ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمد وآله. فقال موسى يا ربّ بين لنا قاتله. فأوحى الله تعالى إليه قل لبني إسرائيل إن الله يبين لكم ذلك بأن ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَوْا بَقَرَةً﴾، فتضربوا ببعضها المقتول فيحيى فتسلمون لربّ العالمين ذلك، وإلا فكفّوا عن المسألة، والتزموا ظاهر حكمي. فذلك ما حكى الله ﷻ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَوْا بَقَرَةً﴾ إن أردتم الوقوف على القاتل، وتضربوا المقتول ببعضها ليحيى ويخبر بالقاتل قالوا يا موسى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [و] سخرية تزعم أن الله يأمرنا أن نذبح بقرة، ونأخذ قطعة من ميت، ونضرب بها ميتاً، فيحيى أحد الميتين بملاقة بعض الميت الآخر.

فكيف يكون هذا؟ قال موسى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنسب إلى الله تعالى ما لم يقل لي، وأن أكون من الجاهلين، أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت، دافعاً لقول الله ﷻ وأمره. ثم قال موسى ﷺ أو ليس ماء الرجل نطفة ميتة، وماء المرأة كذلك، ميتان يلتقيان فيحدث الله تعالى من التقاء الميتين بشراً حياً سويّاً أو ليس بذوركم التي تزرعونها في أرضيكم تتفسخ وتتعفّن وهي ميتة، ثم يخرج الله منها

هذه السنابل الحسنة البهيجة وهذه الأشجار الباسقة المونقة.^١

الجزائري قال: وروى في حديث آخر إنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاء الطالبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا، فيخبر بقاتله الحديث.^٢

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا

بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

هذه الآية وما بعدها تنمة قصة القتل والبقرة وزعم بني إسرائيل «أن ليس للإنسان أن يقبل قولاً إلا عن دليل، وهذا حق، لكنهم غلطوا في زعمهم أن كل حكم يجب العثور على دليله تفصيلاً ولا يكفي في ذلك الإجمال ومن أجل ذلك طالبوا تفصيل أوصاف البقرة لحكمهم أن نوع البقر ليس فيه خاصة الأحياء، فإن كان ولا بد فهو في فرد خاص منه يجب تعيينه بأوصاف كاملة البيان ولذلك ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾، وهذا تشديد منهم على أنفسهم من غير جهة فشدد الله عليهم»^٣.
﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والضمير الفاعلي يرجع إلى بني إسرائيل. وما بعده مقول القول.

﴿ادْعُ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». خطاباً للنبي موسى عليه السلام. الدعاء هنا بمعنى طلب الحاجة.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٧٣.

٢. قصص الأنبياء / ٢٨٣.

٣. الميزان ١ / ٢٠١.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَدْعُ﴾. و﴿لَ﴾ لام الأجل أي ﴿أَدْعُ﴾ عنا.
 ﴿رَبِّكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير الخطاب يرجع إلى النبي
 موسى ﷺ. ويدل على عدم معرفتهم برّبهم وجهالتهم به.
 ﴿يُبَيِّنُ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله ضمير مستتر «هو»
 يرجع إلى ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُبَيِّنُ﴾.
 ﴿مَا﴾ استفهام، خبر مقدم. ﴿مَا﴾ سؤال عن الصفة.
 ﴿هِيَ﴾ مبتدأ مؤخر. وجملة ﴿مَا هِيَ﴾ مفعول به ﴿يُبَيِّنُ﴾.
 ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى موسى ﷺ وما بعده
 مقول القول.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه. والضمير يرجع إلى الربّ.
 ﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى الربّ، خبر ﴿إِنَّهُ﴾.
 ﴿إِنَّهَا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، الضمير يرجع إلى ﴿بَقَرَةٌ﴾.
 ﴿بَقَرَةٌ﴾ خبر ﴿إِنَّهَا﴾. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿فَارِضٌ﴾ نعت لـ﴿بَقَرَةٍ﴾. كبيرة مُسِنَّة انقطعت ولادتها.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿بِكْرٌ﴾ معطوف على ﴿فَارِضٌ﴾. الصغيرة التي لم تحمل، «البكر: من إناث
 البهائم وبني آدم ما لم يفتحله الفحل»^١.
 ﴿عَوَانٌ﴾. خبر لمبتدأ محذوف وتقديره: هي ﴿عَوَانٌ﴾. العوان: منتصف السنّ،
 النصف التي ولدت بطناً أو بطنين.
 ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان.

١. التبيان ٢/ ٤١٢.

﴿ذَلِكَ﴾ مضاف إليه. إشارة إلى هذين السنين.
 ﴿فَ﴾ «الفصحية وموقعها هنا موقع قطع العذر مع الحث على الامتثال»^١.
 ﴿أَفْعُلُوا﴾ فعل أمر و فاعله. ﴿مَا﴾ موصوله، مفعول به.
 ﴿تُؤْمَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: فلما بهرهم موسى عليه السلام. ﴿قَالُوا﴾
 له يا موسى ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [أي] ما صفتها لنقف عليها. فسأل موسى
 ربه ﷻ، فقال ﴿إِنِّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ كَبِيرَةٌ وَلَا بَكْرٌ صَغِيرَةٌ﴾ [لم تغبط] ﴿عَوَانٌ﴾ وسط
 ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الفارض والبكر ﴿فَأَفْعُلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ إذا أمرتم به^٢.

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ

لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظَرِينَ﴾

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا﴾ مرّت إعرابها في السابقة.

﴿لَوْنُهَا﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ مرّت في السابقة.

﴿صَفْرَاءٌ﴾ نعت ﴿بَقَرَةٌ﴾، الصفرة: معروفة، بالفارسية: «زرد». وهذا اللون من
 أحسن ألوان البقر.

﴿فَاقِعٌ﴾ تأكيد لـ ﴿صَفْرَاءٌ﴾. «الفقوع: شدة الصفرة، لأنّ صفرة البقر تقرب من

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٥٣٤ / ١.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٧٦.

الحمرة غالباً فأكدّه بـ ﴿فَاقِعٌ﴾ والفقوع خاص بالصفرة، كما اختص الأحمر بقان والأسود بحالك، والأبيض بيقق، والأخضر بمدهام...^١.
 ﴿لَوْنُهَا﴾ فاعل بـ ﴿فَاقِعٌ﴾ أو مبتدأ مؤخر ومضاف إليه.
 ﴿تَسْرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي» ترجع إلى ﴿بَقَرَةٌ﴾، والجملة في محل رفع صفة ثانية لـ ﴿بَقَرَةٌ﴾.
 ﴿النَّظِيرِينَ﴾ مفعول به.

الروايات

خبر جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال من لبس نعلًا صفراء لم يزل ينظر في سرور ما دامت عليه لأن الله تعالى يقول ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾.^٢
 وروى نحوها الجزائري في قصص الأنبياء.^٣
 صحيحة أبي البخري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من لبس نعلًا صفراء كان في سرور حتى يبيلها.^٤
 العياشي رفعه عن الفضل بن شاذان عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام انه قال: من لبس نعلًا صفراء لم يزل مسروراً حتى يُبيلها كما قال الله: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾.^٥
 ورواها في مجمع البيان^٦ وكنز الدقائق^٧.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٣٥.

٢. الكافي ٦/ ٤٦٦، ح ٦.

٣. قصص الأنبياء / ٢٨٤.

٤. الكافي ٦/ ٤٦٦، ح ٥.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٣٨، ح ٦٢.

٦. مجمع البيان ١/ ١٣٥.

٧. كنز الدقائق ١/ ٢٧٢.

العباشي رفعه وقال: قال: من لبس نعلًا صفراء لم يُبلها حتى يستفيد علمًا أو مالاً.^١

وروى نحوها نجل الطبرسي في مكارم الأخلاق.^٢
المشهدى رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن من لبس نعلًا صفراء قلَّ همُّه لقوله تعالى: ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾.^٣

وروى نحوها الرازي في روض الجنان.^٤
في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿قَالُوا﴾ يا موسى ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا﴾ أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا بذبحها. قال [موسى] عن الله بعد السؤال والجواب ﴿إِنَّمَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ حسن الصفرة ليس بناقص يضرب إلى البياض، ولا بمشبع يضرب إلى السواد ﴿لَوْثُهَا﴾ هكذا فاقع ﴿تَسْرُ﴾ البقرة ﴿النَّظِيرِينَ﴾ إليها لبهجتها وحسنها وبريقها.^٥

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا

وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ مرّت في الآية ما قبل السابقة.

١. تفسير العبّاشي ١/ ١٣٨، ح ٦٣.

٢. مكارم الأخلاق / ١٢٤.

٣. كنز الدقائق ١/ ٢٧٢.

٤. روض الجنان ٢/ ١١.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٧٦.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد أو «مفاد فاء التفريع والتسبب»^١.
 ﴿الْبَقَرِ﴾ اسمه ﴿إِنَّ﴾. «أهل الحجاز يؤثنون البقر فيقولون: هذه بقر وكذلك النخل»^٢.

﴿تَشَبَّهَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يرجع إلى ﴿الْبَقَرِ﴾. في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾ «يعني: التبس واشتبه»^٣ وتذكير البقر عند أهل نجد هو الغالب.^٤
 ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَشَبَّهَ﴾. ﴿وَ﴾ استئنافية.
 ﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد. ﴿إِنَّ﴾ حرف شرط جازم.
 ﴿شَاءَ﴾ فعل ماضٍ، فعل شرط. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿لَ﴾ المزحقة، تأكيد. ﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَنَا﴾ ما هي صفتها؟ يزيد في صفتها.^٥

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٣٦.
 ٢. التبيان ١/ ٢٩٨، من طبعة دار إحياء التراث العربي.
 ٣. التبيان ١/ ٢٩٨، من طبعة دار إحياء التراث العربي.
 ٤. راجع التبيان ١/ ٢٩٨، من طبعة دار إحياء التراث العربي.
 ٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٧٦.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَنَّبُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ مرّت إعرابها. ١. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿ذَلُولٌ﴾ صفة لـ ﴿بَقَرَةٌ﴾. ﴿لَا ذَلُولٌ﴾: لم يدلّلها العمل، غير مذللة، صعبة.
 ﴿ذَلُولٌ﴾ فعول من مصدر ذلّ بمعنى لأنّ وسهّل.
 ﴿تُثِيرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي» يرجع إلى ﴿بَقَرَةٌ﴾.
 ﴿الْأَرْضَ﴾ مفعول به. ﴿و﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد معنى النفي.
 ﴿تَسْقِي﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هي».
 ﴿الْحَرْثَ﴾ مفعول به. أي: «لا يستقي عليها الماء فيسقي الزرع» ٢.
 ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ نعت لـ ﴿بَقَرَةٌ﴾، اسم مفعول من سُلِمَتْ المبني للمفعول، أي سليمة
 من عيوب نوعها.
 ﴿لَا﴾ نافية للجنس.
 ﴿شَيْءَ﴾ اسم ﴿لَا﴾ نافية للجنس، الشية: العلامة.
 ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر ﴿لَا﴾. أي لا بياض فيها ولا سواد.
 ﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله. يرجع إلى بني إسرائيل وما بعده مقول القول.
 ﴿أَلَكُنْ﴾ ظرف زمان. ﴿جِئْتَ﴾ فعل ماض وفاعله.
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿جِئْتَ﴾. ﴿الْحَقِّ﴾: الأمر الثابت الذي لا
 احتمال فيه.

١. سورة البقرة / ٦٨.

٢. التبيان ١/ ٢٩٩، من طبعة دار إحياء التراث العربي.

﴿فَ﴾ عاطفة، معطوف على مقدّر معلوم: فوجدوها أو فظفروا بها.
 ﴿ذَنَحَوْهَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.
 ﴿كَادُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه، «كاد» من أخوات «كان» وهو من أفعال المقاربة ويدلّ على معنى الرجاء.
 ﴿يَفْعَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَادُوا﴾.

الروايات

صحيحة يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام إنّ أهل مكة لا يذبّحون البقر وإنما ينحرون في اللبة فما ترى في أكل لحمها؟ قال: فقال عليه السلام: ﴿فَذَنَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لا تأكل إلّا ما ذبح.^١
 العياشي رفعه عن يونس بن يعقوب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ أهل مكة يذبّحون البقرة في اللَّبَبِ فما ترى في أكل لحومها؟ قال: فسكت هنيهة ثمّ قال: قال الله ﴿فَذَنَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لا تأكل إلّا ما ذبح من مذبّحه.^٢
 اللَّبَبُ: المُنَحَّر من كلّ شيء.

خبر محمّد بن عبيدة قال: دخلت الرضا عليه السلام فبعث إلى صالح بن سعيد فحضرنا جميعاً فوعظنا، ثمّ قال: إنّ العابد من بني إسرائيل لم يكن عابداً حتّى يصمت عشر سنين، فإذا صمت عشر سنين كان عابداً، ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كن خيراً لا شرّاً معه وكن ورقاً لا شوكاً معه ولا تكن شوكة لا ورقاً معه وشرّاً لا خير معه.
 ثمّ قال: إنّ الله تعالى ييغض القليل والقال وأيضاً عليه السلام المال وكثرة السؤال، ثمّ قال: إنّ بني إسرائيل شدّدوا فشّدّ الله عليهم، قال لهم موسى عليه السلام: اذبّحوا بقرة، قالوا: ما لونها؟ فلم يزالوا شدّدوا حتّى ذبّحوا بقرة يُملاً جلدّها ذهباً، ثمّ قال: إنّ علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه قال: إنّ الحكماء ضيعوا الحكمة لما وصفوها عند غير

١. الكافي ٦/٢٢٩، ح ٣.

٢. تفسير العياشي ١/١٣٨، ح ٦٤.

أهلها. ١.

المشهدى قال: وروى أنهم كانوا يطلبون البقرة الموصوفة أربعين سنة، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو لغلاء ثمنها، إذ روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى به الغيضة وقال: اللهم إني أستودعها لابني حتى يكبر، وكان برّاً بوالديه، فشبت وكانت من أحسن البقرة وأسمنها، ووحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملاً مسكها ذهباً، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير. ٢.

الغيضة الأجمة: وهي الشجر الملتف وجمعه غياض. والرواية عامية ذكرها الزمخشري في الكشف^٣ ونحوها مفصلاً في تفسير الثعلبي المسمى بالكشف والبيان^٤ وما بعدها والبيضاوي في تفسيره^٥ من طبع الحجري.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال عن الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ لم تذلل لإثارة الأرض ولم ترض بها ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ولا هي مما تجر الدلاء، ولا تدير النواكير قد أعفيت من ذلك أجمع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب كلها، لا عيب ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ لا لون فيها من غيرها. فلما سمعوا هذه الصفات قالوا: يا موسى [أ] فقد أمرنا ربنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى. ولم يقل موسى في الابتداء إن الله قد أمركم لأنه لو قال إن الله أمركم لكانوا إذا ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾^٦ و ﴿مَا لَوْنُهَا﴾^٧. [وما هي] كان لا يحتاج أن يسأله ذلك ﷻ.

١. قصص الأنبياء / ١٦٠، ح ١٧٦.

٢. كنز الدقائق / ١ / ٢٧٥.

٣. الكشف / ١ / ١٥٢.

٤. الكشف والبيان / ١ / ٢١٤.

٥. تفسير البيضاوي / ٣٣.

٦. سورة البقرة / ٧٠.

٧. سورة البقرة / ٦٩.

ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول أمركم ببقرة، فأى شيء وقع عليه اسم بقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها؟ قال: فلما استقر الأمر إليهم، طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله ﷺ في منامه محمداً وعلياً وطيبى ذريتهما، فقالا له: إنك كنت لنا [ولياً] محباً ومفضلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك، فإن الله ﷻ يلقتها ما يغنيك به وعقبك. ففرح الغلام، وجاءه القوم يطلبون بقرته، فقالوا بكم تباع بقرتك هذه قال بدينارين، والخيار لأمي. قالوا قد رضينا [بدينار] فسألها، فقالت بأربعة. فأخبرهم فقالوا نعطيك دينارين. فأخبر أمه، فقالت بثمانية. فما زالوا يطلبون على النصف مما تقول أمه، ويرجع إلى أمه، فتضعف الثمن حتى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون ملؤه دنانير، فأوجب لهم البيع. ثم ذبحوها، وأخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي منه خلق ابن آدم، وعليه يركب إذا أعيد خلقاً جديداً، فضر بهما، وقالوا اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما أحييت هذا الميت، وأنطقته ليخبرنا عن قاتله، فقام سالماً سوياً وقال: [يا نبي الله] قتلني هذان ابنا عمي، حسداني على بنت عمي فقتلاني، وألقياني في محلة هؤلاء ليأخذوا ديتي [منهم]. فأخذ موسى ﷺ الرجلين فقتلهما، وكان قبل أن يقوم الميت ضرب بقطعة من البقرة فلم يحي، فقالوا: يا نبي الله أين ما وعدتنا عن الله ﷻ؟ فقال موسى ﷺ: [قد] صدقت، وذلك إلى الله ﷻ، الحديث.^١

والرواية طويلة الذيل فراجع لتمامها إلى مصدرها ورواها السيّد شرف الدين الحسيني الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٢ والسيّد هاشم البحراني في البرهان^٣ والمجلسي في بحار الأنوار^٤.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٧٦.

٢. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٦٧، ح ٤٤.

٣. البرهان ١/ ٢٣٩.

٤. بحار الأنوار ١٣/ ٢٦٦، ح ٧.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۗ وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ 

هذه الآية مقدمة معنى وإن تأخرت في اللفظ، ووجه تأخيرها تحسين حكاية القصة.

﴿وَإِذْ﴾ واذكروا حين.

﴿قَتَلْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي وقوع القتل فيهم. قد يقال^١: جرياً على طريقة القرآن في اسناد أفعال البعض إلى الجميع كما هي طريقة العرب.
﴿نَفْسًا﴾ مفعول به، وهو «عاميل»^٢ من بني إسرائيل.
﴿فَ﴾ عاطفة.

﴿ادَّارَأْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله، معطوف على ﴿قَتَلْتُمْ﴾. أي: اختلفتم وتنازعتم.
﴿ادَّارَأْتُمْ﴾ افتعال وأصله تدارأتم تفاعل من الدرء وهو الدفع لأن كل فريق يدفع الجناية عن نفسه.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ادَّارَأْتُمْ﴾. والضمير يرجع إلى ﴿نَفْسًا﴾.
﴿وَ﴾ حالية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿مُخْرَجٌ﴾ خبر.
﴿مَّا﴾ موصولة، مفعول به لاسم الفاعل ﴿مُخْرَجٌ﴾.
﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
﴿تَكْتُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله عز وجل ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

١. القائل ابن عاشور في تفسيره ١/ ٥٤٢.

٢. كما في روض الجنان ٢/ ١٣.

فَآذَرْتُمْ فِيهَا ﴿اختلفتم فيها وتدارأتم، ألقى بعضكم الذنب في قتل المقتول على بعض،
ودراه عن نفسه وذويه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ما كان من خبر القاتل،
وما كنتم تكتُمون من إرادة تكذيب موسى ﷺ بإقتراحكم عليه ما قدرتم أن ربّه لا
يجيبه إليه.^١

﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى

وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿قُلْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وما بعده مفعول القول.
﴿أَصْرَبُوهُ﴾ فعل أمر وفاعله ومفعول به. أي ﴿أَصْرَبُوهُ﴾ بعد ذبح البقرة المقتول.
﴿بِبَعْضِهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بـ ﴿أَصْرَبُوهُ﴾. والضمير يرجع إلى
البقرة المذبوحة.

﴿كَ﴾ حرف جر. للتشبيه بمعنى مثل.
﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، إشارة إلى أحياء المقتول في هذه القصة.
﴿يُحْيِي﴾ فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
﴿الْمَوْتَى﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿يُرِيكُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به أول. معطوف
على ﴿يُحْيِي﴾.

﴿ءَايَاتِهِ﴾ مفعول به ثانٍ ومضاف إليه.
﴿لَعَلَّكُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٨١.

﴿تَعْقُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾. أي «لتعقلوا» و تفقهوا وتدرکوا أن الله قادرٌ على إحياء الأموات.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿فَقُلْنَا أَصْرُهُ بِعَظْمَا﴾ ببعض البقرة ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ في الدنيا والآخرة كما أحيا الميت بملاقاة ميت آخر له. أما في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الذي كان في الأضلاب والأرحام حيا. وأما في الآخرة فإن الله تعالى ينزل بين نفختي الصور بعد ما ينفخ النفخة الأولى من دوين السماء الدنيا من البحر المسجور الذي قال الله تعالى [فيه] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾^١ وهي مني كماني الرجال، فيمطر ذلك على الأرض فيلقى الماء المنى مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون. ثم قال الله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ سائر آياته سوى هذه الدلالات على توحيده ونبوة موسى عليه السلام نبيه، وفضل محمد صلى الله عليه وآله على الخلائق سيّد إمامه وعبيده، وتبينه فضله وفضل آله الطيبين على سائر خلق الله أجمعين. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [تعتبرون و تتفكرون] أن الذي يفعل هذه العجائب لا يأمر الخلق إلّا بالحكمة، ولا يختار محمداً وآله إلّا لأنهم أفضل ذوي الألباب.^٢

١. سورة الطور / ٦.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٨١.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾

«القسوة والقساوة توصف بها الأجسام وتوصف بها النفوس المعبر عنها بالقلوب فالمعنى الجامع للوصفين هو عدم قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها»^١.

ثم «أنه تعالى لما أخبر عن بني إسرائيل وما انعم عليهم به، واراهم من الآيات، وغير ذلك، فقال مخبراً عن عصيانهم، وطغيانهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم أخبر تعالى انه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره، وان كانت قاسية، بل هي متصرفة على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها. وبني إسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات، يمتنعون من طاعته، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه، بل تقسو وتمتنع من ذلك»^٢.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿قَسَتْ﴾ فعل ماضٍ. القساوة: الصلابة والشدة والرداءة والغلظة.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. القسوة في القلب بمنزلة الصلابة في الحجر.

﴿مِّنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿قَسَتْ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة، مضاف إليه. إشارة إلى الآيات والمعجزات التي رؤوا

بني إسرائيل من نبيهم موسى عليه السلام.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٤٥.

٢. التبيان ١/ ٣١١.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿هِيَ﴾ مبتدأ، ترجع إلى ﴿قُلُوبُكُمْ﴾.

﴿كَ﴾ حرف تشبيه وجرّ.

﴿الْحِجَارَةِ﴾ مجروره. شبه قلوبهم «بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة: أي أشد صلابة، لامتناعهم بالافرار اللازم من حقّه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات»^١. جار ومجرور متعلّق بخبر المبتدأ.

﴿أَوْ﴾ حرف تقسيم هنا. يعني بعض قلوبهم ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ وبعضها ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

منها.

﴿أَشَدُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف وتقديره: ﴿هِيَ﴾. ﴿قَسْوَةً﴾ تمييز.

﴿وَ﴾ حالية أو عاطفة أو استئنافية. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ جار ومجرور، متعلّق بخبر مقدم ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَ﴾ المزحقة، تأكيد. ﴿مَا﴾ موصولة، اسم مؤخر ﴿إِنَّ﴾.

﴿يَتَفَجَّرُ﴾ فعل مضارع. «التفجر: التفعل من فجر الماء: وذلك إذا نزل خارجاً من منبعه وكل سائل شخص خارجاً من موضعه، ومكانه فقد انفجر. ماء كان أو دماء أو حديد أو غير ذلك»^٢.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَتَفَجَّرُ﴾. الضمير يرجع إلى ﴿مَا﴾.

﴿الْأَنْهَارُ﴾ فاعل. «قوبل فيه بين الحجارة والماء لكون الحجارة يضرب بها المثل

في الصلابة ككون الماء يضرب به المثل في اللين فهذه الحجارة على كمال صلابتها يتفجر منها الأنهار على لين مائها وتشقق فيخرج منها الماء على لينه وصلابتها، ولا يصدر من قلوبهم حال يلائم الحق، ولا قول حق يلائم الكمال الواقع»^٣.

١. التبيان ١/ ٣٠٦.

٢. التبيان ١/ ٣٠٨.

٣. الميزان ١/ ٢٠٣.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ المقدم.

﴿لَ﴾ المزحلقة، تأكيد. ﴿مَا﴾ موصولة، اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخر.

﴿يَشَقُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود على ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿يَخْرُجُ﴾ فعل مضارع.

﴿مِنْهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَخْرُجُ﴾.

﴿أَلْمَاءُ﴾ فاعله. فهذه عيون نابغة وتلك أنهار جارية حتّى يكون بينهما فارق وقال الوزير «المغربي»: الحجارة الأولى حجارة الجبال تخرج منها الأنهار والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجر منه عيون، فلا يكون تكراراً^١.

والظاهر أنّ الفرق بينهما خروج الماء من الأولى طبعي كالعيون النابغة الخارجة من قلب الأحجار ومن الثانية بشقّها بالعامل الخارجي كالكسر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّ﴾ المقدم. والضمير يرجع إلى ﴿الْحِجَارَةِ﴾.

﴿لَ﴾ المزحلقة تأكيد. ﴿مَا﴾ موصولة، اسم ﴿إِنَّ﴾ المؤخر.

﴿يَهْبِطُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». هبوط الحجارة: سقوطها من قلل الجبال بواسطة الزلازل أو غيرها.

﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿يَهْبِطُ﴾. أي منفعلاً من أمر الله تعالى لأن جميع الأسباب تنتهي إلى الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿كُلُّ لَهٗ قَبِيْتُونَ﴾^٢ وكما قال ﷺ: ﴿وإن من شئٍ إلا يسبح بحمدهٖ وَلَكن لا تفقهون تسبيحهم﴾^٣.

١. نقل عنه الشيخ الطوسي في التبيان ١/ ٣٠٩.

٢. سورة البقرة / ١١٦.

٣. سورة الأسراء / ٤٤.

﴿و﴾ حالة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿مَا﴾.
 ﴿بِ﴾ حرف جر، زائد، تأكيد. ﴿عَنْفِلٍ﴾ خبر ﴿مَا﴾.
 ﴿عَمَّا﴾ مركبة من «عن» حرف جر و «ما» الموصولة أو المصدرية، جار ومجرور
 متعلق بـ﴿عَنْفِلٍ﴾ اسم فاعل.
 ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. أي ﴿عَمَّا﴾ تعملونه، أو عن عملكم إذا كانت
 ﴿مَا﴾ مصدرية.

الروايات

علي بن عيسى رفعه قال: في ما ناجي الله ﷻ به موسى ﷺ: يا موسى لا تطول
 في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مَنِّي بعيد.^١
 معتبرة السكوني عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: لَمَّا: لَمَّة من
 الشيطان ولَمَّة من الملك، فلمَّة الملك: الرقة والفهم ولَمَّة الشيطان السهو والقسوة.^٢
 معتبرة السكوني عن جعفر ﷺ عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من
 علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب الرزق والاصرار
 على الذنب.^٣
 الصدوق بإسناده عن الاصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: ما جفت
 الدموع إلَّا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلَّا لكثرة الذنوب.^٤
 خبر علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر ﷺ عن أبيه ﷺ قال: أوحى
 الله ﷻ إلى موسى ﷺ: يا موسى لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكرى على كلِّ حالٍ فإنَّ

١. الكافي ٢/ ٣٢٩، ح ١.

٢. الكافي ٢/ ٣٣٠، ح ٣.

٣. الخصال ١/ ٢٤٢، ح ٩٦.

٤. علل الشرايع ٨١، ح ١.

كثرة المال تنسى الذنوب وإن ترك ذكرى يقسي القلوب.^١
 الصدوق بإسناده إلى وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: انه قال في حديث: يا علي
 ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو وطلب الصيد وايتان باب السلطان الحديث.^٢
 الصدوق بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام في حديث اربعمأة انه قال: لا يطولنَّ
 عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم الحديث.^٣
 الطوسي رفعه إلى النبي ﷺ انه قال: إن حجراً كان يسلم علي في الجاهلية إنني
 لأعرفه الآن.^٤

ورواها الطبرسي في المجمع^٥ والكاشاني في المنهج.^٦
 قال الطبرسي: قد ورد الخبر عن النبي ﷺ انه قال: لا تكثرُوا الكلام بغير
 ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب وإن أبعد الناس من الله القاسي
 القلب.^٧

ورواها الطوسي في أماليه^٨، المشهدي في كنز الدقائق^٩.
 ابو منصور الطبرسي رفعه إلى أبي محمد العسكري عليه السلام انه قال: لما نزلت هذه
 الآية ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ في حق اليهود
 والنواصب فغلظ على اليهود ما وبَّخَهُم به رسول الله، فقال جماعة من رؤسائهم

١. علل الشرايع / ٨١، ح ٢.
 ٢. الخصال / ١٢٦، ح ١٢٢.
 ٣. الخصال / ٢، ٦٢٢.
 ٤. التبيان / ١، ٣١٠.
 ٥. مجمع البيان / ١، ١٤٠.
 ٦. منهج الصادقين / ١، ٢٣٦.
 ٧. مجمع البيان / ١، ١٣٩.
 ٨. أمالي الطوسي، المجلس الأول، ح ١ / ٣، رقم ١.
 ٩. كنز الدقائق / ١، ٢٧٨.

وذوي الألسن والبيان منهم: يا محمد إنك تهجوننا وتدّعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه إن فيها خيراً كثيراً، نصوم ونتصدق ونواسي الفقراء.

فقال رسول الله ﷺ: إنما الخير ما أريد به وجه الله وعمل على ما أمر الله تعالى وأما ما أريد به الرياء والسمعة ومعاندة رسول الله وإظهار الغنى له والتمالك والتشرف عليه فليس بخير، بل هو الشر الخالص ووبال على صاحبه ويعذبه الله به أشدّ العذاب الحديث.^١

الروايات الواردة حول القساوة كثيرة جداً فإن شئت راجع إلى كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ. ٢.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ

تُخَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

«كل صاحب رسالة يحرص كل الحرص على أن يؤمن الناس بها، فبيث الدعوة لها في الأوساط أملاً أن يكثر أتباعها وأنصارها، ويتحمل في سبيل ذلك المتاعب والمصاعب، وهكذا فعل رسول الله ﷺ وأصحابه... بثوا الدعوة إلى الإسلام في كل وسط رجوا أن يكون لها فيه أتباع وأنصار، وكان بين الأنصار ويهود المدينة علاقة جوار ورضاعة وتجارة، فدعواهم إلى الإسلام بأمر النبي، وناظروهم بالحجة الدامغة، والمنطق السليم، وطمعوا أن تتحرك فيهم العاطفة الإنسانية، بخاصة وانهم أهل كتاب، وبوجه أخص ان أوصاف محمد ﷺ قد وردت في توراتهم تصريحاً أو

١. الاحتجاج ١/ ٤٥.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ٩/ ١٢٩.

تلميحاً.

ولما أصر اليهود على رفض الدعوة، والاستمرار في الكفر ومعاندة الحق خاطب الله نبيه الكريم وأصحابه بقوله: «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم» وقد كان أسلاف هؤلاء اليهود يسمعون كلام الله من موسى مقترناً بالآيات والمعجزات فيحرفونه ويتأولونه حسب أهوائهم، على علم منهم بالحق، وتصميم على مخالفته، وما حال يهود المدينة إلا كحال أسلافهم... حرّف السلف، وجعل الحلال حراماً، والحرام حلالاً تبعاً لهواه، وحرف الخلف أوصاف محمد ﷺ الواردة في التوراة، كي لا تقوم عليهم الحجة^١.

﴿أ﴾ حرف استفهام إنكاري أو تعجبي.

﴿ف﴾ تفرعية على جملة ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ في الآية السابقة.

﴿تَطْمَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. والخطاب للمؤمنين برسول الله ﷺ.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُؤْمِنُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود الذين عاصروا رسول الله ﷺ أو في جميع الأزمنة. ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ بتأويل مصدر تقديره: بإيمانهم.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُوا﴾. ﴿و﴾ حالية.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، في زمن نبيهم موسى عليه السلام.

﴿فَرِيقٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿فَرِيقٌ﴾.

﴿يَسْمَعُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿يَسْمَعُونَ﴾ بواسطة نبيهم

موسى عليه السلام.

﴿كَلِمٌ﴾ مفعول به. ﴿اللَّهِ﴾ مضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

﴿تُحَرِّفُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. والضمير الفاعلي يرجع إلى ﴿فَرِيقٌ﴾

مِنْهُمْ ﴿ وَالْضَّمِيرُ الْمَفْعُولِي يَرْجِعُ إِلَى ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ .

وبني إسرائيل هم أساتذة فن التحريف والجعل والتبديل والكتان والكذب واراثة توهماتهم حقائق.

﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُحَرِّفُونَهُ﴾ . ﴿ مَا ﴾ مصدرية.

﴿ عَقَلُوهُ ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به، ﴿ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . بتأويل مصدر في محل جر بالاضافة تقديره: ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ فهمهم إياه بعقولهم. أي ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ ما عرفوه وفهموه.

﴿ وَ ﴾ حالية، وما بعدها حال من ﴿فَرِيقٌ﴾ . ﴿ هُمْ ﴾ مبتدأ.

﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر.

وبالجملة: بني إسرائيل ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ ثم عرفوه وفهموه ثم يحرفونه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يحرفون. وقوم مع هذه الصفات الخبيثة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ ولنبيكم وكتابكم ودينكم؟!!!

الروايات

قال علي بن إبراهيم القمي في ذيل الآية الشريفة: فإنما نزلت في اليهود وقد كانوا اظهروا الإسلام وكانوا منافقين وكانوا إذا رأوا رسول الله قالوا انا معكم وإذا رأوا اليهود قالوا انا معكم وكانوا يخبرون المسلمين بما في التوراة من صفة رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا لهم كبرائهم وعلمائهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^١ فرد الله عليهم فقال ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^٢ ٣.٢

١. سورة البقرة / ٧٦.

٢. سورة البقرة / ٧٧.

٣. تفسير القمي ١ / ٥٠.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: فلما بهر رسول الله ﷺ هؤلاء اليهود بمعجزته، وقطع معاذيرهم بواضح دلالة، لم يمكنهم مراجعته في حجته، ولا ادخال التلبيس عليه في معجزته فقالوا يا محمد قد آمنّا بأنك الرسول الهادي المهدي، وإنّ علياً أخاك هو الوصي والولي. وكانوا إذا خلوا باليهود الآخرين يقولون [هم] ان اظهارنا له الإيمان به امكن لنا من مكروهه، وأعون لنا على اصطلامه واصطلام أصحابه، لانهم عند اعتقادهم أنّنا معهم يقفوننا على أسرارهم، ولا يكتموننا شيئاً فنطلع عليهم أعداءهم، فيقصدون إذاهم بمعاونتنا ومظاهرتنا في أوقات اشتغالهم واضطرابهم، وفي أحوال تعذر المدافعة والامتناع من الاعداء عليهم. وكانوا مع ذلك ينكرون على سائر اليهود أخبار الناس عما كانوا يشاهدونه من آياته، ويعاينونه من معجزاته، فظهر الله تعالى محمداً رسولاً ﷺ على سوء اعتقادهم، وقبح [اخلاقهم و] دخلاتهم وعلى انكارهم على من اعترف بها شاهده من آيات محمد وواضح بيناته، وباهر معجزاته. فقال ﷺ يا محمد ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾. أنت وأصحابك من علي وآله الطيبين ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ هؤلاء اليهود الذين هم بحجج الله قد بهرتهم، وبآيات الله ودلائله الواضحة قد قهرتمهم، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ ويصدقكم بقلوبهم، ويبدو في الخلوات لشیاطينهم شريف أحوالكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني من هؤلاء اليهود من بني إسرائيل ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في أصل جبل طور سيناء، وأوامره ونواهيه ﴿ثُمَّ تَخِرُّونَهُ﴾ عما سمعوه إذا ادّوه إلى من وراءهم من سائر بني إسرائيل ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ وعلموا أنّهم في ما يقولونه كاذبون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ انهم في قيلهم كاذبون. وذلك أنّهم لما صاروا مع موسى إلى الجبل، فسمعوا كلام الله، ووقفوا على أوامره ونواهيه، رجعوا فادّوه إلى من بعدهم فشق عليهم، فأما المؤمنون منهم فثبتوا على إيمانهم وصدقوا في نياتهم. وأما اسلاف هؤلاء اليهود الذين نافقوا رسول الله ﷺ في هذه القضية فاتّهم قالوا لبني إسرائيل ان الله تعالى قال لنا هذا،

وامرنا بما ذكرناه لكم ونهانا، واتبع ذلك بأنكم ان صعب عليكم ما امرتكم به فلا عليكم ان [لا تفعلوه وان صعب عليكم ما عنه نهيتكم فلا عليكم ان] ترتكبوه وتواقعوه. [هذا] وهم يعلمون انهم بقولهم هذا كاذبون.^١

الكاشاني رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام انه قال: المراد بقوله تعالى ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ.^٢

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ

بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ 

«كان بعض يهود المدينة ينافقون ويكذبون على المسلمين، ويقولون لهم: نحن مؤمنون بالذي آمنت به، ونشهد ان محمداً صادق في قوله، فلقد وجدناه في التوراة بنعته وصفته، وإذا خلا هؤلاء المنافقون برؤسائهم أخذ الرؤساء في لؤمهم وتوبيخهم، وقالوا لهم في ما قالوا: كيف تحدثون المسلمين بما حكم الله به عليكم من اتباع محمد؟... ألا تفقهون بأن هذا اقرار منكم على أنفسكم بأنكم المبطلون، وهم المحقون؟»^٣

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، خافض لشرطه متعلق بجوابه، معطوف على قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ في الآية السابقة.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٩١.

٢. منهج الصادقين / ١ / ٢٣٦.

٣. التفسير الكاشف / ١ / ١٣٢.

﴿لَقُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، فعل الشرط، في محل جرٍّ مضاف إليه لوقوعها بعد الظرف. والضمير الفاعلي يرجع إلى بعض من اليهود المعاصرين للنبي الخاتم ﷺ .
﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. وهم أصحاب رسول الله المؤمنين.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، جواب الشرط.

﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، مقول القول.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِذَا﴾ معطوف على ﴿إِذَا﴾ في أول الآية.

﴿حَلَا﴾ فعل ماضٍ، فعل الشرط، الخلوة: أي الموضع الذي ليس فيه غيرهم.

﴿بَعْضُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿حَلَا﴾. ﴿قَالُوا﴾ جواب الشرط.

﴿أَ﴾ حرف استفهام للإنكار أو التقرير أو التوبيخ.

﴿تُحَدِّثُونَهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به.

﴿بِمَا﴾ حرف جرٍ و﴿مَا﴾ موصولة في محل جرٍ، متعلق بـ﴿تُحَدِّثُونَهُمْ﴾.

﴿فَتَحَ﴾ فعل ماضٍ، الفتح في الأصل إزالة الإغلاق والإشكال والمراد به هنا

الحكم والقضاء والنصرة.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿فَتَحَ﴾؛ يعني في كتابكم السماوي التوراة.

﴿إِ﴾ حرف جرٍ للتعليل.

﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿إِ﴾ وفاعله ومفعول به.

جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿تُحَدِّثُونَهُمْ﴾.

﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾؛ والضمير يرجع إلى ﴿مَا فَتَحَ اللَّهُ

عَلَيْكُمْ﴾.

﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان. ﴿رَبِّكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿أَ﴾ حرف استفهام، من بقية مقالة اليهود الرادين على رفقاتهم.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

كَأَنَّ اليهود يعتقدون «لو لم يحاجوهم به عند ربهم لم يطلع الله عليه فلم يؤاخذهم بذلك ولازم ذلك أن الله تعالى إنما يعلم علانية الأمر، دون سره وباطنه وهذا من الجهل بمكان، فرد الله سبحانه عليهم»^۱ بالآية الآتية.

شأن نزولها

قال أبو الفتوح الرازي ما نصه بالفارسية: «مجاهد گفت: سبب نزول این آیت آن بود که چون رسول ﷺ از غزات احزاب فارغ شد، و آن فتح برآمد او را، قصد حصن بنی قریظَه و بنی النضیر کرد، لشکر بیامدند و پیرامن حصن خیمه‌ها بزدند و فرود آمدند، و امیرالمؤمنین علی علیه السلام رایت رسول ﷺ داشت. رسول ﷺ او را گفت: «سِرُّ عَلِيٍّ بَرَكَهَ اللَّهُ وَآيَقُنْ بِالنَّصْرِ»؛ برو بر برکت خدای و به یقین دان که خدای ناصر تو است، و خدای تعالی مرا وعده داده است زمین‌ها و سراهای ایشان، و آن خدای که تو را بر عمرو ظفر داد، تو را مخدول نکند، و خدای تعالی ترس من در دل اینها فکند.

امیرالمؤمنین علی علیه السلام گفت: من آمدم تا به زیر حصن و رایت رسول در زیر حصن بردم راست. چون مرا دیدند، خوفی عظیم در ایشان افتاد، یکی می گفت: جاءکم صاحبُ عمرو، و یکی می گفت: أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ قَاتِلُ عمرو، یکی از کنار حصن آواز داد: قَتَلَ عَلِيٌّ عَمْرًا صَادَ عَلِيٌّ صَقْرًا، قَصَمَ عَلِيٌّ ظَهْرًا، هَتَكَ عَلِيٌّ سِتْرًا، أَبْرَمَ عَلِيٌّ أَمْرًا، و مضطرب شدند. من بدانستم که ایشان بترسیدند، و خدای ایشان را مخدول کرد.

چون ساعتی بود، به کنار حصن آمدند سفاهت می کردند و دشنام می دادند. من خواستم که پیش رسول باز شوم، و او را به علّتی برگردانم تا آن سخن ها نشنود. من در این عزم بودم، رسول ﷺ فرا رسید و آن بشنید، آواز داد که: يا إِخْوَةَ الْقِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ إِنَّا نَزَّلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ، گفت: ای برادران بوزنگان و خوکان! ما چون به پیرامن قومی فرود آییم، بامداد ایشان بد باشد.

ایشان چون این بشنیدند گفتند: يا أَبَا الْقَاسِمِ! مَا كُنْتَ جَهُولًا وَلَا سَبَابًا؛ ای ابوالقاسم! تو هرگز جاهل و دشنام دهنده نبودی. رسول ﷺ از کرم خود به شرم بر افتاد، فَارْجَعَ الْقَهْقَرَى؛ به پس باز شد و باستاد. ایشان با یکدیگر گفتند: این حدیث محمد را که گفته باشد؟ همانا از شما خاسته باشد، ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ چنین حدیث ها می گویی با ایشان به حکمی که خدای بر شما کرد تا با شما حجّت می آرند و به وقت مخاصمه بر شما حجّت می کنند. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ شما خود عقل نداری که چنین سخن ها با دشمنان و خصمان نقل کنی^۱.

روایتان

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ثم أظهر الله تعالى (على نفاقهم الآخر) مع جهلهم. فقال ﷺ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كانوا إذا لقوا سلمان والمقداد وأباذر وعماراً قالوا آمنا كايانكم، ايماً بنبوة محمد ﷺ، مقروناً [بالإيمان] بإمامة أخيه علي بن أبي طالب ﷺ، وبأنه أخوه الهادي، ووزيره [الموالي] وخليفته علي أمته ومنجز عدته، والوافي بدمته والناهض بعباء سياسته، وقيم الخلق، والذائد لهم عن سخط الرحمن الموجب لهم ان اطاعوه رضي الرحمن وان خلفاءه من بعده هم النجوم الزاهرة، والأقمار المنيرة، والشموس المضيئة الباهرة، وأن أولياءهم أولياء الله،

وأن أعداءهم أعداء الله^١ إلى أن قال: فلما أفضى بعض هؤلاء اليهود إلى بعض قالوا أي شيء صنعتم أخبرتموهم ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ من الدلالات على صدق نبوة محمد ﷺ، وإمامة أخيه علي عليه السلام ﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ بأنكم كنتم قد علمتم هذا وشاهدتموه فلم تؤمنوا به ولم تطيعوه. وقدروا بجهلهم أنهم ان لم يخبروهم بتلك الآيات لم يكن له عليهم حجة في غيرها ثم قال ﷺ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ان [هذا] الذي تخبرونهم [به] مما فتح الله عليكم من دلائل نبوة محمد ﷺ حجة عليكم عند ربكم^٢. الطوسي قال: وروى عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندین المتواطئين إذا لقوا المسلمين، حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ فنهاهم كبارؤهم عن ذلك وقالوا: لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ فيحاجوكم به عند ربكم، فنزلت الآية^٣. ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٤.

﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾

﴿أ﴾ حرف استفهام للتوبيخ أو التقرير.
 ﴿و﴾ عاطفة. والاستفهام قبله يستفسر عن العطف. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل.
 ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٩١.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٩٧.

٣. التبيان ١/ ٣١٦.

٤. مجمع البيان ١/ ١٤٢.

﴿يَعْلَمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». خبر ﴿أَنَّ﴾.
 ﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به.
 ﴿يُسْرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الإسرار خلاف الإعلان.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ معطوفة على ﴿مَا﴾ السابقة.
 ﴿يُعْلِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أو لا يعلم هؤلاء القائلون لإخوانهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾^١ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾ من عداوة محمد ويضمرونه من ان اظهارهم الإيمان به امكن لهم من اصطلامه وابارة أصحابه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمان ظاهر يؤنسوهم ويقفوا به على أسرارهم فيذيعونها بحضرة من يضرهم وان الله لما علم ذلك دبر لمحمد تمام امره وبلوغ غاية ما أراد الله ببعثه وأنه يتم امره وان نفاقهم وكيادهم لا يضره.^٢

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

تعريض آخر لليهود وأتتهم يفسرون ويأولون الكتاب السماوي على أمنياتهم وآمالهم وعلى ظنونهم الباطلة.

﴿وَ﴾ عاطفة. على قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ﴾^٣.

١. سورة البقرة / ٧٦.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٩٧.

٣. سورة البقرة / ٧٥.

﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. والضمير يرجع إلى اليهود الذين لا يؤمنون بالنبى الخاتم ﷺ .

﴿أُمِّيُونَ﴾ مبتدأ، جمع الأُمِّي وهو من لا يحسن الكتابة، «منسوب إلى الأم لأن عطوفة الأم وشفقتها كانت تمنعها أن ترسل ولدها إلى المعلم وتسلمه إلى تربيته»^١.
 ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَعْلُمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. نعت ﴿أُمِّيُونَ﴾.
 ﴿الْكَتَبَ﴾ مفعول به. أي ﴿الْكَتَبَ﴾ السأوي والمراد به هنا التوراة وحدودها وأحكامها ومعارفها وحقايقها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿أَمَانٍ﴾ مستثنى منقطع. ﴿أَمَانٍ﴾ جمع أُمْنِيَّة و «هي التصورات التي لا حقيقة لها ولا واقع، وإن ظنَّ أنَّ لها واقعاً وحقيقة»^٢.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِنْ﴾ مخففة نافية بمعنى «ما» النافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
 ﴿إِلَّا﴾ حرف تحقيق، ﴿إِنْ﴾ نافية و ﴿إِلَّا﴾ يفيد الحصر.
 ﴿يَظُنُّونَ﴾ خبر، أي يتوهمون لأجل أغراضهم الفاسدة.

رواية

ابومنصور الطبرسي بإسناده إلى أبي محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلُمُونَ الْكَتَبَ إِلَّا أَمَانٍ﴾ إِنَّ الْأُمِّيَّ منسوب إلى أمه، أي هو كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب ﴿لَا يَعْلُمُونَ الْكَتَبَ﴾ المنزل من السماء ولا المتكذب به، ولا يميزون بينهما ﴿إِلَّا أَمَانٍ﴾ أي إلا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: إِنَّ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ وكلامه، لا يعرفون إن قُرِئَ من الكتاب خلاف ما فيه، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما

١. الميزان ١/ ٢١٥.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٤١٧.

يقرأ عليهم رؤسائهم من تكذيب محمد ﷺ في نبوته وإمامة علي عليه السلام سيّد عترته،
وهم يقلّدونهم مع أنّه محرّم عليهم تقليدهم.^١

وقد ورد هذا الحديث في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام.^٢

﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٍ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٍ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾

تتمّة الآية السابقة وبيان كيفية تحريفاتهم للكتاب الله وعلتها وثمرتها.

﴿فَ﴾ للترتيب والتسبيب.

﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ. «كلمة يستعملها كلّ واقع في هلكة، وأصله في اللغة العذاب
والهلاك»^٣.

﴿لِلَّذِينَ﴾ جار ومجرور، خبر.

﴿يَكْتُبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ﴿يَكْتُبُونَ﴾ شيئاً من عند أنفسهم وعلى طبق
أمانيتهم وظنونهم بل يجعلون ويخترعون.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به. ﴿الْكِتَابَ﴾ الصناعي الدخيل بدلاً من الكتاب السماوي
الواقعي المنزّل إليهم.

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلّق بـ ﴿يَكْتُبُونَ﴾، تصريح بأنّ
﴿الْكِتَابَ﴾ الذي ﴿يَكْتُبُونَ﴾ه لم ينزل ولم يكن من الوحي إلى نبيهم المرسل.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب. ﴿يَقُولُونَ﴾ معطوف على ﴿يَكْتُبُونَ﴾. وبعده مقول القول.

١. الاحتجاج ٢/ ٤٥٦.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٩٩.

٣. التبيان ١/ ٣٢١.

﴿هَذَا﴾ مبتدأ، إشارة إلى ما يكتبونه ﴿بأيديهم﴾ .
 ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر ومضاف إليه. ﴿لِ﴾ حرف جر للتعليل.
 ﴿يَشْتَرُوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿لِ﴾. والمراد بالاشتراء
 التبديل والتعويض.
 ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَشْتَرُوا﴾. والضمير راجع إلى ما يكتبونه
 ﴿بأيديهم﴾ .
 ﴿ثَمَنًا﴾ مفعول به.
 ﴿قَلِيلًا﴾ نعت لـ﴿ثَمَنًا﴾. لأنَّ عرض الدنيا قليل كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا
 قَلِيلٌ﴾^١.
 ﴿وَيْلٌ﴾ تفرعية. مبتدأ. تأكيد أو تفصيل لجنس الويل.
 ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر.
 ﴿مِمَّا﴾ حرف جر «من» و ﴿مَا﴾ موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿وَيْلٌ﴾.
 ﴿كَتَبَتْ﴾ فعل ماض. ﴿أَيَدِيهِمْ﴾ فاعل ومضاف إليه.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا﴾ معطوف على ﴿وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا﴾ السابق.
 ﴿يَكْسِبُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. بأعمالهم وأفعالهم. «معناه هاهنا الاحتراف
 فهو كاسب لما عمل»^٢.

الروايات

العياشي رفعه عن محمد بن سالم عن أبي بصير قال: قال: جعفر بن محمد عليه السلام
 خرج عبدالله بن عمرو بن العاص من عند عثمان فلقي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له: يا

١. سورة النساء / ٧٧.

٢. التبيان ١ / ٣٢٢.

علي بيتنا الليلة في أمر نرجو أن يثبت الله هذه الأمة، فقال أمير المؤمنين لن يخفى علي ما يبتّم فيه حرّفتكم وغيّرتكم وبدلتم تسع مائة حرف، ثلاثمائة حرّفتكم وثلاثمائة غيّرتم وثلاثمائة بدلتم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^١.

الطوسي قال: وروى عن أبي جعفر عليه السلام وذكره جماعة من أهل التأويل أنّ احبار اليهود كانت غيّرت صفة النبي ﷺ ليوقعوا الشك للمستضعفين من اليهود.^٢
وروى نحوها الطبرسي في مجمع البيان.^٣

قال الطبرسي: روى الخدري عن النبي ﷺ أنّه [أي الويل] واد في جهنّم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره.^٤
ورواها الرازي في روض الجنان.^٥

ابومنصور الطبرسي بإسناده إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام أنّه قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. هذا القوم اليهود كتبوا صفة، زعموا أنّها صفة محمّد ﷺ وهي خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان، إنّّه طويل عظيم البدن والبطن أهداف أصهب الشعر، ومحمّد ﷺ بخلافه، وهو يحيى بعد هذا الزمان بخمسائة سنة، إنّما ارادوا بذلك أن تبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم لهم اصابتهم ويكفّوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول الله ﷺ وخدمة علي عليه السلام وأهل بيته وخاصته، فقال الله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من هذه الصفات

١. تفسير العياشي ١/ ١٣٩، ح ٦٥.

٢. التبيان ١/ ٣٢٢.

٣. مجمع البيان ١/ ١٤٦.

٤. مجمع البيان ١/ ١٤٦.

٥. روض الجنان ٢/ ٢٥.

المحرفات والمخالفات لصفة محمد ﷺ وعلي ﷺ، الشدة لهم من العذاب في أسوء بقاع جهنم، وويل لهم: الشدة في العذاب ثانية مضافة إلى الأولى، بما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر بمحمد رسول الله ﷺ، والحجة لوصيه وأخيه علي بن أبي طالب ﷺ ولي الله الحديث.^١

قد ورد في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ^٢ بتقديم وتأخير فراجع إن شئت.

الديلمي رفعه وقال: ... وصلى رسول الله بالناس صلاة الفجر ثم قعد في مجلسه يذكر الله ﷻ حتى طلعت الشمس فالتفت إلى أبي عبيدة بن الجراح فقال له: بخ من مثلك لقد أصبحت أمين هذه الأمة ثم تلا قوله «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» لقد أشبه هؤلاء رجال في هذه الأمة ليستخفوا له «مَنْ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ»^٣ وكان الله بما يعملون محيطاً»^٣ ثم قال لقد أصبح في هذه الأمة في يومي هذا قوم شابهوهم في صحيفتهم التي كتبوها علينا في الجاهلية وعلقوها في الكعبة وإن شاء الله تعالى يعذبهم عذاباً لبيتليهم وبيتلي من يأتي بعدهم تفرقة بين الخبيث والطيب ولو لا أنه سبحانه أمرني بالإعراض عنهم للأمر الذي هو بالغه لقدمتهم فضربت أعناقهم. قال حذيفة فو الله لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله لهم هذه المقالة وقد أخذتهم الرعدة لا يملك أحد منهم من نفسه شيئاً ولم يخف على أحد ممن حضر مجلس رسول الله ذلك اليوم وأن رسول الله ﷺ إياهم عني بقوله لهم ضرب تلك الأمثال بما تلا من القرآن قال: ولما قدم رسول الله من سفره ذلك نزل بمنزل أم سلمة رضي الله عنها زوجته فأقام

١. الاحتجاج ٢/ ٤٥٧.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٢٩٩.

٣. سورة النساء / ١٠٨.

به شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك فشكت عائشة وحفصة ذلك إلى أبيهما فقالا لهما إنا لنعلم لم صنع ذلك ولأي شيء هو امضيا إليه فإطفاه وخادعاه عن نفسه فإنكما تجدانه حياً كريماً فلعلكما تصلان ما في قلبه وتستخرجان سخيّمته. قال فمضت عائشة وحدها إليه فأصابته في منزل أم سلمة وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لها النبي ﷺ ما جاء بك يا حميراء؟ قالت: يا رسول الله أنكرت تخلفك من منزلك هذه المدة وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله. فقال: لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرت بسرّ وصيتك بكأله^١ لقد ملكت وأهلت^٢ أمة من الناس ثم أمر خادمة لأم سلمة فقال أجمعي لي هؤلاء يعني نساءه فجمعتهن له في منزل أم سلمة فقال لهن اسمعن ما قال حذيفة فلما فرغوا من ذلك أتوا رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلسوا معه فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي عبيدة وقال بخ بخ لك يا أبا عبيدة من مثلك وقد أصبحت أمين قوم من هذه الأمة على باطلهم ثم قرأ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ولقد أصبح نفر من أصحابي ما هم في فعلهم دون مشركي قريش لما كتبوا صحيفتهم وعلقوها في الكعبة ولو لا أن الله أمرني بالإعراض عنهم لأمر هو بالغه لقدمتهم وضربت أعناقهم. قال حذيفة: فو الله لقد رأيت هؤلاء نفر قد استقبلتهم الرعدة فلم يملك أحد منهم نفسه ولم يخف على كل من حضر مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار أن رسول الله ﷺ يذمهم، الحديث^٣.

١. بكتانته، نسخة بدل.

٢. أهلكت، نسخة بدل.

٣. إرشاد القلوب / ٣٣٦.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ

تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدُهُ ۚ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

ذكر الله تعالى خصلة من خصال اليهود وقسماً من ادعاءاتهم الكاذبة من أنهم من أحباء الله وابنائهم فلا يعدّهم الله ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ﴾ في الآية السابقة.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، والضمير الفاعلي يرجع إلى اليهود.

﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَمَسَّنَا﴾ فعل مضارع منصوب ومفعول به. المس واللمس والجلس بمعنى واحد.

﴿النَّارُ﴾ فاعله. ولو كانوا عاصين آثمين فاسقين. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء.

﴿أَيَّامًا﴾ مستثنى. ﴿مَعْدُودَةً﴾ نعت لـ ﴿أَيَّامًا﴾. مؤذن بالمعدود.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الأعظم ﷺ وما بعده جواب لكلام اليهود وزعمهم.

﴿أَ﴾ استفهام توبيخي وتنكيري.

﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أصله «أأ اتخذتم» دخلت الف الاستفهام على الف القطع من نفس الكلمة فكره اجتماعهما فحذفت الأصلية وبقيت التي للاستفهام لأنها معنى... والدليل على أنها ألف استفهام كونها مفتوحة ولو كانت أصلية لكانت مكسورة إتخذتم...»^١.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف ومضاف إليه. ﴿عَهْدًا﴾ مفعول به. أي وعداً مؤكداً.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب شرط مقدر وتقديره: إن اتخذتم عند الله عهداً.
 ﴿لَنْ﴾ أداة نفي ونصب واستقبال. لنفي الأبد.
 ﴿تُخْلِفَ﴾ فعل مضارع منصوب. ﴿اللَّهُ﴾ فاعله.
 ﴿عَهْدُهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والضمير يرجع إلى ﴿اللَّهُ﴾.
 ﴿أَمْ﴾ حرف متصل لأنه مسبق بهمزة الاستفهام.
 ﴿تَقُولُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَقُولُونَ﴾.
 ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿تَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. ومقاتلكم ليست إلا باطلة وجرأة على الله تعالى.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني اليهود المصرون للشقاوة المظهرون للإيمان، المسرون للنفاق، المدبرون على رسول الله ﷺ وذويه بما يظنون أن فيه عطبهم ﴿كَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وذلك أنه كان لهم أصهار وإخوة رضاع من المسلمين يسرون كفرهم عن محمد ﷺ وصحبه، وإن كانوا به عارفين، صيانة لهم لأرحامهم وأصهارهم. قال لهم هؤلاء لم تفعلوا هذا النفاق الذي تعلمون أنكم به عند الله مسخوط عليكم معذبون أجابهم هؤلاء اليهود بأن مدة ذلك العذاب الذي نعذب به لهذه الذنوب ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ تنقضي، ثم نصير بعد في النعمة في الجنان، فلا نتعجل المكروه في الدنيا للعذاب الذي [هو] بقدر أيام ذنوبنا، فإنها تفنى وتنقضي، ونكون قد حصلنا لذات الحرية من الخدمة ولذات نعمة الدنيا، ثم لا نبالي بما يصيبنا بعد فإنه إذا لم يكن دائماً

فكأنه قد فني. فقال الله ﷻ ﴿قُلْ﴾. يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ إن عذابكم على كفركم بمحمد ودفعكم لآياته في نفسه، وفي علي وسائر خلفائه وأوليائه منقطع غير دائم بل ما هو إلا عذاب دائم لا نفاذ له، فلا تجتروا على الآثام والقبائح من الكفر بالله وبرسوله وبوليّه المنصوب بعده على أمته، ليسوسهم ويرعاهم سياسة الوالد الشفيق الرحيم [الكريم] لولده، ورعاية الحذب المشفق على خاصته ﴿فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ فكذا أنتم بما تدعون من فناء عذاب ذنوبكم هذه في حرز ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اتخذتم عهداً أم تقولون بل أنتم في أيها ادّعيتم كاذبون.^١
ورواها المجلسي في بحار الأنوار.^٢

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾

فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

هذه الآية الشريفة وما بعدها «في مقام بيان أنّ الملاك في السعادة إنّما هو حقيقة الإيمان والعمل الصالح دون الدعاوي»^٣.
﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب يجاب به عند النفي ويقصد به الإيجاب، جواب لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾^٤.
﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.
﴿كَسَبَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محل جزم فعل الشرط؛

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٠٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٥٢.

٣. الميزان ١ / ٢١٦.

٤. سورة البقرة / ٨٠.

وأصل مادة ﴿كَسَبَ﴾ «تستعمل في طلب النفع سواء كان واقعياً أو وهمياً أم خيالياً ويعتبر الاستمرار فيه في الجملة»^١.

﴿سَيِّئَةً﴾ مفعول به. «السيئة: الفعل القبيح وهي ضد الحسنة وتشمل جميع القبائح من الصغائر والكبائر والشرك»^٢.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَخْطَتْ﴾ فعل ماضٍ، معطوف على ﴿كَسَبَ﴾. «الإحاطة: الغلبة والاستيلاء»^٣.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَخْطَتْ﴾؛ والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾.

﴿خَطِيئَتُهُ﴾ فاعل ومضاف إليه؛ والضمير يرجع إلى ﴿مَنْ﴾. «الخطيئة: هي الحالة الحاصلة للنفس من كسب السيئة، ولذلك أتى بإحاطة الخطيئة بعد ذكر كسب السيئة وإحاطة الخطيئة توجب أن يكون الإنسان المحاط مقطوع الطريق إلى النجاة كأن الهداية لإحاطة الخطيئة به لا تجد إليه سبيلاً فهو من أصحاب النار مخلداً فيها ولو كان في قلبه شيء من الإيمان بالفعل، أو كان معه بعض ما لا يدفع الحق من الأخلاق والممتلكات، كالانصاف والخضوع للحق، أو ما يشابههما لكانت الهداية والسعادة ممكنتي النفوذ إليه، فإحاطة الخطيئة لا تتحقق إلا بالشرك الذي قال تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^٤، ومن جهة أخرى إلا بالكفر وتكذيب الآيات كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٥، فكسب السيئة، وإحاطة الخطيئة كالكلمة الجامعة لما يوجب

١. مواهب الرحمن ١/ ٤٢٣.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٤٢٣.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٤٢٤.

٤. سورة النساء / ٤٨.

٥. سورة البقرة / ٣٩.

الخلود في النار»^١.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جواب الشرط.

﴿أُولَئِكَ﴾. اسم إشارة، مبتدأ. ﴿أَصْحَابُ﴾ خبر.

﴿النَّارِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور، متعلق بخبر.

﴿خَلِدُونَ﴾ خبر، ﴿هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾ حال لـ ﴿أُولَئِكَ﴾؛ والمراد بالخلود

حقيقته.

«والقصر المستفاد من التعريف في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَلِدُونَ﴾ قصر إضافي لقلب اعتقادهم»^٢.

الروايات

خبر أبي حمزة عن أحدهما عليه السلام في قول الله جلّ وعزّ ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: إذا جحد إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ﴾^٣.

خبر أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار في النار لأنّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلد أهل الجنة في الجنة لأنّ نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثمّ تلا قوله تعالى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^٤ قال: على نيّته.^٥

١. الميزان ١/ ٢١٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٦٣.

٣. الكافي ١/ ٤٢٩، ح ٨٢.

٤. سورة الاسراء / ٨٤.

٥. الكافي ٢/ ٨٥، ح ٥.

الروايات حول النية كثيرة راجع إن شئت إلى كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام.^١
 الحبري بإسناده إلى ابن عباس في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ الآية، نزلت في أبي جهل.^٢

فراة بن إبراهيم الكوفي قال حدثني الحسين [بن سعيد] معننا عن أبي حنيفة سائق [سابق] الحاج قال سمعت عبد الله بن الحسن [الحسين] يقول ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال الإذاعة علينا حديثنا و ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾^٣ حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا أهل البيت.^٤

صحيحة أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك، الحديث.^٥

خبر عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء أخو دعبل بن علي الخزاعي، عن الرضا عليه السلام. عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. قيل: يا رسول الله من أصحاب النار؟ قال: من قاتل علياً بعدي، أولئك هم أصحاب النار مع الكفار فقد كفروا بالحق لما جاءهم، ألا وإن علياً مني فمن حاربه فقد حاربنى وأسخط ربي، ثم دعا علياً عليه السلام فقال يا علي حربك حربي، وسلمك سلمتي، وأنت العلم في ما بيني وبين أمتي بعدي.^٦

ابن شهر آشوب رفعه عن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال:

-
١. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ١١ / ٤٤٣.
 ٢. تفسير الحبري / ٢٤٠، ح ٨.
 ٣. سور: الأنعام / ١٦٠، النمل / ٨٩، القصص ٨٤.
 ٤. تفسير فراة الكوفي / ١٤٠، ح ٤.
 ٥. التوحيد / ٤٠٧، ح ٦.
 ٦. أمالي الطوسي، المجلس الثالث عشر، ح ١٤ / ٣٦٤، رقم ٧٦٣.

بغضنا ﴿وَأَحْطَطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: من شرك في دماننا.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ثم قال الله تعالى ردّاً عليهم ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحْطَطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال الإمام عليه السلام السيئة المحيطة به هي التي تخرجه عن جملة دين الله وتنزعه عن ولاية الله وترميه في سخط الله [و] هي الشرك بالله والكفر به، والكفر بنبوة محمد رسول الله ﷺ، والكفر بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كل واحد من هذه سيئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتبطلها وتمحقها ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ عاملوا هذه السيئة المحيطة ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ إن ولاية علي حسنة لا تضر معها شيء من السيئات وإن جلت إلا ما يصيب أهلها من التطهير منها بمحن الدنيا وبيعض العذاب في الآخرة إلى أن ينجوا منها بشفاعة موالهم الطيبين الطاهرين وإن ولاية أضداد علي ومخالفة علي عليه السلام سيئة لا تنفع معها شيء إلا ما ينفعهم باطاعتهم في الدنيا بالنعم والصحة والسعة فيردوا الآخرة ولا يكون لهم إلا دائم العذاب ثم قال إن من جحد ولاية علي عليه السلام لا يرى بعينه الجنة أبداً إلا ما يراه مما يعرف به أنه لو كان يواليه لكان ذلك محله ومأواه فيزداد حسرات وندمات وإن من تولى علياً وتبرأ من أعدائه وسلم لأوليائه لا يرى النار بعينه إلا ما يراه فيقال له لو كنت على غير هذا لكان ذلك مأواك وإلا ما يباشره فيها إن كان مسرفاً على نفسه بما دون الكفر إلى أن ينظف بجهنم كما ينظف القدر بدنه بالحمام ثم ينقل عنها بشفاعة مواله ثم قال رسول الله ﷺ: اتقوا الله معاشر الشيعة فإن الجنة لن تفوتكم وإن أبطأت بها عنكم قبائح أعمالكم فتنافسوا في درجاتها. قيل: فهل يدخل جهنم أحد من محبيك ومحبي علي عليه السلام؟ قال: من قدر نفسه بمخالفة محمد وعلي وواقع المحرمات وظلم المؤمنين والمؤمنات وخالف ما رسم

له من الشريعات جاء يوم القيامة قدراً طافساً. يقول محمد وعلي عليهما السلام يا فلان أنت قدر طفس لا تصلح لمرافقة الأخيار ولا لمعانقة الحور الحسان ولا الملائكة المقربين لا تصل إلى هناك إلا بأن يطهر عنك ما هاهنا يعني ما عليك من الذنوب فيدخل إلى الطبقة الأعلى من جهنم فيعذب ببعض ذنوبه ومنهم من يصيبه الشدائد في المحشر ببعض ذنوبه ثم يلتقطه من هنا من يبعثهم إليه مواليه من خيار شيعتهم كما يلتقط الطير الحب ومنهم من يكون ذنوبه أقل وأخف فيطهر منها بالشدائد والنوائب من السلاطين وغيرهم ومن الآفات في الأبدان في الدنيا ليدل في قبره وهو طاهر ومنهم من يقرب موته وقد بقيت عليه سيئة فيشتد نزعه فيكفر به عنه فإن بقي شيء وقويت عليه ويكون عليه بطر أو اضطراب في يوم موته فيقل من حضرته فيلحقه به الذل فيكفر عنه فإن بقي عليه شيء أتى به ولما يلحد فيتفرقون عنه فتطهر فإن كانت ذنوبه أعظم وأكثر طهر منها بشدائد عرصات يوم القيامة فإن كانت أكثر وأعظم طهر منها في الطبقة الأعلى من جهنم وهؤلاء أشد محببنا عذاباً وأعظمهم ذنباً إن هؤلاء لا يسمون بشيعتنا ولكن يسمون بمحببنا وينفعهم بطاعاتهم في الدنيا بالنعم والصحة والسعة فيردوا الآخرة ولا يكون لهم إلا دائم العذاب.^١

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوتُوا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

دأب القرآن الكريم التبشير بعد الانذار والترغيب بعد التهيب «المن آمن بالله وصدق به، وصدق النبي ﷺ وعمل الصالحات التي أوجبها الله تعالى عليه، فانه

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٠٥.

يستحق بها الجنة خالداً أبداً^١.

- ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿عَمِلُوا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾.
 ﴿الصَّالِحِينَ﴾ مفعول به. ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ. ﴿أَصْحَابُ﴾ خبر.
 ﴿الْجَنَّةِ﴾ مضاف إليه. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
 ﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلق بخبر. ﴿خَالِدُونَ﴾ خبر.

تنبيه

قال الشيخ الطوسي: «وظاهرها يمنع من أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لأنه إذا كان مؤمناً مستحقاً للثواب الدائم، فلا يجوز أن يستحق مع ذلك عقاباً دائماً، لأن ذلك خلاف ما اجمع المسلمون عليه ومتى عادوا إلى الاحباط، كلموا فيه بينهم وبين بطلان قولهم»^٢.

الروايات

خبر الحبري بإسناده إلى ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت في علي خاصة وهو أول مؤمن وأول مصلي بعد النبي ﷺ^٣.

خبر فرات بن إبراهيم الكوفي بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت في علي بن

١. التبيان ١/ ٣٢٦.

٢. التبيان ١/ ٣٢٦.

٣. تفسير الحبري / ٢٤١.

أبي طالب عليه السلام. خاصة، وهو أول مؤمن وأول مصلٍ مع النبي ﷺ.^١
 خبر ابن عباس قال: مما نزل من القرآن خاصة في رسول الله وعلي وأهل بيته
 من سورة البقرة [قوله تعالى] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت في علي خاصة وهو أول مؤمن وأول مصلٍ بعد
 رسول الله ﷺ.^٢

ابن شهر آشوب قال: المرزباني عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت
 في علي خاصة وهو أول مؤمن وأول مصلٍ بعد النبي ﷺ.^٣
 ورواها أيضاً في المناقب^٤ بسند آخر عن ابن عباس ونقل العلامة المجلسي ما نقلت عنه في
 بحار الأنوار^٥.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الحسن بن علي عليه السلام للرجل
 الذي قال إنه من شيعة علي عليه السلام، يا عبدالله لست من شيعة علي عليه السلام إنما أنت من محبيه،
 وإنما شيعة علي عليه السلام الذين قال ﷺ فيهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هم الذين آمنوا بالله ووصفوه بصفاته، ونزهوه
 عن خلاف صفاته، وصدقوا محمداً في أقواله، وصوبوه في كل أفعاله، ورأوا علياً بعده
 سيّداً إماماً، وقرماً هماماً لا يعدله من أمة محمد أحد، ولا كلهم إذا اجتمعوا في كفة
 يوزنون بوزنه، بل يرجح عليهم كما ترجح السماء والأرض على الذرة. وشيعة
 علي عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم، أو وقعوا على الموت.

١. تفسير فرائد الكوفي / ٦٠، ح ٢٢.

٢. شواهد التنزيل / ١١٧ / ١.

٣. المناقب / ٢ / ١٣.

٤. المناقب / ٢ / ٩.

٥. بحار الأنوار / ٣٨ / ٢٠٢.

وشيعه علي عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة وهو الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم. وشيعه علي عليه السلام هم الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم المؤمنين. ما عن قولي أقول لك هذا، بل أقوله عن قول محمد ﷺ، فذلك قوله تعالى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. قضوا الفرائض كلها، بعد التوحيد واعتقاد النبوة والإمامة وأعظمها [فرضاً] قضاء حقوق الإخوان في الله، واستعمال التقية من أعداء الله ﷺ. ١

خبر البحراني قال: من طريق المخالفين روى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ٢ نزلت في أبي جهل، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت في علي عليه السلام خاصة، وهو أول من آمن وأول مصلي بعد النبي ﷺ. ٣

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

«بعد ما ذكر سبحانه وتعالى أحوال بني إسرائيل، وما أنعم عليهم بأنواع النعم، وما ظهر فيهم من المعجزات الباهرات، شرع في تعداد ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق، وهي أمور عقلية نظامية، تنظم شؤونهم الفردية والاجتماعية، الدنيوية

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣١٩.

٢. سورة البقرة / ٨١.

٣. اللوامع النورانية / ٢١.

والأخروية، ويترتب على مخالفتها والاستخفاف بها، الأحكام الوضعية والتكليفية»^١.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذْ﴾ اسم أو ظرف زمان بمعنى «حين»، مفعول به لفعل محذوف وتقديره:
اذكر أو اذكروا. «فاعيد الأسلوب القديم وهو العطف بإعادة لفظ «إِذْ» في أول
القصص»^٢.

﴿أَخَذْنَا﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جر مضاف إليه لوقوعها بعد «إِذْ».
الأخذ: الاستيلاء والتحصيل والحيازة.

﴿مِيثَاقٌ﴾ مفعول به. الميثاق: العهد المؤكد والعقد المستحكم والموثوق به.

﴿بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ مضاف إليه أول و ثان. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، إنشاء في صيغة الخبر أي: لا تعبدوا.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿اللَّهُ﴾ مفعول به. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾. جار ومجرور متعلق بفعل محذوف وتقديره: أحسنوا.

﴿إِحْسَانًا﴾ مفعول مطلق. ﴿و﴾ كل الواوات هنا عاطفة.

﴿ذِي﴾ معطوف على ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾.

﴿الْقُرْبَىٰ﴾ مضاف إليه. ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: القرابة، وهم الأرحام.

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ معطوف على ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾. اليتيم: من مات أبوه إلى أن يبلغ الخُلُم.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ معطوف على ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾. جمع المسكين: الفقير العادم الذليل.

«وقد رتب موارد الإحسان أخذاً من الأهم والأقرب إلى المهم والأبعد فقرابة الإنسان
أقرب إليه من غيرهم، والوالدان وهما الأصل الذي تنكي عليه وتقوم به شجرة
وجوده أقرب من غيرهما من الأرحام، وفي غير القرابة أيضاً اليتامى أحق بالإحسان

١. مواهب الرحمن ١/ ٤٢٩.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٦٣.

لصغرهم وفقدهم من يقوم بأمرهم من ﴿الْمَسْكِينِ﴾^١.
 ﴿وَقُولُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قُولُوا﴾.
 ﴿حُسْنًا﴾ مفعول به، «مصدر بمعنى الصفة جيء به للمبالغة وفي بعض
 القراءات «حَسَنًا» بفتح الحاء والسين صفة مشبهة، وهو كناية عن حسن المعاشرة مع
 الناس كافرهم ومؤمنهم^٢.
 ﴿وَأَقِيمُوا﴾ فعل أمر وفاعله. الإقامة: «المواظبة على اتيان الصلاة تامة الأجزاء،
 وجامعة للشرائط، وهي أقوى صلة بين الله تعالى وعباده، ومن أهم السبل في إصلاح
 النفس، لما تشتمل على الإخلاص لله تعالى، والخشوع لعظمته»^٣.
 ﴿الصَّلَاةِ﴾ مفعول به. ﴿وَأَتُوا﴾ معطوف على ﴿أَقِيمُوا﴾.
 ﴿الزَّكَاةِ﴾ مفعول به، ﴿الزَّكَاةِ﴾: الصدقة مطلقاً أو الصدقة الواجبة على
 الأموال.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب، أي بعد أخذ الميثاق.
 ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي أعرضتم عن جميع ما أخذ عليكم الميثاق
 بأجمعها.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾ مستثنى.
 ﴿مِّنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفه محذوفة من ﴿قَلِيلًا﴾.
 ﴿و﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.
 ﴿مُعْرِضُونَ﴾ خبر. أي «أن الإعراض وصف ثابت لهم وعادة معروفة
 منهم»^٤.

١. الميزان ١/ ٢١٩.

٢. الميزان ١/ ٢١٩.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٤٣٣.

٤. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٦٦.

الروايات

صحیحة عبدالرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى عليه السلام في وصية أمير المؤمنين عليه السلام: ... قولوا للناس حسناً كما أمركم الله ﷻ، الوصية. ١

صحیحة معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: قولوا للناس حسناً ولا تقولوا إلا خيراً حتى تعلموا ما هو. ٢

خبر جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: في قول الله ﷻ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم. ٣

معتبرة سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أتعلم سائلاً لا أعرفه مسلماً قال: نعم أعط من لا تعرفه بولاية ولا عداوة للحق إن الله ﷻ يقول ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ولا تطعم من نصب لشيء من الحق أو دعا إلى شيء من الباطل. ٤

ورواها العياشي في تفسيره. ٥

صحیحة عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أوصيكم بتقوى الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ثم قال: عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم ثم قال: أي شيء أشد على قوم يزعمون أنهم يأتمون بقوم فيأمرونهم وينهونهم فلا يقبلون منهم ويذيعون حديثهم عند عدوهم فيأتي عدوهم إلينا فيقولون لنا إن قوماً يقولون ويروون عنكم كذا وكذا فنحن نقول إنا برآء ممن

١. الكافي ١٣/٤٥٥، ح ٧ (٥٢/٧).

٢. الكافي ٢/١٦٤، ح ٩.

٣. الكافي ٢/١٦٥، ح ١٠.

٤. الكافي ٤/١٣، ح ١.

٥. تفسير العياشي ١/١٣٩، ح ٦٧.

يقول هذا فيقع عليهم البراءة.^١

ورواها الصدوق في صفات الشيعة^٢ وابن إدريس الحلي في السرائر^٣ في ما استطرفه من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب السراد صاحب الرضا عليه السلام.

العياشي رفعه عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: اتقوا الله ولا تحملوا الناس على أكتافكم، إن الله يقول في كتابه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: وعودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم وصلّوا معهم في مساجدهم حتّى النفس وحتّى تكون المباينة.^٤

العياشي رفعه عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: إن الله بعث محمداً عليه السلام بخمسة أسياف، فسيف على أهل الذمّة، قال الله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ نزلت في أهل الذمّة ثمّ نسختها أخرى قوله ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾^٥ فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلّا أداء الجزية أو القتل ويؤخذ مالهم، وتسبى ذراريهم، فإذا قبلوا الجزية ما حل لنا نكاحهم ولا ذبائحهم ولا يقبل منهم إلّا أداء الجزية أو القتل.^٦

رواها مفصلاً في الكافي^٧ بسند معتبر وهكذا بسند معتبر في الخصال^٨ وتفسير القمي^٩

١. المحاسن ١/٨٣، ح ٥١.

٢. صفات الشيعة / ٢٧.

٣. السرائر ٣/٥٩٩.

٤. تفسير العياشي ١/١٤٠، ح ٦٨.

٥. سورة التوبة / ٢٩.

٦. تفسير العياشي ١/١٤٠، ح ٦٩ والزيادة مأخوذة من بحار الأنوار ١٠/٦٧، ح ١٤.

٧. الكافي ٥/١٠، ح ٢.

٨. الخصال ١/٢٧٤.

٩. تفسير القمي ٢/٣٢٠.

ومرفوعاً في تحف العقول^١.

العياشي رفعه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين المتفحش، السائل الملحف، ويحب الحيي الحليم الضعيف المتعفف^٢. رواها الصدوق بسند معتبر في أماليه^٣ ومرفوعاً في مجمع البيان^٤.

خبر أبي الصباح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في كلام له: وخالطوا الناس وأتوهم وأعينوهم ولا تجانبوهم وقولوا لهم كما قال الله ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^٥. الطوسي رفعه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ للناس كلهم^٦.

الطبرسي قال: في قوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: فقليل: هو عام في المؤمن والكافر على ما روى عن الباقر عليه السلام.^٧

ابن شهر آشوب رفعه عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام ﴿وَيَا لَوْلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قال: الوالدان رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام.^٨

ورواها ابن قتال النيسابوري في روضة الواعظين^٩.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ. أنه قال: الجنة تحت أقدام

١. تحف العقول / ٢٨٨.

٢. تفسير العياشي / ١ / ١٣٩، ح ٦٦.

٣. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والأربعون، ح ٣٢٦ / ٥، رقم ٣٨٢.

٤. مجمع البيان / ١ / ١٥٠.

٥. كتاب جعفر بن محمد بن شريح / ٧٨؛ ونقل عنه في مستدرک الوسائل / ٨ / ٣١٤، ح ١٥.

٦. التبيان / ١ / ٣٣٠.

٧. مجمع البيان / ١ / ١٥٠.

٨. المناقب / ٣ / ١٠٥.

٩. روضة الواعظين / ١ / ١٠٥.

الامهات.١

الكاشاني رفعه وقال: في الحديث القدسي: من رضي عنه والده فأنا عنه راض

والجنة تحت أقدام الامهات.٢

قال ثاني الشهيدان عليه السلام: من تفسير العسكري عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ إلى قوله ﴿وَأَلَيَّتُمُ﴾ قال الإمام عليه السلام: وأما قوله عليه السلام ﴿وَأَلَيَّتُمُ﴾ فإن رسول الله ﷺ قال حث الله تعالى على برّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم فمن صانهم صانه الله ومن أكرمهم أكرمه الله ومن مسح يده برأس يтим وفقاً به جعل الله تعالى له في الجنة لكل شعرة مَرَّتْ تحت يده قصراً أوسع من الدنيا بما فيها وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

قال الإمام عليه السلام: وأشد من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه ولا يدري كيف حكمه في ما يتلى به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله ﷺ.

وقال علي عليه السلام: من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبونه به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل تلك العرصات و [عليه] حُلَّةٌ لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذاويرها ثم ينادي مناد هذا عالم من بعض تلامذة آل محمد ألا فمن أخرج في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نُزهِ الجنان فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً أو أوضح له عن

١. روض الجنان ٢/ ٣٦.

٢. منهج الصادقين ١/ ٢٤٤.

شبهه.

قال: وحضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك. فأجابتها عن ذلك ثم ثنت فأجابت ثم ثلث إلى أن عشرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة وقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي سلي عما بدا لك أرايت من اكرتري يصعد يوماً إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف ديناراً يثقل عليه. قالت: لا. فقالت: أكرتري [اكرتري] أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى أن لا يثقل علي سمعت أبي عليه السلام يقول: إن علماء شيعةنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور ثم ينادي منادي ربنا عليه السلام أيها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتهموهم ونعشتهموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذ عنهم من العلوم حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف حلة وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: اعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تُتموا لهم خلصهم وتضعفوها. فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم وكذلك مرتبتهم ممن خلع عليهم على مرتبتهم. قالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل ما طلعت عليه الشمس؟ فإنه مشوب بالتَّغْيِصِ والكدر.^١

١. منية المريد / (١١٦-١١٤)؛ راجع التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / (٣٤٥-٣٣٩).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ

ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾



ذكر الله سبحانه عدداً من المنهيات التي أخذ الميثاق من بني إسرائيل على تركها ولكن مع الأسف أنهم عزموا على الإتيان بها حتى اليوم جرأة على مخالفة الله تعالى. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾. معطوف على ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الآية السابقة.

﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله، خبر في معنى الإنشاء نظير قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ في الآية السابقة. السفك: الصب والإراقة. ﴿دِمَاءَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. نهي أن يقتل بعضهم بعضاً لأنهم كانوا جريئون على قتل النفس ولا يبالون به.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا تَخْرُجُونَ﴾ معطوف على ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه.

﴿مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿لَا تَخْرُجُونَ﴾. الديار: جمع الدار، أي لا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم بغير الحق. ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الترتبي.

﴿أَقَرَّرْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. أي أخذ عليكم العهد وأقررتموه.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿تَشْهَدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر. أي وشهدتم على العهد.

ومع ذلك بعد الاقرار والشهادة بالميثاق إلى الآن أول قتلة العالم وأول الذين يطردون الناس عن ديارهم هم اليهود والصهيانية، أنظروا ماذا يفعلون في العالم بأجمعه

بالنسبة إلى فلسطينين وغيرهم.

خذل الله الصهاينة واليهود بحق محمد وآل محمد ﷺ.

الروايات

خبر أبي عمرو الزيري عن أبي عبد الله ﷺ قال: قلت له أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله ﷻ. قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه فمنها كفر الجحود والجحود على وجهين والكفر بترك ما أمر الله وكفر البراءة وكفر النعم فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول لا رب ولا جنّة ولا نار وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^١ وهو دينٌ وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون قال الله ﷻ ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾^٢ أن ذلك كما يقولون وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣ يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يمحّد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ قد استقرّ عنده وقد قال الله ﷻ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^٤ وقال الله ﷻ ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٥ فهذا تفسير وجهي الجحود والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان ﷺ ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي

١. سورة الجاثية / ٢٤.

٢. سورة الجاثية / ٢٤.

٣. سورة البقرة / ٦.

٤. سورة النمل / ١٤.

٥. سورة البقرة / ٨٩.

لِيَبْلُغَنِي ۖ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ^١
وقال ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^٢ وقال ﴿فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾^٣ والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله ﷻ به وهو
قول الله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيرِكُمْ ثُمَّ
أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَا لَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ
دِيرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تَفْندُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ
مِنْكُمْ ۚ﴾ فكفرهم بترك ما أمر الله ﷻ به ونسبهم إلى الإيثار ولم يقبله منهم ولم ينفعهم
عنده فقال ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^٥ والوجه الخامس من الكفر كفر
البراءة وذلك قوله ﷻ يحكي قول إبراهيم عليه السلام ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^٦ يعني تبرأنا منكم وقال يذكر إبليس وتبرئته
من أوليائه من الإنس يوم القيامة ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾^٧ وقال
﴿إِنَّمَا أَخَذْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَبُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾^٨. يعني يتبرأ بعضكم من بعض.^٩

١. سورة النمل / ٤٠.

٢. سورة إبراهيم / ٧.

٣. سورة البقرة / ١٥٢.

٤. سورة البقرة / ٨٤ و ٨٥.

٥. سورة البقرة / ٨٥.

٦. سورة الممتحنة / ٤.

٧. سورة إبراهيم / ٢٢.

٨. سورة العنكبوت / ٢٥.

٩. الكافي ٢/ ٣٨٩، ح ١.

رواها العياشي مرفوعاً ومختصراً في تفسيره.^١

خبر علي بن إبراهيم القمي قال: وأما قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ الآية وإنما نزلت في أبي ذر رضي الله عنه وعثمان بن عفان وكان سبب ذلك لما أمر عثمان بنفي أبي ذر إلى الربرة دخل عليه أبوذر وكان عليلاً متوكئاً على عصاه وبين يدي عثمان مائة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم فقال أبوذر لعثمان ما هذا المال فقال عثمان مائة ألف درهم حملت إلى من بعض النواحي أريد أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي فقال أبوذر: يا عثمان أيما أكثر مائة ألف درهم أو أربعة دنانير. فقال عثمان: بل مائة ألف درهم. قال: أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله ﷺ عشياً فرأيناه كثيراً حزيناً فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له بآبائنا وأمهاتنا دخلنا إليك البارحة فرأيناك كثيراً حزيناً ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً فقال نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم واسترحت منها فنظر عثمان إلى كعب الأخبار وقال له يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه في ما بعد ذلك شيئاً فقال لا ولو اتخذ لبنه من ذهب ولبنه من فضة ما وجب عليه شيء فرفع أبوذر عصاه فضرب بها رأس كعب ثم قال له يا ابن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ تَحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

١. تفسير العياشي ١/ ١٤٠، ح ٧٠.

تَكْذُوبٌ^١. فقال عثمان: يا أباذر إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ولو لا صحبتك لرسول الله لقتلتك. فقال: كذبت يا عثمان أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ فقال: لا يفتنونك يا أباذر ولا يقتلونك، وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظه حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فيك وفي قومك، قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ في وفي قومي؟ قال: سمعته يقول: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيروا مال الله دولاً وكتاب الله دخلاً وعباده خولاً والفاسقين حزباً والصالحين حرباً، فقال عثمان: يا معشر أصحاب رسول الله هل سمع احد منكم هذا من رسول الله؟ فقالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول الله، فقال عثمان: ادع علياً، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن أنظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مه يا عثمان لا تقل كذاب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة لصدق من أبي ذر». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: صدق أبوذر فقد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ فبكى أبوذر عند ذلك فقال: ويلكم كلكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم أنني أكذب على رسول الله ﷺ ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا، قال: نعم، خلفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبة وهي عليّ بعد وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني، فقال عثمان: يا أباذر اسألك بحق رسول الله ﷺ إلا ما أخبرني عن شيء اسألك عنه، فقال أبوذر: والله لو لم تسألني بحق رسول الله ﷺ أيضاً لأخبرتكم فقال أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فقال: مكة حرم الله وحرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت فقال لا ولا كرامة لك. فقال: المدينة حرم رسول الله. قال لا ولا كرامة لك قال فسكت أبوذر فقال عثمان: أي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ قال: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام. فقال عثمان:

سر إليها. فقال أبوذر: قد سألتني فصدقتك وأنا أسألك فأصدقني. قال: نعم. فقال: أخبرني لو بعثتني في بعث من أصحابك إلى المشركين فأسروني. فقالوا: لا نفديه إلا بثلاث ما تملك. قال: كنت أفديك. قال فإن قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك. قال: كنت أفديك. قال: فإن قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك. قال: كنت أفديك. قال أبوذر: الله أكبر. قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوما: يا باذر كيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فتقول مكة حرم الله وحرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت فيقال لك لا ولا كرامة فتقول المدينة حرم رسول الله فيقال لك لا ولا كرامة لك ثم يقال لك فأأي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ فتقول الربرة التي كنت فيها على غير دين الإسلام فيقال لك سر إليها فقلت وإن هذا لكائن يا رسول الله. فقال: إي والذي نفسي بيده إنه لكائن فقلت يا رسول الله أفلا أضع سيفي هذا على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً. قال: لا اسمع واسكت ولو لعبد حبشي وقد أنزل الله فيك وفي عثمان آية. فقلت: وما هي يا رسول الله؟ فقال: قوله تبارك تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَفْندُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^١.

الطوسي رفعه إلى النبي ﷺ انه قال: إنما المؤمنون في تعاطفهم وتراحهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر.^٣

١. سورة البقرة / ٨٤ و ٨٥.

٢. تفسير القمي / ١ (٥٣-٥١).

٣. التبيان / ١ / ٣٣٢.

ورواها الطبرسي في مجمع البيان^١ والكاشاني في منهج الصادقين^٢.

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: المؤمنون كنفسٍ

واحدة^٣.

خبر ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ دخل أبوذر عليلاً متوكئاً على عصاه على عثمان وعنده مائة ألف درهم حملت إليه من بعض النواحي. فقال: إني أريد أن أضم إليها مثلها ثم أري فيها رأيي. فقال أبوذر: أتذكر إذ رأينا رسول الله ﷺ حزينا عشاء فقال بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دراهم لم أكن قسمتها ثم قسمها فقال الآن استرح فقال عثمان لكعب الأحبار: ما تقول في رجل أدى زكاة ماله هل يجب عليه بعد ذلك شيء. قال: لا لو اتخذ لبنه من ذهب ولبنه من فضة فقال أبوذر ﷺ: يا ابن اليهودية ما أنت والنظر في أحكام المسلمين. فقال عثمان: لو لا صحبتك لقتلتك ثم سيره إلى الربرة^٤.

١. مجمع البيان ١/ ١٥١.

٢. منهج الصادقين ١/ ٢٤٥.

٣. روض الجنان ٢/ ٣٩.

٤. قصص الأنبياء ٣٠٦، ح ٣٧٥.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

إخبار عن نقض بني إسرائيل لميثاقهم المأخوذ منهم وحكاية عن قصة وهي: «إنَّ الأوس والخزرج عشيرتان عربيتان تنتميان إلى أصل واحد، لأن الأوس والخزرج أخوان، وكان بين هاتين العشيرتين عداة وقتال قبل الإسلام، وكانوا من أهل الشرك لا يعرفون جنة ولا ناراً ولا قيامة ولا كتاباً.

وأيضاً كان اليهود ينقسمون إلى ثلاث عشائر: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، وكان بينهم عداة وقتال، كما كان بين الأوس والخزرج رغم أن هؤلاء اليهود ينتمون إلى أصل واحد، ودينهم واحد... وكانوا جميعاً، أي العشائر الثلاث اليهودية والأوس والخزرج، من سكان المدينة... وكان فريق من اليهود، وهم بنو قينقاع، يتعاونون مع الأوس ضد بني النضير وقريظة مع انهم اخوانهم في الدين، كما أن بني النضير وبني قريظة تعاونوا مع الخزرج ضد بني قينقاع... فكان كل فريق من اليهود يتعاون مع كل فريق من العرب ضد بعضهم البعض، وكان اليهودي إذا دارت رحى الحرب يقتل أخاه اليهودي، ويخرجه من دياره إذا تمكن من ذلك... ولكن إذا أسر العرب بعض اليهود فدى الأسرى اليهود الآخرون من العرب، مع العلم بأن الذين دفعوا فدية اليهود الأسرى كانوا يحاربون هؤلاء الأسرى مع العرب... وهذا عين التناقض....

واختصاراً ان اليهودي لا يرى مانعاً أن يقتل يهودياً مثله، بل ويتعاون مع العرب على قتله، ولكن إذا أسر العرب يهودياً تحركت عاطفة اليهودي الآخر، ودفع فدية للآسر، وفك الأسير، وهو من ألد أعدائه... فاليهودي يحل قتل أخيه اليهودي، وتشريده، ولكنه يحرم أسره... وكان اليهود يعتذرون عن هذا التهافت بأن التوراة أمرتهم بفداء أسرى اليهود إذا أسروا، فرد الله عليهم بأن التوراة أيضاً أمرتهم بأن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرجهم من دياره، فكيف عصيت التوراة في القتل، واطعتموها بالفداء من الأسر؟^١

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الرتبي.

﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. والخطاب لليهود الحاضرين في وقت نزول القرآن، المعاصرين للنبي ﷺ.

﴿هَؤُلَاءِ﴾ اسم إشارة، صفة لـ ﴿أَنْتُمْ﴾ أو خبر، والإشارة لا تكون إلى غائب «وليست زيادة اسم الإشارة إلا لتعيين مفاد الضمير وهذا استعمال عربي يختص غالباً بمقام التعجب من حال المخاطب»^٢.

﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، يدل على الاستمرار، خبر أو حال أو استئناف لبيان منشأ التعجب.

﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي قتل القوي منكم الضعيف أو بعضكم بعضاً.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تُخْرِجُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، معطوف على ﴿تَقْتُلُونَ﴾.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به. أي أخرج القوي الضعيف من داره أو بعضكم بعضاً.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿فَرِيقًا﴾.

١. التفسير الكاشف ١/ ١٤٥.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٦٨.

﴿مَنْ دَبَّرْهُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تُخْرِجُون﴾ .
 ﴿تَظْهَرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، أصله تتظاهرون حذف إحدى التائين
 للتخفيف. التظاهر: التعاون، مشتق من الظهر بمعنى المعين.
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿تَظْهَرُونَ﴾. الضمير يرجع إلى ﴿فَرِيقًا﴾ .
 ﴿بِالْآثِمِ﴾ جار ومجرور، متعلق بـ ﴿تَظْهَرُونَ﴾. الإثم: ما يستحق عليه الذم.
 ﴿و﴾ عاطفة.

﴿الْعُدُونَ﴾ معطوف على ﴿الْآثِمِ﴾. ﴿الْعُدُونَ﴾: التجاوز عن الحق، والأفراط
 في الظلم هنا.

﴿و﴾ عاطفة أو حالية. ﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
 ﴿يَأْتُوكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. فعل الشرط.
 ﴿أُسْرَى﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَأْتُوكُمْ﴾. ﴿أُسْرَى﴾ جمع أسير.
 ﴿تُفْدُوهُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به. جواب الشرط. فداء
 الأسير: دفع المال بدلاً عن إطلاقه.

﴿و﴾ حالية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، ضمير الشأن.
 ﴿مُحَرَّمٌ﴾. خبر، اسم مفعول. ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق به ﴿مُحَرَّمٌ﴾.
 ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ فاعل لاسم مفعول ﴿مُحَرَّمٌ﴾ ومضاف إليه؛ أو مبتدأ مؤخر و
 ﴿مُحَرَّمٌ﴾ خبر مقدم. وليس المحرم عليهم فقط ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بل ذكره على سبيل المثال
 فيكون القتل بطريق الأولوية محرّم عليهم.

﴿أَ﴾ استفهام توبيخ وتعجب وإنكار.
 ﴿فَ﴾ عاطفة على ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾. ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾؛ وما آمنوا به
 هو الفدى من الأسر.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿تَكْفُرُونَ﴾ معطوف على ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بِبَعْضٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَكْفُرُونَ﴾؛ وما هو كفروا به هو القتل والتظاهر بالإثم والعدوان، والاخراج من الديار.

﴿فَ﴾ فصحية عاطفة على محذوف دل عليه الاستفهام الإنكاري.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿جَزَاءً﴾ مبتدأ، يطلق الجزاء على الخير والشر.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول، مضاف إليه.

﴿يَفْعَلُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿ذَلِكَ﴾ اشم اشارة، مفعول به، إشارة إلى المعاصي السابقة.

﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة مِنْ ﴿مَنْ﴾.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿خِزْيٌ﴾ خبر ﴿جَزَاءً﴾. الخزي: الدل والهوان.

﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خِزْيٌ﴾. ﴿الْذُنُوبِ﴾ نعت لـ﴿الْحَيَاةِ﴾.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿يَوْمَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿يُرْدُونَ﴾.

﴿الْقَيْمَةِ﴾ مضاف إليه.

﴿يُرْدُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله. «والتعبير بالرد إشارة إلى أن مسيرهم في المبدأ والمنتهى واحد من العذاب إلى العذاب»^١.

﴿إِلَى أَشَدِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُرْدُونَ﴾. ﴿الْعَذَابِ﴾ مضاف إليه.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية تعمل عمل «ليس».

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. اسم ﴿مَا﴾ نافية.

﴿بِغَفْلٍ﴾ جار ومجرور خبر ﴿مَا﴾ نافية. في محل نصب.

﴿عَمَّا﴾ مركب من «عن» حرف جر و «ما» موصولة. جار ومجرور متعلق بـ﴿غَفْلٍ﴾ لأنه اسم فاعل أو فعله.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

الصدوق بإسناده عن يزيد بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ. في حديث: فأخبرني عن الدنيا لم سميت الدنيا؟ قال: الدنيا دنيّة خلقت دون الآخرة ولو خلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة، قال: فأخبرني عن القيامة لم سميت القيامة؟ قال: لأنّ فيها قيام الخلق للحساب، قال: فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة؟ قال: لأنّها متأخرة تجيء من بعد الدنيا لا توصف سنيها^١ ولا تحصى أيامها ولا يموت سكّانها، قال: صدقت يا محمد، الحديث^٢.

الطوسي قال: الإثم: قيل معناه: هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن إليه القلب. ومنه قول النبي ﷺ لنواس بن سمعان حين سأله عن البرّ والإثم فقال ﷺ: البرّ ما اطمأنت إليه نفسك والإثم ما حكّ في صدرك^٣.

ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٤ والمشهدى في كنز الدقائق^٥ والنّوّاس بن سمعان العامري الكلابي من أصحاب رسول الله ﷺ ذكره الشيخ الطوسي في رجاله^٦ والمامقاني في تنقيح المقال^٧. في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ واذكرو يا بني إسرائيل حين أخذنا ميثاقكم [أي أخذنا ميثاقكم] على أسلافكم وعلى كل من يصل إليه الخبر بذلك من أخلافهم الذين أنتم منهم ﴿لَا

١. سنيها، نسخة بدل.

٢. علل الشرايع / ٤٧٠، ح ٣٣.

٣. التبيان ١ / ٣٣٥.

٤. مجمع البيان ١ / ١٥٣.

٥. كنز الدقائق ١ / ٢٩٠.

٦. رجال الشيخ الطوسي / ٣١، رقم ٦.

٧. تنقيح المقال ٣ / ٢٧٥، طبع الحجري.

تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ لَا يَسْفِكُ بَعْضُكُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ وَلَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ﴾ بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ كَمَا أَقْرَبَهُ أَصْلَافُكُمْ، وَالتَّزَمْتُمُوهُ كَمَا التَّزَمُوهُ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^١ بِذَلِكَ عَلَى أَصْلَافِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ مَعَاشِرَ الْيَهُودِ ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى إِخْرَاجٍ مِنْ يَخْرِجُونَهُ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ غَضَبًا وَقَهْرًا ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ تَظَاهَرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى إِخْرَاجٍ مِنْ يَخْرِجُونَهُ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَقَتْلٍ مِنْ تَقْتُلُونَهُ مِنْهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿يَا لَيْتُمْ وَالْعُدُونِ﴾ بِالتَّعَدِي تَتَعَاوَنُونَ وَتَتَظَاهَرُونَ. ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾ يَعْنِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخْرِجُونَهُمْ أَنْ تَرَوْهُمْ إِخْرَاجَهُمْ وَقَتْلَهُمْ ظُلْمًا إِنْ يَأْتُوكُمْ ﴿أُسْرَى﴾ قَدْ أَسْرَهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ وَأَعْدَاؤُهُمْ ﴿تُفْدُوهُمْ﴾ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِأَمْوَالِكُمْ ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أَعَادَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ يَقُولَ ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ ذَلِكَ لَرَأَى أَنَّ الْمَحْرَمَ إِنَّمَا هُوَ مَفَادَاتِهِمْ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: ﴿أَفْتَوْمُنُونِي بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وَهُوَ الَّذِي أَوْجِبَ عَلَيْكُمْ الْمَفَادَةَ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ وَهُوَ الَّذِي حَرَّمَ قَتْلَهُمْ وَإِخْرَاجَهُمْ، فَقَالَ فَإِذَا كَانَ قَدْ حُرِّمَ الْكِتَابُ قَتْلُ النَّفْسِ وَالْإِخْرَاجُ مِنَ الدِّيَارِ كَمَا فَرَضَ فِدَاءُ الْأَسْرَاءِ، فَمَا بِالْكُمْ تَطِيعُونَ فِي بَعْضٍ، وَتَعْصُونَ فِي بَعْضٍ كَأَنَّكُمْ بِبَعْضٍ كَافِرُونَ، وَبِبَعْضٍ مُؤْمِنُونَ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يَا مَعْاشِرَ الْيَهُودِ ﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾ ذَلَّ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جَزِيَّةٌ تُضْرَبُ عَلَيْهِ يَذَلُّ بِهَا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ إِلَى جَنْسِ أَشَدِّ الْعَذَابِ، يَتَفَاوَتُ ذَلِكَ عَلَى قَدَرِ تَفَاوَتِ مَعَاصِيهِمْ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ.^٢

١. سورة البقرة / ٨٤.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٦٧.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
فَلَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

إنَّ الله هدد في هذه الآية «من باع دينه بدنياه وعاش على البغي والاستغلال...»^١.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ أو بدل من الضمير نائب الفاعلي في ﴿يُرَدُّونَ﴾، إشارة إلى الذين يؤمنون ﴿بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ ويكفرون ﴿بِبَعْضِ﴾^٢.
﴿الَّذِينَ﴾ نعت لـ ﴿أُولَئِكَ﴾.

﴿اشْتَرَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، ﴿اشْتَرَوْا﴾: اتباعوا ورضوا.
﴿الْحَيَاةَ﴾ مفعول به.

﴿الدُّنْيَا﴾ نعت لـ ﴿الْحَيَاةَ﴾. أي رياستها ولذتها وأموالها وكل ما يكون فيها.
﴿بِالْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿اشْتَرَوْا﴾ والباء للمعاوضة.
﴿فَ﴾ للترتيب. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تُخَفَّفُ﴾. فعل مضارع مبني للمجهول، أي «أنَّ لهم في الآخرة عذاباً غير مخفف»^٣.

﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُخَفَّفُ﴾.
﴿الْعَذَابُ﴾. نائب فاعل، ﴿الْعَذَابُ﴾ العقاب.
﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.

١. التفسير الكاشف ١/ ١٤٦.

٢. سورة البقرة / ٨٥.

٣. التبيان ١/ ٣٣٩.

﴿يُنْصَرُونَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعله، خبر، يعني «لا ينصرهم أحد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى»^١.

الروايات

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ثم وصفهم فقال عليه السلام: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» رضوا بالدنيا وحطامها بدلاً من نعيم الجنان المستحق بطاعات الله «فَلَا تَخَفُوا عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ» لا ينصرهم أحد يرفع عنهم العذاب.^٢

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: حبّ الدنيا رأس كل خطيئة.^٣

رواها الكاشاني في منهج الصادقين.^٤

الشيخ أبو الفتوح الرازي رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: أشقى الأشقياء من باع دينه بدنياه وأشقى منه من باع دينه بدنيا غيره.^٥
رواها الكاشاني في منهج الصادقين.^٦

١. التبيان ١/ ٣٣٩.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٦٧.

٣. روض الجنان ٢/ ٤٩.

٤. منهج الصادقين ١/ ٢٤٩.

٥. روض الجنان ٢/ ٤٩.

٦. منهج الصادقين ١/ ٢٤٩.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾



«مَّا نَعَمَ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عِدَدًا مِنَ الرُّسُلِ، لِيُنَبِّئُوهُمْ بِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، وَيَجِدُّوا الْمَوَاقِيقَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِصْرَارُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْعَصْيَانِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَحَسَّتْ قُلُوبُهُمْ، فَاسْتَحَقُّوا اللَّعْنَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَ﴾ ابتدائية، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿ءَاتَيْنَا﴾ فعل ماضٍ و فاعله. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: أعطينا.

﴿مُوسَى﴾ مفعول به أوّل، وهو رسول الله إلى بني إسرائيل.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به ثانٍ. والمراد به التوراة. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَفَّيْنَا﴾ فعل ماضٍ و فاعله، معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾، ﴿قَفَّيْنَا﴾: أردفنا وأتبعنا.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، والضمير يعود إلى ﴿مُوسَى﴾ عليه السلام.

﴿بِالرُّسُلِ﴾ جارٍ ومجرور متعلّق بـ ﴿قَفَّيْنَا﴾. والمراد بهم أمثال: يوشع وإلياس

وإرميا وداود وسليمان و... .

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ءَاتَيْنَا﴾ معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾ في أوّل الآية.

﴿عِيسَى﴾ مفعول به أوّل. ﴿ابْنَ﴾ بدل من ﴿عِيسَى﴾ أو نعت له.

﴿مَرْيَمَ﴾ مضاف إليه. ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ مفعول به ثانٍ. والمراد بها: الحجج والدلالات والمعجزات من

الإنجيل وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَيَّدَنَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به. ﴿أَيَّدَنَّهُ﴾ أي قوينا ﴿عِيسَى﴾ و أعناه.

واليد: كناية عن القدرة.

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿أَيَّدَنَّهُ﴾. الباء للسببية

والمراد بـ﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل.

﴿أَ﴾ استفهام توبيخي وتعجبي. ﴿فَ﴾ للسببية أو عاطفة.

﴿كُلَّمَا﴾ «كل» و «ما» المصدرية، نائبة عن الظرف الزماني والعامل فيه

﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. ﴿رَسُولٌ﴾ فاعل.

﴿بِ﴾ حرف جر. ﴿مَا﴾ موصولة في محل جر. ﴿لَا﴾ نافية.

﴿تَهَوَّى﴾ فعل مضارع «هوي بكسر الواو إذا أحبَّ والمراد به ما تميل إليه

أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات»^١.

﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه.

﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. «الاستكبار: الاتصاف بالكبر وهو هنا الترفع

عن اتباع الرسل»^٢.

﴿فَ﴾ للسببية. ﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم، مثل عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿كَذَّبْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿فَرِيقًا﴾ مفعول به مقدم، مثل يحيى وزكريا وغيرهما.

﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٨٠.

٢. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٨٠.

الروايات

صحيحة عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام بما تحكمون إذا حكمتكم؟ فقال: بحكم الله وحكم داود فإذا ورد علينا شيء ليس عندنا تلقانا به روح القدس.^١ خبر جعيد الهمداني قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام بأي حكم تحكمون؟ قال: نحكم بحكم آل داود فإن عيينا شيئاً تلقانا به روح القدس.^٢ رجال السند كلهم ثقات أو حسان إلا بشير الدهان الكوفي فإنه إمامي مجهول. والروايات الواردة في أن الأئمة يتلقاهم روح القدس إذا احتاجوا إليه كثيرة جداً فإن شئت راجع بصائر الدرجات.^٣

معتبرة بل صحيحة جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^٤ فالسابقون هم رسل الله عليه السلام وخاصة الله من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس فيه عرفوا الأشياء وأيدهم بروح الإيمان فيه خافوا الله تعالى وأيدهم بروح القوة فيه قدروا على طاعة الله وأيدهم بروح الشهوة فيه اشتها طاعة الله تعالى وكرهوا معصيته وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمينة روح الإيمان فيه خافوا الله وجعل فيهم روح القوة فيه قدروا على طاعة الله وجعل فيهم روح الشهوة فيه اشتها طاعة الله وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويحيئون.^٥

١. بصائر الدرجات / ٤٥١، ح ٣.

٢. بصائر الدرجات / ٤٥١، ح ٢.

٣. بصائر الدرجات / ٤٥١.

٤. سورة الواقعة / (١١-٧).

٥. الكافي / ١ / ٢٧١، ح ١.

رواها الصفار في بصائر الدرجات^١ بسند صحيح.

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب.^٢

رواها الصفار في بصائر الدرجات.^٣

خبر المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في اقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي ﷺ خمسة أرواح روح الحياة فيه دبّ ودرج وروح القوة فيه نهض وجاهد وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال وروح الإيمان فيه آمن وعدل وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به.^٤

وروى نحوها في بصائر الدرجات^٥ وفي هذا المجال أيضاً راجع بصائر الدرجات.^٦

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أَفْكَلَمَا جَاءَكُمُ مُحَمَّدٌ ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ بِمَوَالَاةِ عَلِيٍّ فَ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا﴾ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾».^٧

١. بصائر الدرجات / ٤٤٥، ح ١.

٢. الكافي / ١، ٢٧٢، ح ٢.

٣. بصائر الدرجات / ٤٤٧، ح ٤.

٤. الكافي / ١، ٢٧٢، ح ٣.

٥. بصائر الدرجات / ٤٥٤، ح ١٣.

٦. بصائر الدرجات / ٤٤٥.

٧. الكافي / ١، ٤١٨، ح ٣١.

العباشي رفعه عن جابر عليه السلام قال: أمّا قوله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ﴾ الآية، قال أبو جعفر عليه السلام: ذلك مثل موسى عليه السلام والرسل من بعده وعيسى صلوات الله عليه ضرب مثلاً لأمة محمد عليه السلام فقال الله لهم: فإن جاءكم محمد بما لا تهوى أنفسكم بموالاة عليّ استكبرتم ففريقاً من آل محمد كذبتم وفريقاً تقتلون، فذلك تفسيرها في الباطن.^١

ابن شهر آشوب قال: ... وله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ﴾ بولاية علي عليه السلام.^٢

ابن شهر آشوب قال: ابوبكر الشيرازي في ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام عن مقاتل عن عطا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كان في التوراة يا موسى إني اخترتك ووزيراً هو أخوك يعني هارون لأبيك وأمك كما اخترت لمحمد إلیا هو أخوه ووزيره ووصيه والخليفة من بعده طوبى لكما من أخوين وطوبى لهما من أخوين إلیا أبو السبطين الحسن والحسين ومحسن الثالث من ولده كما جعلت لأخيك هارون شبراً وشبيراً ومشبراً.^٣

الرازي رفعه عن النبي عليه السلام انه قال: البينة على المدعى واليمين على من أنكر.^٤
الرازي رفعه عن النبي عليه السلام انه قال: الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.^٥

الكاشاني رفعه عن النبي عليه السلام انه قال: ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان

١. تفسير العبّاشي ١/١٤١، ح ٧١.

٢. المناقب ٣/٢٣٩.

٣. المناقب ٣/٥٦.

٤. روض الجنان ٢/٤٩.

٥. روض الجنان ٢/٥١.

أن قطعت أبهري.^١

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾

حكاية عن مقالة اليهود وسوء فعالهم وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وإبعاد لهم عن مقام الحضور.

﴿وَ﴾ عطفت ما بعدها إمّا على قوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾^٢ فيكون الاستكبار على الأنواع الثلاثة: تكذيب وقتل واعراض. وإمّا على قوله: ﴿كَذَّبْتُمْ﴾^٣.

﴿قَالُوا﴾ بيان مقالة اليهود وما بعدها مقول القول.

﴿قُلُوبُنَا﴾ مبتدأ ومضاف إليه؛ والقلب في القرآن هو محل إدراكات والتأملات والأفكار والأنظار والتصميمات.

﴿غُلْفٌ﴾ خبر. جمع الأغلف مثل أحمر وحمر، من الغلاف يقال للسيف إذا كان في غلاف: أغلف، والمراد: ﴿قُلُوبُنَا﴾ محفوظة تحت لفائف وأستار وحجب نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ﴾^٤.

«وهو كناية عن عدم إمكان استماع ما يدعون إليه»^٥.

﴿بَلْ﴾ استئناف وإضراب، وبداية ردّ الله سبحانه على مقالتهم.

١. منهج الصادقين ١ / ٢٥٠.

٢. سورة البقرة / ٨٧.

٣. سورة البقرة / ٨٧.

٤. سورة فصلت / ٥.

٥. الميزان ١ / ٢٢٠.

﴿لَعَنَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. اللعن: هو الاقصاء والإبعاد والطرْد.
﴿اللَّهُ﴾ فاعل.

﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ﴿لَعَنَهُمْ﴾. «والمعنى: أنّ سبب نفورهم عن الإيمان ليس ما قالوا، بل هو كفرهم وعنادهم كما جبلت عليه نفوسهم، ممّا أوجب طردهم وبُعدهم عن كلّ خيرٍ ومنه الإسلام»^١.
﴿فَ﴾ تفرعية.

﴿قَلِيلًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره: إيمانًا ﴿قَلِيلًا﴾، أو حال و تقديره: يؤمنون وهم قليل. والتنوين للتنكير.

﴿مَّا﴾ مبهمة نكرة تفيد تأكيد الإبهام أو زيادته. «أي يؤمنون إيمانًا ﴿قَلِيلًا﴾ يكون بحكم العدم من حيث الكميّة والكيفيّة»^٢.
﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

«وفي هذه الآية ردّ على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الإيمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن والطرْد وكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه»^٣.

روايتان

العياشي رفعه عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إنّ تقرأ هذه الآية ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ يكتبها إلى ادبارها.^٤

١. مواهب الرحمن ١/ ٤٤٩.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٤٤٩.

٣. مجمع البيان ٢/ ٣٨٠، طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام.

٤. تفسير العياشي ١/ ٤٥٤، ح ٣٠١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين أراهم رسول الله ﷺ المعجزات المذكورات عند قوله ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾^١ الآية ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أوعية للخير، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله، ولا على لسان أحد من أنبياء الله. فقال الله تعالى ردا عليهم ﴿بَلْ﴾ ليس كما يقولون أوعية العلوم ولكن قد ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم من الخير ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قليل إيمانهم، يؤمنون ببعض ما أنزل الله تعالى ويكفرون ببعض، فإذا كذبوا محمداً ﷺ في سائر ما يقول، فقد صار ما كذبوا به أكثر، وما صدقوا به أقل. وإذا اقرئ غُلْفٌ فإنهم قالوا قلوبنا [غلف] في غطاء، فلا نفهم كلامك وحديثك. نحو ما قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾^٢ وكلا القراءتين حق، وقد قالوا بهذا وبهذا جميعاً.^٣

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^ج

فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿

كان اليهود من قبل ولادة النبي ﷺ يطلبون الفتح به ﷺ على مشركي العرب ولكن لما رؤوا أنه وُلد في نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لا أخيه إسحاق،

١. سورة البقرة / ٧٤.

٢. سورة فصلت / ٥.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٩٠.

كفروا به.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^١.

﴿لَمَّا﴾ اسم شرط غير جازم بمعنى «حين».

﴿جَاءَهُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به مقدم. ﴿كَتَبَ﴾ فاعل.

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، في محل رفعه صفة لـ ﴿كَتَبَ﴾؛

والمراد به القرآن الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ﴾ نعت أخرى لـ ﴿كَتَبَ﴾.

﴿لَمَّا﴾ حرف جر و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق باسم الفاعل

﴿مُصَدِّقٌ﴾.

﴿مَعَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصلة الموصول المحذوفة وتقديره ﴿لَمَّا﴾. هو

موجود أو كائن ﴿مَعَهُمْ﴾ أي موافقاً للتوراة التي مع اليهود، والجواب إمّا قوله تعالى:

﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ أو محذوف بدلالته.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿مِنْ﴾ حرف جر.

﴿قَبْلُ﴾ ظرف، اسم مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة في محل جر بحرف

الجر، الجار والمجرور ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ متعلق بـ ﴿كَانُوا﴾.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، في محل نصب خبر ﴿كَانُوا﴾.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون به ﷺ أو يستحكمون به ﷺ على مشركي العرب

أو يستعلمون من علمائهم صفته ﷺ.

﴿عَلَى الَّذِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾.

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. والمراد بهم مشركي العرب.

﴿فَ﴾ عاطفة. ﴿لَمَّا﴾ معطوف على ﴿لَمَّا﴾ الأولى.

﴿جَاءَهُمْ﴾ مرّ في أوّل الآية.

﴿مَا﴾ موصولة، فاعل. يعني به الرسول الأعظم ﷺ.

﴿عَرَفُوا﴾ فعل ماض وفاعله والعائد محذوف وهو مفعول به تقديره: «عرفوه».

﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط ﴿لَمَّا﴾ الأولى والثانية.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿كَفَرُوا﴾؛ والضمير عائد إلى الكتاب أو

الرسول الأعظم ﷺ. حسداً وبغياً وطلباً للرئاسة.

﴿فَ﴾ للسببية، فما بعدها دعاء من الله عليهم.

﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. قد مرّ معنى اللعن في الآية السابقة.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور، خبر. «ال» للاستغراق.

شأن نزولها

«قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بني إسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث. فقال سلام بن مشكم: أخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية»^١.

ونحوها في تفسير التبيان.^٢

الروايات

صحيحة أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

١. مجمع البيان ٢/ ٣٨١.

٢. التبيان ١/ ٣٤٤ و ٣٤٥.

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا^١ فقال: كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد ﷺ ما بين غير واحد فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى حداداً. فقالوا حداد واحد سواء فتنفروا عنده فنزل بعضهم بتياء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتياء إلى بعض إخوانهم فمروا بهم أعرابي من قيس فتكاثروا منه وقال لهم أمرتكم ما بين غير واحد فقالوا له إذا مررت بهما فأدنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال لهم ذاك غير وهذا أحد فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا قد أصبنا بُغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر. أنا قد أصبنا الموضع فهلُموا إلينا فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم فاتخذوا بأرض المدينة الأموال فلما كثرت أموالهم بلغ تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير فبلغ ذلك تبع فرق لهم وآمنهم فنزلوا إليه فقال لهم إني قد استطبت بلادكم ولا أراي إلا مقيماً فيكم فقالوا له إنه ليس ذاك لك إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حين الأوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم أما لو قد بعث محمد ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله ﷺ محمدًا ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قول الله ﷻ ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ^٢ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ^٣﴾ ١.

ورواها العياشي في تفسيره^٢ وروى عنه الطبرسي في مجمع البيان^٣ والمشهدي في كنز الدقائق^٤.

١. الكافي ٨/ ٣٠٨، ح ٤٨١.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٤١، ح ٧٢.

٣. مجمع البيان ١/ ١٥٨.

٤. كنز الدقائق ١/ ٢٩٦.

صحيحة إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَكَاثُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ قال كان قوم في ما بين محمد وعيسى صل الله عليهما وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم وليفعلن بكم [وليفعلن] فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا به.^١

العياشي رفعه عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية من قول الله ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: تفسيرها في الباطن لما جاءهم ما عرفوا في علي كفروا به فقال الله فيهم ﴿فَلَعَنَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني بني أمية هم الكافرون في باطن القرآن.^٢

صحيحة حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾^٣ لأن الله ﷻ قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد ﷺ وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجره وهو قوله ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^٤ فهذه صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلما بعثه الله ﷻ عرفه أهل الكتاب كما قال ﷻ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ وكانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج بمكة ويكون مهاجرة بالمدينة

١. الكافي ٨/ ٣١٠، ح ٤٨٢.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٤٢، ح ٧٣.

٣. سورة البقرة/ ١٤٦.

٤. سورة الفتح/ ٢٩.

وهو آخر الأنبياء وأفضلهم في عينه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة يلبس الشملة يجتزئ بالكسرة والتميرات ويركب الحمار العرية وهو الضحوك القتال يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر لنقتلنكم به. يا معشر العرب قتل عاد فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله ﴿وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: ذم الله اليهود فقال ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم وإخوانهم من اليهود ﴿يَكْتَسِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ ذلك الكتاب ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ من التوراة التي بين فيها أن محمداً الأُمِّي من ولد إسماعيل المؤيد بخير خلق الله بعده عليّ وليّ الله وكانوا يعني هؤلاء اليهود ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ظهور محمّد بالرسالة ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يسألون الله الفتح والظفر ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أعدائهم والمناوين لهم فكان الله يفتح وينصرهم قال الله ﷻ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هؤلاء اليهود ﴿مَا عَرَفُوا﴾ من نعت محمّد وصفته ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ وجحدوا نبوته حسداً له وبغياً عليه قال الله ﷻ ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٢.

﴿يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

ذمّ الله سبحانه اليهود بإيثارهم الدنيا على الدين إذ رضوا لأنفسهم الكفر

١. تفسير القمي ١/ ٤٦، طبع الأعلمي في بيروت.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٣٩٣.

وأعرضوا عما ورد في أسفارهم من الوعد بمجيء الرسول الخاتم ﷺ إرضاءً لداعية الحسد وإطفاء لنار البغي.

﴿بَيَّسَ﴾ فعل ماضٍ لإنشاء الذم، وبيان لسبب كفرهم بعد العلم.

﴿مَا﴾ فاعل بئس. نكرة بمعنى «شيء».

﴿أَشْتَرُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. الاشتراء: الابتياح.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿أَنْ﴾ ناصبة.

﴿يَكْفُرُوا﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾ وفاعله. بتأويل المصدر «كفرهم»

مخصوص بالذم.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَكْفُرُوا﴾.

﴿أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله؛ والمراد ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو القرآن الذي أنزله

الله على الرسول الأعظم ﷺ .

﴿بَغِيًّا﴾ مفعول مطلق نوعي أو مفعول له. البغي: الظلم والمراد به هنا الحسد.

﴿أَنْ﴾ ناصبة. ﴿يُنْزَلَ﴾ فعل مضارع منصوب.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾ متعلق بـ ﴿بِهِ﴾.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿يُنْزَلَ﴾.

﴿عَلَى مَنْ﴾ حرف جر و «من» اسم موصول، جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنْزَلَ﴾.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوف من اسم

موصول ﴿مِنْ﴾ تقديره: حال كونهم ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾.

﴿فَ﴾ للسببية. ﴿بَاءُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿بَاءُ﴾: رجعوا.

﴿بِغَضَبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَاءُ﴾.

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿غَضَبٍ﴾ الأولى.
يعني: رجعوا بمصاحبة غضب أو بتلبس غضب بسبب كفرهم بالقرآن على
غضب بسبب كفرهم بالتوراة من قبل، لأنّ الوعد بالرسول الأعظم ورد في كتابهم.
فكان ذلك منهم كفراً على كفر.
﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، يفيد الحصر. يعني الكافرين لنبوّة خاتم
الأنبياء ﷺ.
﴿عَذَابٍ﴾ مبتدأ مؤخر.
﴿مُهِينٌ﴾ نعت لـ ﴿عَذَابٍ﴾. ﴿مُهِينٌ﴾: مُذَلٌّ، الذي لا ينتقل منه إلى إعزاز
وإكرام.

الروايات

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد ﷺ
هكذا ﴿يَسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في عليّ ﴿بَغْيًا﴾. ١
العياشي رفعه وقال: قال أبو جعفر نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ هكذا
﴿يَسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في عليّ ﴿بَغْيًا﴾ وقال الله في عليّ
﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني عليّاً. قال الله ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ
عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ يعني بني أمية ﴿وَلِّلْكَافِرِينَ﴾ يعني بني أمية ﴿عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾. ٢
فراة الكوفي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية
هكذا وقوله: ﴿يَسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في عليّ بن

١. الكافي ١/٤١٧، ح ٢٥.

٢. تفسير العياشي ١/١٤٣، ح ٧٤.

أبي طالب عليه السلام وقال الله في علي عليه السلام «أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^١ يعني علياً قال الله تعالى «فَبَاءُ وَبَغْضٍ عَلَى غَضَبٍ» يعني بني أمية «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» في حقهم.^٢

الطوسي قال: روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: نعم ما المال للرجل الصالح.^٣ ابن شهر آشوب رفعه عن يزيد بن عبد الملك عن زين العابدين عليه السلام أنه قال في قول الله تعالى «يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِمَ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا» قال: من ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء عليهم السلام من ولده.^٤

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: ذم الله تعالى اليهود، وعاب فعلهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله فقال «يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِمَ أَنْفُسَهُمْ» أي اشتروها بالهدايا والفضول التي كانت تصل إليهم، وكان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة فلم يشتروها، بل اشتروها بما أنفقوه في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله لبقى لهم عزهم في الدنيا، وراثتهم على الجهال، وينالوا المحرمات، وأصابوا الفضولات من السفلة وصر فوهم عن سبيل الرشاد، ووقفوهم على طريق الضلالات. ثم قال عليه السلام «أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا» أي بما أنزل على موسى عليه السلام من تصديق محمد صلى الله عليه وآله بغياً «أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» قال وإنما كان كفرهم لبغيهم وحسد لهم له لما أنزل الله من فضله عليه وهو القرآن الذي أبان فيه نبوته وأظهر به آيته ومعجزته. ثم قال «فَبَاءُ وَبَغْضٍ عَلَى غَضَبٍ» يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله على غضب في أثر غضب، والغضب الأول حين كذبوا بعيسى ابن مريم، والغضب الثاني حين كذبوا

١. تفسير فرات الكوفي / ٦٠، ح ٢٣.

٢. التبيان / ١ / ٣٤٧.

٣. المناقب / ١ / ٢٨٤.

بمحمّد ﷺ . قال والغضب الأول أن جعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام والغضب الثاني حين سلط الله عليهم سيوف محمّد وآله وأصحابه وأمته حتّى ذلّهم بها فإمّا دخلوا في الإسلام طائعين، وإمّا أدوا الجزية صاغرين داخرين.^١

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

ذكر الله تعالى مظهراً آخراً من مظاهر استكبار اليهود وغرورهم لأنّهم إذا ﴿قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ بالقرآن، قالوا: نؤمن بالذي أنزل علينا من التوراة ولا نؤمن بغيرها. ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله تعالى: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾^٢. ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن، متضمن معنى الشرط. ﴿قِيلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول. حذف الفاعل للإجلال. ﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿قِيلَ﴾؛ والضمير يعود إلى اليهود. ﴿ءَامِنُوا﴾ فعل أمر وفاعله. ﴿بِمَا﴾ حرف جر و«ما» موصولة في محل جرّ، متعلّق بـ﴿ءَامِنُوا﴾. ﴿أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فعل ماض وفاعله. و﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^٣ هو القرآن المنزّل على خاتم الأنبياء محمّد ﷺ والشرائع التي جاء بها.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٠١.

٢. سورة البقرة / ٨٨.

٣. سورة البقرة / ٩٠.

﴿قَالُوا﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط غير جازم وما بعدها مقول القول.

﴿نُؤْمِنُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».

﴿بِمَا﴾ حرف جر و «ما» موصولة، متعلق بـ﴿نُؤْمِنُ﴾.

﴿أُنْزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».

﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنْزِلَ﴾؛ والمراد ﴿بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ هو التوراة.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَكْفُرُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يدل على استمرار هذا الكفر.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و «ما» موصولة، متعلق بـ﴿يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَرَاءَهُ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. يعني يحجدون ﴿بِمَا﴾ بعده من الإنجيل

والقرآن.

﴿وَ﴾ حالية.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر. والضمير يعود إلى ﴿مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ على الرسول

الأعظم ﷺ وهو القرآن.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة من ﴿هُوَ﴾.

﴿لَمَّا﴾ حرف جر و «ما» موصولة، متعلق بـ﴿مُصَدِّقًا﴾.

﴿مَعَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصلة الموصول المحذوفة تقديره: ﴿لَمَّا﴾ هو

موجود ﴿مَعَهُمْ﴾؛ و الموجود ﴿مَعَهُمْ﴾ هي التوراة.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير «أنت»، خطاباً للنبي الأعظم ﷺ.

﴿فَ﴾ رابطة لجواب الشرط ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿لِمَ﴾ مركب من حرف جر «لِ» و «ما» الاستفهامية. جار ومجرور متعلق

بـ﴿تَقْتُلُونَ﴾.

﴿تَقْتُلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. الايتان بالمضارع «مع أن القتل قد مضى لقصد

استحضار الحالة الفطرية وقرينة ذلك قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾^١.

﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه؛ والمراد بهم رسل الله الذين بعثهم الله إلى اليهود أمثال: زكريا ويحيى عليهما السلام.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ حرف جر وظرف زمان مبني على الضم، متعلق بـ ﴿تَقْتُلُونَ﴾.

﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

معناه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عليكم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ «وقد حرم الله عليكم في الكتاب الذي أنزل عليكم قتلهم بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ وتعبير عليهم»^٢.

الروايات

العياشي رفعه قال جابر قال أبو جعفر: نزلت هذه الآية على محمد ﷺ هكذا والله ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لم ما ذا أنزل ربكم في عليّ «يعني بني أمية» ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعني في قلوبهم بما أنزل الله عليه ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما أنزل الله في عليّ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ يعني علياً عليه السلام^٣.

العياشي رفعه عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله في كتابه يحكي قول اليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَنَا بِقُرْآنٍ﴾^٤ الآية فقال ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما نزل هذا في قوم اليهود

١. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١/ ٥٩١.

٢. التبيان ١/ ٣٥١.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٤٣، ح ٧٥.

٤. سورة آل عمران / ١٨٣.

وكانوا على عهد محمد ﷺ لم يقتلوا الأنبياء بأيديهم ولا كانوا في زمانهم، وإنما قتل أوائلهم الذين كانوا من قبلهم فنزلوا بهم أولئك القتلة، فجعلهم الله منهم وأضاف إليهم فعل أوائلهم بما تبعوهم وتولّوهم.^١

القاضي نعمان المصري قال: وقد روينا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ أن سائلاً سأله فقال يا ابن رسول الله أخبرني عن آل محمد ﷺ من هم؟ قال: هم أهل بيته خاصة. قال: فإن العامة يزعمون أن المسلمين كلهم آل محمد. فتبسّم أبو عبد الله ثم قال: كذبوا وصدقوا. قال السائل: يا ابن رسول الله ما معنى قولك كذبوا وصدقوا؟ قال: كذبوا بمعنى وصدقوا بمعنى كذبوا في قولهم المسلمون هم آل محمد الذين يوحدون الله ويقرون بالنبي ﷺ على ما هم فيه من النقص في دينهم والتفريط فيه وصدقوا في أن المؤمنين منهم من آل محمد وإن لم يناسبوه وذلك لقيامهم بشرائط القرآن لا على أنهم آل محمد الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فمن قام بشرائط القرآن وكان متبعاً لآل محمد ﷺ فهو من من آل محمد على التولي لهم وإن بعدت نسبته من نسبة محمد ﷺ قال السائل: أخبرني ما تلك الشرائط جعلني الله فداك التي من حفظها وقام بها كان بذلك المعنى من آل محمد. فقال: القيام بشرائط القرآن والاتباع لآل محمد ﷺ فمن تولّاهم وقدمهم على جميع الخلق كما قدمهم الله من قرابة رسول الله ﷺ فهو من آل محمد على هذا المعنى وكذلك حكم الله في كتابه فقال جل ثناؤه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^٢ وقال يحكي قول إبراهيم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣ وقال في اليهود يحكي قول ﴿الَّذِينَ قَالُوا

١. تفسير العياشي ١/١٤٣، ح ٧٦.

٢. سورة المائدة / ٥١.

٣. سورة إبراهيم / ٣٦.

إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ^١ قَالَ اللَّهُ ﷻ لَنَبِيِّهِ
 ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢
 وقال في موضع آخر ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإِنَّمَا نَزَلَ
 هذا في قوم من اليهود كانوا على عهد رسول الله ﷺ فلم يقتلوهم الأنبياء بأيديهم
 ولا كانوا في زمانهم ولكن قتلهم أسلافهم ورضوا هم بفعلهم وتولواهم على ذلك
 فأضاف الله ﷻ إليهم فعلهم وجعلهم منهم لاتباعهم إياهم. قال السائل: أعطني
 جعلني الله فداك حجة من كتاب الله أستدل بها على أن آل محمد هم أهل بيته خاصة
 دون غيرهم. قال: نعم قال الله ﷻ وهو أصدق القائلين ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
 وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٣ ثم بين من أولئك الذين اصطفاهم فقال
 ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٤ ولا تكون ذرية القوم إلا نسلهم وقال ﷻ
 ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^٥

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ هؤلاء اليهود
 الذين تقدّم ذكرهم ﴿ءَامِنُوا بِمَا أُنزَلَ إِلَهُ﴾ على محمد من القرآن المشتمل على الحلال
 والحرام والفرائض والأحكام ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهو التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ
 بِمَا وَرَاءَهُ﴾ يعني ما سواه لا يؤمنون به ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ والذي يقول هؤلاء اليهود «أنه
 وراءه» هو الحق لأنه هو الناسخ للمنسوخ الذي قدّمه الله تعالى. قال الله تعالى ﴿قُلْ فَلِمَ
 تَقْتُلُونَ﴾ لم كان يقتل أسلافكم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة، أي

١. سورة آل عمران / ١٨٣.

٢. سورة آل عمران / ١٨٣.

٣. سورة آل عمران / ٣٣.

٤. سورة آل عمران / ٣٤.

٥. سورة سبأ / ١٣.

٦. دعائم الإسلام ١ / ٢٩.

ليس في التوراة الأمر بقتل الأنبياء، فإذا كنتم ﴿تَقْتُلُونَ﴾ الأنبياء، فما آمنتم بما أنزل عليكم من التوراة، لأن فيها تحريم قتل الأنبياء. وكذلك إذا لم تؤمنوا بمحمد، وبما أنزل عليه وهو القرآن وفيه الأمر بالإيمان به فأنتم ما آمنتم بعد بالتوراة.^١

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾

حكاية قلة بصيرة اليهود في الدين وضعفهم في اليقين وبطلان دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم خاصة.

﴿و﴾ عطفت ما بعده على قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾^٢.

﴿ل﴾ حرف الابتداء، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿جَاءَكُمْ﴾ فعل ماض ومفعول به. ﴿مُوسَى﴾ فاعل.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾؛ والمراد بها ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على

صدق موسى النبي ﷺ وصحة نبوته، كقلب العصا حية، وانبجاس الماء من الحجر واليد البيضاء وخلق البحر والجراد والقمل والضفادع وغيرها من الآيات وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر.

﴿ثُمَّ﴾ للترتيب ولكن المراد بها التوبيخ والتعجب والاستعظام لكفرهم.

﴿أَخَذْتُمْ﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿الْعِجْلَ﴾ مفعول به، إلهاً ومعبوداً.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه؛ والضمير يعود إلى النبي موسى ﷺ

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ / ٤٠٣.

٢. سورة البقرة / ٩١.

«لَمَّا فَارَقَهُمْ وَمَضَىٰ إِلَىٰ مِيقَاتِ رَبِّهِ»^١.

﴿و﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿ظَلِمُوتٍ﴾ خبر. ﴿ظَلِمُوتٍ﴾ أنفسكم.

رواية

في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال الله تعالى لليهود الذين تقدم ذكرهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات على نبوته، وعلى ما وصفه من فضل محمد وشرفه على الخلائق، وأبان عنه من خلافة علي ووصيته، وأمر خلفائه بعده ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد انطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته الذي نص عليه وتركه عليكم، وهو هارون عليه السلام ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُوتٍ﴾ كافرون بما فعلتم من ذلك.^٢

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ

بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

تتمة بيان فضائح اليهود وعدّها.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ مرّت في الآية ٦٣ من هذه السورة وسرّ تكريرها تأكيد وإيجاب الحجة عليهم على عادة العرب

١. التبيان ١/ ٣٥٣.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٠٨.

في مخاطباتها أو غيرهما.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿أَسْمَعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. معطوف على ﴿خُذُوا﴾، أي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله.

﴿قَالُوا﴾ في جواب أوامر الله بالأخذ والسمع والطاعة. التفات من الحضور إلى الغياب.

﴿سَمِعْنَا﴾ فعل ماض وفاعله. أي ﴿سَمِعْنَا﴾ قول الله. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿عَصَيْنَا﴾ أي ﴿عَصَيْنَا﴾ أمرك. «وفيه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا أمرك.

والثاني: أن حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دُلَّ عليه»^١.

﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿أُشْرِبُوا﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله. الإشراب: السقي والمخالطة والامتزاج واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيءٍ وداخلاً فيه.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أُشْرِبُوا﴾. أي دخل ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

﴿أَلْعَجَلْ﴾ مفعول به ﴿أُشْرِبُوا﴾ على حذف المضاف وهو الحب.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿أُشْرِبُوا﴾. أي بسبب

﴿كُفْرِهِمْ﴾ بالله ﴿أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ حب ﴿أَلْعَجَلْ﴾.

﴿قُلْ﴾ خطاباً للرسول الأعظم ﷺ.

﴿يَسْمَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» و «ما» نكرة بمعنى «شيء»

مفسرة لفاعل «بئس».

﴿يَا مُرْكُم﴾ فعل مضارع ومفعول به. والضمير يعود إلى اليهود.

﴿بِهَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَا مُرْكُم﴾.

﴿إِيْمَنُكُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. لأنهم يدعون الإيمان ويقتلون الأنبياء

ويكذبون رسل الله ويحرفون الكتب السماوية ويحددونها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مرّ في الآية ما قبل السابق.

الروايات

العياشي رفعه عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ
أَلْعِجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ قال: لما ناجى موسى عليه السلام ربه أوحى الله إليه أن يا موسى قد فتنت
قومك. قال: وبماذا يا رب؟ قال: بالسّامري. قال: وما فعل السّامري؟ قال: صاغ لهم
من حليهم عجلاً، قال: يا رب إن حليهم لتحتمل أن يصاغ منه غزال أو تمثال أو عجل
فكيف فتنتهم؟ قال: إنه صاغ لهم عجلاً فخار قال يا رب ومن أخاره؟ قال: أنا فقال
عندها موسى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾^١ قال: فلما
انتهى موسى إلى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسّرت. فقال
أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند إخبار الله إياه. قال فعمد موسى فبرد
العجل من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار، فذره في أليم قال فكان أحدهم ليقع في
الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرض بذلك للرماد فيشربه، وهو قول الله ﴿وَأُشْرِبُوا فِي
قُلُوبِهِمْ أَلْعِجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^٢.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله تعالى واذكروا إذ فعلنا ذلك

١. سورة الأعراف / ١٥٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٤٤، ح ٧٧.

بأسلافكم لما أبوا قبول ما جاءهم به موسى عليه السلام من دين الله وأحكامه، ومن الأمر بتفضيل محمد وعلي عليهما السلام وخلفائهما على سائر الخلق ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ قلنا لهم خذوا ما آتيناكم من هذه الفرائض ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قد جعلناها لكم، مكناكم بها، وأزحنا عللكم في تركيبتها فيكم ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما يقال لكم و [ما] تؤمرون به ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، أي إنهم عصوا بعد، وأضمرنا في الحال أيضا العصيان ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أمروا بشرب العجل الذي كان قد ذرأت سحالته في الماء الذي أمروا بشربه ليتبين من عبده ممن لم يعبدته ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ لأجل كفرهم أمروا بذلك. ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بموسى كفركم بمحمد وعلي وأولياء الله من أهلها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بتوراة موسى، ولكن معاذ الله لا يأمركم إيمانكم بالتوراة الكفر بمحمد وعلي عليهما السلام ١.

وفيه أيضاً قال الإمام عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تعالى ذكر بني إسرائيل في عصر محمد عليه السلام أحوال آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام كيف أخذ عليهم العهد والميثاق لمحمد وعلي وآلهما الطيبين المنتجبين للخلافة على الخلائق ولأصحابها وشيعتهما وسائر أمة محمد عليه السلام فقال ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ اذكروا إذ أخذنا ميثاق آبائكم ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ الجبل لما أبوا قبول ما أريد منهم والاعتراف به ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾ يعني بالقوة التي أعطيناكم تصلح لكم لذلك ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ أي أطيعوا فيه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ بأذاننا ﴿وَعَصَيْنَا﴾ بقلوبنا. فأما في الظاهر فأعطوا كلهم الطاعة داخرين صاغرين، ثم قال ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ عرضوا لشرب العجل الذي عبده حتى وصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم.

وقال: إن بني إسرائيل لما رجع إليهم موسى وقد عبدوا العجل تلقوه بالرجوع عن ذلك، فقال لهم موسى من الذي عبده منكم حتى أنفذ فيه حكم الله خافوا من

حكم الله الذي ينفذه فيهم، فجحدوا أن يكونوا عبده، وجعل كل واحد منهم يقول أنا لم أعبده وإنما عبده غيري ووشى بعضهم ببعض. فكذلك ما حكى الله ﷻ عن موسى من قوله للسامري ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^١ فأمره الله، فبرده بالمبارد، وأخذ سحالته فذراها في البحر العذب، ثم قال لهم أشربوا منه. فشربوا، فكل من كان عبده اسودت شفتاه وأنفه (ومن كان أبيض اللون ومن كان منهم أسود اللون) أبيضت شفتاه وأنفه، فعند ذلك أنفذ فيهم حكم الله.

ثم قال الله تعالى للموجودين من بني إسرائيل في عصر محمد ﷺ على لسانه ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين بك بعد سماعهم ما أخذ على أوائلهم لك ولأخيك علي ولآلكما ولشيعتكما ﴿يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمُنُكُمْ﴾ أن تكفروا بمحمد ﷺ وتستخفوا بحق علي وآله وشيعته ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما تزعمون بموسى ﷺ والتوراة. قال ﷺ وذلك أن موسى ﷺ كان وعد بني إسرائيل أنه يأتيهم من عند الله بكتاب يشتمل على أوامره ونواهيه وحدوده وفرائضه بعد أن ينجيهم الله تعالى من فرعون وقومه، فلما نجّاهم الله وصاروا بقرب الشام، جاءهم بالكتاب من عند الله كما وعدهم وكان فيه: إني لا أتقبل عملاً ممن لم يعظم محمداً وعلياً وأهلها الطيبين ولم يكرم أصحابها وشيعتهما ومحبيهما حق تكريمهم، يا عبادي ألا فاشهدوا بأن محمداً خير خليقتي، وأفضل بريتي، وأن علياً أخوه وصفيّه ووارث علمه، وخليفته في أمته وخير من يخلفه بعده، وأن آل محمد أفضل آل النبيين، وأصحاب محمد ﷺ أفضل أصحاب المرسلين، وأمة محمد ﷺ خير الأمم أجمعين. فقال بنو إسرائيل لا نقبل هذا يا موسى، هذا عظيم ثقيل علينا، بل نقبل من هذه الشرائع ما يخفّ علينا، وإذا قبلناها قلنا إن نبينا أفضل نبي، وآله أفضل آل وصحابته أفضل صحابة، ونحن أمته أفضل

من أمة محمد، ولسنا نعترف لقوم بالفضل لا نراهم ولا نعرفهم.^١

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً

مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾



ردّ على بعض مزاعم اليهود من أنّ الجنة خالصة لهم دون الناس كلّهم فلهم الدار الآخرة.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للرسول الخاتم ﷺ .
﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿كَانَتْ﴾ فعل ماض ناقص في محل جزم لأنّه فعل الشرط.
﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بخبر مقدم ﴿كَانَتْ﴾ أو بـ ﴿كَانَتْ﴾ و ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبر ﴿كَانَتْ﴾، والأوّل أظهر وتقديمه يفيد الحصر.
﴿الدَّارُ﴾ اسم مؤخر ﴿كَانَتْ﴾. ﴿الْآخِرَةُ﴾ نعت لـ ﴿الدَّارِ﴾، والمراد بها الجنة.
﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف مكان متعلّق بـ ﴿كَانَتْ﴾ ومضاف إليه. والاضافة تشريعية.
﴿خَالِصَةً﴾ حال من ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾. ﴿خَالِصَةً﴾: الصافية وغير مشوبة.
﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه؛ وجار و مجرور متعلّق بـ ﴿خَالِصَةً﴾؛ وتأكيدها.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿تَمَنَّوْا﴾ فعل أمر وفاعله، جواب الشرط. صورته الأمر وواقعه التوبيخ والزام

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٤٢٥.

الحجة واقامة البرهان. «التميني فهو قول لما كان ليته لم يكن، ولما لم يكن ليته كان»^١.

﴿أَلَمْ تَوْفَّرْ مَفْعُولَ بِهِ.﴾ ﴿إِنْ﴾ شرطية.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض وناقص واسمه. فعل الشرط.

﴿صَدِّقِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

تقريب الاستدلال: البرهان يتني على «لازم فطري بين الأثر في الخارج بحيث لا يقع فيه أدنى الشك وهو إن الإنسان بل كل موجود ذي شعور إذا خيّر بين الراحة والتعب إختار الراحة من غير تردد وتذبذب وإذا خيّر بين حياة وعيشة مكدرة مشوبة وأخرى خالصة صافية إختار الخالصة الهنيئة قطعاً ولو فرض إبتلائه بها كان يميل عنه إلى غيره من حياة شقية رديّة أو عيشة منغصة لم يزل يتمنى الأخرى الطيبة الهنيئة فلا ينفك عن التحسر له في قلبه وعن ذكره في لسانه وعن السعي إليه في عمله. فلو كانوا صادقين في دعويهم أن السعادة الخالصة الأخروية لهم دون غيرهم من الناس وجب أن يتمنّوه جناناً ولساناً وأركاناً»^٣.

الروايات

خبر الحسن بن علي الناصري عن أبيه عن أبي جعفر الجواد عليه السلام عن أبيه الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال علي بن الحسين عليه السلام: لما اشتد الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام نظر إلى من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم وارتعدت فرائضهم ووجلّت قلوبهم وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من

١. التبيان ١/ ٣٥٧.

٢. سورة الجمعة / ٦.

٣. الميزان ١/ ٢٢٧ و ٢٢٨.

خصائصه تشرق ألوانهم وتهدى جوارجهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض: أنظروا لا يبالي بالموت، فقال لهم الحسين عليه السلام: صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأياكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إن أبي حدثني عن رسول الله ﷺ: إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت وما كُذبت^١.

خبر الصدوق بهذا الإسناد عن علي بن محمد قال: قيل لمحمد بن علي بن موسى: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله ﷻ لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خيراً لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام: يا أبا عبدالله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المتقي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدى إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السّلامات^٢.

خبر الصدوق بهذا الإسناد عن الحسن بن علي عليه السلام قال: دخل علي بن محمد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت فقال له: يا عبدالله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، رأيته إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو ما تكره، أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله، قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام وهو آخر ما بقي عليك من

١. معاني الأخبار / ٢٨٨، ح ٣.

٢. معاني الأخبار / ٢٩٠، ح ٨.

تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غمٍّ وهمٍّ وأذيٍّ ووصلت إلى كلِّ سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسييله.^١

خبر الطوسي قال: روى عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن اليهود تمنّوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار.^٢

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والمشهدى في كنز الدقائق^٤.

الطبرسي رفعه عن النبي ﷺ انه قال: لا يتميّز أحدكم الموت لِضُرِّ نزل به ولكن ليقل: اللهمّ أحيني مادامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.^٥

ورواها المشهدى في كنز الدقائق^٦ والكاشاني في منهج الصادقين^٧.

الطبرسي رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يطوف بين الصّفين بصفين في غلالة لما قال له الحسن ابنه: ما هذا زيّ الحرب، قال عليه السلام: يا نبيّ إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.^٨

روى نحوها في جوامع الجامع^٩ والرازي في روض الجنان^{١٠} والمشهدى في كنز الدقائق^{١١}

١. معاني الأخبار / ٢٩٠، ح ٩.

٢. التبيان / ١ / ٣٥٧.

٣. مجمع البيان / ١ / ١٦٤ (٢ / ٤٠٦).

٤. كنز الدقائق / ١ / ٣٠٢.

٥. مجمع البيان / ١ / ١٦٤ (٢ / ٤٠٣).

٦. كنز الدقائق / ١ / ٣٠٢.

٧. منهج الصادقين / ١ / ٢٥٦.

٨. مجمع البيان / ١ / ١٦٤ (٢ / ٤٠٤).

٩. جوامع الجامع / ١ / ٦٤.

١٠. روض الجنان / ٢ / ٥٩.

١١. كنز الدقائق / ١ / ٣٠١.

والكاشاني في منهج الصادقين^١ والزخشي في الكشف^٢ والبيضاوي في تفسيره^٣.

الغَلَائَة: الثوب الذي يلبس تحت الثياب أو تحت الدرع الحديد.

خبر الطبرسي قال: ويروي: أن حبيب بن مظاهر ضحك يوم الطف فقيل له في ذلك، فقال: وأي موضع أحق بالسرور من هذا الموضع؟! والله ما هو إلا أن يقبل علينا هذا القوم بسيوفهم فنعانق الحور العين.^٤

رويت نحوها في كتابي يوم الطف^٥ عن رجال الكشي^٦ فراجع.

الرازي رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم.^٧

الكاشاني رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال حين ضربه ابن ملجم المرادي لعنه الله: فزت ورب الكعبة.^٨

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله تعالى لما وبخ [هؤلاء] اليهود على لسان رسوله محمد ﷺ وقطع معاذيرهم، وأقام عليهم الحجج الواضحة بأن محمداً ﷺ سيد النبيين وخير الخلائق أجمعين، وأن علياً سيد الوصيين، وخير من يخلفه بعده في المسلمين، وأن الطيبين من آلهم القوام بدين الله والأئمة لعباد الله ﷻ، وانقطعت معاذيرهم وهم لا يمكنهم إيراد حجة ولا شبهة، فجاءوا إلى أن كابروا، فقالوا لا

١. منهج الصادقين ١ / ٢٥٥.

٢. الكشف ١ / ١٦٦.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي / ٣٦ من طبع الحجري.

٤. جوامع الجامع ١ / ٦٤.

٥. يوم الطف / ٨١.

٦. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ١ / ٢٩٢، ح ١٣٣، طبع مؤسسة آل البيت عليه السلام.

٧. روض الجنان ٢ / ٦٠.

٨. منهج الصادقين ١ / ٢٥٥.

ندري ما تقول، ولكننا نقول إنّ الجنة خالصة لنا من دونك يا محمد ودون عليّ ودون أهل دينك وأمتك وإنّا بكم مبتلون [و] ممتحنون، ونحن أولياء الله المخلصون وعباده الخيرون، ومستجاب دعاونا، غير مردود علينا بشيء من سؤالنا ربنا. فلما قالوا ذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ﴾ **﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾** الجنة ونعيمها **﴿خَالِصَةٌ مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾** محمد وعلي والأئمة، وسائر الأصحاب ومؤمني الأمة، وأنكم بمحمد وذريته ممتحنون، وأن دعاءكم مستجاب غير مردود **﴿فَتَمَنُّوا أَلَمَوْتَ﴾** للكاذبين منكم ومن مخالفكم، فإن محمداً وعلياً وذويهما يقولون **﴿إِنَّهُمْ هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ﴾** من دون الناس الذين يخالفونهم في دينهم، وهو المجاب دعاؤهم **﴿فَإِنْ كُنْتُمْ مَعَاشِرَ الْيَهُودِ كَمَا تَدْعُونَ، فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ لِلكَاذِبِينَ مِنْكُمْ وَمِنْ مَخَالِفِكُمْ﴾** **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** بأنكم أنتم المحقون، المجاب دعاؤكم على مخالفكم، فقولوا **﴿اللَّهُمَّ أَمْتَ الْكَاذِبِ مِنَّا وَمِنْ مَخَالِفِينَا﴾** ليستريح منه الصادقون، ولتزداد حجّتكم وضوحاً بعد أن قد صحت ووجبت. ثم قال لهم رسول الله ﷺ بعد ما عرض هذا عليهم لا يقولها أحد منكم إلّا غص بريقه فمات مكانه. وكانت اليهود علماء بأنهم هم الكاذبون، وأن محمداً ﷺ وعلياً ﷺ ومصدّقيهما هم الصادقون، فلم يجسروا أن يدعوا بذلك لعلمهم بأنهم إن دعوا فهم الميتون.^١

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

تتمة الردّ السابق.

﴿و﴾ استثنائية. ﴿لن﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٤٢.

﴿يَتَمَنَّوْهُ﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿لَنْ﴾. وفاعله ومفعول به.
 ﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان متعلق بـ ﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾. ﴿يَرْ﴾ للسببية.
 ﴿مَا﴾ موصولة ﴿بِمَا﴾ متعلق بفعل ﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾. ﴿قَدَّمْتُ﴾ فعل ماض.
 ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. من قتل الأنبياء والكفر بموسى ونقض المواثيق.
 و ﴿بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ «كناية عن العمل فإن معظم العمل عند الحس يقع بواسطة اليد فيقدم بعد ذلك إلى من ينتفع به أو يطلبه ففيه عنايتان نسبة التقديم إلى الأيدي دون أصحاب الأيدي وعد كل فعل عملاً للأيدي.
 وبالجملة أعمال الإنسان وخاصة ما يستمر صدوره منه أحسن دليل على ما طوى عليه ضميره وارتكز في باطنه والأعمال الطالحة والأفعال الخبيثة لا يكشف إلا عن طوية خبيثة تأبي أن تميل إلى لقاء الله والحلول في دار أوليائه»^١.
 ﴿و﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿عَلِيمٌ﴾ خبر.
 ﴿بِالظَّالِمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلِيمٌ﴾. خصَّ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بالذكر لأنهم منهم.

الروايات

خبر السكوني عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال له: مالي لا أحبُّ الموت؟ فقال له: ألك مال؟ قال: نعم، قال: فقدَّمته؟ قال: لا، قال: فَمِنْ ثَمَّ لا تحبُّ الموت.^٢

الصدوق بإسناده إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سُئل ما الموت الذي جهلوه؟ قال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذ نقلوا من دار النكد إلى نعيم الأبد

١. الميزان ١/ ٢٢٨.

٢. الخصال ١/ ١٣، ح ٤٧.

وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا من جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد.^١
 خبر الطبرسي قال: روى الكلبي عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول لهم: إن كنتم صادقين في مقاتلكم فقولوا اللهم أمتنا فو الذي نفسي بيده لا يقولها رجلٌ إلّا غصَّ بريقه فمات مكانه.^٢
 خبر الطبرسي قال: وفي الحديث: لو تمّنوا الموت لَغصَّ كلُّ إنسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهوديٌّ.^٣
 رواها الثعلبي في تفسيره^٤ عن ابن عباس عن النبي ﷺ والزخشي في الكشف^٥ والرازي في روض الجنان^٦ والمشهد في كنز الدقائق^٧.
 خبر الطبرسي قال: وهذه القصة شبيهة بقصة المبالهة وأن النبي ﷺ لما دعا النصاري إلى المبالهة امتنعوا لقلّة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي ﷺ في قوله: لو باهلوني لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.^٨
 الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ جائه رجل وقال: يا رسول الله ما بالنا نكره الموت؟ قال: قدّم مالك فإن قلب كل امرئٍ عند ماله.^٩
 في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: فقال الله تعالى ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني اليهود لن يتمنّوا الموت بما قدّمت أيديهم من كفرهم بالله،

١. معاني الأخبار / ٢٨٨، ح ٣.

٢. مجمع البيان / ١٦٤ / ١ (٢ / ٤٠٦).

٣. جوامع الجامع / ١ / ٦٥.

٤. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي / ١ / ٢٣٧.

٥. الكشف / ١ / ١٦٧.

٦. روض الجنان / ٢ / ٦٠.

٧. كنز الدقائق / ١ / ٣٠٢.

٨. مجمع البيان / ١٦٤ / ١ (٢ / ٤٠٦).

٩. روض الجنان / ٢ / ١١٢.

٥٣٨ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

وبمحمد رسول الله ونبيه وصفيه، وبعلي أخيه ونبيه ووصيه وبالطاهرين من الأئمة المنتجبين. قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ اليهود إنهم لا يحسرون أن يتمنوا الموت للكاذب، لعلمهم بأنهم هم الكاذبون، ولذلك أمر أن تبهرهم بحجتك وتأمرهم أن يدعوا على الكاذب، لِيَمْتَنِعُوا من الدعاء، ويتبين للضعفاء أنهم هم الكاذبون.^١

﴿وَلْتَجِدْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

إخبار عن أحوال اليهود ودليل على عدم تمنيه الموت أبداً وتتمة الرد السابق عليهم.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^٢.

﴿لَ﴾ لام القسم. أي والله ﴿لَ﴾.

﴿تَجِدْهُمْ﴾ فعل مضارع ونون التأكيد الثقيلة وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. «وَجَدَهُ وَصَادَفَهُ وَأَلْفَاهُ نَظَائِرُ يُقَالُ وَجَدْتُ الشَّيْءَ وَجَدَانًا إِذَا أَصْبَتْهُ وَيُقَالُ وَجَدْتُ بِمَعْنَى عَلِمْتُ»^٣. ﴿تَجِدَ﴾ من الوجدان.

﴿أَحْرَصَ﴾ مفعول به ثان، اسم تفضيل، الحِرْصُ: شدة الطلب.

﴿النَّاسِ﴾ مضاف إليه.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٤٤٢.

٢. سورة البقرة / ٩٥.

٣. مجمع البيان / ٢ / ٤٠٧.

﴿عَلَى حَيَوةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحْرَصَ﴾ والتذكير للتحقير.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ حرف جر واسم موصول، جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحْرَصَ﴾
ومعطوف على ﴿النَّاسِ﴾.

﴿أَشْرَكُوا﴾ فعل ماض وفاعله. يعني: اليهود هم الذين ﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى﴾
الحياة الدنيا حتى هم أحرص من المشركين، ومن المعلوم لا مانع ولا حاجب عن تمني
﴿الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾^١ إلا الحرص على الدنيا والإخلاص إليها.
وتخصيص المشركين بالذكر «لأنَّ من لا يؤمن بالبعث والنشور يكون حرصه
على البقاء في الدنيا أكثر ممن يعتقد الثواب والعقاب»^٢.

﴿يَوَدُّ﴾ فعل مضارع، المودَّة: إبراز المحبة. بيان أحرصيتهم على الحياة.
﴿أَحَدُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه؛ والضمير يعود إلى اليهود.
﴿لَوْ﴾ حرف مصدري بمعنى «أن».

﴿يُعَمَّرُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ بتأويل المصدر
«التعمير» مفعول به. التعمير: طول العمر.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تمييز ومضاف إليه. يعني «يتمنى كل واحد منهم أن يعمر في الحياة
الدُّنيا ألف سنة، أو أكثر، لأنه يعلم أنَّ البقاء في الدُّنيا مع الآلام والمشاقَّ خيرٌ له من
الآخرة، فإنَّ فيها العذاب»^٣.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن أو القصة. مبتدأ.
﴿بِمَزْحٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. خبر. المزح: المبعَّد والمتنحِّي.

١. سورة البقرة / ٩٤.

٢. التبيان ٤ / ٣٦١.

٣. مواهب الرحمن ١ / ٤٦٨.

﴿مَنْ أَلْعَذَابِ﴾ جار ومجرور متعلق باسم فاعل ﴿مُزَحَّحٍ﴾.
﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُعَمَّرُ﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ضمير مستتر «هو». بتأويل مصدر فاعل
اسم الفاعل ﴿مُزَحَّحٍ﴾ وتقديره: ﴿مَا﴾ يزحزه تعميره ﴿مَنْ أَلْعَذَابِ﴾.
﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ. ﴿بَصِيرٌ﴾ خبر، بمعنى عليم هنا.
﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَصِيرٌ﴾، ﴿مَا﴾ موصولة.
﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

خبر الطوسي قال: روى عن علي عليه السلام أنه قال: لا أبالي سَقَطَ الموتُ عليَّ أو
سقطتُ على الموت.^١

وعنه عليه السلام: اللهم سئمتهم وسئمونني، فابدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً
مني.^٢

وعنه عليه السلام: اللهم عجل لي الراحة وعجل لهم الشقوة.^٣
الطبرسي رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: بقيّة عمر المؤمن لا قيمة له يُدْرِكُ
بها مافات ويحيي بها ما أمات.^٤
يعني: لا قيمة له من جهة الكثرة.
ورواها المشهدي في كنز الدقائق^٥ والكاشاني في منهج الصادقين^٦.

١. التبيان ١/ ٣٦١.

٢. التبيان ١/ ٣٦١.

٣. التبيان ١/ ٣٦١.

٤. مجمع البيان ١/ ١٦٦.

٥. كنز الدقائق ١/ ٣٠٣.

٦. منهج الصادقين ١/ ٢٥٨.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ثم قال يا محمد ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ يعني تجد هؤلاء اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ وذلك لياسهم من نعيم الآخرة لأنهم كفرة في كفرهم الذي يعلمون أنه لا حظ لهم معه في شيء من خيرات الجنة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال تعالى هؤلاء اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾. وأحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ على حياة يعني المجوس لأنهم لا يرون النعيم إلا في الدنيا، ولا يأملون خيراً في الآخرة، فلذلك هم أشد الناس حرصاً على حياة. ثم وصف اليهود فقال ﴿يُودُ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ﴾ التعمير ألف سنة ﴿بِمُزَحْزِحَةٍ﴾ بمباعدته ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ﴾ تعميره وإنما قال ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحَةٍ﴾ من العذاب أن يُعْمَرَ ولم يقل وما هو بمزحزحه فقط لأنه لو قال وما هو بمزحزحه من العذاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ لكان يحتمل أن يكون ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني وده وتمنيه ﴿بِمُزَحْزِحَةٍ﴾ فلما أراد وما تعميره، قال ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحَةٍ﴾ من العذاب أن يُعْمَرَ. ثم قال ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فعلى حسبه يجازيهم ويعدل عليهم ولا يظلمهم.^١

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

«الآية نزلت جواباً عما قالت اليهود وأنتهم تأبوا واستنكفوا عن الإيمان بما أنزل على رسول الله ﷺ، وعلّلوه بأنهم عدو لجبريل النازل بالوحي إليه»^٢.
﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم ﷺ وما

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٤٢.

٢. الميزان ١/ ٢٢٩.

بعده مقول القول.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ؛ وجعلنا فعل الشرط وجزائه خبره.
 ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو». فعل الشرط.
 ﴿عَدُوًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. العدو: ضد الصديق.
 ﴿لَجَبْرِيْلَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿عَدُوًّا﴾؛ وهو الملك المرسل من الله تعالى بالوحي إلى أنبيائه.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه؛ والضمير يعود إلى ﴿جَبْرِيْلَ﴾.
 ﴿تَزَلُّهُ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به؛ والضمير المفعولي يرجع إلى القرآن الكريم.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه؛ متعلق بـ﴿تَزَلُّهُ﴾؛ والضمير الخطاب يعود إلى الرسول الأعظم ﷺ .

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه؛ متعلق بـ﴿تَزَلُّهُ﴾.
 ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿تَزَلُّهُ﴾ العائد إلى القرآن.
 ﴿لَمَّا﴾ حرف جر ومجروره «ما» موصولة، متعلق باسم فاعل ﴿مُصَدِّقًا﴾.
 ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان.

﴿يَدَيْهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان؛ والضمير يعود إلى القرآن يعني القرآن يصدق ما سبقه من الكتب السماوية.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿هُدًى﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿بُشْرَى﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾.
 ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿هُدًى﴾ أو ﴿بُشْرَى﴾ أو هما معاً.
 واختصاص الهدى والبشرى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بجهة أنهم المهتدين به والعاملين بها فيه

فيوجب هدايتهم في مقام العمل وبشارة لهم بالنعيم الآخرة الدائمة.

والحاصل: الآية الشريفة جواب عن قول اليهود: «إنا لا نؤمن بالقرآن لعداوتنا لجبريل النازل به:

أولاً: أن جبريل إنما نزل به على قلبك بإذن الله لا من عند نفسه فعداوتهم لجبريل لا ينبغي أن يوجب إعراضهم عن كلام نازل بإذن الله.

ثانياً: أن القرآن مصدق لما في أيديهم من الكتاب الحق ولا معنى للإيهان بأمر والكفر بما يصدقه.

ثالثاً: أن القرآن هدى للمؤمنين به.

رابعاً: أنه بشرى وكيف يصح لعاقل أن ينحرف عن الهداية ويغمض عن البشرى ولو كان الآتي بذلك عدواً له»^١.

الروايات

خبر انس بن مالك قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يحترث فأتى النبي فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ووصي نبي؟ ما أول أشرط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال ﷺ: أخبرني بهن جبرئيل عليه السلام، قال: نعم، قال: ذلك عدو اليهود من الملائكة، قال ثم قرأ هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أما أول أشرط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه، قال: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أنك رسول الله.

أن اليهود قوم بهت وإنهم إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني،

فجاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ ، فقال: أي رجل عبد الله بن سلام؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيّدنا وابن سيّدنا، قال: رأيتم إن اسلم عبد الله، قالوا: أعاذة الله من ذلك، فخرج عبد الله وقال: اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ﷺ ، قالوا: شرنا وابن شرنا وأنفضوا، قال: فقال: هذا الذي كنت أخاف منه يا رسول الله. ١
خبر الطوسي قال: كان سبب نزول هذه الآية ما روي أن سوريا وجماعة من يهود أهل فدك لما قدّم النبي ﷺ المدينة سألوه، فقالوا: يا محمد كيف نومك؟ فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان، فقال: تنام عيناوي وقلبي يقظان، فقالوا: صدقت يا محمد.

فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة، قالوا: صدقت يا محمد.

فما بال الولد يشبه اعمامه وليس فيه من شبه اخواله شيء، أو يشبه اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شيء؟ فقال: أيها علا ماؤه كان اشبه له، قالوا: صدقت يا محمد.

فأخبرنا عن ربك ما هو؟ فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٢.

فقال ابن سوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك، أي ملك يأتيك بما ينزل الله لك؟ قال: جبرئيل، قالوا: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك. فأنزل الله ﷻ هذه الآية. ٣

١. علل الشرايع ١/ ٩٤، ح ٣.

٢. سورة الإخلاص / ٤-١.

٣. التبيان ١/ ٣٦٣.

ورواها الطبرسي عن ابن عباس في مجمع البيان^١ والرازي في روض الجنان^٢ والمشهدي في كنز الدقائق^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.

خبر الطبرسي قال: روي أنّ عبد الله بن سوريا وهو من أحبار فذك سأل رسول الله ﷺ عمّن يهبط عليه الوحي، فقال: جبرئيل، فقال: ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنّا بك، فنزلت جواباً لقوله وردّاً عليه.^٥

خبر شهر بن حوشب قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه رهط من اليهود فقالوا إنا سائلوك عن أربع خصال فإن أخبرتنا عنها صدقناك وآمنّا بك. فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه. قالوا: نعم. قال: سلوا عما بدا لكم. قالوا: عن الشبه كيف يكون من المرأة وإنما النطفة للرجل؟ فقال أنشدكم بالله أتعلمون أنّ نطفة الرجل بيضاء غليظة وأن نطفة المرأة حمراء رقيقة فأيتهما غلبت صاحبتهما كانت لها الشبه؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ قال أنشدكم بالله هل تعلمون أن أحب الطعام والشراب إليه لحوم الإبل وألبانها فاشتكى شكوى فلما عافاه الله منها حرّمها على نفسه ليشكر الله به؟ قالوا: اللهم نعم. قالوا: أخبرنا عن نومك كيف هو؟ قال: أنشدكم بالله هل تعلمون من صفة هذا الرجل الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟ قالوا: اللهم نعم. قال وكذا نومي. قالوا فأخبرنا عن الروح؟ قال أنشدكم بالله هل تعلمون أنه جبرئيل عليه السلام؟ قالوا: اللهم نعم. وهو الذي يأتيك وهو لنا عدو وهو ملك إنّما يأتي بالغلظة وشدة الأمر ولو لا ذلك لآتبعتناك. فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ إلى قوله

١. مجمع البيان / ١ / ١٦٧.

٢. روض الجنان / ٢ / ٦٣.

٣. كنز الدقائق / ١ / ٣٠٤.

٤. منهج الصادقين / ١ / ٢٥٨.

٥. جوامع الجامع / ١ / ٦٦.

﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ ٢.١

خبر أبو منصور الطبرسي رفعه عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله بن سوريا غلام يهودي أعور، تزعم اليهود أنه اعلم يهودي بكتاب الله وعلوم أنبيائه عن مسائل كثيرة يعنته فيها^٣ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وآله بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلاً.

فقال له: يا محمد من يأتيك بهذه الأخبار عن الله؟ قال صلى الله عليه وآله: جبرئيل، قال: لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك ولكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة، فلو كان ميكائيل أو غيره سوى جبرئيل يأتيك لآمنت بك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم اتخذتم جبرئيل عدواً؟ قال: لأنه ينزل بالبلاء والشدة على بني إسرائيل ودفع دانيال عن قتل بخت نصر حتى قوي أمره، وأهلك بني إسرائيل وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل وميكائيل يأتينا بالرحمة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحك أجهلت أمر الله وما ذنب جبرئيل إلا أن اطاع الله في ما يريد بهكم؟ أرأيت ملك الموت هو عدوكم وقد وكله الله بقبض أرواح الخلق؟ أرأيتم الآباء والامهات إذا أوجروا الأولاد الدواء الكرية لمصالحهم، أيجب أن يتخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك. ولكنكم بالله جاهلون وعن حكمه غافلون.

أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان وله مطيعان وأنه لا يعادي أحدهما إلا من عادى الآخر وأن من زعم أنه يحب أحدهما ويبغض الآخر فقد كفر وكذب

١. سورة البقرة / ١٠٠.

٢. قصص الأنبياء / ٢٩٦، ح ٣٦٩.

٣. يعنته فيها: يطلب زلته ويشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ادأؤه.

٤. الوجور: الدواء يُجعل في وسط الفم.

وكذلك محمد رسول الله وعليّ أخوان كما أنّ جبرئيل وميكائيل أخوان فمن أحبّهما فهو من أولياء الله ومن أبغضهما فهو من أعداء الله ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يجب الآخر فقد كذب وهما منه بريئان والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء.

وقال أبو محمد عليه السلام: كان سبب نزول قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيئ في جبرئيل وميكائيل وما كان من أعداء الله النصاب من قول أسوأ منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل وسائر ملائكة الله. أما ما كان من النصاب فهو أنّ رسول الله ﷺ لما كان لا يزال يقول في عليّ عليه السلام الفضائل التي خصه الله ﷻ بها والشرف الذي نحله الله تعالى وكان في كلّ ذلك يقول: أخبرني به جبرئيل عليه السلام عن الله ويقول في بعض ذلك جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنه عن يمين عليّ عليه السلام الذي هو أفضل من اليسار كما يفخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه الملك عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه على يساره ويفتخران على إسرافيل الذي خلفه بالخدمة وملك الموت الذي أقامه بالخدمة وأن اليمين واليسار أشرف من ذلك كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلّهم من ملكهم وكان رسول الله ﷺ يقول في بعض أحاديثه: إنّ الملائكة أشرفها عند الله أشدها لعلي بن أبي طالب عليه السلام حباً وإنّه قسم الملائكة في ما بينها والذي شرف عليّاً على جميع الورى بعد محمد المصطفى ويقول مرة إنّ ملائكة السماوات والحجب ليشتاقون إلى رؤية علي بن أبي طالب عليه السلام كما تشتاق الوالدة الشفيقة إلى ولدها البار الشفيق آخر من بقي عليها بعد عشرة دفتهم فكان هؤلاء النصاب يقولون إلى متى يقول محمد جبرئيل وميكائيل والملائكة كل ذلك تفخيم لعلي وتعظيم لشأنه ويقول الله تعالى لعليّ خاص من دون سائر الخلق برئنا من ربّ ومن ملائكة ومن جبرئيل ومن ميكائيل هم لعلي بعد محمد مفضلون وبرئنا من رسل الله الذين هم لعلي بعد محمد مفضلون وأمّا ما قاله اليهود فهو أنّ اليهود أعداء الله لما قدم

رسول الله ﷺ المدينة أتوه بعبد الله بن سوريا، فقال: يا محمد! كيف نومك؟ فإننا قد أخبرنا عن نوم النبي ﷺ الذي يأتي في آخر الزمان. فقال: تنام عيني وقلبي يقظان. قال: صدقت يا محمد ثم قال فأخبرني يا محمد الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال النبي ﷺ: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأمّا اللحم والدم والشعر فمن المرأة. قال: صدقت يا محمد. ثم قال: يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له. قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له؟ فقال ﷺ: إذا مغرت النطفة لم يولد له أي إذا حمرت وكدرت فإذا كانت صافية ولد له، الحديث^١.

أبو منصور الطبرسي رفعه إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال في حديث: ثم قال سلمان: «فإني أشهد أن من كان عدوًّا لجبرئيل، فإنه عدوٌّ لميكائيل، وإنهما جميعاً عدوٌّ لمن عاداهما، سلمان لمن سالمهما». فأنزل الله ﷻ عند ذلك موافقاً لقول سلمان ﷺ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ في مظاهرته لأولياء الله على أعداء الله، ونزوله بفضائل عليٍّ وليٍّ الله من عند الله ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فإن جبرئيل نزل هذا القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من سائر كتب الله ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنبوة محمد ﷺ وولاية علي عليه السلام ومن بعده من الأئمة بأنهم أولياء الله حقاً إذا ماتوا على موالاتهم لمحمد وعلي وآلهما الطيبين. ثم قال رسول الله ﷺ: يا سلمان إن الله صدق قيلك ووثق رأيك، وإن جبرئيل عن الله تعالى يقول يا محمد، سلمان والمقداد أخوان متصافيان في ودادك ووداد علي أخيك ووصيك وضيفك، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة [عدوان لمن أبغض أحدهما، ووليان لمن والاهما، ووالى محمدًا وعليًا و] عدوان لمن عادى محمدًا وعليًا

وأولياءهما ولو أحب أهل الأرض سلمان والمقداد كما يجبهما ملائكة السماوات والحجب والكرسي والعرش لمحض ودادهما لمحمد وعلي ومواليتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذب الله تعالى أحدا منهم بعذاب البتة.^١

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ

وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾



اجابة عن قولهم: إنا عدو لجبرئيل وأنه عدونا.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ؛ وجعلنا فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿كَانَ﴾. فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو». فعل الشرط.

﴿عَدُوًّا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَدُوًّا﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَلَائِكَتِهِ﴾ معطوف على «الله» ومضاف إليه؛ والضمير يعود إلى «الله».

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿رُسُلِهِ﴾ معطوف على لفظ الجلالة.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿جِبْرِيلَ﴾ معطوف على «الله».

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مِيكَائِيلَ﴾ معطوف على لفظ الجلالة.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَدُوًّا﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَدُوًّا﴾. تعليل لعداوة الله وأنه تعالى عدو

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

حاصل جواب اليهود: «إنَّ جبريل ملك من الملائكة لا شأن له إلَّا إمتثال ما أمره به الله سبحانه كميكال وسائر الملائكة وهم عباد مكرمون لا يعصون الله في ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وكذلك رسل الله لا شأن لهم إلَّا بالله ومن الله سبحانه فبغضهم وإستعدادهم بغض وإستعداد الله ومن كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ لهم»^١.

الروايات

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في الخطبة الأولى من نهج البلاغة بعد بيان في خلق العالم: ثم فتق ما بين السموات العلا، فملاهنَّ أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعبادة والسدنة لأبواب جنانه ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة، لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يجدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر الخطبة^٢.

الرضي رفعه عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجله نعلان من ليف وكأنَّ جبينه ثَفَنٌ بغير فقال عليه السلام:

١. الميزان ١/ ٢٢٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

بعد حمد الله واستعانته وتوصيف الله تعالى: ... بل إن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مُرَجِّحِينَ مُتَوَلِّهَةً عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين فإنها يدرك بالصفات ذووا الهيئات والادوات ومن ينقضي إذا بلغ امد حدّه بالفناء.

فلا اله إلا هو اضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور الخطبة.^١
الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: اللهم ربّ السقف المرفوع والجوّ المكفوف الذي جعلته مغيضاً لليل والنّهار ومجري للشمس والقمر ومختلفاً للنّجوم السيّارة وجعلت سكانه سبطاً من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك...^٢

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة: ومن ملائكة اسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن أرضك هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك وأقربهم منك لم يسكنوا الأصلاب ولم يضمّنوا الأرحام ولم يُخلّقوا من ماء مهين ولم يتشعّبهم ريب المنون وإنهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع أهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا كنه ما خفى عليه منك لحقّروا أعمالهم ولزروا على أنفسهم ولعرفوا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادتك ولم يطيعوك حقّ طاعتك إلى أن قال في آخرها: نحن شجرة النّبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة.^٣

فراة الكوفي بإسناده عن أبي كهمس قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: ينجو في ثلاثة ويهلك في ثلاثة، يهلك اللاعن والمستمع والمقرّ والملك المترف الذي يبرء عنده من ديني ويغضب عنده من حسبي ويتقرب إليه بلعني، إنما حسبي حسب

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٧١.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

رسول الله ﷺ وديني دين رسول الله ﷺ، وينجو في ثلاثة: المحب الموالي والمعادي من عاداني والمحب من أحبني، فإذا أحبني عبد أحب محبي وشايي في، فليمتحن الرجل منكم قلبه فإن الله لم يجعل لرجل من قليلين في جوفه فيحب بهذا ويغض بهذا، أنه من أشرب قلبه حب غيرنا قاتلنا أو ألب علينا فليعلم أن الله عدوه وجبريل وميكائيل والله عدو للكافرين.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ثم قال ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ لإنعامه على محمد وعلي وعلى آلها الطيبين، وهؤلاء الذين بلغ من جهلهم أن قالوا نحن نبغض الله الذي أكرم محمدًا وعليًا بما يدعيان ﴿وَجَبْرَيْلَ﴾ ومن كان عدوًّا لجبريل، لأن الله جعله ظهيرًا لمحمد وعلي عليه السلام على أعداء الله، وظهير السائر الأنبياء والمرسلين كذلك. ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ يعني ومن كان عدوًّا لملائكة الله المبعوثين لنصرة دين الله، وتأييد أولياء الله، وذلك قول بعض النصاب المعاندين برئت من جبرئيل الناصر لعلي. وقوله تعالى ﴿وَرُسُلِهِ﴾ ومن كان عدوًّا للرسول الله موسى وعيسى وسائر الأنبياء الذين دعوا إلى نبوة محمد وإمامة علي، وذلك قول النواصب برئنا من هؤلاء الرسل الذين دعوا إلى إمامة علي. ثم قال ﴿وَجَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ أي من كان عدوًّا لجبرئيل وميكائيل، وذلك كقول من قال من النواصب لما قال النبي ﷺ في علي عليه السلام «جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وإسرافيل من خلفه، وملك الموت أمامه، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره». قال بعض النواصب: فأنا أبرأ من الله و [من] جبرئيل وميكائيل والملائكة الذين حالهم مع علي ما قاله محمد. فقال من كان عدوًّا لهؤلاء تعصباً على علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿فَارِئِ اللَّهَ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ فاعل بهم ما يفعل العدو بالعدو من إحلال النقمات وتشديد العقوبات. وكان سبب نزول هاتين الآيتين ما كان من اليهود أعداء الله من قول سيء في جبرئيل وميكائيل [وسائر ملائكة

١. تفسير فرائد الكوفي / ٦١، ح ٢٤.

الله] وما كان من أعداء الله النصاب من قول أسوا منه في الله وفي جبرئيل وميكائيل، وسائر ملائكة الله أمّا ما كان من النصاب، فهو أن رسول الله ﷺ لما كان لا يزال يقول في علي عليه السلام الفضائل التي خصّه الله عليه السلام بها، والشرف الذي أهله الله تعالى له، وكان في كل ذلك يقول «أخبرني به جبرئيل عن الله» ويقول في بعض ذلك، وميكائيل عن يساره، ويفتخر جبرئيل على ميكائيل في أنه عن يمين علي عليه السلام الذي هو أفضل من اليسار، كما يفخر نديم ملك عظيم في الدنيا يجلسه [الملك] عن يمينه على النديم الآخر الذي يجلسه عن يساره، ويفخران على إسرئيل الذي خلفه بالخدمة، وملك الموت الذي أمامه بالخدمة، وأن اليمين والشمال أشرف من ذلك كافتخار حاشية الملك على زيادة قرب محلّهم من ملكهم^١.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ 

ذكر الله تعالى أنّ ما أتى به رسول الله ﷺ بعد اقترانه بالحجج والبراهين لا يقبل الريب والترديد.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾^٢.

﴿لَ﴾ تأكيد، موطئة لقسم محذوف. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَنْزَلْنَا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿إِلَيْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْزَلْنَا﴾، والضمير الخطاب يعود إلى الرسول

الأعظم ﷺ.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٥١.

٢. سورة البقرة / ٩٧.

﴿ءَايَاتٍ﴾ مفعول به.
 ﴿يَبَيِّنَتِ﴾ نعت لـ ﴿ءَايَاتٍ﴾؛ والمراد بـ ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنَتِ﴾ الأدلة الواضحة التي لا ريب فيها على صدق نبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ من القرآن وسائر المعجزات.
 ﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية، معطوف على ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ وجواب للقسم.
 ﴿يَكْفُرُ﴾ فعل مضارع.
 ﴿بِهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَكْفُرُ﴾ والضمير يعود إلى ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنَتِ﴾.
 ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ فاعل. دلالة على عليّة الفسق للكفر.

شأن نزولها

قال الطوسي: قال ابن عباس: إنّ ابن صوريا الفطراتي قال لرسول الله ﷺ: يا محمد ماجئتنا بشيء نعرفه؛ وما أنزل عليك من آية بينة فتتبعك لها فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^١.
 رواها الطبرسي في مجمع البيان^٢ والمشهدى في كنز الدقائق^٣ والزخشي في الكشف^٤ والبيضاوي في تفسيره^٥.

رواية

في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَاتٍ يَبَيِّنَتِ﴾ دالات على صدقك في نبوتك، مبينات عن إمامة عليّ أخيك ووصيك وصفيك موضحات عن كفر من شكّ فيك أو في أخيك، أو قابل

١. التبيان ١/ ٣٦٥.

٢. مجمع البيان ١/ ١٦٨.

٣. كنز الدقائق ١/ ٣٠٦.

٤. الكشف ١/ ١٧١.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي / ٣٧ من طبع الحجري.

أمر كل واحد منكما بخلاف القبول والتسليم. ثم قال ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ بهذه الآيات الدالات على تفضيلك وتفضيل علي بعدك على جميع الوري ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن دين الله وطاعته، من اليهود الكاذبين، والنواصب المتسمين بالمسلمين.^١

﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

إخبار الله تعالى عن اليهود بأنهم ينتقضون العهود والمواثيق.

﴿أ﴾ استفهام توبيخي وتقريعي.

﴿و﴾ عاطفة، عطف ما بعدها على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ في أول الآية

السابقة.

﴿كُل﴾ ظرف زمان اكتسبت الظرفية من ﴿مَا﴾، والعامل فيه ﴿نَبَذَهُ﴾.

﴿مَا﴾ اسم بمعنى وقت وتقديره: ﴿كُلَّ﴾ وقت.

﴿عَاهَدُوا﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿عَهْدًا﴾ مفعول مطلق، العهد: هو ما يلزم مراعاته وحفظه والقيام به. بلا فرق

بين عهود الأنبياء مع اليهود وغيرهم.

﴿نَبَذَهُ﴾ فعل ماض ومفعول به. النبذ: الطرح والإلقاء.

﴿فَرِيقٌ﴾ فاعل. الفريق: الطائفة، الجماعة.

﴿مِّنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة من ﴿فَرِيقٌ﴾، «من» بياني والضمير

يعود إلى اليهود.

﴿بَلْ﴾ حرف اضراب. ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ مبتدأ ومضاف إليه.
﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. خبر.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام قال الباقر عليه السلام قال الله تعالى: وهو يوبخ هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكر عنادهم، وهؤلاء النصاب الذين نكثوا ما أخذ من العهد عليهم فقال ﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ واثقوا وعاهدوا ليكونوا لمحمد طائعين، ولعلي بعده مؤتمرين، وإلى أمره صابرين ﴿نَبَذَهُ﴾ نبذ العهد ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ وخالفه. قال الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أكثر هؤلاء اليهود النواصب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي في مستقبل أعمارهم لا يراعون، ولا يتوبون مع مشاهدتهم للآيات، ومعاينتهم للدلالات.^١
رواها البحراني في البرهان^٢ والمجلسي في بحار الأنوار^٣.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 

الآية تشير إلى مخالفة اليهود للحق من حيث كتمانهم بشاراة التوراة وعدم إيمانهم
بمن يصدق ما معهم حسداً وبغياً.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا...﴾^٤.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٦٤.

٢. البرهان ١ / ٢٩١.

٣. بحار الأنوار ٩ / ٣٢٨.

٤. سورة البقرة / ١٠٠.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مرّ نظيرها في الآية ٨٩ من هذه السورة ولكن هناك ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ...﴾. المراد بالكتاب هناك القرآن والمراد بالرسول هنا الرسول الأعظم ﷺ «لعدم دلالة قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ على الاستمرار بل إنّما يدلّ على الدفعة»^١.

﴿نَبَذَ﴾ فعل ماضٍ، ﴿نَبَذَ﴾: طرح وترك. ﴿فَرِيقٌ﴾ فاعل. ﴿فَرِيقٌ﴾: جماعة.
 ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ حرف جر بياني؛ واسم موصول، الجار والمجرور. متعلّق بصفة محذوفة من ﴿فَرِيقٌ﴾. والمراد بهم اليهود أو أحبارهم.
 ﴿أُوتُوا﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله.
 ﴿الَّذِينَ كَتَبَ﴾ مفعول به ﴿أُوتُوا﴾.

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ مفعول به ﴿نَبَذَ﴾ ومضاف إليه؛ والمراد به هنا التوراة. «يعني إنّهم تركوا ما تدلّ عليه التوراة من صفة النبي ﷺ»^٢.
 ﴿وَرَاءَ﴾ ظرف مكان.

﴿ظُهُورِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن الإعراض وترك العمل به، لأنّ من أعرض عن شيء فجعله وراء ظهره وتركه.
 ﴿كَانَهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.
 ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله. «معناه أنّهم يعلمون و ﴿كَانَهُمْ﴾ لكفرهم وكتائبهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾»^٣.

«ولا فرق في هذا الحكم بين اليهود والنصارى، لأنّ كلاّ منهما قد حرّف كتابه في ما يتعلق بالبشارة بمحمد ﷺ بل لا فرق بين اليهود، وبين معمم يحرف كلام الله

١. الميزان ١/ ٢٣٢.

٢. التبيان ١/ ٣٦٨.

٣. التبيان ١/ ٣٦٩.

تبعاً لأهوائه»^١.

الروايات

خبر يزيد بن عبد الله عمن حدثه قال كتب أبو جعفر عليه السلام إلى سعد الخير: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله فان فيها السلامه من التلف والغنيمه في المنقلب ان الله تعالى يقى بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله ويحلى بالتقوى عنه عماه وجهله وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة وصالح ومن معه من الصاعقه وبالتقوى فاز الصابرون ونجت تلك العصب من المهالك ولهم أخوان على تلك الطريقة يلتمسون تلك الفضيلة نبذوا طغيانهم من الإيراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثالات حمدوا ربهم على ما رزقهم وهو أهل الحمد وذموا أنفسهم على ما فرطوا وهم أهل الذم وعلموا ان الله تبارك وتعالى الحليم العليم انما غضبه على من لم يقبل منه رضاه وانما يمنع من لم يقبل منه عطاءه وانما يضل من لم يقبل منه هدايه ثم امكن أهل السيئات من التوبة بتبديل الحسنات دعا عبادة في الكتاب إلى ذلك بصوت رفيع لم ينقطع ولم يمنع دعاء عباده فلعن الله الذين يكتمون ما أنزل الله وكتب على أنفسهم الرحمة فسبقت قبل الغضب فتمت صدقاً وعدلاً فليس يبتدى العباد بالغضب قبل ان يغضبوه وذلك من علم اليقين وعلم التقوى وكل امة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه وولاهم عدوهم حين تولّوه وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يرونه ولا يراعونه والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية وكان من نبذهم الكتاب ان ولّوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى وأصدروهم إلى الردى وغيروا عرى الدين ثم ورثوه في السفنة والصبا فالامه يصدرن عن أمر الناس بعد أمرا لله تبارك وتعالى وعليه يردّون فبئس للظالمين بدلاً

ولاية الناس بعد ولاية الله وثواب الناس بعد ثواب الله ورضا الناس بعد رضا الله فاصبحت الأمة كذلك وفيهم المجتهدون في العبادة على تلك الضلالة معجبون مفتونون فعبادتهم فتنة لهم ولمن اقتدى بهم وقد كان في الرسل ذكرى للعابدين ان نبياً من الأنبياء كان يستكمل الطاعة ثم يعصي الله تبارك وتعالى في الباب الواحد فخرج به من الجنة وينبذ به في بطن الحوت ثم لا ينجيه إلا الاعتراف والتوبة فأعرف أشباه الأخبار والرهبان الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه فما ربحت تجارتهم وما كانوا متهددين ثم أعرف أشباههم من هذه الأمة الذين أقاموا حروف الكتاب وحرّفوا حدوده فهم مع السادة والكبرة فإذا تفرقت قاده الأهواء كانوا مع أكثرهم دنيا وذلك مبلغهم من العلم لا يزالون كذلك في طبع وطمع لا يزال يسمع صوت أبلّيس على السنتهم بباطل كثير يصبر منهم العلماء على الأذى والتعنيف ويعيرون على العلماء بالتكليف والعلماء في أنفسهم خائفة ان كتموا النصيحة ان راوا تائها ضالاً لا يهدونه أو ميتاً لا يحيونه فبئس ما يصنعون لأن الله تبارك وتعالى أخذ عليهم الميثاق في الكتاب أن يأمرؤا بالمعروف ونهى أمرؤا به وان ينهؤا عما نهى عنه وأن يتعاونوا على البر والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان فالعلماء من الجهال في جهد وجهاد ان وعظت قالوا طغت وان علموا الحق الذي تركوا قالوا خالفت وان اعتزلوهم قالوا فارقت وان قالوا هاتوا برهانكم على ما تحدثون قالوا نافقت وان أطاعوهم قالوا عصيت الله ﷻ فهلك جهال في ما لا يعلمون اميون في ما يتلون يصدّقون بالكتاب عند التعريف ويكذبون به عند التحريف فلا ينكرون أولئك أشباه الأخبار والرهبان قاده في الهوى سادة في الردى وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى لا يعرفون إحدى الطائفتين من الأخرى يقولون ما كان الناس يعرفون هذا ولا يدرون ما هو وصدقوا تركهم رسول الله ﷺ على البيضاء ليلها من تهارها لم يظهر فيهم بدعة ولم يبدل فيهم سنة لا خلاف عندهم ولا اختلاف فلما غشّ الناس ظلمه خطاياهم صاروا إمامين

داع إلى الله تبارك وتعالى وداع إلى النار فعند ذلك نطق الشيطان فعلا صوته على لسان أوليائه وكثر خيله ورجله وشارك في المال والولد من أشركه فعمل بالبدعة وترك الكتاب والسنة ونطق أولياء الله بالحجة وأخذلوا بالكتاب والحكمة فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل وتخاذل وتهادن أهل الهدى وتعاون أهل الضلالة حتى كانت الجماعة مع فلان وأشباهه فأعرف هذا الصنف وصنف آخر فابصرهم رأي العين نجباء وألزمهم حتى تردا هالك فان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة إلا ذلك هو الخسران المبين إلى هاهنا رواية الحسين.

وفي رواية محمد بن يحيى زيادة لهم علم بالطريق فان كان دونهم بلاء فلا تنظر إليهم فان كان دونهم عسف من أهل العسف وخسف ودونهم بلايا تنقضي ثم تصير إلى رخاء ثم أعلم أن إخوان الثقة ذخائر بعضهم لبعض ولولا ان تذهب بك الظنون عني لجليت لك عن أشياء من الحق غطيتهما ولنشرت لك أشياء من الحق كتمتها ولكنني أتقيك وأستبقيك وليس الحلیم الذي لا يتقى أحداً في مكان التقوى والحلم لباس العالم فلا تعرين منه والسلام.^١

خبر محمد بن سعيد بن غزوان قال: حدثني عبدالله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): إن لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين. قال ثم قال: إن هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا.^٢

مرسلة الخشاب رفعه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً ولا إلى بني أمية أبداً ولا في ولد طلحة والزبير أبداً وذلك

١. الكافي ٨/ ٥٢، ح ١٦.

٢. الكافي ٨/ ٢٣٥، ح ٣١٤.

أَتَمَّ نَبَذُوا الْقُرْآنَ وَأَبْطَلُوا السَّنَنَ وَعَطَّلُوا الْأَحْكَامَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقُرْآنُ هَدَى مِنَ الضَّلَالِ وَتَبَيَّنَ مِنَ الْعَمَى وَاسْتَقَالَ مِنَ الْعَثَرَةِ وَنُورٌ مِنَ الظُّلْمَةِ وَضِيَاءٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَعَصْمَةٌ مِنَ الْهَلَكَةِ وَرُشْدٌ مِنَ الْغَوَايَةِ وَبَيَانٌ مِنَ الْفِتَنِ وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَفِيهِ كَمَالُ دِينِكُمْ وَمَا عَدَلَ أَحَدٌ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَّا إِلَى النَّارِ.^١

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ» جَاءَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ مِنْ يَلِيهِمْ مِنَ النَّوَاصِبِ «رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ» الْقُرْآنَ مُشْتَمِلًا عَلَى وَصْفِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، وَإِيْحَابٍ وَلَا يَتَّهِمَا، وَوَلَايَةِ أَوْلِيَائِهِمَا، وَعَدَاوَةِ أَعْدَائِهِمَا «نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ» الْيَهُودَ التَّوْرَةَ وَكُتِبَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» وَتَرَكُوا الْعَمَلَ بِهَا فِيهَا وَحَسَدُوا مُحَمَّدًا عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَعَلِيًّا عَلَى وَصِيَّتِهِ، وَجَحَدُوا عَلَى مَا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ فَضَائِلِهِمَا «كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» فَعَلُوا مِنْ جَحْدِ ذَلِكَ وَالرَّدِّ لَهُ فَعَلَ مِنْ لَا يَعْلَمُ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ حَقٌّ.^٢

قَالَ الْفَيْضُ الْكَاشَانِيُّ: وَفِي رَوَايَةٍ: رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، أَيْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْقُرْآنُ.^٣

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ: أَقُولُ: إِنَّمَا فَسَّرَ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ لِمَا تَلَزَمَهُ إِيَّاهُ دُونَ الْعَكْسِ وَلِيُوَافِقَ مَا سَبَقَ فِي نَظِيرِهِ وَلِمُوَافَقَةِ الْمُنْبُذِ.^٤

١. الكافي ٢/ ٦٠٠، ح ٨.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٧١.

٣. الأصفى في تفسير القرآن / ٤٨.

٤. تفسير الصافي / ٤٥ من طبع الحجري.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا خُنَّ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

اختلف أقوال المفسرين في هذه الآية الشريفة بحيث صارت معركة للآراء والاحتمالات ولكن أشير إلى ما هو الظاهر منها من دون التعرض إلى الأقوال واجمال الآية اشارة إلى تداول السحر بين اليهود استناداً إلى قصص تاريخية محرّفة من ملك سليمان وملكين بابل.

﴿وَ﴾ عاطفة. عطفت ما بعدها إلى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾^١.

﴿اتَّبِعُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. الإتياع: الاقتداء بلا فرق بين المتابعة في الحق أو الباطل، والضمير الفاعلي يعود إلى اليهود يعني: اتّبع اليهود الذين بعد عهد سليمان النبي ﷺ بتورات الخلف عن السلف.

﴿مَا﴾ موصولة. مفعول به.

﴿تَتْلُوا﴾ فعل مضارع، بمعنى تكذبوا وتضعوا وتجعلوا.

﴿الشَّيْطِينُ﴾ فاعل؛ وهم من طائفة الجن الذين يستخدمهم سليمان بدلالة قوله

تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُصُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾^١ وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ آيَاتُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^٢.

﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَتْلُوا﴾.
﴿وَ﴾ حالة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَفَر﴾ فعل ماض.
﴿سَلِيمٍ﴾ فاعله. لأن سليمان لم يستعمل السحر لأن استعماله كفر بالله تعالى، فرد الله فرية اليهود على سليمان بأنه يستعمل السحر ويدعون أنهم مقتدون به في السحر.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَيْكِنْ﴾ استدراك. ﴿الشَّيْطَانِ﴾ اسم ﴿لَيْكِنْ﴾.
﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله، خبر ﴿لَيْكِنْ﴾. يعني والحال أن ﴿الشَّيْطَانِ﴾ يضلون الناس ويعلمونهم السحر ويكفرون بالله في هذا المجال.
﴿يُعَلِّمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، حال من ﴿الشَّيْطَانِ﴾.
﴿النَّاسِ﴾ مفعول به أول.

﴿السَّحَرِ﴾ مفعول به ثان. ﴿السَّحَرِ﴾: «كل أمر يوجب قلب الشيء عن واقعه وحقيقته ويخرج الباطل في صورة الحق على سبيل الخديعة، ويكون مأخذه ما لطف ودق بحيث لا يظهر لكل أحد بل يخفى سببه. ويمكن أن يكون بالتأثيرات النفسانية أو بمعوقة الشياطين والأجنة أو بتلبس روح بيدن منفعل أو غيرها، سواء كان بكلام أو كتاب أو رقية أو عزيمة أو قسم أو دُخنة أو نقش أو عقد أو نفث أو عدد أو لوح أو عمل، ويحدث بسببه ضرر على الغير غالباً، أو أمر خارق للعادة أو أثر غريب أو حال عجيب ونحوها.

١. سورة الأنبياء / ٨٢.

٢. سورة السبا / ١٤.

وهذا التعريف ليس بالحدّ والرسم التامّين، ولكن يدخل فيه أكثر موارد السحر ومصاديقه، وهذا يكفي في صحة التعريف المأخوذ من العرف ظاهراً. ويظهر من التعريف أنّ للسحر أثراً عجبياً أو يترتب عليه أمرٌ أو حالٌ غريبٌ أو ضررٌ على الغير بنحو يخرق العادة، كما يعقد الرجل عن وطء زوجته أو يلقي البغضاء بينهما أو يلقي المحبة الشديدة أو التعشق بين الرجل والمرأة الأجنيين أو الإختلال في عقل الرجل أو عاطفة المرأة أو بدنهما ونحوها.

وبعد ثبوت الأثر للسحر فالبحث عن كونه حقيقة أو تخيل لا فائدة فيه، والعمدة حينئذ أثره لا مؤثره، سواء كان المؤثر أمراً خيالياً أو حقيقة. نعم، لا يكون البحث عن مؤثره ساقطاً عن الاعتبار، ويكون نزاعاً لفظياً، كما عليه بعض^١، وتعريفنا من السحر يجتمع مع المسلكين: الحقيقية والخيال، لأنّ الأمر المأخوذ فيه يشملها.

ذهب إلى مسلك خيالية السحر جماعة من العامة، نحو: أبي جعفر الأسترآبادي من أصحاب الشافعي والمغربي من أهل الظاهر - كما نقل عنهما الشيخ في الخلاف^٢ - والفخر الرازي^٣ والبيضاوي^٤ والواحدي^٥ - كما نقل عنهم السيّد العاملي في مفتاح الكرامة^٦ - وغيرهم.

١. هو الفقيه السيّد عبد الأعلى السبزواري في مهذب الأحكام ١٦ / ١٠٠.

٢. الخلاف ٥ / ٣٢٧.

٣. التفسير الكبير ٣ / ٢٠٥.

٤. أنوار التنزيل ١ / ٣٦٣.

٥. تفسير الواحدي ١ / ٣٤٨ المطبوع في حاشية تفسير الطبري.

٦. مفتاح الكرامة ١٢ / ٢٣١.

ومن الخاصة: الشريف المرتضى^١ والشيخ في الخلاف^٢ والمبسوط^٣ والتفسير^٤
والعلامة في كتبه: المنتهى^٥ والتذكرة^٦ والقواعد^٧ والتحرير^٨ وولده في الإيضاح^٩.
ومن المتأخرين: المحقق الإيرواني^{١٠} وتبعه المحققون الخوئي^{١١} والسبزواري^{١٢}
والقمي^{١٣}.

وذهب إلى مسلك حقيقة السحر أو حقيقة بعضه أو التشكيك في خياليته، أكثر
العامّة، نحو: أبي حنيفة وأصحابه ومالك والشافعي - كما نقل عنهم الشيخ في
الخلاف^{١٤} - .

وبعض الخاصة، نحو: الشهيد في الدروس^{١٥} والكركي في جامع المقاصد^{١٦}

١. رسالة الحدود والحقائق المطبوعة ضمن رسائل الشريف المرتضى ٣/ ٢٧٢.

٢. الخلاف ٥/ ٣٢٨.

٣. المبسوط ٧/ ٢٦٠.

٤. التبيان ١/ ٣٧٤.

٥. منتهى المطلب ٢/ ١٠١٤ الطبع الحجري.

٦. تذكرة الفقهاء ١٢/ ١٤٤.

٧. قواعد الأحكام ٢/ ٩.

٨. تحرير الأحكام الشرعية ٢/ ٢٦٠.

٩. إيضاح الفوائد ١/ ٤٠٧.

١٠. حاشية المكاسب ١/ ١٧٠.

١١. مصباح الفقاهة ١/ ٢٨٦.

١٢. مهذب الأحكام ١٦/ ٩٩.

١٣. عمدة الطالب ١/ ٢٢٣.

١٤. الخلاف ٥/ ٣٢٧.

١٥. الدروس الشرعية ٣/ ١٦٤.

١٦. جامع المقاصد ٤/ ٣٠.

٥٦٦ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

وثاني الشهيدين في المسالك^١ والأردبيلي في مجمع الفائدة^٢ والمجلسي في بحار الأنوار^٣
وكاشف الغطاء في شرح القواعد^٤ والنراقي في المستند^٥ والعاملي في مفتاح الكرامة^٦
وصاحب الجواهر^٧ وتلميذه السيّد علي آل بحر العلوم في برهان الفقه^٨ وشيخنا
الأستاذ^٩ مدظله.

والحقّ: أنّ لبعض موارد السحر واقعيةً وحقيقةً، كما أنّ بعض موارد من قبيل
التخيّل والتوهم، والكلّ متفق بثبوت الأثر للسحر كما مرّ منّا.
ولذا قال الشهيد الثاني: «الحقّ أنّ تأثيره في بدن المسحور أمر محقّق لا شبهة فيه،
نعم كونه موهماً لحَيّات تسعى ونحوه تخيّل، وبهذا يجمع بين الأدلة الدالة على الطرفين
مع ضعف دلالة كثير منها»^{١٠} ١١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة، معطوف على ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾.
﴿أُنْزِلَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو». والمراد به
نحو من الإلهام والإحطار.

١. مسالك الأفهام ٣/ ١٢٨.

٢. مجمع الفائدة ٨/ ٧٨.

٣. بحار الأنوار ٦٠/ ٣٩ (٢٤/ ٢٦٠).

٤. شرح القواعد ١/ ٢٤٤.

٥. مستند الشيعة ١٤/ ١١١.

٦. مفتاح الكرامة ١٢/ ٢٣٢.

٧. الجواهر ٢٢/ ٨٧.

٨. برهان الفقه، كتاب التجارة / ٢٩ الطبع الحجري.

٩. إرشاد الطالب ١/ ١٦٣.

١٠. فوائد القواعد / ٥١٨.

١١. الآراء الفقهية ٢/ ٢١٢، للمؤلّف. وقد بحثنا عن موضوعه وحكمه وفروعه في الكتاب
٢/ (٢٣٨-٢٠٣) فراجع.

﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾. «وهما ملكان بعثهما الله تعالى لإتمام الحجة على شعب بابل ليعلموا مضارّ السحر، ويدفعوا به عن سحر السحرة وكيد الشياطين، ولعلّ ذلك كان مقدّمة لظهور دعوة أنبياء الله تعالى، وإيداناً بزوال دعوة الشياطين إلى السحر والكهانة ونحوهما من الأباطيل»^١.

﴿بِبَابِلَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾، بابل مدينة معروفة في العراق كانت عاصمة البابليين وأقوى مركز للسحر والكهانة في تلك الأعصار، ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

﴿هَرُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ بدلان من ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة. «هما ملكان نزلا من السماء في صورة الإنسان، وكانا بين الناس مدة من الزمن، فعلا ذكرهما، وشاع أمرهما، وكثرت مراودة الناس إليها، حتّى صارا بمنزلة ملكين لهم....»

وقد أنزل الله تعالى هذين الملكين لتعليم الناس السحر، وإنذارهم عن مضارّه، فيحذّروا عن سحر السحرة وكيد الشياطين، وكان ذلك لمصالح كثيرة، منها: التمييز بين المعجزة والسحر، وأنّ الأولى من الله تعالى، والثاني من الشياطين وأعدائه»^٢.

﴿وَ﴾ حالية وما بعدها حال من ﴿هَرُوتَ وَمَرْوُتَ﴾.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ حرف جر زائد، تأكيد، ومجرور، مفعول به. متعلّق يعلمان. تقديره:

﴿مَا يُعَلِّمَانِ أَحَدًا﴾.

﴿حَتَّى﴾ حرف جر وغاية.

﴿يَقُولَا﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾، وفاعله.

١. مواهب الرحمن ١/ ٤٨٨.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٤٨٩.

- ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر للقصر الادعائي هنا. ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ.
- ﴿فِتْنَةً﴾ خبر. أي اختيار وامتحان امتحنكم الله بنا بما نعلمكم.
- ﴿فَ﴾ تفریع على مقاتلتهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾.
- ﴿لَا تَكْفُرُ﴾ فعل نهي وفاعله ضمير مستتر «أنت» العائد إلى المتعلم منها. أي
- ﴿فَلَا تَكْفُرُ﴾ باستعمال السحر.
- ﴿فَ﴾ تفریع على ﴿يُعْلِمَانِ﴾. ﴿يَتَعَلَّمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
- ﴿مِنْهُمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَعَلَّمُونَ﴾، والضمير يعود إلى ﴿هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾.
- ﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به، أي سحراً. ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
- ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ والباء لسببية؛ والضمير عائد إلى
- ﴿مَا﴾ موصولة المراد به السحر.
- ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان. ﴿الْمَرْءَ﴾ مضاف إليه. إي: الرجل. ﴿وَ﴾ عاطفة.
- ﴿زَوْجِهِ﴾ معطوف على ﴿الْمَرْءَ﴾. الزوج يطلق على الذكر والمؤنث.
- ﴿وَ﴾ استثنائية.
- ﴿مَا﴾ نافية، تعمل عمل «ليس» عند الحجازيين ومهملة عند بني تميم.
- ﴿هُمْ﴾ اسم ﴿مَا﴾ عند الحجازيين ومبتدأ عند بني تميم.
- ﴿بِ﴾ حرف جر زائد، تأكيد.
- ﴿ضَارِبِينَ﴾ خبر ﴿مَا﴾ الحجازية أو خبر ﴿مَا﴾ عند بني تميم.
- ﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ضَارِبِينَ﴾. الباء للسببية والضمير يعود إلى السحر
- والعمل به.
- ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ضَارِبِينَ﴾. حرف جر زائد تأكيد؛ و ﴿أَحَدٍ﴾
- مفعول به ﴿ضَارِبِينَ﴾ تقديره ﴿ضَارِبِينَ﴾ أحداً.

﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء أو حصر.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿ضَارِينَ﴾.

«دفع لما يسبق إلى الوهم إنهم بذلك يفسدون أمر الصنع والتكوين ويسبقون تقدير الله ويطلقون أمره فدفعه بأن السحر نفسه من القدر لا يؤثر إلا بإذن الله فما هم بمعجزين»^١.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ معطوف على ﴿يَتَعَلَّمُونَ﴾ السابق.

﴿مَا﴾ موصولة، مفعول به.

﴿يَضُرُّهُمْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود ﴿مَا﴾؛ والمراد به السحر ومفعول به. أي ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة.
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ عاطفة.

﴿لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فعل مضارع منفي وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به معطوف على ﴿يَضُرُّهُمْ﴾. ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة.
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ الابتداء، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿عَلِمُوا﴾ فعل ماض وفاعله. ﴿لَا﴾ الابتداء.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿أَشْتَرَنَهُ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. في محل جزم فعل الشرط. الاشتراء: اكتساب شيء ببذل مال أو شيء.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿خَلَقَ﴾.

﴿مِنْ﴾ حرف جر زائد، تأكيد.

﴿خَلَقَ﴾ مجروره، في محل رفع، مبتدأ مؤخر. ﴿خَلَقَ﴾: نصيب وحظ. ﴿مَا لَهُ﴾ في

﴿الْآخِرَةَ مِنْ خَلْقٍ﴾ جواب الشرط.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَ﴾ ابتداء، تأكيد.

﴿يُبْسِ﴾ فعل ماضٍ لإنشاء الذم وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿مَا﴾ نكرة بمعنى «شيء»، تمييز فاعل ﴿يُبْسِ﴾.

﴿شَرَوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. ﴿بِهِ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿شَرَوْا﴾.

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. والمراد: ﴿لِيُبْسِ مَا﴾ استبدلوا ﴿بِهِ﴾

﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ لأنهم عرّضوا أنفسهم للهلاك والعذاب الدائم باستعمالهم السحر.

﴿لَوْ﴾ حرف امتناع. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾. «أي إنهم مع كونهم عالمين

بكونه شرًّا لهم مفسدًا لآخرتهم غير عالمين بذلك حيث لم يعملوا بما علموا فإن العلم

إذا لم يهد حامله إلى مستقيم الصراط كان ضلالاً وجهلاً لا علماً»^١.

الروايات

صحيحة عبدالعزيز بن عبدالله الحسني قال: حدثني أبو جعفر عليه السلام قال:

سمعت أبي يقول سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول دخل عمرو بن عبيد على

أبي عبدالله عليه السلام فلما سلّم وجلس تلا هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ

وَالْفَوَاحِشِ﴾^٢ ثم أمسك فقال له أبو عبدالله عليه السلام: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف

الكبائر من كتاب الله ﷻ. فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراف بالله يقول الله ﷻ ﴿مَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾^٣ وبعده الإياس من روح الله لأن الله ﷻ يقول

١. الميزان ١/ ٢٣٦.

٢. سورتا: الشورى / ٣٧، النجم / ٣٢.

٣. سورة المائدة / ٧٢.

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^١ ثُمَّ الْأَمِنْ لِمَكَرِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^٢ وَمِنْهَا عَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ جَعَلَ الْعَاقَّ جَبَّارًا شَقِيًّا وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^٣ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٤ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^٥ وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ النَّصِيرُ﴾^٦ وَأَكْلُ الرِّبَا لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^٧ وَالسَّحَرُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ وَالزَّوْنُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾^٨ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ الْفَاجِرَةُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾^٩ وَالْغُلُولُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^{١٠} وَمَنْعُ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿فَتَكُونُ بِهَا جَبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

١. سورة يوسف / ٨٧.

٢. سورة الأعراف / ٩٩.

٣. سورة النساء / ٩٣.

٤. سورة النور / ٢٣.

٥. سورة النساء / ١٠.

٦. سورة الأنفال / ١٦.

٧. سورة البقرة / ٢٧٥.

٨. سورة الفرقان / ٦٨ و ٦٩.

٩. سورة آل عمران / ٧٧.

١٠. سورة آل عمران / ١٦١.

وُظْهُورُهُمْ^١ وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله ﷻ يقول ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾^٢ وشرب الخمر لأن الله ﷻ نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله لأن رسول الله ﷺ قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برء من ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ ونقض العهد وقطعية الرحم لأن الله ﷻ يقول ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^٣ قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم.^٤

ورواها الصدوق بسنده المعتبر في عيون أخبار الرضا ﷺ.^٥

خبر أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ بولاية الشياطين ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ ويقرأ أيضاً ﴿سَلِّ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِن ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقر ومنهم من بدّل ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^٦ ٧.

العياشي رفعه عن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ قال: لما هلك سليمان وضع إبليس السحر، ثم كتبه في كتاب فطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود ﷺ من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استشاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا، وقال المؤمنون وهو عبد الله ونبيه فقال الله في كتابه ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ

١. سورة التوبة / ٣٥.

٢. سورة البقرة / ٢٨٣.

٣. سورة الرعد / ٢٥.

٤. الكافي ٢ / ٢٨٥، ح ٢٤.

٥. عيون أخبار الرضا ﷺ ١ / ٢٨٥، ح ٣٣.

٦. سورة البقرة / ٢١١.

٧. الكافي ٨ / ٢٩٠، ح ٤٤٠.

مُلْكٌ سُلَيْمَنُ ﴿١﴾ أَيُّ السَّحَرِ.

رواهما القمي بسنده الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام في تفسيره مفصلاً.^٢

خبر محمد بن زياد ومحمد بن سيار عن الحسن بن علي عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد في قول الله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ قال: اتبعوا ما تتلو كفرة الشياطين من السحر والنيرنجات على ملك سليمان الذين يزعمون أن سليمان به ملك ونحن أيضاً به ظهر العجائب حتى ينقاد لنا للناس وقالوا كان سليمان كافراً ساحراً ماهراً بسحره ملك وقدر ما قدر فردّ الله تعالى فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ ولا استعمل السحر الذي نسبوه إلى سليمان وإلى ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وكان بعد نوح عليه السلام قد كثر السحرة والمموهون فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما تسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويرد به كيدهم فتلقيه النبي عليه السلام عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله تعالى فأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه ونهاهم أن يسحروا به الناس وهذا كما يدل على السِّم ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السِّم ثم قال عليه السلام ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يعني أن ذلك النبي عليه السلام أمر الملكين أن يظهر للناس بصورة بشرين ويعلمهم ما علمهما الله من ذلك فقال الله تعالى ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ ذلك السحر وإبطاله ﴿حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وامتحان للعباد ليطيعوا الله تعالى في ما يتعلمون من هذا ويبطلوا به كيد السحرة ولا يسحروهم ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنك به تحيي وتميت وتفعل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فإن ذلك كفر قال الله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني طالبي السحر

١. تفسير العياشي ١/ ١٤٥، ح ٧٨.

٢. تفسير القمي ١/ ٥٤.

﴿مِنْهُمَا﴾ يعني مما كتبت الشياطين على ملك سليمان من النيرنجات ومما ﴿أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ يتعلمون من هذين الصنفين ما يفرّقون به بين المرء وزوجه هذا ما يتعلّم الإضرار بالنّاس يتعلّمون التضريب بضروب الحيل والتمائم والإيهام وأنه قد دفن في موضع كذا وعمل كذا ليحبب المرأه إلى الرجل والرجل إلى المرأة ويؤدّي إلى الفراق بينهما فقال ﷺ ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي ما المتعلّمون بذلك بضارّين من أحد إلا بإذن الله يعني بتخلية الله وعلمه فإنه لو شاء لمنعهم بالجبر والقهر ثم قال ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ لأنهم إذا تعلّموا ذلك السحر ليسحروا به ويضروا فقد تعلموا ما يضرّهم في دينهم ولا ينفعهم فيه بل ينسلخون عن دين الله بذلك ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ هؤلاء المتعلّمون ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلّمه ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي من نصيب في ثواب الجنة ثم قال ﷺ ﴿وَلَيْتَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ورهنوها بالعذاب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم قد باعوا الآخرة وتركوا نصيبهم من الجنة لأنّ المتعلّمين لهذا السحر الذين يعتقدون أن لا رسول ولا إله ولا بعث ولا نشور فقال ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ لأنهم يعتقدون أن لا آخرة فهم يعتقدون أنها إذا لم تكن آخرة فلا خلاق لهم في دار بعد الدنيا وإن كانت بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها ثم قال ﴿وَلَيْتَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالعذاب إذ باعوا الآخرة بالدنيا ورهنوا بالعذاب الدائم أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم قد باعوا أنفسهم بالعذاب ولكن لا يعلمون ذلك لكفرهم به فلما تركوا النظر في حجج الله حتّى يعلموا عذّهم على اعتقادهم الباطل وجحدهم الحق قال يوسف بن محمّد بن زياد وعلي بن محمّد بن سيار عن أبيهما أنها قالوا: فقلنا للحسن بن علي عليه السلام فإنّ قوماً عندنا يزعمون أن هاروت وماروت ملكان اختارهما الله الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما مع ثالث لهما إلى دار الدنيا وأتمها افتتنّا بالزهرة وأرادا الزناء بها وشربا الخمر وقتلا النفس

المحرمة وأن الله ﷻ يعذبهما ببابل وأن السحرة منها يتعلمون السحر وأن الله تعالى مسح تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة فقال الإمام عليه السلام: معاذ الله من ذلك إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطاف الله تعالى قال الله ﷻ فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^١ وقال الله ﷻ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني ملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^٢ وقال ﷻ في الملائكة أيضاً ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^٣ ثم قال عليه السلام لو كان كما يقولون كان الله ﷻ قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدنيا أو كالأئمة فيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قتل النفس والزنا ثم قال عليه السلام أو لست تعلم أن الله ﷻ لم يخل الدنيا من نبي قط أو إمام من الشر أو ليس الله ﷻ يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ من رسول يعني إلى الخلق ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْغُرَى﴾^٤ فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاماً وإنما كانوا أرسلوا إلى أنبياء الله. قالوا: فقلنا له فعلى هذا أيضاً لم يكن إبليس أيضاً ملكاً. فقال: لا بل كان من الجن أما تسمعون الله ﷻ يقول ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^٥ فأخبر ﷻ أنه كان من الجن وهو الذي قال الله ﷻ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^٦. قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن الرضا عن آبائه

١. سورة التحريم / ٦.

٢. سورة الأنبياء / ١٩ و ٢٠.

٣. سورة الأنبياء / (٢٨-٢٦).

٤. سورة يوسف / ١٠٩.

٥. سورة الكهف / ٥٠.

٦. سورة الحجر / ٢٧.

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ اختارنا معاشر آل محمد واختار النبيين واختار الملائكة المقربين وما اختارهم إلا على علم منه بهم أنهم لا يوقعون ما يخرجون عن ولايته وينقطعون به عن عصمته ويتتمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته. قالوا: فقلنا له قد روي لنا أن علياً عليه السلام لما نصّ عليه رسول الله ﷺ بالإمامة عرض الله ﷻ ولايته في السماء على فئام من الناس وفئام من الملائكة فأبوها فمسخهم الله ضفادع. فقال عليه السلام: معاذ الله هؤلاء المكذبون لنا المفترون علينا الملائكة هم رسل الله فهم كسائر أنبياء الله ورسله إلى الخلق أفيكون منهم الكفر بالله؟ قلنا: لا، قال: فذلك الملائكة إن شأن الملائكة لعظيم وإن خطبهم لجليل.^١

خبر علي بن محمد بن الجهم قال: سمعت المأمون يسأل الرضا علي بن موسى عليه السلام عما يرويه الناس من أمر الزهرة وأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت وما يروونه من أمر سهيل أنه كان عشارا باليمن. فقال الرضا عليه السلام: كذبوا في قولهم إنها كوكبان وإنما كانتا دابتين من دواب البحر فغلط الناس وظنوا أنها الكوكبان وما كان الله ﷻ ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة ثم يبقها ما بقيت السموات والأرض وإن المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ وإن التي وقع عليه اسم المسوخية مثل القرد والخنزير والدب وأشباهاها إنما هي مثل ما مسخ الله على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما للناس السحر ليحترزوا عن سحر السحرة ويبطلوا به كيدهم وما علما أحدا من ذلك شيئاً إلا قالوا له ﴿إِنَّمَا خَنْ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه قال الله ﷻ ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِلِذَنِ

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/٢٦٦، ح ١.

الله ﷻ يعني بعلمه. ١

القاضي نعمان المصري رفعه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال ساحر المسلمين يقتل ولا يقتل ساحر الكفار. قيل: يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: لأن الشرك والسحر مقرونان والذي فيه من الشرك أعظم. قال علي عليه السلام: ولذلك لم يقتل رسول الله ﷺ ابن عاصم اليهودي الذي سحره. قال علي عليه السلام: فإذا شهد رجلان عدلان على رجل من المسلمين أنه سحر قتل لأنه كفر والسحر كفر وقد ذكره الله ﷻ في كتابه فقال جل ذكره ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا حَنُّ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية فأخبر جل ذكره أن السحر كفر فمن سحر كفر فيقتل ساحر المسلمين لأنه كفر وساحر المشركين لا يقتل لأنه كافر بعد كما جاء عن رسول الله ﷺ قال علي عليه السلام وهذا شاهد من القرآن. ٢

أبو منصور الطبرسي رفعه عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام في احتجاجه في أنواع شتى من العلوم الدينية في جواب الزنديق: قال فأخبرني عن السحر ما أصله وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه وما يفعل؟ قال: إن السحر على وجوه شتى وجه منها بمنزلة الطب كما أن الأطباء وضعوا لكل داء دواء فكذلك علم السحر احتالوا لكل صحة آفة ولكل عافية عاهة ولكل معنى حيلة ونوع منه آخر خطفة وسرعة ومخاريق وخفة ونوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم. قال: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطب بعضه تجربة وبعضه علاج. قال: فما تقول في الملكين هاروت وماروت وما يقول الناس بأنهما يعلمان الناس

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٧١، ح ٢.

٢. دعائم الإسلام ٢/ ٤٨٢؛ ونقل عنه في مستدرک الوسائل ١٣/ ١٠٧، ح ٢٢.

السحر. قال: إنها موضع ابتلاء وموقف فتنة تسيبها اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا أصناف سحر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ما يخرج عنها فيقولان لهم ﴿إِنَّمَا حَنُّ فَتْنَةٍ﴾ فلا تأخذوا عنا ما يضرّكم ولا ينفعكم. قال: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب والحصان أو غير ذلك؟ قال: هو أعجز من ذلك وأضعف من أن يغيّر خلق الله إن من أبطل ما ركب الله وصوره وغيره فهو شريك لله في خلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهموم والآفة والأمراض ولنفي البياض عن رأسه والفقر عن ساحته وإن من أكبر السحر النسيمة يفرق بها بين المتحابين ويجلب العداوة على المتصافين ويسفك بها الدماء ويهدم بها الدور ويكشف الستور والنام أشر من وطئ على الأرض بقدم فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنه بمنزلة الطب، إن الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النساء فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج، فأبرئ الحديث. ١

وللفيض الكاشاني^٢ تأويل في ذيل بعض الروايات الواردة في المقام فراجعه فإنه لطيف وإن لم ينطبق بتمامه عليها والله سبحانه هو العالم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

«بعد أن عدّ الله مساوئ اليهود، ودسائسهم ضد محمد ﷺ قال: ما كان أغناهم عن هذا الكفر والجحود، ولو آمنوا بمحمد كما أمرتهم التوراة لراحوا

١. الاحتجاج ٢/ ٣٣٩ و ٣٤٠.

٢. الصافي / ٤٧ طبع الحجري.

واستراحوا، ونالوا عند الله الدرجات العُلى^١.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿لَوْ﴾ امتناعية.

﴿أَنَّهُمْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد واسمه والضمير يعود إلى اليهود.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، خبر ﴿أَنَّهُمْ﴾، ﴿ءَامَنُوا﴾ بالله وبمحمد ﷺ وبالعقائد الحقّة.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿آتَقَوْا﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾؛ واستعمال السحر كفر عملي لا اعتقادي.

﴿لَ﴾ لام الابتداء.

﴿مَثُوبَةٌ﴾ مبتدأ. أي الثواب والأجر. وتنكيرها «ليان أن أقل ما يصدق عليه

الثواب هو خير لهم مما عملوه»^٢.

﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلّق بمحذوف صفة لـ ﴿مَثُوبَةٌ﴾

وتقديره: كائنة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

﴿خَيْرٌ﴾ خبر، أي ﴿خَيْرٌ﴾ من المنافع التي يريدونها بالسحر ويقتنونها بالكفر.

وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لأثبوا.

﴿لَوْ﴾ امتناعية، أداة شرط. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماضٍ ناقص واسمه.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾. جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف وهو

لاختاروا ما هو خير لهم من الإيمان والتقوى والمثوبة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

الروايات

حسنة القاسم الصيرفي شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

١. التفسير الكاشف ١/ ١٦٤.

٢. مواهب الرحمن ١/ ٤٩٣.

الإسلام يُخَفِّنُ بِهِ الدَّمَ وَالتَّوَدَّى بِهِ الْأَمَانَةَ وَتُسْتَحَلُّ بِهِ الْفُرُوجُ، والثوابُ على الإيمان^١.
وفي صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: وإِنَّمَا الْمَحْرُومُ مَنْ
حُرِمَ الثَّوَابَ^٢.

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: ... وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا
وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ^٣ ...

وعنه عليه السلام: ... لَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ ...^٤.

وعنه عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ زِيَادَةً
لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ وَحَيَاشَةَ لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ^٥.
زيادة: أي منعاً لهم عن المعاصي الجالبة للنقمة.
حياشة: أي سوقاً إلى جنته.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا^٦

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

«كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَاعِنَا، أَيِ اسْتَمِعْ مِنَّا، فَحَرَّفَتِ الْيَهُودُ
هَذِهِ اللَّفْظَةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، رَاعِنَا، وَهُمْ يَلْحَدُونَ إِلَى الرَّعُونَةِ، يَرِيدُونَ بِهِ النَّقِيصَةَ
وَالْوَقِيعَةَ، فَلَمَّا عَوَّتِبُوا قَالُوا: نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ؛ فَنَهَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا

١. الكافي ٢/ ٢٤، ح ١ (٦٨/٣).

٢. الكافي ٣/ ٢٢١، ح ٤ (٥٥١/٥).

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٣٨٤.

٤. نهج البلاغة، الحكمة ١١٣.

٥. نهج البلاغة، الحكمة ٣٦٨.

تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا^١.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أوّل خطاب واقع في القرآن بهذا اللفظ للمؤمنين وهذا التعبير ممّا يختص بهذه الأُمَّة التشرف به.

﴿لَا تَقُولُوا﴾ نهي دال على حرمة ما بعده.

﴿رَاعِنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به في مقام التماس وطلب، ﴿رَاعِنَا﴾ من المراجعة والمحافظة والمراقبة والمرافقة أي تَفَقَّد من حالنا واحفظنا وارفق بنا ولا تتخرج منّا.

ولكن اليهود يستعملونه بمعنى «شربنا» و «خبثنا» أو يستعملونها بمعنى الفساد والبلاء وَيُسَبِّ هذه الكلمة.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿قُولُوا﴾ فعل أمر وفاعله يعود إلى المؤمنين.

﴿أَنْظِرْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به. يعني لاحظنا وراقبنا واحفظنا.

﴿و﴾ عاطفة.

﴿أَسْمَعُوا﴾ فعل أمر وفاعله. أي أقبلوا ما يأمركم الله به وامثلوا أوامره، والمراد بالسمع هو الوعي والتنبّه.

﴿و﴾ استئنافية.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ جار ومجرور، خير مقدم، التعريف للجنس وتقديمه يفيد الحصر.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾ نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾.

الروايات

الحسكاني بإسناده عن ابن عباس قال: ما أنزل الله في القرآن آية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا كان علي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ ولم يذكر علياً إلا بخير.^١

رواها فرات الكوفي في تفسيره.^٢

الحسكاني بإسناده عن ابن عباس قال: ما ذكر الله في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا وعلي شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في آي من القرآن وما ذكر علياً إلا بخير.^٣

الحسكاني بإسناده عن ابن عباس قال: ما في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا علي سيدها وأميرها وشريفها وما من أحد من أصحاب محمد إلا وقد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب فإنه لم يعاتب في شيء منه.^٤

رواها فرات الكوفي في تفسيره.^٥

الحسكاني بإسناده عن جعفر بن محمد قال: قال ابن عباس: ما ذكر الله جل ثناؤه في كتابه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِلَّا وعلي أميرها.^٦

رواها فرات الكوفي في تفسيره.^٧

الحسكاني بإسناده عن مجاهد قال: ما كان في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإن

١. شواهد التنزيل ١/ ٦٤.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٤٨، ح ٤.

٣. شواهد التنزيل ١/ ٦٦.

٤. شواهد التنزيل ١/ ٦٦.

٥. تفسير فرات الكوفي / ٤٩، ح ٧.

٦. شواهد التنزيل ١/ ٧١.

٧. تفسير فرات الكوفي / ٤٩، ح ٦.

لعليّ سابقة ذلك وفضيلته.^١

رواها فرات الكوفي في تفسيره.^٢

الحسكاني بإسناده عن مجاهد قال: كل شيء في القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

فإن لعلّ سبقه وفضله.^٣

خبر الأصبع قال: سمعت عن أصحاب رسول الله ﷺ يقولون ما أنزل الله

في القرآن الكريم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا كان علي بن أبي طالب رأسها.^٤

خبر ابن عباس رضي الله عنهما قال ما في القرآن آية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا وعلي بن

أبي طالب أميرها وشريفها ومقدمها ولقد عاتب الله جميع أصحاب النبي ﷺ

وما ذكر علياً إلا بخير. قال: قلت: وأين عاتبهم؟ قال: قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ

الَّتَقَى الْجَمْعَانِ﴾^٥ لم يبق أحد معه غير علي بن أبي طالب عليه السلام وجبرئيل.^٦

الصدوق رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه قال: وما من آية في القرآن أولها ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا وعلي بن أبي طالب عليه السلام أميرها وقائدها وشريفها وأولها وما من

آية تسوق إلى الجنة إلا وهي في النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وأشياعهم وأتباعهم وما من

آية تسوق إلى النار إلا وهي في أعدائهم والمخالفين لهم وإن كانت الآيات في ذكر

الأوليين فما كان منها من خير فهو جار في أهل الخير وما كان منها من شر فهو جار في

أهل الشر وليس في الأخيار خير من النبي ﷺ ولا في الأوصياء أفضل من أوصيائه

ولا في الأمم أفضل من هذه الأمة وهي شيعة أهل البيت عليهم السلام في الحقيقة دون غيرهم

١. شواهد التنزيل / ١ / ٧١.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٤٩، ح ٥.

٣. شواهد التنزيل / ١ / ٧٢.

٤. تفسير فرات الكوفي / ٥٠، ح ٨.

٥. سورة آل عمران / ١٥٥.

٦. تفسير فرات الكوفي / ٥٠، ح ٩.

ولا في الأشرار شر من أعدائهم والمخالفين لهم.^١
ابن شهر آشوب قال: روى جماعة من الثقات عن الأعمش عن عباية الأسدي
عن علي عليه السلام .

والليث عن مجاهد والسدي عن أبي مالك وابن أبي ليلى عن داود بن علي عن
أبيه وابن جريح عن عطاء وعكرمة وسعيد بن جبير كلهم عن ابن عباس .
وروى العوام بن حوشب عن مجاهد.

وروى الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة .
كلهم عن النبي ﷺ أنه قال: ما أنزل الله تعالى آية في القرآن فيها ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها وفي رواية حذيفة إلا كان لعلي بن أبي طالب
لها ولبابها وفي روايات إلا علي رأسها وأميرها وفي رواية يوسف بن موسى القطان
ووكيع بن جراح أميرها وشريفها لأنه أول المؤمنين إيماناً وفي رواية إبراهيم الثقفي
وأحمد بن حنبل وابن بطة العكبري عن عكرمة عن ابن عباس إلا علي رأسها وشريفها
وأميرها.^٢

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: هذه الكلمة [أعني راعنا] سبّ
بالعبرانية، إليه كانوا يذهبون.^٣
ورواها الطبرسي في مجمع البيان.^٤

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال الإمام عليه السلام : قال موسى بن
جعفر عليه السلام إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة كثر حوله المهاجرون والأنصار، وكثرت
عليه المسائل، وكانوا يخاطبونه بالخطاب الشريف العظيم الذي يليق به ﷺ ، وذلك

١. الاعتقادات / ٩٤؛ ونقل عنه الأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة ١ / ٢٠ .

٢. المناقب ٣ / ٥٢ .

٣. التبيان ١ / ٣٨٩ .

٤. مجمع البيان ١ / ١٧٨ .

أن الله تعالى كان قال لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^١ وكان رسول الله ﷺ بهم رحيماً، وعليهم عطوفاً، وفي ازالة الآثام عنهم مجتهداً حتى أنه كان ينظر إلى كل من يخاطبه، فيعمل على أن يكون صوته ﷺ مرتفعاً على صوته ليزيل عنه ما توعدده الله [به] من إحباط أعماله، حتى أن رجلاً أعرابياً ناداه يوماً وهو خلف حائط بصوت له جهوري يا محمد. فأجابه بأرفع من صوته، يريد أن لا يَأْثِم الأعرابي بارتفاع صوته. فقال له الأعرابي: أخبرني عن التوبة إلى متى تقبل. فقال رسول الله ﷺ: يا أخا العرب إن بابها مفتوح لابن آدم لا يسد حتى تطلع الشمس من مغربها، وذلك قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ وهو طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَنِهَا حَرِيرًا﴾^٢ وقال موسى بن جعفر عليه السلام وكانت هذه اللفظة ﴿رَاعِنًا﴾ من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله ﷺ يقولون راعنا، أي ارع أحوالنا، واسمع منا كما نسمع منك، وكان في لغة اليهود معناها اسمع، لا سمعت. فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها رسول الله ﷺ يقولون راعنا ويخاطبون بها، قالوا إنا كنا نشتم محمداً إلى الآن سرا، فتعالوا الآن نشتمه جهراً. وكانوا يخاطبون رسول الله ﷺ ويقولون راعنا، ويريدون شتمه. ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله، أراكم تريدون سب رسول الله ﷺ وتوهمونا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لا سمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه، ولو لا أني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ولأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام القيم بأمر الأمة نائباً عنه فيها،

١. سورة الحجرات / ٢.

٢. سورة الأنعام / ١٥٨.

لضربت عنق من قد سمعته منكم يقول هذا. فأنزل الله يا محمد ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^١ وأنزل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ يعني فاتنا لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى شتم رسول الله ﷺ وشتمكم ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ أي قولوا بهذه اللفظة، لا بلفظة راعنا، فإنه ليس فيها ما في قولكم راعنا، ولا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ إذا قال لكم رسول الله ﷺ قولاً وأطيعوا ﴿وَلَلْكَافِرِينَ﴾ يعني اليهود الشاتمين لرسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع في الدنيا إن عادوا بشتمهم، وفي الآخرة بالخلود في النار.^٢

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ تَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

لا يريد ولا يحب أهل الكتاب ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ﴾ على المسلمين والمؤمنين خيراً من ربهم، لأنهم على عداوة وغيظ من الإسلام والمسلمين.
«وتقدير الآية ما يحب الكافرون من أهل الكتاب، ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان، ان ينزل عليكم شيئاً من الخير الذي عنده، والخير الذي تمنوه إلا ينزله الله عليهم ما أوحى إلى نبيه، وأنزله عليه من الشرائع، والقرآن بغياً منهم، وحسداً»^٣.

١. سورة النساء / ٤٦.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٧٧.

٣. التبيان ١ / ٣٩٢.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿يُودُّ﴾ فعل مضارع، ﴿مَا يُوَدُّ﴾: لا يحب. الود: المحبة.

﴿الَّذِينَ﴾ فاعل. ﴿كَفَرُوا﴾ فعل ماض وفاعله. صلة الموصول.

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بحال محذوفة من

﴿الَّذِينَ﴾ تقديره: حال كونهم ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ و ﴿مِنْ﴾ بياني أو للتنويع.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُنْزَلُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، بتأويل مصدر مفعول

به ﴿مَا يُوَدُّ﴾.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُنْزَلُ﴾ والضمير يعود إلى المسلمين المؤمنين.

﴿مَنْ﴾ حرف جر، زائد، تأكيد، أو للاستغراق لوقوعها في حيز النفي.

﴿خَيْرٍ﴾ مجروره، في محل رفع نائب فاعل ﴿يُنْزَلُ﴾، وتنكيره يدل على التعميم.

﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يُنْزَلُ﴾. ﴿مَنْ﴾ لابتداء

الغاية؛ والخير كل الخير ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على أول الآية ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ...﴾.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿يَخْتَصُّ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». خبر. الاختصاص

بالشيء: الانفرادية.

﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَخْتَصُّ﴾ والمراد بالرحمة هنا الرحمة

المخصوصة وهي النبوة كما يأتي عن أمير المؤمنين عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام.

﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول به ﴿يَخْتَصُّ﴾.

﴿يَشَاءُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». المشية: الارادة والمراد بها هنا

الإرادة التكوينية.

﴿و﴾ عاطفة. ﴿الله﴾ مبتدأ، معطوف على ﴿الله يختص﴾.

﴿ذو﴾ خبر. ﴿الفضل﴾ مضاف إليه.

﴿العظيم﴾ نعت لـ ﴿الفضل﴾. «إن كل خير ناله عباده في دينهم ودينهم فإنه من عنده ابتداءً وتفضلاً منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه»^١.

الروايات

الطوسي قال: روى عن علي عليه السلام وأبي جعفر الباقر عليه السلام: أنه أراد النبوة^٢.
يعني المراد برحمته في الآية الشريفة هي النبوة ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والمشهدى في كنز الدقائق^٤.

خبر عن حماد بن عثمان عن أبي الحسن الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ قال: المختص بالرحمة نبي الله ووصيه وعترتها إن الله تعالى خلق مائة رحمة فتسع وتسعون رحمة عنده مذكورة لمحمد وعلي وعترتها ورحمة واحدة مبسوطة على سائر الموجودين^٥.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام قال علي بن موسى الرضا عليه السلام إن الله تعالى ذم اليهود [والنصارى] والمشركين والنواصب فقال ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ ولا من المشركين الذين هم نواصب يغتاطون لذكر الله وذكر محمد وفضائل علي عليه السلام وإبانتة عن شريف [فضله و] محله ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ ولا يودون أن ينزل عليكم ﴿مِنْ خَيْرٍ

١. التبيان ١/ ٣٩٢.

٢. التبيان ١/ ٣٩١.

٣. مجمع البيان ٣/ ١٠ (١/ ١٧٩).

٤. كنز الدقائق ١/ ٣١٣.

٥. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٧٧، ح ٥٥.

مَنْ رَبِّكُمْ» من الآيات الزائدات في شرف محمد وعلي وآلهما الطيبين ﷺ ولا يودّون أن ينزل دليل معجز من السماء يبين عن محمد وعلي وآلهما. فهم لأجل ذلك يمنعون أهل دينهم من أن يحاجوك مخافة أن تبهرهم حجّتك وتفحمهم معجزتك، فيؤمن بك عوامهم، ويضطربون على رؤسائهم. فلذلك يصدون من يريد لقاءك يا محمد، ليعرف أمرك بأنه لطيف خلاق ساهر اللسان، لا تراه ولا يراك خير لك وأسلم لدينك ودنياك فهم بمثل هذا يصدون العوام عنك. ثم قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ» وتوفيقه لدين الإسلام وموالاته محمد وعلي ﷺ ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على من يوفقه لدينه ويهديه لموالاتك وموالاته أخيك علي بن أبي طالب ﷺ. قال فلما قرعهم بهذا رسول الله ﷺ حضره منهم جماعة فعاندوه وقالوا: يا محمد إنك تدعي على قلوبنا خلاف ما فيها ما نكره ان تنزل عليك حجة تلزم الانقياد لها فننقاد. فقال رسول الله ﷺ: لئن عاندم ها هنا محمداً، فستعاندون رب العالمين إذا أنطق صحائفكم بأعمالكم، وتقولون ظلمتنا الحفظة، فكتبوا علينا ما لم نفعل فعند ذلك يستشهد جوارحكم فتشهد عليكم. فقالوا: لا تبعد شاهدك فإنه فعل الكذابين، بيننا وبين القيامة بعد، ارنا في أنفسنا ما تدعي لنعلم صدقك، ولن تفعله لأنك من الكذابين. فقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: استشهد جوارحهم. فاستشدها علي ﷺ، فشهدت كلها عليهم أنهم لا يودّون أن ينزل على أمة محمد على لسان محمد خير من عند ربكم آية بينة، وحجة معجزة لنبوته، وإمامة أخيه علي ﷺ مخافة أن تبهرهم حجته، ويؤمن به عوامهم، ويضطرب عليهم كثير منهم. فقالوا: يا محمد لسنا نسمع هذه الشهادة التي تدعي أن جوارحنا تشهد بها. فقال يا علي: هؤلاء من الذين قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾^١ ادع عليهم بالهلاك فدعا عليهم علي ﷺ بالهلاك، فكل جارحة نطقت بالشهادة على

صاحبها انفتت حتى مات مكانه. فقال قوم آخرون حضروا من اليهود ما أقساك يا محمد قتلهم أجمعين فقال رسول الله ﷺ : ما كنت لالين على من اشتد عليه غضب الله تعالى أما إنهم لو سألوا الله تعالى بمحمد وعلي وأهلها الطيبين أن يمهلهم ويقيلهم لفعل بهم كما كان فعل بمن كان من قبل من عبدة العجل لما سألوا الله بمحمد وعلي وأهلها الطيبين، وقال الله لهم على لسان موسى لو كان دعا بذلك على من قد قتل لاعفاه الله من القتل كرامة لمحمد وعلي وأهلها الطيبين ﷺ. ١.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

«بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ينزل الرحمة والوحي على من يشاء من عباده، بين سبحانه وتعالى استيلاءه على الحكم بكل ما يشاء من النسخ والإثبات، لأنه مالك السموات والأرض، و ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾» ٢.

﴿مَا﴾ اسم شرط جازم بمعنى «إن» تجزم فعلين، مفعول به مقدم للفعل ﴿نَنْسَخْ﴾.

﴿نَنْسَخْ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن»، فعل الشرط. النسخ: الإزالة والإبطال وإقامة آخر مقامه.

﴿مِنْ آيَةٍ﴾ جار ومجرور، ﴿مِنْ﴾ بياني، بيان وتفسير لـ ﴿مَا﴾ المبهمة. والمراد من الآية عام يشمل الآيات القرآنية وغيرها من آيات الله.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٨٨.

٢. مواهب الرحمن ١ / ٥١٤.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف، للتخيير.

﴿نُنْسِهَا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن» ومفعول به والضمير يعود إلى ﴿ءَايَةٍ﴾، معطوف على ﴿نَنْسَخُ﴾ ومأخوذ من النسيان.

﴿نَأْتِ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «نحن»، جواب الشرط.

﴿يُخَيِّرُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿نَأْتِ﴾.

﴿مِنْهَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يُخَيِّرُ﴾ والضمير يعود إلى ﴿ءَايَةٍ﴾.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتخيير. ﴿مِثْلَهَا﴾ معطوف على ﴿يُخَيِّرُ﴾ ومضاف إليه.

﴿أَلَمْ﴾ استفهام تقريرى. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وجزم وقلب.

﴿تَعْلَمُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم

أو لكل قارئ.

﴿أَنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿أَنَّ﴾.

﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿قَدِيرٌ﴾ خبر ﴿أَنَّ﴾.

والجملة الأخيرة بمنزلة التعليل لاستيلائه تعالى على النسخ والإنشاء فإن قدرته

التامة غير محدودة بشيء وتقتضي ذلك.

الروايات

خبر شاهويه بن عبدالله الجلاب قال: كتب إليّ أبو الحسن في كتاب أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله ﷻ لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وصاحبك بعدي أبو محمد ابني وعنده ما تحتاجون إليه يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ

مِثْلَهَا» قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان.^١

رواها المفيد في الإرشاد^٢ والطوسي في الغيبة^٣ والإربلي في كشف الغمة^٤ والبياض في الصراط المستقيم^٥ والمجلسي في بحار الأنوار^٦.

العياشي رفعه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» قال: الناسخ ما حول وما ينسبها مثل الغيب الذي لم يكن بعد كقوله «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^٧ قال: فيفعل الله ما يشاء ويحول ما يشاء مثل قوم يونس إذا بدا له فرحهم، ومثل قوله «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ فَلَمَّا أَنْتَ بِمَلُومٍ»^٨ قال أدركتهم رحمته.^٩

العياشي رفعه عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله «مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» فقال: كذبوا ما هكذا هي إذا كان ينسى وينسخها أو يأت بمثلها لم ينسخها. قلت: هكذا قال الله؟ قال: ليس هكذا قال تبارك وتعالى، قلت: فكيف قال؟ قال: ليس فيها ألف ولا واو قال «مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» يقول ما نमित من إمام أو ننسه ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله.^{١٠}

١. الكافي ١/٣٢٨، ح ١٢.

٢. الإرشاد ٢/٣١٩.

٣. الغيبة / ٢٠٠.

٤. كشف الغمة ٢/٤٠٦.

٥. الصراط المستقيم ٢/١٦٩.

٦. بحار الأنوار ٥٠/٢٤٢.

٧. سورة الرعد / ٣٩.

٨. سورة الذاريات / ٥٤.

٩. تفسير العياشي ١/١٥٠، ح ٨١.

١٠. تفسير العياشي ١/١٥٠، ح ٨٢.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : قال الإمام عليه السلام قال محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام «مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ» بَأَن نَرَفَعُ حَكْمَهَا «أَوْ نُنْسَهَا» بَأَن نَرَفَعُ رِسْمَهَا، وَنَزِيلٌ عَنِ الْقُلُوبِ حِفْظُهَا وَعَنْ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «سُنْقَرُكَ» فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ^١ أَنْ يَنْسِيكَ فَرَفَعَ ذِكْرَهُ عَنْ قَلْبِكَ. «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا» يَعْنِي بِخَيْرٍ لَكُمْ، فَهَذِهِ الثَّانِيَةُ أَعْظَمُ لثَوَابِكُمْ، وَأَجَلٌ لَصَلَاحِكُمْ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَى الْمُنْسُوخَةِ «أَوْ مِثْلَهَا» مِنَ الصَّلَاحِ لَكُمْ، أَيْ إِنَّا لَا نَنْسَخُ وَلَا نَبْدِلُ إِلَّا وَغَرَضُنَا فِي ذَلِكَ مَصَالِحَكُمْ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فَإِنَّهُ قَدِيرٌ يَقْدِرُ عَلَى النِّسْخِ وَغَيْرِهِ.^٢

«أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»

بيان أنَّ الله تعالى «مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» «خَلَقًا وَإِيجَادًا وَارَادَةً وَتَدْبِيرًا، وَالنَّاسَ كُلَّهُمْ عِبِيدُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِيهِمْ وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ»^٣.
«أَ» استفهام تَقْرِيرِيٌّ.

«لَمْ تَعْلَمْ» فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً للنبي الأعظم عليه السلام أو لكل قارئ.

«أَنَّ» حرف مشبه بالفعل، تأكيد. «اللَّهُ» اسم «أَنَّ».

١. سورة الأعلى / ٦ و ٧.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٩١.

٣. مواهب الرحمن / ١ / ٥١٩.

﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.
 ﴿مُلْكُ﴾ مبتدأ مؤخر، المُلْكُ: السلطنة والادارة.
 ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾؛ وجملة ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.
 ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بحال محذوفة من ﴿وَلِيِّ﴾.
 ﴿دُونِ اللَّهِ﴾: سوى الله.
 ﴿مِنْ﴾ حرف جر زائد.
 ﴿وَلِيٍّ﴾ مجروره، في محل رفع مبتدأ مؤخر. الولي: هو القيم بالأمر.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.
 ﴿نَصِيرٍ﴾ معطوف على ﴿وَلِيٍّ﴾، ﴿نَصِيرٍ﴾: ناصر ينصركم.
 «والآية من الأدلة العقلية على تمام قدرته وكمال إرادته، وكم لها نظير في الآيات القرآنية، وفيها إشارة إلى لزوم انقطاع العباد إليه تعالى لانحصار الولاية فيه، والإعانة منه ﷺ، فهو مسبب الأسباب بها يشاء»^١.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ﴿أَلَمْ نَعْلَمْ﴾ يا مُحَمَّد ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو العالم بتدبيرها ومصالحها فهو يدبركم بعلمه ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِّن وَلِيٍّ﴾ يلي صلاحكم إذ كان العالم بالمصالح هو الله ﷻ دون غيره ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ وما لكم من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد الله إنزاله بكم، أو

عقاب إن أراد إحلاله بكم.

وقال محمد بن علي عليه السلام وربما قدر عليه النسخ والتبديل لمصالحكم ومنافعكم، لتؤمنوا، بها ويتوفر عليكم الثواب بالتصديق بها، فهو يفعل من ذلك ما فيه صلاحكم والخيرة لكم. ثم قال ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملكها بقدرته ويصرفها بحسب مشيئته لا مقدّم لما آخر ولا مؤخّر لما قدّم. ثم قال ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر اليهود والمكذّبين بمحمد عليه السلام والجاحدين بنسخ الشرائع ﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله ﴿مِنَ وَلِيِّ﴾ يلي مصالحكم ان لم يل لكم ربكم المصالح ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من دون الله فيدفع عنكم عذابه.^١

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ^٢

وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

تدل الآية «على أنّ بعض المسلمين - ممن آمن بالنبي - سئل النبي أموراً على حد سؤال اليهود نبيهم موسى عليه السلام والله سبحانه وبّخهم على ذلك في ضمن ما يوبّخ اليهود بما فعلوا مع موسى والنبيين من بعده»^٢ عليه السلام.

﴿أَمْ﴾ حرف عطف وهي هنا منقطعة لأنّها وقعت عاطفة جملة دلت على انتقال من الكلام السابق إلى استفهام فتكون بمعنى بل الانتقالية والاستفهام ملازم لها مطلقاً أي في حالتي المنقطعة والمتصلة.

﴿تُرِيدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خطاب للمسمين.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٩١.

٢. الميزان ١/ ٢٥٧.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿تَسْأَلُوا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله. ﴿أَنْ تَسْأَلُوا﴾ بتأويل مصدر مفعول به
 ﴿تُرِيدُونَ﴾ تقديره ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ سؤال، السؤال: هنا الطلب.
 ﴿رَسُولُكُمْ﴾ مفعول به ﴿تَسْأَلُوا﴾؛ والضمير يعود إلى المسلمين فالمراد بالرسول
 هنا الرسول الأعظم ﷺ.

﴿كَ﴾ اسم بمعنى مثل، نائب مفعول مطلق. ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿سُئِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول.

﴿مُوسَى﴾ نائب فاعل. ﴿مَا سُئِلَ﴾ بتأويل مصدر في محل جر بالاضافة تقديره:
 سؤالاً كسؤال بني إسرائيل من ﴿مُوسَى﴾.
 ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ جار ومجرور محلاً لأنَّ ﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم متعلق بـ ﴿سُئِلَ﴾.
 ﴿وَ﴾ استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم. مبتدأ وجملة فعل الشرط وجوابه خبره.

﴿يَتَبَدَّلُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ضمير مستتر «هو». والكسرة لالتقاء
 الساكنين. «التبديل هو جعل شيءٍ بآزاء شيءٍ آخر بدلاً منه»^١.
 ﴿الْكُفْرُ﴾ مفعول به.

﴿بِالْإِيمَنِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَتَبَدَّلُ﴾، «دخلت الباء على ﴿الْإِيمَنِ﴾ لأنها
 تدخل دائماً في البدلية على الأكمل»^٢.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿ضَلَّ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، جواب الشرط.

﴿سَوَاءٌ﴾ مفعول به ﴿ضَلَّ﴾، السواء: الوسط.

١. مواهب الرحمن ١/ ٥٢١.

٢. التفسير الكاشف ١/ ١٧٢.

﴿السَّبِيلِ﴾ مضاف إليه. ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ مستوى الطريق وهو الصراط المستقيم.

روايتان

الطوسي قال: ... وقال أبو علي [الجبائي]: روى أن النبي ﷺ سألته قومه أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر وغيره من المأكولات، كما سألوا موسى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾^{٢.١}

ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٣

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: قال علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ بل تريدون يا كفار قريش واليهود ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون. هل فيها صلاحكم أو فسادكم ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ واقترح عليه لما قيل له ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ﴾^٤ ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ بعد جواب الرسول له. إن ما سأله لا يصلح اقتراحه على الله وبعد ما يظهر الله تعالى له ما اقترح ان كان صواباً. ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ بان لا يؤمن عند مشاهدة ما يقترح من الآيات أو لا يؤمن إذا عرف أنه ليس له ان يقترح، وأنه يجب أن يكتفي بما قد اقامة الله تعالى من الدلالات، وأوضحه من الآيات البينات، فيتبدل الكفر بالإيمان بان يعاند ولا يلتزم الحجة القائمة عليه ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ قصد الطرق المؤدية إلى الجنان،

١. سورة الأعراف / ١٣٨.

٢. التبيان ١ / ٤٠٢.

٣. مجمع البيان ١ / ١٨٣ (٢٩ / ٣).

٤. سورة البقرة / ٥٥.

وأخذ في الطرق المؤدية إلى النيران. قال ﷺ: قال الله تعالى [لليهود] يا أيها اليهود ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ بل تريدون من بعد ما آتيناكم ﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ وذلك أن النبي ﷺ قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعتوه ويسألوه عن أشياء يريدون أن يتعانتوه بها، فبينما هم كذلك إذ جاء أعرابي كأنها يدفع في قفاه، قد علق على عصا على عاتقه جراباً مشدود الرأس، فيه شيء قد ملأه لا يدرون ما هو. فقال يا محمد: أجني عما أسألك. فقال رسول الله ﷺ: يا أخا العرب قد سبقك اليهود [لسألك] أفتأذن لهم حتى أبداً بهم. فقال الأعرابي: لا، فإني غريب مجتاز. فقال رسول الله ﷺ: فأنت إذا أحق منهم لغربتك واجتيازك. فقال الأعرابي ولفظة أخرى. قال رسول الله ﷺ: ما هي؟ قال: إن هؤلاء أهل كتاب، يدعونهم ويزعمونه حقاً، ولست آمن أن تقول شيئاً يواطئك عليه ويصدقونك، ليفتنوا الناس عن دينهم، وأنا لا أقنع بمثل هذا، لا أقنع إلا بأمر بين.

فقال رسول الله ﷺ أين علي بن أبي طالب؟ فدعي بعلي فجاء حتى قرب من رسول الله ﷺ، فقال الأعرابي: يا محمد، وما تصنع بهذا في محاورتي إياك؟

قال: يا أعرابي، سألت البيان وهذا البيان الشافي وصاحب العلم الكافي، أنا مدينة العلم وهذا بابها، فمن أراد الحكمة والعلم فليأت الباب.

فلما مثل بين يدي رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ بأعلى صوته: يا عباد الله من أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته وإلى شيث في حكمته وإلى إدريس في نباهته ومهابته وإلى نوح في شكره لربه وعبادته وإلى إبراهيم في وفائه وخلته وإلى موسى في بغض كل عدو الله ومناذته وإلى عيسى في حب كل مؤمن ومعاشرته فليتنظر إلى علي ابن أبي طالب هذا.

فأما المؤمنون فازدادوا بذلك إيماناً وأما المنافقون فازداد نفاقهم الحديث^١.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٤٩٦.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



بيّن الله تعالى أنّ سبب مكائد اليهود ومكرهم بالنسبة إلى المسلمين هو خبث نفوسهم والحسد اللذان لا ينفكان عن اليهود.

﴿وَدَّ﴾ فعل ماضٍ. بمعنى أحبّ وتستعمل في التمنيّ. ﴿كَثِيرٌ﴾ فاعله.

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بصفة محذوفة من ﴿كَثِيرٌ﴾. ﴿مِّنْ﴾ بيانيّ.

﴿لَوْ﴾ حرف مصدري بمعنى «أن» المصدرية. وجوابه محذوف تقديره: لَسَرَّوا بذلك.

﴿يَرُدُّونَكُم﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ بتأويل مصدر مفعول به أوّل ﴿وَدَّ﴾. ﴿يَرُدُّونَكُم﴾: يرجعونكم.

﴿مِّنْ بَعْدِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يَرُدُّونَكُم﴾.

﴿إِيمَانِكُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

﴿كُفَّارًا﴾ مفعول به ثانٍ ﴿يَرُدُّونَكُم﴾، أي يرجعونكم من الإسلام والإيمان إلى الكفر والزندقة.

﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله أي يرجعونكم ﴿كُفَّارًا﴾ لأجل الحسد، أو المفعول المطلق بفعل محذوف تقديره: حسدوكم حسداً.

«الحسد: ارادة زوال نعمة المحسود إليه أو كراهة النعمة التي هو فيها، وإرادة أن تصير تلك النعمة بعينها له، وقد يكون تمنّي زوال نعمة الغير حسداً وإن لم يطمع

الحاسد في تحول تلك النعمة إليه، وأشد الحسد التعرض للاغتيال بكون الخير لأحد.
وأما الغبطة فهي: أن يراد مثل النعمة التي فيها الغير، وإن لم يرد زوالها عنه، ولا
يكره كونها له فهذا غير مذموم، والحسد مذموم^١.
﴿مَنْ عِنْدَ جَارٍ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِحَسَدٍ﴾، تأكيداً له. ﴿مَنْ﴾ ابتدائية إشارة إلى
تأصل هذا الحسد.

﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ردّ على اليهود لأنهم اضافوا الكفر
والمعاصي إلى الله سبحانه ولكن الله ينسبها إلى ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾.
﴿مَنْ بَعْدَ جَارٍ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِحَسَدٍ﴾. ﴿مَا﴾ مصدرية.
﴿تَبَيَّنَ﴾ فعل ماضٍ. ﴿لَهُمْ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿تَبَيَّنَ﴾.
﴿الْحَقُّ﴾ فاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾. أي ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رسول الله
والإسلام دين الله ﴿الْحَقُّ﴾.
﴿فَ﴾ استئنافية.

﴿أَعْفُوا﴾ فعل أمر وفاعله. العفو: ترك المؤاخذه على الذنب. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿أَصْفَحُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿أَعْفُوا﴾. الصفح: إزالة أثر الذنب
عن النفس. أي تجاوزوا عنهم.
﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر.

﴿يَأْتِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنَّ﴾ مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾. ﴿اللَّهُ﴾ فاعل.
﴿بِأَمْرِهِ﴾ جارٍ ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿يَأْتِي﴾، فيه إشارة إمّا إلى حكم
شرعي سوف يشرعه الله من الجهاد أو القتال وإمّا إلى حكم تكويني من تغليب
المؤمنين وعظمة شوكتهم واشتداد أمرهم.
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تأكيد على أنه تعالى قادر على أن ﴿يَأْتِي﴾

﴿بِأَمْرِهِ﴾.

الروايات

صحیحة داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران لا تحسدنَّ الناسَ على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنَّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنَّ الحاسدَ ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمتُ بين عبادي ومن يك كذلك فلستُ منه وليس مني.^١

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: لم يؤمر رسول الله ﷺ بقتل ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾^٢ وقلده سيفاً.^٣

رواها الطبرسي في مجمع البيان؛ والرازي في روض الجنان^٤ والكاشاني في منهج الصادقين^٥ والمشهدى في كنز الدقائق^٦.

الطوسي رفعه وقال: في الحديث: النّشيج للرجال والتصفّح للنساء.^٨
النشيج: أي الصوت؛ والمراد بالتصفّح على ما قاله الشيخ الطوسي رحمه الله: التّصفيق، لا تمّها تضرب بصفحة كف على صفحة الأخرى.^٩

١. الكافي ٢/ ٣٠٧، ح ٦ (٣/ ٧٤٨ من طبعة دار الحديث).

٢. سورة الحج / ٣٩.

٣. التبيان ١/ ٤٠٧.

٤. مجمع البيان ١/ ١٨٥.

٥. روض الجنان ٢/ ١٠٩.

٦. منهج الصادقين ١/ ٢٧٧.

٧. كنز الدقائق ١/ ٣١٦.

٨. التبيان ١/ ٤٠٦.

٩. التبيان ١/ ٤٠٦.

الرازي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: الحاسد مغتاذ على من لا ذنب له.^١
 المشهدي قال: روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود
 قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم، ولو كنتم
 على الحق ما هزمتهم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً،
 فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإني عاهدت أن لا أكفر
 بمحمد صلى الله عليه وآله عشْتُ، فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: وأمّا أنا فقد
 رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلَةً
 وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبراه، فقال: أصبتما خيراً وأفلحتما
 فنزلت.^٢

رواها الرازي في روض الجنان^٣ ومن العامة الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان^٤ والزنجشيري
 في الكشف^٥.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام الحسن بن علي
 أبو القائم عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
 كُفَّارًا﴾ بما يوردونه عليكم من الشبه ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾ لكم بأن أكرمكم
 بمحمد وعلي والهما الطيبين الطاهرين ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْخَبَرُ﴾ بالمعجزات
 الدالات على صدق محمد وفضل علي والهما الطيبين من بعده ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ عن
 جهلهم، وقابلوهم بحجج الله، وادفعوا بها اباطيلهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم
 بالقتل يوم فتح مكة، فحينئذ تجلّونهم من بلد مكة ومن جزيرة العرب، ولا تقرون بها

١. روض الجنان ٢/ ١٠٨.

٢. كنز الدقائق ١/ ٣١٥.

٣. روض الجنان ٢/ ١٠٦.

٤. الكشف والبيان ١/ ٢٥٧.

٥. الكشف ١/ ١٧٦.

كافراً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولقدرته على الأشياء قدر ما هو أصلح لكم في تعبه إياكم من مداراتهم ومقابلتهم بالجدال بالتي هي أحسن.^١
الروايات الواردة حول الحسد كثيرة جداً فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٢.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

تضمنت الآية الشريفة أموراً ثلاثة: الأمر باقامة الصلاة والأمر بإيتاء الزكاة والترغيب في الخير بوجه العموم.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها إلى قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا...﴾^٣.

﴿أَقِيمُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿الصَّلَاةَ﴾ مفعول به. لأنها من أقوى دعائم الدين وأبرز مظاهر الإسلام.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿آتُوا﴾ فعل أمر وفاعله.

﴿الزَّكَاةَ﴾ مفعول به، وهي صلة الفقراء وتوجب الوحدة والاتلاف ورفع

التفرق والاختلاف.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿مَا﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ ومعنى ﴿مَا﴾ الجزاء.

﴿تُقَدِّمُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥١٥.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ٣ / ١٤٨.

٣. سورة البقرة / ١٠٩.

﴿لَا تُفْسِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿تُقَدِّمُوا﴾.

﴿مَنْ﴾ حرف جر، بياني.

﴿حَبِيرٍ﴾ مجروره. جار ومجرور ﴿مَنْ حَبِيرٍ﴾ متعلق بحال محذوفة من اسم شرط ﴿مَا﴾.

﴿تَجِدُوهُ﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله ومفعول به، جواب الشرط والضمير المفعولي يرجع إلى ﴿حَبِيرٍ﴾.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ظرف مكان متعلق بـ ﴿تَجِدُوهُ﴾ ومضاف إليه.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنْ﴾.

﴿بِمَا﴾ حرف جر و ﴿مَا﴾ موصولة، متعلق بـ ﴿بَصِيرٍ﴾.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بَصِيرٍ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. يدل على علمه الإحاطي بالجزئيات؛ ولا يخفى عليه شيء من أعمال العباد.

الروايات

الرازي رفعه عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: إذا استشهدت فاطمة الزهراء عليها السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام في مرثيتها:

لكل اجتماع من خليلين فُرْقَةٌ وكل الذي دُونَ الفراقِ قليلٌ

وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ دليل على أن لا يدوم خليلٌ

ثم دخل على البقيع وقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أموالكم قُسمت ودياركم سُكنت ونسائكم نكحت هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟
فهتف هاتف: ما أكلنا ربحنا وما قدّمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا.^١

رواها الكاشاني وزاد في آخر الحديث: وبرواية أخرى قال هاتف: إن خير الزاد التقوى.^١

رواها الثعلبي في تفسير الكشف والبيان.^٢

الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: ليس لك من مالك إلا ما أكلت فافئيت أو لبست فأبليت أو صدقت فأمضيت.^٣

الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: إذا ورد عبد أو أمة على الله تعالى يقول الناس: ماذا خلف؟ وتقول الملائكة ماذا قدم.^٤

رواها الكاشاني في منهج الصادقين.^٥

الكاشاني رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: أشد الندامة من كان له مال ولم يخرج حقوقه ومات وانتقل إلى وارثه وأخرج حقوقه وإذا كان يوم القيامة يوضع ماله على الميزان ويؤمر إلى جهنم بسبب ماله ويؤمر الوارث إلى الجنة بسبب مال غيره.^٦

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» بإتمام وضوئها وتكبيراتها وقيامها وقراءتها وركوعها وسجودها وحدودها. «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» مستحقيها، لا تؤتوها كافرين ولا مناصباً. قال رسول الله ﷺ: «المتصدق على أعدائنا كالسارق في حرم الله» «وَمَا تُقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ» من مال تنفقونه في طاعة الله، فإن لم يكن لكم مال، فمن جاهكم تبذلونه لإخوانكم المؤمنين، تجرون به إليهم المنافع، وتدفعون به عنهم المضار «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ» ينفعكم الله تعالى بجاه محمد وعلي وأهلها يوم القيامة فيحط به سيئاتكم ويضاعف به حسناتكم، ويرفع به درجاتكم

١. منهج الصادقين ١ / ٢٧٧.

٢. الكشف والبيان ١ / ٢٥٩.

٣. روض الجنان ٢ / ١١٣.

٤. روض الجنان ٢ / ١١٣.

٥. منهج الصادقين ١ / ٢٧٧.

٦. منهج الصادقين ١ / ٢٧٨.

فقال ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم ليس يخفى عليه شيء ظاهر فعل، ولا باطن ضمير، فهو يجازيكم على حسب اعتقاداتكم ونياتكم، وليس هو كملوك الدنيا الذي يلتبس على بعضهم، فينسب فعل بعضهم إلى غير فاعله، وجناية بعضهم إلى غير جانيه فيقع ثوابه وعقابه بجهله بما لبس عليه بغير مستحقه. وقال رسول الله ﷺ مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم، ولا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول. وإن أعظم طهور الصلاة التي لا يقبل الصلاة إلا به، ولا شيء من الطاعات مع فقدته، موالة محمد، وأنه سيد المرسلين، وموالة علي، وأنه سيد الوصيين وموالة أوليائها، ومعادة أعدائها.^١

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣١﴾

حكاية من دعاوي اليهود والنصارى الباطلة التي لا برهان لها.
﴿و﴾ عاطفة، معطوف على قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^٢.
﴿قَالُوا﴾ بيان مقالة كثير من اليهود والنصارى.
﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿لَنْ﴾.
﴿الْجَنَّةَ﴾ مفعول به أو ظرف مكان. ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.
﴿مَنْ﴾ فاعل ﴿لَنْ يَدْخُلَ﴾، اسم موصول.
﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه ضمير مستتر «هو»، يعود إلى ﴿مَنْ﴾.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥٢٠.

٢. سورة البقرة / ١٠٩.

﴿هُودًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾. أي يهودياً. ﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتخيير.
﴿نَصَرَى﴾ معطوف على ﴿هُودًا﴾، يعني قالت النصارى: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا
مَنْ كَانَ... نَصَرَى﴾.

﴿تِلْكَ﴾ اسم اشاره، مبتدأ، اشارة إلى جمع التكسير.
﴿أَمَانِيَهُمْ﴾ خبر ومضاف إليه. جمع أُمْنِيَة من التمني، أُمْنِيَاتِهِم التي تصدر عن
التوهم.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» وما بعده مقول القول.
﴿هَاتُوا﴾ فعل أمر وفاعله. احضروا واعطوني.
﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي حجتكم.
﴿إِنْ﴾ حرف شرط جازم.
﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه. فعل الشرط.
﴿صَادِقِينَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾.

الروايات

الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ انه قال: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله.^١
الرازي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: لا تتكل على المني فإِنَّهَا بضائع
النوكى.^٢

رواهما الكاشاني في منهج الصادقين.^٣

أبو منصور الطبرسي رفعه إلى الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في

١. روض الجنان ٢/ ١١٦.

٢. روض الجنان ٢/ ١١٦.

٣. منهج الصادقين ١/ ٢٧٩.

حديث: ... ولا نقول كما قالت اليهود والنصارى: إِنَّ لَكَ وَلِداً تعاليت عن ذلك، قال: فذلك قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ وقالت طائفة غيرهم من هؤلاء الكفار ما قالوا، قال الله تعالى: يا محمد ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ التي يمتنونها بلا حجة ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وحجتكم على دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما أتى محمد ببراينه التي سمعتموها. الحديث^١.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَقَالُوا﴾ يعني اليهود والنصارى قالت اليهود ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ أي يهودياً. وقوله ﴿أَوْ نَصْرَى﴾ يعني وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد قال غيرهم قالت الدهرية الأشياء لا بدء لها، وهي دائمة، ومن خالفنا في هذا ضال مخطئ [مضل]. وقالت الثنوية النور الظلمة هما المدبران، ومن خالفنا في هذا ضل. وقال مشركوا العرب ان أوثاننا الهة، من خالفنا في هذا ضل. فقال الله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ التي يمتنونها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على مقالكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

بيان أن الكرامة على الله ليست إلا بحقيقة الإيمان والعبودية ثم الإحسان إلى الخلق وأن السعادة لا تدور مدار الاسم والإدعاء.

١. الاحتجاج ١/ ٢٨.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥٢٦.

﴿بَلَى﴾ حرف جواب بمعنى نعم.
 ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم مبتدأ وجملتا فعل الشرط وجوابه خبره.
 ﴿أَسْلَمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو»، فعل الشرط. ﴿أَسْلَمَ﴾: صرف إلى الله أو أخلص لله.

﴿وَجَهَّهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه، الوجه: أول ما يبدو من كل شيء.
 ﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَسْلَمَ﴾. يعني أخلص دينه لله اعتقاداً وعملاً.
 ﴿وَ﴾ حالية، والجملة الاسمية بعدها حال من ﴿أَسْلَمَ﴾. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.
 ﴿مُحْسِنٌ﴾ خبر، الإحسان إلى خلق الله لأنهم عياله.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم.
 ﴿أَجْرُهُ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه.
 ﴿عِنْدَ﴾ ظرف مكان متعلق بـ﴿أَجْرُهُ﴾.
 ﴿رَبِّهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿لَا﴾ نافية.
 ﴿خَوْفٌ﴾ مبتدأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور، خبر.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ نافية.. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ.
 ﴿تَحْزُنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. خبر. في الدنيا والآخرة.

روايتان

الصدوق بإسناده عن عامر بن واثلة قال: كنت في البيت يوم الشورى فسمعت علياً عليه السلام وهو يقول: في حديث طويل: نَسَدْتُكُمْ بِاللَّهِ هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ مثل ما قال لي: أهل ولايتك يخرجون يوم القيامة من قبورهم على نوق بيض، شراك نعالهم نور يتلألأ، قد سهّلت عليهم الموارد، وفرّجت عنهم الشدائد واعطوا الأمان، وانقطعت عنهم الأحزان حتّى ينطلق بهم إلى ظلّ عرش الرحمن توضع بين أيديهم مائدة يأكلون منها حتّى يفرغ من الحساب، يخاف الناس ولا يخافون

ويحزن الناس ولا يحزنون غيري؟ قالوا: اللهم لا، الحديث.^١
 أبو منصور الطبرسي رفعه إلى الصادق عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: ثم قال «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» يعني كما فعل هؤلاء الذين آمنوا برسول الله ﷺ لما سمعوا براهينه وحجته «وَهُوَ مُحْسِنٌ» في عمله «فَلَهُ أَجْرُهُ» وثوابه «عِنْدَ رَبِّهِ» يوم فصل القضاء «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» حين يخاف الكافرون مما يشاهدونه من العقاب «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» عند الموت لان البشارة بالجنان تأتيهم.^٢
 الرواية رويت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام^٣ وبحار الأنوار^٤.

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»

منذ حدوث المجتمع البشري، كل طائفة ترمي الطائفة الأخرى بالباطل وادّعى كل فريق أن صاحبه ليس على شيء، وذلك أن أصحاب كل نحلة ودين واعتقاد لا يروون غيرهم على الحق، بل نرى ذلك بين المذاهب المختلفة من دين واحد فضلاً عن الأديان المختلفة.^٥

﴿وَ﴾ عاطفة. عطفت على قوله: «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ

١. الخصال ٢/ ٥٥٨، ح ٣١.

٢. الاحتجاج ١/ ٢٩.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٥٤٢.

٤. بحار الأنوار ٦٣/ ٢١٥.

٥. راجع مواهب الرحمن ١/ ٥٤٨.

نَصَرَئِ ١.

﴿قَالَتْ﴾ فعل ماضٍ. ﴿الْيَهُودُ﴾ فاعله.

﴿لَيْسَتْ﴾ فعل ماضٍ ناقص. مقول القول. ﴿النَّصَرَئِ﴾ اسم ﴿لَيْسَتْ﴾.

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ جارٍ ومجرور، خبر ﴿لَيْسَتْ﴾. أي: على دين صحيح. يعني في تدينهم بالنصرانية ليسوا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿قَالَتْ النَّصَرَئِ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ الجملة الفعلية معطوفة على سابقتها. يعني في تدينهم باليهودية ليسوا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾. ﴿وَ﴾ حالية، والجملة الاسمية بعدها في محل نصب حال من ﴿الْيَهُودُ﴾ ﴿وَ﴾ ﴿النَّصَرَئِ﴾.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ. ﴿يَتْلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر.

﴿الْكِتَابَ﴾ مفعول به. يعني: «﴿وَهُمْ﴾ يعملون بما أوتوا من كتاب الله لا ينبغي لهم أن يقولوا ذلك والكتاب يبين لهم الحق»^٢. ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بهم غير أهل الكتاب من الكفار ومشركي العرب. بل يشمل كل من لا يعلم الحق ولا يعمل به.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يعني يقولون: إن المسلمين ليسوا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أو إن الشيعة ﴿لَيْسَتْ﴾ ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ أو إن أهل الكتاب ليسوا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ ونظائر لأن ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^٣.

١. سورة البقرة / ١١١.

٢. الميزان ١ / ٢٥٨.

٣. سورة الروم / ٣٢.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ.

﴿تَحْكُمُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو».

﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف مكان ومضاف إليه. أي ﴿بَيْنَ﴾ جميع الطوائف.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرف زمان ومضاف إليه.

﴿فِيمَا﴾ حرف جر و «ما» موصولة. ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿فِيهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله، خبر ﴿كَانُوا﴾. يعني: ﴿اللَّهُ﴾ تعالى هو الحاكم

﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ في هذا الاختلاف و ﴿تَحْكُمُ﴾ من كان منكم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ على الصراط المستقيم على الدين القويم.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين بل دينهم باطل وكفر، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين بل دينهم باطل و كفر ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ اليهود ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة. فقال هؤلاء وهؤلاء مقلدون بلا حجة وهم يتلون الكتاب فلا يتأملونه ليعملوا بما يوجبه فيتخلصوا من الضلالة. ثم قال ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق ولم ينظروا فيه من حيث أمرهم الله فقال بعضهم لبعض وهم مختلفون كقول اليهود والنصارى بعضهم لبعض، هؤلاء يكفر هؤلاء، وهؤلاء يكفر هؤلاء. ثم قال الله تعالى ﴿فَاللَّهُ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا بين ضلالهم وفسقهم، ويجازي كل واحد منهم بقدر استحقاقه.

وقال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: إنما أنزلت الآية لأن قوماً من اليهود، وقوماً من النصارى جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إقض بيننا. فقال ﷺ قصوا علي قصتكم. فقالت اليهود: نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم

وأوليائه، وليست النصارى على شيء من الدين والحق. وقالت النصارى: بل نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم وأوليائه وليست هؤلاء اليهود على شيء من الحق والدين. فقال رسول الله ﷺ: كلكم مخطئون مبطلون فاسقون عن دين الله وأمره. فقالت اليهود: كيف نكون كافرين وفيينا كتاب الله التوراة نقرؤه؟ وقالت النصارى: كيف نكون كافرين وفيينا كتاب الله الأنجيل نقرؤه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنكم خالفتم أيها اليهود والنصارى كتاب الله ولم تعملوا به، فلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفر بعضكم بعضاً بغير حجة، لأن كتب الله أنزلها شفاءً من العمى، وبياناً من الضلالة، يهدي العاملين بها إلى صراط مستقيم، كتاب الله إذا لم تعملوا به كان وبالاً عليكم، وحجة الله إذا لم تنقادوا لها. كنتم لله عاصين ولسخطه متعرضين. ثم أقبل رسول الله ﷺ على اليهود فقال: احذروا أن ينالكم بخلاف أمر الله وبخلاف كتابه ما أصاب أوائلكم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وأمروا بأن يقولوه. قال الله تعالى ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^١ عذاباً من السماء طاعوناً نزل بهم، فمات منهم مائة وعشرون ألفاً، ثم أخذهم بعد قباع فمات منهم مائة وعشرون ألفاً أيضاً، وكان خلافتهم أنهم لما بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً فقالوا: ما بالنا نحتاج إلى ان نركع عند الدخول هاهنا، ظننا أنه باب متطامن لا بد من الركوع فيه، وهذا باب مرتفع، وإلى متى يسخر بنا هؤلاء؟ يعنون موسى ثم يوشع بن نون ويسجدوننا في الابطيل، وجلعوا استاهم نحو الباب، وقالوا بدل قولهم حطة الذي أمروا به هطاً سمقانا يعنون حطة حمراء، لذلك تبديلهم. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: فهو هؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطة - يا معشر أمة محمد - نصب لكم باب حطة أهل بيت محمد وأمرتم باتباع هداهم ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم وليزداد المحسنون منكم، وباب حطتكم أفضل

من باب حِطَّتْهُمْ، لأنَّ ذلك كان باب خشب ونحن الناطقون الصادقون المرتضون الهادون الفاضلون، كما قال رسول الله ﷺ: إِنَّ النجوم في السماء أمان من الغرق وإنَّ أهل بيتي أمانٌ لأمتي من الضلالة في أديانهم، لا يهلكون فيها مادام فيهم من يتبعون هديه وسنته.

أما إنَّ رسول الله ﷺ قد قال: من أراد أن يحيا حياتي وأن يموت مماتي وأن يسكن الجنة التي وعدني ربِّي، وأن يمسك قضيباً غرسه بيده، وقال له: كن فكان، فليتولَّ علي بن أبي طالب وليوال وليه وليعاد عدوه وليتولَّ ذريته الفاضلين المطيعين لله من بعده، فإنَّهم خلَقوا من طينتي، فرزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذِّبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أناهَمُ الله شفاعتي.^١

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

«بعد ما ذكر سبحانه وتعالى مثالب اليهود والنصارى بيّن تعالى في هذه الآية المباركة بعض ما وقع منهم من الظلم النوعي - بأن منعوا المساجد أن يتعبد فيها - ثم أو عدهم الله تعالى بالخزي في الحياة الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة»^٢. بل ظاهر الآية الشريفة «يدل على التهديد والوعيد لمن لا يحترم المساجد، ويمنع من عمارتها، أو من التعبد فيها لله، أو يعمل على هدمها، أو إهمالها، أو تعطيل الشعائر

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٥٤٤.

٢. مواهب الرحمن / ١ / ٥٥٣.

الدينية فيها... وأنّ الواجب الإلهي والإنساني يفرض على كلّ إنسان أن يقدس المساجد، ويدخلها معظماً لها، وخاشعاً لجلالها، وخائفاً من عقاب الله راجياً لشوابه، لا مستهتراً ومستخفاً، لأنها انشئت لهذه الغاية، ثمّ بيّن سبحانه إنّ من تعرّض بسوء للمساجد فإنّ الله سبحانه يهينه ويذلّه في هذه الحياة، ويعذّبه غداً بعذابه الأكبر^١.

﴿وَ﴾ عاطفة أو استئنافية.

﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ، بمعنى: أيّ واحد، استفهام إنكاريّ.

﴿أَظْلَمُ﴾ خبر.

﴿مِمَّنْ﴾ «مِنْ» حرف جر و «مَنْ» بمعنى الذي مجروره، جار ومجرور متعلّق بـ ﴿أَظْلَمُ﴾.

﴿مَنَعَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». المنع: أن يحول بين الرجل وبين الشيء يريد.

﴿مَسَجِدَ اللَّهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه. الظاهر أراد الله جميع المساجد بل قيل^٢: جميع المعابد.

﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يُذَكِّرْ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ «أَنْ»، بتأويل مصدر في محل جرّ بحرف جرّ محذوف تقديره: «من ذكر» الجار والمجرور متعلّق بـ ﴿مَنَعَ﴾.

﴿فِيهَا﴾ جار ومجرور متعلّق بـ ﴿يُذَكِّرْ﴾ والضمير يعود إلى المساجد.

﴿أَسْمُهُ﴾ نائب فاعل ﴿يُذَكِّرْ﴾ ومضاف إليه؛ والضمير عائد إلى ﴿اللَّهِ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿سَعَى﴾ معطوف على ﴿مَنَعَ﴾. كل عمل من خيرٍ أو شرٍّ فهو السعي.

١. التفسير الكاشف ١/ ١٨٢ مع تغيير المعابد بالمساجد.

٢. والقائل الشيخ محمد جواد مغنیه في التفسير الكاشف ١/ ١٨٢.

﴿فِي خَرَابَهَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿سَعَى﴾. الخراب والهدم والنقض نظائر.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى المانعين والساعين المذكورين.

﴿مَا﴾ نافية. ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم ﴿كَانَ﴾. ﴿أَنْ﴾ مصدرية ناصبة.

﴿يَدْخُلُوهَا﴾ فعل مضارع منصوب وفاعله ومفعول به. اسم ﴿كَانَ﴾. أي ﴿مَا

كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَهُمْ﴾ دخولها.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر وهو هنا لنقض النفي.

﴿خَافِينَ﴾ حال من الضمير الفاعلي في ﴿يَدْخُلُوهَا﴾. يعني حين يدخل في

المساجد يخاف من الإخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه

مطمئناً كما يقعد المسلم وقال الشيخ الطوسي رحمته الله: «وهو الذي يليق بمذهبنا»^١.

﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. والضمير يعود إلى المانعين والساعين

المذكورين.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿خِزْيٌ﴾ وحال له.

﴿خِزْيٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿لَهُمْ﴾ معطوف على ﴿لَهُمْ﴾ السابق. خبر مقدم.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿عَذَابٌ﴾ وحال له.

﴿عَذَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لـ﴿عَذَابٌ﴾.

فـ﴿أُولَئِكَ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ عذابان: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وهو ﴿خِزْيٌ﴾ وعذاب ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾

وهو ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، لأنهم من كل ظالم أظلم بهذين الفعلين: المنع والسعي، والله

العالم.

الروايات

العياشي عن محمد بن يحيى في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِينَ﴾ يعني الإيذان لا يقبلونه إلا والسيف على رؤوسهم^١.
الطوسي قال: وروى عن زيد بن علي عن أبيه عليه السلام أنه أراد جميع الأرض، لقوله ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وتراها طهوراً^٢.
رواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.
الطوسي قال: قال السدي: خزيهم في الدنيا أنهم إذا قام المهدي وفتحت قسطنطينية قتلهم فلذلك خزيهم في الدنيا ان يقتلوا ان كانوا حرباً، ويؤدون الجزية ان كانوا ذمة^٥.
نقله عنه الثعلبي في تفسيره^٦ والسيوطي في الدر المنثور^٧ وذكره الطبرسي في مجمع البيان^٨ وجوامع الجامع^٩ والمشهد في كنز الدقائق^{١٠}.
الطبرسي قال: روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنهم قريش حين منعوا رسول الله ﷺ دخول مكة والمسجد الحرام^{١١}.

-
١. تفسير العياشي ١/ ١٥١، ح ٨٣.
 ٢. التبيان ١/ ٤١٧.
 ٣. مجمع البيان ١/ ١٩٠.
 ٤. منهج الصادقين ١/ ٢٨٢.
 ٥. التبيان ١/ ٤٢٠.
 ٦. الكشف والبيان ١/ ٢٦١.
 ٧. الدر المنثور ١/ ١٠٨.
 ٨. مجمع البيان ١/ ١٩٠.
 ٩. جوامع الجامع ١/ ٧٣.
 ١٠. كنز الدقائق ١/ ٣٢٢.
 ١١. مجمع البيان ٣/ ٥٣ من طبعة آل البيت عليه السلام.

رواها القطب الراوندي في فقه القرآن^١ المشهدي في كنز الدقائق^٢ والبحراني في البرهان^٣ والحويزي في نورالثقلين^٤.

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الإمام قال الحسن بن علي عليه السلام لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بمكة وأظهر بها دعوته ونشر بها كلمته وعاب أعيانهم في عبادتهم الأصنام وأخذوه وأساءوا معاشرته وسعوا في خراب المساجد المبنية كانت للقوم من خيار أصحاب محمد وشيعة علي بن أبي طالب عليه السلام كان بفناء الكعبة مساجد يحبون فيها ما أماته المبطلون فسعى هؤلاء المشركون في خرابها وأذى محمد وأصحابه وأجأه إلى الخروج من مكة نحو المدينة التفت خلفه إليها وقال: الله يعلم إنني أحبك ولو لا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً ولا ابتغيت عليك بدلاً وإني لمغتم على مفارقتك. فأوحى الله إليه: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول: سنردك إلى هذا البلد ظافراً غانماً سالماً قادراً قاهراً وذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^٥ يعني إلى مكة غانماً ظافراً. فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه. فاتصل بأهل مكة فسخروا منه. فقال الله تعالى لرسوله: سوف يظفرك الله بمكة ويجري عليهم حكمي وسوف أمنع عن دخولها المشركين حتى لا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً أو دخلها مستخفياً من أنه إن عثر عليه قتل. فلما حتم قضاء الله بفتح مكة واستوسقت له أمر عليهم عتاب بن أسيد فلما اتصل بهم خبره قالوا: إن محمداً لا يزال يستخف بنا حتى ولي علينا غلاماً حدث السن ابن ثمانية عشر سنة ونحن مشايخ ذوي الاسنان وجيران حرم الله الأمن وخير بقعة

١. فقه القرآن / ١ / ١٥٧.

٢. كنز الدقائق / ١ / ٣٢١.

٣. البرهان / ١ / ٣١٢.

٤. نورالثقلين / ١ / ١٤٥.

٥. سورة القصص / ٨٥.

على وجه الأرض. وكتب رسول الله ﷺ لعتاب بن أسيد عهداً على مكة وكتب في أوله من محمد رسول الله ﷺ إلى جيران بيت الله الحرام وسكان حرم الله، أما بعد فمن كان منكم بالله مؤمناً وبمحمد رسوله في أقواله مصداً وفي أفعاله مصوباً ولعلي أخي محمد رسوله ونبى وصفي ووصي وخير خلق الله بعده مالياً فهو منا وإلينا ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفاً فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير لا يقبل الله شيئاً من أعماله وإن عظم وكبر يصله نار جهنم خالداً مخلداً ابداً وقد قلد محمد رسول الله عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم وقد فوض إليه تنبيه غافلکم وتعليم جاهلکم وتقويم أود مضطربکم وتأديب من زال عن أدب الله منكم لما علم من فضله عليكم من موالة محمد رسول الله ﷺ ومن رجحانه في التعصب لعلّي وليّ الله فهو لنا خادم وفي الله أخ ولأوليائنا موال ولأعدائنا معاد وهو لكم سماء ظليّة وأرض زكية وشمس مضيئة قد فضله الله على كافتكم بفضل موالاته ومحبة لمحمد وعليّ والطيبين من آلها وحكمه عليكم يعمل بما يريد الله فلن يخليه من توفيقه كما أكمل من موالة محمد وعليّ ﷺ شرفه وحظّه لا يؤامر رسول الله ولا يطالعه بل هو السديد الأمين، فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء وعظيم الحياء وليتوقّ المخالف له شديد العذاب وغضب الملك العزيز الغلاب ولا يحتج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الأكبر وهو الأكبر في موالاتنا وموالة أوليائنا ومعاداة أعدائنا فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم فمن أطاعه فمرحباً به ومن خالفه فلا يبعد الله غيره. قال: فلما وصل إليهم عتاب وقرأ عهده ووقف فيهم موقفاً ظاهراً نادى في جماعتهم حتى حضروه وقال لهم: معاشر أهل مكة أن رسول الله ﷺ رماني بكم إلى أن قال:

ثم بعث رسول الله ﷺ بعشر آيات من سورة «براءة» مع أبي بكر بن أبي قحافة، وفيها ذكر نبذ العهود إلى الكافرين، وتحريم قرب مكة على المشركين. فأمر

أبأبكر بن أبي قحافة على الحجّ، ليحجّ بمن ضمّه الموسم ويقرأ عليهم الآيات، فلمّا صدر عنه أبوبكر جاءه المطوق بالنور جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إنّ العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول يا محمد: إنّّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، فابعث عليّاً عليه السلام ليتناول الآيات، فيكون هو الذي ينبذ العهد ويقرأ الآيات. يا محمد ما أمرك ربك بدفعها إلى علي عليه السلام ونزعها من أبي بكر سهواً ولا شكاً ولا استدراكاً على نفسه غلطاً ولكن أراد أن يبيّن لضعفاء المسلمين أن المقام الذي يقومه أخوك علي عليه السلام لن يقومه غيره سواك يا محمد وإن جلت في عيون هؤلاء الضعفاء من أمتك مرتبته وشرفت عندهم منزلته. فلمّا انتزع علي عليه السلام الآيات من يده، لقي أبوبكر بعد ذلك رسول الله ﷺ فقال: بأبي [أنت] وأمي (يا رسول الله أنت أمرت عليّاً أن أخذ هذه الآيات من يدي؟) فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكن العليّ العظيم أمرني أن لا ينوب عني إلّا من هو منّي، وأمّا أنت فقد عوضك الله بما قد حملك من آياته وكلفك من طاعته الدرجات الرفيعة والمراتب الشريفة أمّا أنك إن دمت علي موالاتنا، ووافيتنا في عرصات القيامة وفيما بما أخذنا به عليك [من] العهد والمواثيق فأنت من خيار شيعتنا وكرام أهل مودّتنا. فسرى بذلك عن أبي بكر. قال: فمضى علي عليه السلام لأمر الله، ونبذ العهد إلى أعداء الله، وأيسر المشركون من الدخول بعد عامهم ذلك إلى حرم الله وكانوا عدداً كثيراً وجماً غفيراً، غشاه الله نوره، وكساه فيهم هبة وجلالاً، لم يجسروا معها على إظهار خلاف ولا قصد بسوء. قال: فذلك قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وهي مساجد خيار المؤمنين بمكة لما منعهم من التعبد فيها بأن أُلجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج عن مكة ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ خراب تلك المساجد لثلاث تعمير بطاعة الله. قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ أن يدخلوا بقاع تلك المساجد في الحرم إلّا خائفين من عدله وحكمه النافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه ﴿لَهُمْ﴾ هؤلاء المشركين

﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو طرده إياهم عن الحرم، ومنعهم ان يعودوا إليه ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^١.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

الآية الشريفة تدلّ على «قاعدة كليّة، وهي أنّ الله تعالى لا يختصّ بمكان، ولا تخصه جهة خاصّة، وهو منزّه عن أي جهة ومكان، فهو واسع لا يحده مكان، إلّا أنّ حكمته المتعالية اقتضت - لمصالح - أن يخصّ بعض الأمكنة بالاستقبال في موارد خاصّة في الشريعة المقدّسة»^٢.

بعبارة أخرى: «أنّ الأرض والجهات والأشياء كلّها لله، فأينما تعبّدتم، وأنّى اتّجهتم قاصدين بالعبادة وجه الله، فالله يتقبل منكم، فمن مُنع من العبادة في المساجد، فليتعبد حيث شاء، ويتّجه إلى أيّة جهة أراد، فإن الأرض كلّها مسجد»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على وعيد المانعين الساعين المذكورين في الآية السابقة.
﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم، واللام للملك وتقديم الخبر يفيد حصر الملكية لله تعالى.

﴿الْمَشْرِقُ﴾ مبتدأ مؤخر. اسم لمطلع الشمس. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿الْمَغْرِبُ﴾ معطوف على ﴿الْمَشْرِقُ﴾، اسم لموضع غروب الشمس؛ وملكية الله للشرق والغرب يستلزم ملكيته لجميع الجهات لأنّ غيرهما بينهما وحيث كانا لله فالكلّ له.

١. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) / ٥٥٤ و ٥٥٨.

٢. مواهب الرحمن / ١ / ٥٥٧.

٣. التفسير الكاشف / ١ / ١٨٥.

وملكية الله ملكية حقيقية التي لا تقبل التبدل والانتقال لأن ملكه تعالى مستقر على ذات الشيء محيط عليه وعلى أثره.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿أَيَّنَمَا﴾ «أين» اسم شرط جازم و«ما» زائدة.

﴿تُولُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله، فعل الشرط، والمراد بالتولي هنا الاقبال والتوجه إليه ﷻ.

﴿وَ﴾ واقعة في جواب الشرط.

﴿ثُمَّ﴾ ظرف مكان متعلق بخبر مقدم محذوف، بمعنى هناك.

﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿ثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ جواب الشرط في محل

جزم. أي ﴿فَأَيَّنَمَا تُولُوا﴾ جاز لكم ذلك فإن ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ هناك.

﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسمه.

﴿وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ خبران له. أي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾ الملك والاحاطة ﴿عَلِيمٌ﴾

بقصودكم ﴿أَيَّنَمَا﴾ توجهتم.

الروايات

العياشي رفعه عن حريز قال قال أبو جعفر عليه السلام أنزل الله هذه الآية في التطوع خاصة ﴿فَأَيَّنَمَا تُولُوا فَثُمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلِيمٌ﴾ وصلى رسول الله ﷺ إيماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر، وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره.^١

العياشي رفعه عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في السفر في السفينة والمحمل سواء؟ قال: النافلة كلها سواء تومئ إيماء أينما توجهت دابتك وسفينتك، والفريضة تنزل لها من المحمل إلى الأرض إلا من خوف، فإن خفت

١. تفسير العياشي ١/ ١٥١، ح ٨٤.

أومأت، وأما السفينة فصلّ فيها قائماً وتوخ القبلة بجهدك، فإنّ نوحاً عليه السلام قد صلّى الفريضة فيها قائماً متوجّهاً إلى القبلة وهي مطبقة عليهم، قال: قلت: وما كان علمه بالقبلة فيتوجّهاً وهي مطبقة عليهم؟ قال: كان جبرئيل عليه السلام يقومه نحوها، قال: قلت: فأتوجه نحوها في كل تكبيرة؟ قال: أما في النافلة فلا، إنما يكبر في النافلة على غير القبلة أكثر. ثم قال: كل ذلك قلة للمتأمل أنه قال ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ١. **إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**

التوحي: التحرّي، توحيث الشيء: إذا قصدت إليه.

العياشي رفعه عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل يقرأ السجدة وهو على ظهر دابّته، قال: يَسْجُدُ حيث توجّهت به فإن رسول الله ﷺ كان يصلي على ناقته النافلة وهو مستقبل المدينة، يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ٢. **إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**

رواها الصدوق مسنداً في علل الشرايع ٣.

خبر سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبي ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها. ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها. فأجابه فكان في ما سأله أن قال له: أخبرني عن وجه الرّب تبارك وتعالى. فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه، فلما اشتعلت قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال النصراني هي وجه من جميع حدودها. قال علي عليه السلام: هذه النار مدبرة مصنوعة لا تعرف وجهها وخالقها لا يشبهها ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ٤. فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ لا يخفى على ربنا خافية والحديث طويل

١. تفسير العياشي ١/ ١٥١، ح ٨٥.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٥٢، ح ٨٦.

٣. علل الشرايع ٢/ ٣٥٨، ح ٧٦.

أخذنا منه موضع الحاجة. ١

وروى نحوها في الخصال. ٢

خبر علي بن إبراهيم القمي رحمته الله **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** قال العلم عليه السلام: **فَاتَّهَا نَزَلَتْ فِي صَلَاةِ النَّافِلَةِ فَصَلَّاهَا حَيْثُ تَوَجَّهْتَ إِذَا كُنْتَ فِي سَفَرٍ وَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَقَوْلُهُ **﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾** ٣ يعني الفرائض لا يصلِّيها إِلَّا إِلَى الْقِبْلَةِ. ٤**

القاضي نعمان المصري رفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي و محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهما السلام انهم رخصوا للمسافر ان يصلي النافلة على دابته أو بغيره حيث توجه للقبلة وغيرها تكون صلاته إيماء يجعل السجود أخفض من الركوع فإذا كانت الفريضة لم يصل إِلَّا على الأرض متوجّها إلى القبلة والعمامة أيضاً على هذا وقالوا في قول الله تعالى **﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** إنما نزلت في صلاة النافلة على الدابة حيثما توجَّهت وروينا عن أهل البيت عليهم السلام أن من صلى في السفينة وهي تدور يتحرى في وقت الاحرام في التوجه إلى القبلة فإن دارت السفينة دار معها ما استطاع فان لم يستطع القيام صلى جالساً ويسجد على الزفت إن شاء. ٥

القاضي نعمان المصري رفعه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه: قال إذا قرأت السجدة وأنت جالس فاسجد متوجّها إلى القبلة وإن قرأتها وأنت راكب فاسجد حيث توجَّهت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلّي على راحلته وهو متوجّه إلى المدينة بعد

١. التوحيد / ١٨٢، ح ١٦.

٢. الخصال / ٢، ٥٩٧، ح ١.

٣. سورة البقرة / ١٤٤.

٤. تفسير القمي / ١، ٥٩.

٥. دعائم الإسلام / ١، ١٩٧.

انصرافه من مكة يعني النافلة قال ومن ذلك قول الله ﷻ ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^١.
الطوسي بإسناده عن محمد بن الحُصين قال: كتبت إلى عبد صالح عليه السلام الرجل يصلي في يوم غيم في فلاة من الأرض ولا يعرف القبلة فيصلّي حتى إذا فرغ من صلاته بدت له الشمس فإذا هو قد صلى لغير القبلة أيعتد بصلاته أم يعيدها؟ فكتب يعيدها ما لم يفته الوقت أو لم يعلم أنّ الله يقول وقوله الحق ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^٢.
ورواها في الاستبصار^٣.

الطوسي رفعه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال:
هذا في النوافل خاصة في حال السفر. فأما الفرائض فلا بدّ فيها من استقبال القبلة^٤.
رواها العلامة الحلي في نهج الحق^٥ والحر العاملي في وسائل الشيعة^٦.
قال القطب الراوندي: قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^٧
روي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّ ذلك في الفرض وقوله ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾
قالا هو في النافلة^٨.

ابن شهر آشوب رفعه عن أبي المضا عن الرضا عليه السلام قال: في قوله ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: علي^٩.
خبر الطبرسي قال: قيل: نزلت في صلاة التطوع على الراحلة تصلّيها حيثما

١. دعائم الإسلام ١/ ٢١٦.

٢. تهذيب الأحكام ٢/ ٤٩، ح ٢٨.

٣. الاستبصار ١/ ٢٩٧، ح ١٦١.

٤. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى / ٦٤.

٥. نهج الحق / ٤٢١.

٦. وسائل الشيعة ٤/ ٣٣٢، ح ١٩، الباب ١٥ من أبواب القبلة (طبعة آل البيت عليهم السلام).

٧. سورة البقرة / ١٤٤.

٨. فقه القرآن ١/ ٩١.

٩. المناقب ٣/ ٢٧٢.

تَوَجَّهْتَ إِذَا كُنْتَ فِي سَفَرٍ وَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَقَوْلُهُ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^١ يعني أَنَّ الْفَرَائِضَ لَا تَصَلِّيْهَا إِلَّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَهَذَا هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَيْمَنَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا: وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْمَاءً عَلَى رَاحِلَتِهِ إِنَّمَا تَوَجَّهْتَ بِهِ حَيْثُ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ وَحِينَ رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ وَجَعَلَ الْكَعْبَةَ خَلْفَ ظَهْرِهِ.^٢

رواها في جوامع الجامع^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤ والفيض في الأصفى^٥ والمشهدي في كنز الدقائق^٦.

خبر الطبرسي قال: روى عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ سَرِيَّةً كُنْتُ فِيهَا فَأَصَابَتْنَا ظُلْمَةٌ فَلَمْ نَعْرِفِ الْقِبْلَةَ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْقِبْلَةَ هِيَ هَاهُنَا قِبَلَ الشِّمَالِ فَصَلُّوا وَخَطُّوا خَطُوطًا، وَقَالَ بَعْضُنَا الْقِبْلَةُ هَاهُنَا قِبَلَ الْجَنُوبِ وَخَطُّوا خَطُوطًا فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْخَطُوطُ لِغَيْرِ الْقِبْلَةِ فَلَمَّا قَفَلْنَا مِنْ سَفَرِنَا سَأَلْنَا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَسَكَتَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.^٧

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٨ والمشهدي في كنز الدقائق^٩ والثعلبي في تفسيره^{١٠}.
أبو منصور الطبرسي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على زنديق: قال السائل من هؤلاء الحجاج؟ قال هم رسول الله ومن حلَّ محلَّه من أصفياء الله الذين

١. سورة البقرة / ١٤٤.

٢. مجمع البيان / ١ / ١٩١.

٣. جوامع الجامع / ١ / ٧٤.

٤. منهج الصادقين / ١ / ٢٨٤.

٥. الأصفى / ٥٢.

٦. كنز الدقائق / ١ / ٣٢٣.

٧. مجمع البيان / ١ / ١٩١.

٨. منهج الصادقين / ١ / ٢٨٣.

٩. كنز الدقائق / ١ / ٣٢٣.

١٠. الكشف والبيان / ١ / ٢٦٢.

قرنهم الله بنفسه ورسوله وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها
لنفسه وهم ولاية الأمر الذين قال الله فيهم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ
مِنْكُمْ﴾^١ وقال فيهم ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^٢ قال السائل ما ذاك الأمر؟ قال علي عليه السلام: الذي به تنزل الملائكة في
الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من خلق ورزق وأجل وعمل وعمر وحياة
وموت وعلم غيب السموات والأرض والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفياه
والسفرة بينه وبين خلقه وهم وجه الله الذي قال ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَجْهَ اللَّهِ﴾ هم بقية
الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت
ظُلماً وجوراً ومن آياته الغيبة والاكتمام عند عموم الطغيان وحلول الانتقام ولو كان
هذا الأمر الذي عرفتكم نبأه النبي دون غيره لكان الخطاب يدل على فعل ماض غير
دائم ولا مستقبل ولقال نزلت الملائكة وفرق كل أمر حكيم ولم يقل ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ﴾^٣
و ﴿يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^٤ وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجة بقوله في
أصفياه وأوليائه عليه السلام ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^٥ تعريفاً
للخليقة قريهم ألا ترى أنك تقول فلان إلى جنب فلان إذا أردت أن تصف قُربَهُ منه
وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه
وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه
وتلبسهم ذلك على الأمة ليعيونهم على باطلهم فأثبت به الرموز وأعمى قلوبهم
وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه

١. سورة النساء / ٥٩.

٢. سورة النساء / ٨٣.

٣. سورة القدر / ٤.

٤. سورة الدخان / ٤.

٥. سورة الزمر / ٥٦.

وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ * تُؤْتِي أ كُلَّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا^١ ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي يظهر مثل لمحتمله في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره الحديث.^٢

خبر داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أنتم الصلاة في كتاب الله ﷻ وأنتم الزكاة وأنتم الصيام وأنتم الحج؟ فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله ﷻ ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله قال الله تعالى ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ونحن الآيات ونحن البيّنات وعدونا في كتاب الله ﷻ الفحشاء والمنكر والبغي والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطّاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير. يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناء وحفظته وخزانه على ما في السموات وما في الأرض وجعل لنا أصدقاءً وأعداءً فسّانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدو وسمى أصدقاءنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين.^٣

١. سورة إبراهيم / ٢٤ و ٢٥.

٢. الاحتجاج / ١ / ٢٥٢.

٣. تأويل الآيات الطاهرة ١ / ١٩، ح ٢.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ 

هذه المقالة مشتركة بين اليهود لأنهم قالوا: عزير ابن الله وقالت النصارى: المسيح ابن الله وقال مشركوا العرب: الملائكة بنات الله، والآية الشريفة ردّ على الجميع بالاستدلال.

﴿وَ﴾ عاطفة، معطوف على ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾^١.

﴿قَالُوا﴾ ما بعده نقل مقال الفرق الثلاث.

﴿اتَّخَذَ﴾ فعل ماضٍ. اتخذنا هنا بمعنى الجعل والاعتبار والتوهم.

﴿اللَّهُ﴾ فاعله. ﴿وَلَدًا﴾ مفعول به.

﴿سُبْحَنَهُ﴾ مفعول مطلق ومضاف إليه، والعامل فيه: أُسْبِحَ ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه

لله تعالى عن هذا القول الشنيع.

﴿بَلْ﴾ حرف اضراب، اضراب عن قولهم لإبطاله.

﴿لَّهُ﴾ جار ومجرور، خبر مقدم؛ واللام للملك. ﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ.

﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بصلة الموصول المحذوفة تقديره: ﴿مَا﴾ هو

موجود ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾.

﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. فإذا كان كل موجود ﴿فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ ملك له حقيقة والملك الحقيقي الذي منشأ الإنشاء والإيجاد والاختراع

ينفي الولادة لأن فيها تكثير المثل وهو ﴿سُبْحَنَهُ﴾ منزّه عن المثل بل كل شيء ممّا ﴿فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مملوك له بالملكية الحقيقية. هذا الردّ الأوّل لهم.

﴿كُلُّ﴾ مبتدأ. ﴿لَّهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَنِينٌ﴾.

﴿قَبِيتُونُ﴾ خبر. القنوت: الدعاء والعبادة والخضوع، والكَلَّ يخضعون لله ومنقاد لسلطانه وذلك ينافي الولادة لأنَّ المعبودية المطلقة ينشأ من الاستغناء المطلق والولادة شيء عن شيء مناط الاحتياج وهما لا يجتمعان وهذا الرد الثاني لهم.

الروايات

خبر هشام الجواليقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾^١ ما يعني به؟ قال: تنزيهه.^٢

رواها الصدوق في معاني الأخبار.^٣

خبر هشام بن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى سبحان الله، فقال: أنفة الله.^٤

الأنفة: الترفع والتنزه.

الصدوق بإسناده إلى يزيد بن الأصم قال: سأل رجل عمر بن الخطاب عن تفسير سبحان الله؟ قال: إنَّ في هذا الحائط رجلاً كان إذا سئل أنبأ وإذا سكت ابتداء، فدخل الرجل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن ما تفسير سبحان الله؟ قال: هو تعظيم جلال الله تعالى وتنزيهه عما قال فيه كلُّ مشرك، فإذا قاله العبد صلى عليه كلُّ ملك.^٥

خبر سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يخلق الله تعالى شجرة إلا ولها ثمرة تؤكل، فلما قال الناس ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أذهب نصف ثمرها فلما اتَّخَذُوا مع الله إلهاً شاك

١. سورة يوسف / ١٠٨.

٢. الكافي / ١، ١١٨، ح ١١.

٣. معاني الأخبار / ٩، ح ٢.

٤. معاني الأخبار / ٩، ح ١.

٥. معاني الأخبار / ٩، ح ٣.

الشجر. ١

الطبرسي قال: وروي عن طلحة بن عبيدالله أنه سأل النبي ﷺ معنى قوله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ فقال: تنزيهاً لله عن كل سوء. ٢
رواهما المشهدي في كنز الدقائق ٣ والكاشاني في منهج الصادقين ٤.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

برهان آخر لنفي الولد له تعالى لأنه «﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّمَا يَخْلُقُ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، فَلَا يَشْبَهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقًا سَابِقًا، وَلَا يَشْبَهُ فَعْلَهُ فَعْلٌ غَيْرُهُ فِي التَّقْلِيدِ وَالتَّشْبِيهِ وَلَا فِي التَّدْرِيجِ، وَالتَّوَصُّلِ بِالْأَسْبَابِ «﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ وَلَا تَدْرِيجٍ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ اتِّخَاذُ الْوَلَدِ؟!» ٥ «فَكَيْفَ يَكُونُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَلَدًا لَهُ مِمَّاثِلًا نَوْعِيًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ» ٦.
﴿بَدِيعُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الله «﴿بَدِيعُ﴾: مَبْدِعٌ» وبينهما فرق لأنَّ في بديع مبالغة ليس في مبدع» ٧. ف«بديع مبالغة في الإبداع، وهو إيجاد الشيء بصورة

١. علل الشرايع / ٥٧٣، ح ١.

٢. مجمع البيان / ١ / ١٩٢.

٣. كنز الدقائق / ١ / ٣٢٤.

٤. منهج الصادقين / ١ / ٢٨٥.

٥. الميزان / ١ / ٢٦١.

٦. الميزان / ١ / ٢٦١.

٧. التبيان / ١ / ٤٢٨.

مخترعة بلا مادة، ولا آلة، ولا مكان، ولا سبق مثال، وهو مختص به ﷺ^١.

﴿السَّمَوَاتِ﴾ مضاف إليه. ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

«وجملة ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لم تذكر في القرآن إلا في موردين وكلاهما في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى، أحدهما هنا، والثاني قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكْلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ^٢»، وهو برهان متين جداً، فإنه من كان مبدعاً للسموات والأرض وخالقاً لهما وموجداً لجميع ما فيهما، يمتنع انتساب الولد إليه، إذ لم يوجد من مخلوقاته مجانس له حتى ينسب إليه تعالى»^٣.

﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿إِذَا﴾ ظرف زمان متضمن معنى الشرط، متعلق بجوابه.

﴿قَضَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو»، في محل جرٍّ بالاضافة لوقوعها بعد ﴿إِذَا﴾. ﴿قَضَى﴾: حكم وأنشأ وأراد.

﴿أَمْرًا﴾ مفعول به. وتنكيره يفيد التعميم. ﴿أَمْرًا﴾: الشيء.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، ومابعداها جواب الشرط.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر.

﴿يَقُولُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». ﴿يَقُولُ﴾: هنا بمعنى أراد بالإرادة التكوينية.

﴿لَهُ﴾ جارٍ ومجرور متعلق بـ ﴿يَقُولُ﴾، والضمير عائد إلى ﴿أَمْرًا﴾.

﴿كُنْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت». يعود إلى ﴿أَمْرًا﴾ والمراد ليس لفظ

١. مواهب الرحمن ١/ ٥٦٦.

٢. سورة الأنعام / ١٠١.

٣. مواهب الرحمن ١/ ٥٦٦.

﴿كُنْ﴾ بل تعلق الإرادة الالهية بإيجادها.

﴿فَ﴾ تفریع على ﴿كُنْ﴾.

﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو». يعني تتعلق الإرادة الإلهية بإيجاده وخلقه فيوجد ويخلق وليس في البين لفظ وكلام وهذا التعبير تمثيل^١ وإلا خلق الله تعالى لا يحتاج إلى اللفظ والأمر والخطاب، إرادة الله يساوي الخلق من دون اللفظ والأمر والفاء والتفريع وكل ذلك من باب التمثيل في إفهام الناس وعقولهم القاصرة ومن جهة ضيق فم الركبة فافهم وتأمل في ما ذكرنا فإنه دقيق.

الروايات

معتبرة سدير الصيرفي قال: سمعت حران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تعالى ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السموات والأرضين ولم يكن قبلهنَّ سموات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^٢، الحديث^٣. ورواها الصفار بسنده المعتبر في بصائر الدرجات^٤.

صحيحة صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروى ولا يهيم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله الفعل لا غير ذلك، يقول له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا

١. كما احتمله الشيخ في التبيان ١ / ٤٣٠.

٢. سورة هود / ٧.

٣. الكافي ١ / ٢٥٦، ح ٢.

٤. بصائر الدرجات / ١٣٣، ح ١.

كيف له.^١

رواها الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ^٢ بسند صحيح.

رويت في الأمر: إذا نظرت فيه وفكرت.

الصدوق بإسناده في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون، قال الرضا عليه السلام في حديث طويل: كقوله ﷻ «كُنْ فَيَكُونُ» وكن منه صنع وما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله ﷻ الإبداع، الحديث. ^٣
ورواها في التوحيد. ^٤

وفيه: قال الرضا عليه السلام : ... وإِنَّمَا أمره كلمح البصر أو هو أقرب إذا شاء شيئاً فَإِنَّمَا يقول له «كُنْ فَيَكُونُ» بمشيئته وإرادته وليس شيء من خلقه أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد منه من شيء الحديث. ^٥

في الفقه المنسوب إلى الرضا عليه السلام : سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن مشية الله وإرادته؟ فقال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ مَشِيتَيْنِ مَشِيَّةٌ حَتْمٌ وَمَشِيَّةٌ عَزْمٌ وَكَذَلِكَ إِنَّ اللَّهَ إِرَادَتَيْنِ إِرَادَةٌ عَزْمٌ وَإِرَادَةٌ حَتْمٌ، إِرَادَةٌ حَتْمٍ لَا تَخْطِئُ وَإِرَادَةٌ عَزْمٌ تَخْطِئُ وَتَصِيبُ، وَلَهُ مَشِيتَانِ مَشِيَّةٌ يَشَاءُ وَمَشِيَّةٌ لَا يَشَاءُ يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشَاءُ.

معناه: أراد من العباد وشاء ولم يرد المعصية وشاء وكل شيء بقضائه وقدره والأُمور تجري ما بينهما فإذا أخطأ القضاء لم يخطئ القدر وإذا لم يخطئ القدر لم يخطئ القضاء وإِنَّمَا الخلق من القضاء إلى القدر وإذا أخطأ القدر لم يخطئ القضاء وإذا لم يخطئ القضاء لم يخطئ القدر وإِنَّمَا الخلق من القدر إلى القضاء.

١. الكافي ١/ ١٠٩، ح ٣.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١١٩، ح ١١.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٧٣.

٤. التوحيد / ٤٣٥.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ١٧٧.

والقضاء على أربعة أوجه في كتاب الله جلّ وعزّ، النّاطق على لسان سفيره الصادق عليه السلام :

منها: قضاء الخلق وهو قوله تعالى ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^١ معناه خلقهن.

والثاني: قضاء الحكم وهو قوله ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾^٢ معناه حكم.
والثالث: قضاء الأمر وهو قوله ﴿وَقُضِيَ رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^٣ معناه أمر ربّك.

والرابع: قضاء العلم وهو قوله تعالى ﴿وَقَضَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾^٤ معناه علمنا من بني إسرائيل.
قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وإراد منهم لأنّ المشية مشية الأمر ومشية العلم وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر أمر بالطاعة ورضي بها وشاء المعصية.

يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها فهذا من عدل الله تبارك وتعالى في عباده جلّ جلاله وعظم شأنه.^٥

الروايات الواردة حول القضاء كثيرة جداً فإن شئت راجع الكافي^٦ والتوحيد^٧ والوافي^٨

١. سورة فصلت / ١٢.

٢. سورة الزمر / ٦٩ و ٧٥.

٣. سورة الإسراء / ٢٣.

٤. سورة الإسراء / ٤.

٥. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام / ٤١٠.

٦. الكافي / ١ / ١٥٥.

٧. التوحيد / ٣٦٤.

٨. الوافي / ١ / ٥٣٥.

وبحار الأنوار^١ وكتابي موسوعة أحاديث أهل البيت^٢.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ 

بيان لخلاف مشركي العرب وغيرهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعتت والعناد.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بهم المشركون غير أهل الكتاب بقرينة المقابلة السابقة في الآية ١١٣ الماضية آنفاً.

﴿لَوْلَا﴾ بمعنى «هلاً» لا عمل له ولا محل. حرف تحضيض قصد منه التعجيز والاعتذار عن عدم الإصغاء لرسول الله ﷺ استكباراً.

﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعله. هم يريدون مكالمه الله من دون الوساطة أو مع الوساطة كنزول الوحي بوساطة جبرئيل الأمين. ﴿أَوْ﴾ عاطفة.

﴿تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ والمراد صدور المعجزات الاقتراحية من الرسول ﷺ، وأنت تعلم لا حد يقف عليه هذه المعجزات الاقتراحية لمطالبة كل أحد عدّة منها.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي كمثل مقالاتهم هاتين.

﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في الأمم الماضية من الجهلة.

﴿مِثْلَ﴾ مفعول به فعل ﴿قَالَ﴾.

١. بحار الأنوار ٥ / ٨٤.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت ٩ / ١٦١.

﴿قَوْلُهُمْ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان. أي ﴿مِثْلَ قَوْلِ﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في هذه الأزمنة.

﴿تَشَبَّهَتْ﴾ فعل ماضٍ، التشابه: التماثل.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل ومضاف إليه. لأنَّ تشابه الأقوال يحكى عن تشابه القلوب والادراكات والمشاعر.

﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق. ﴿بَيْنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، ﴿بَيْنَا﴾ وأتينا.

﴿الْآيَاتِ﴾ مفعول به، وهي المعاجز الكثيرة لأنبياء الله تعالى.

﴿لِقَوْمٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَيْنَا﴾.

﴿يُوقِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. في محلِّ جرٍّ نعت ﴿لِقَوْمٍ﴾.

والجملة الأخيرة جواب عن قول ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنَّ «الآيات التي يطالبون بها مأتية مبيّنة، ولكن لا يتتبع بها إلّا ﴿قَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بآيات الله، وأما هؤلاء ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقلوبهم محجوبة بحجاب الجهل، مؤفة بآفات العصبية والعناد، وما تغني الآيات عن ﴿قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١. ومن هنا يظهر وجه توصيفهم بعدم العلم»^٢ لأنهم لا يدرون أنّ وظيفة النبي ﷺ ليس الاتيان بالمعاجز الاقتراحية بل عليه اثبات نبوته بالمعجزة فقط وإذا صدر عنه الإعجاز يكفى في حقّ الجميع من دون الإتيان بالاقتراحات.

الروايات

معتبرة مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنّه قال لرجل وقد كلّمه بكلام كثيرة فقال: أيها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره أعلم أن الله ﷻ لم يبعث رسله حيث

١. سورة التوبة / ٦.

٢. الميزان ١ / ٢٦٤.

بعثها ومعها ذهب ولا فضة ولكن بعثها بالكلام وإنّما عرّف الله جلّ وعزّ نفسه إلى خلقه بالكلام والدلالات عليه والإعلام.^١

صحيحة علي بن جعفر عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إنّ الله خلق قلوب المؤمنين مطويةً مبهمّة على الإيمان فإذا أراد إستناره ما فيها نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم وزارعتها والقيّم عليها ربّ العالمين.^٢

خبر أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: القلوب ثلاثة قلبٌ منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يعتلجان فأيهما كانت منه غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن.^٣

يعيه: حفظه وجمع. الاعتلاج: المصارعة وما يشابهها.

صحيحة أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال: الإيمان فوق الإسلام بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة ولم يقسم بين العباد شيءٌ أقلّ من اليقين.^٤

محمد بن سنان رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها فإنّ سنح له الرجاء أذله الطمع وإنّ هاج به الطمع أهلكه الحرص وإنّ ملكه اليأس قتله الأسف وإنّ عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ وإنّ سعد بالرضا نسي التحفظ وإنّ ناله الخوف شغله الحذر وإنّ اتّسع له الأمن استلبته الغرّة وإنّ حدثت له النعمة أخذته العزة وإنّ أصابته مصيبة فضحه الجزع وإنّ استفاد مالاً أطغاه الغنى وإنّ عضته فاقة شغله البلاء وإنّ جهده الجوع قعد به الضعف

١. الكافي ٨/١٤٨، ح ١٢٨.

٢. الكافي ٢/٤٢١، ح ٣.

٣. الكافي ٢/٤٢٣، ح ٣.

٤. الكافي ٢/٥٢، ح ٦.

وإن أفرط في الشيع كظته البطنة فكلُّ تقصيرٍ به مضرٌّ وكلُّ إفراطٍ به مفسدٌ.^١

روى نحوها المفيد مرسلاً في الإرشاد.^٢

خبر محمد بن سنان عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لرجل: إعلم يا فلان إن منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس، الواجب الطاعة عليهم ألا ترى إن جميع جوارح الجسد شرط للقلب وتراجمة له مؤدية عنه الأذنان والعينان والأنف واليدان والرجلان والفرج، فإن القلب إذا همَّ بالنظر فتح الرجل عينيه وإذا همَّ بالاستماع حرك أذنيه وفتح مسامعه فسمع وإذا همَّ القلب بالشَّم استنشق بأنفه فأدى تلك الرائحة إلى القلب وإذا همَّ بالنطق تكلم باللسان وإذا همَّ بالبطش عملت اليدان وإذا همَّ بالحركة سعت الرجلان وإذا همَّ بالشهوة تحرك الذكر فهذه كلها مؤدية عن القلب بالتحريك وكذا لك ينبغي للإمام أن يطاع للأمر منه.^٣

الصدوق بسنده الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير ما ألقى في قلب المؤمن اليقين، الحديث.^٤

ابن شعبة الحراني رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث: وأما علامة الموقن فسنته: أيقن أن الله حقٌّ فأمن به وأيقن بأن الموت حقٌّ فحذره وأيقن بأن البعث حقٌّ فخاف الفضيحة وأيقن بأن الجنة حقٌّ فاشتاق إليها وأيقن بأن النار حقٌّ فظهر سعيه للنجاة منها وأيقن بأن الحساب حقٌّ فحاسب نفسه، الحديث.^٥

الرضي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق وفأما أولياء الله فضيائهم فيها اليقين ودليلهم سَمْتُ الهدى وأما أعداء الله

١. علل الشرايع ١/ ١٠٩، ح ٧.

٢. الإرشاد ١/ ٣٠١.

٣. علل الشرايع ١/ ١٠٩، ح ٨.

٤. أمالي الصدوق، المجلس الرابع والسبعون، ح ١/ ٥٧٦، رقم ٧٨٨.

٥. تحف العقول / ٢٠.

٦٤٠ أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

فدعائهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت مَنْ خافه ولا يعطي البقاء
من أحبه. ١

الأمدي رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لكل ناكثٍ شبهة. ٢

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾

«هذا تحديد لوظيفة النبي ومهمته، وأنه معلم، لا مسيطر، ومبين للحق، لا
مكره عليه، فالآية تجري مجرى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^٣ وفي الآية تسلية للنبي ﷺ لئلا يضيق صدره بكفر من كفر،
وعناد من عاند»^٤.

﴿إِنَّا﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه، تأكيد.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. والضمير الخطاب للرسول
الأعظم ﷺ.

﴿بِالْحَقِّ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾؛ والارسال حق والمرسل حق وهو
النبي الأعظم والمرسل به حق وهو القرآن العظيم.
﴿بَشِيرًا﴾ حال من الضمير المفعولي في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، ﴿بَشِيرًا﴾ بالرحمة والثواب لمن
يتبع الحق.

﴿وَنَذِيرًا﴾ عاطفة. ﴿نَذِيرًا﴾ حال آخر له. ﴿نَذِيرًا﴾ بالعقاب لمن خالف.

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٨.

٢. غرر الحكم، ح ٧٢٨٤.

٣. سورة الكهف / ٢٩.

٤. التفسير الكاشف ١ / ١٩٠.

﴿وَ﴾ عاطفة أو حالية.

﴿لَا تُسْأَلُ﴾ فعل مضارع منفي مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر
«أنت» يعود إلى الرسول الأعظم ﷺ .

﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. أي عن أحوالهم ولا تؤاخذ
بذنبهم. وليس عليك إجبارهم على القبول منك.
«وفي الآية دلالة على أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره قريباً كان منه أو بعيداً. كما
بيّن الله أنه لا يطالب أحد بذلك غيره»^١.

الروايات

قال الطوسي: قرأ نافع «لَا تُسْأَلُ» بفتح التاء وجزم اللام، على النهي، وروى
ذلك عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وابن عباس، ذكر ذلك الفراء والبلخي،
والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله^٢.
ونحوها في مجمع البيان^٣ والصافي^٤ وكنز الدقائق^٥.
وفي الأخير: وفيه حيثنذ إشارة إلى تعظيم عقوبة الكفار، كأثما لا يقدر أن يخبر عنها، أو السامع
لا يصبر على استماع خبرها فنهاء عن السؤال.
قال الشيخ أبو الفتوح الرازي في سبب نزول الآية الشريفة مرفوعاً عن عبد الله
بن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: «ليت شعري ما فعل الله بالكفار الذين
ماتوا»، فأنزل الله هذه الآية^٦.

١. التبيان ١/ ٤٣٨.

٢. التبيان ١/ ٤٣٦.

٣. مجمع البيان ١/ ١٩٦.

٤. الصافي / ٤٩ طبع الحجري.

٥. كنز الدقائق ١/ ٣٢٦.

٦. روض الجنان ١/ ١٣٢.

روى نحوها الكاشاني في منهج الصادقين.^١

عن مقاتل في سبب نزول الآية الشريفة: أن رسول الله ﷺ قال: لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا فأنزلت.^٢

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِّمْ^٣﴾

مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

«إن أكثر أهل الأديان والأحزاب على هذه النزعة، ولا خصوصية لليهود والنصارى في ذلك، بل إن بعض الناس لا يرضى عنك إلا إذا جعلت من نفسك عبداً له، وقد استنكر القرآن الكريم هذه النزعة البغيضة، ودعا إلى التعايش الديني مع جميع أهل الأديان، وقدس جميع الرسل والأنبياء، وذكرهم بكل خير، وأوجب على أتباعه الاعتراف بهم والإيمان بنبوتهم، وهذا من أقوى البواعث للتآخي بين أهل الملل والنحل، وتعاون بعضهم مع بعض»^٣.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿وَلَا تُسَلُّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾^٤.

﴿لَنْ﴾ حرف نفي ونصب واستقبال.

﴿تَرْضَى﴾ فعل مضارع منصوب بـ﴿لَنْ﴾.

﴿عَنْكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تَرْضَى﴾. والخطاب للرسول الأعظم ﷺ.

١. منهج الصادقين ١/ ٢٨٩.

٢. روض الجنان ١/ ١٣٢.

٣. التفسير الكاشف ١/ ١٩١.

٤. سورة البقرة/ ١١٩.

﴿آلَيْهُودُ﴾ فاعل. ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿لَا﴾ زائدة، تأكيد.
 ﴿النَّصْرَى﴾ معطوف على ﴿آلَيْهُودُ﴾.
 ﴿حَتَّى﴾ حرف غاية وجر بمعنى: «إلى أن».
 ﴿تَتَّبِعْ﴾ فعل مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة بعد «حتى» وفاعله ضمير مستتر
 «أنت».

﴿مِلَّتْهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي دينهم واعتقادهم ونحلتهم.
 ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت».
 ﴿إِنِّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد.
 ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ اسم ﴿إِنِّ﴾ ومضاف إليه، وهو دين الله.
 ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل.
 ﴿أَهْدَى﴾ خبر ﴿إِنِّ﴾. ﴿أَهْدَى﴾ الواقعي والأصلي والأساسي. و«ال»
 للجنس دال على الاستغراق.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿أَنَّ﴾ موطئة للقسم وذلك تأكيد للخبر وتحقيق له.
 ﴿إِنِّ﴾ حرف شرط جازم.
 ﴿اتَّبَعْتَ﴾ فعل ماض وفاعله، في محل جزم، فعل الشرط.
 ﴿أَهْوَأَهُمْ﴾ مفعول به ومضاف إليه. وآرائهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة
 الكاسدة.

﴿بَعْدَ﴾ ظرف زمان متعلق بـ﴿اتَّبَعْتَ﴾.
 ﴿الَّذِي﴾ اسم موصول، مضاف إليه.
 ﴿جَاءَكَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به.
 ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة من ﴿الَّذِي﴾ تقديره: حال كونه
 ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾. ﴿مِنَ﴾ بياني. المراد بـ﴿الْعِلْمِ﴾ هو القرآن والدين.

- ﴿ مَا ﴾ نافية، ابتداء جواب القسم والشرط معاً.
 ﴿ لَكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر مقدم.
 ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلق بحال من ﴿ وَلِيٍّ ﴾.
 ﴿ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ حرف جر زائد للتأكيد ومجروره، مبتدأ مؤخر.
 ﴿ وَ ﴾ عاطفة. ﴿ لَا ﴾ زائدة تأكيد. ﴿ نَصِيرٍ ﴾ معطوف على ﴿ وَلِيٍّ ﴾.

الروايات

خبر أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن الذين فرض الله طاعتنا لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا مَنْ عرفنا كان مؤمناً وَمَنْ أنكرنا كان كافراً وَمَنْ لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاًَّ حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه مَنْ طاعتنا الواجبة فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء.^١

صحيح أبي عبد الله البرقي رفعه إلى أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إنّما هو الله والشيطان، والحق والباطن، والهدى والضلالة، والرشد والغى، والعاجلة والآجلة والعاقبة، والحسنات والسيئات فما كان من حسنات فلله وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله.^٢

خبر رجل أبي عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا أهل الهدى وأهل التقى وأهل الخير وأهل الإيمان وأهل الفتح والظفر.^٣

خبر الوشاء قال: حدثني إبراهيم بن أبي بكير قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إنّ عليّاً عليه السلام باب من أبواب الهدى فمَنْ دخل مِنْ باب عليٍّ كان مؤمناً وَمَنْ خرج منه كان كافراً وَمَنْ لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين لله

١. الكافي ١/ ١٨٧، ح ١.

٢. الكافي ٢/ ١٥، ح ٢.

٣. الكافي ٢/ ٢٣٣، ح ٨.

فيهم المشيئة^١.

صحيحة منصور بن أبي يحيى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سعد رسول الله عليه السلام المنبر فتغيرت وجنتاه والتمتع لونه ثم أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين إني إنما بعثت أنا والساعة كهاتين، قال: ثم ضمَّ السَّاحَتَيْنِ ثم قال: يا معشر المسلمين إنَّ أفضل الهدى هدى محمد وخير الحديث كتاب الله وشرُّ الأمور محدثاتها، ألا وكلُّ بدعة ضلالة ألا وكلُّ ضلالة في النار، أيها الناس من ترك ما لا فلاهله ولو رشته، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فعليَّ وإليَّ^٢.

وروى نحوها أيضاً المفيد في أماليه بسند معتبر^٣.

الوجنة: ما ارتفع من الخدين. والتمتع لونه: ذهب وتغير. الكل: العيال. الضياع: العيال. ويمكن أن يكون الكل مصحفاً من الدين بقرينة الرواية الأخرى التي رواها المفيد وعليه تكون الرواية هكذا: «من ترك ديناً أو ضياعاً فعليَّ وإليَّ» وحيث أنه فيه لفٌّ ونشْرٌ مرتب.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ^٤

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ^٥ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

«بعد ما بين الله لنبيه محمد عليه السلام أنَّ النَّصَارَى واليهود لن يؤمنوا به، بل لن يرضوا عنه، حتَّى يتبع ملَّتْهم استثنى الطَّيِّبِينَ المنصفين منهم، وهم الذين أسلموا وآمنوا بمحمد عليه السلام، وعبر عنهم بالَّذِينَ يتلون الكتاب حقَّ تلاوته، والمراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله، سواء في ذلك القرآن، والتوراة والأنجيل - كما أنزلها الله - لأنه

١. الكافي ٢/ ٣٨٨، ح ١٨.

٢. أمالي المفيد، المجلس الثالث والعشرون، ح ١٨٧/ ١٣.

٣. أمالي المفيد، المجلس الرابع والعشرون، ح ٢١١/ ١.

سبحانه لم يعين كتاباً خاصاً، وعدم التخصيص والتعيين دليل العموم»^١.
﴿الَّذِينَ﴾ اسم موصول، نعت لليهود والنصارى الوارد ذكرهما في الآية السابقة؛
أو مبتدأ.

﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعله ومفعول به اول. أي أعطيناهم.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به ثان.

﴿يَتْلُونَهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به. حال من الضمير المفعولي في
﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾؛ أو خبر مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿حَقَّ﴾ قائم مقام المفعول المطلق. أي ﴿يَتْلُونَهُ﴾ تلاوة حقاً.

﴿تِلَاوَتِهِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.

ومعنى ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: «يتدبرون معانيه، ويعملون بأوامره ونواهيه، لا مجرد تجويد القراءة، وضبط الكلمات، وإخراج الحروف من مخارجها، فإن هذه ليست بشيء إذا لم يكن معها تدبر وتعاظ، وفي الحديث الشريف: ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»^٢ ٣.

﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ والضمير يعود إلى ﴿الَّذِينَ﴾.

﴿وَمَنْ﴾ اسم شرط جازم، مبتدأ.

﴿يَكْفُرْ﴾ فعل مضارع مجزوم. فعل الشرط. ﴿بِهِ﴾ متعلق بـ ﴿يَكْفُرْ﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ.

﴿هُمْ﴾ مبتدأ ثان. ﴿الْحَسِرُونَ﴾ خبر، ﴿هُمْ الْحَسِرُونَ﴾ خبر ﴿أُولَئِكَ﴾.

١. التفسير الكاشف ١/ ١٩٣.

٢. طبقات المحدثين بإصبهان ٤/ ٩٧ لعبدالله بن حبان.

٣. التفسير الكاشف ١/ ١٩٣.

الروايات

صحيحة أبي ولاد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ﴾ قال: هم الأئمة عليه السلام.^١

ورواها العياشي مرفوعاً عن أبي ولاد في تفسيره.^٢

العياشي رفعه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ فقال: الوقوف عند ذكر الجنة والنار.^٣

خبر البرقي عن أبيه عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالة: وأما ما سألت من القرآن فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة لأن القرآن ليس على ما ذكرت وكل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم ولقوم ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه. فأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: أنه ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن وفي ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا ما شاء الله.

وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه وإن يعبدوه وينتهوا في قوله إلى طاعة القوام بكتابه والناطقين عن أمره وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم ثم قال ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^٤ فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبداً ولا يوجد وقد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاية الأمر إذا لا يجدون من يأتمرون عليه ولا من يبلغونه أمر الله ونهيه فجعل الله الولاية خواصاً ليقتردي بهم من لم يخصصهم بذلك فافهم ذلك

١. الكافي ١/ ٢١٥، ح ٤.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٥٢، ح ٨٧.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٥٢، ح ٨٨.

٤. تفسير النساء / ٨٣.

إن شاء الله.

وإياك وتلاوة القرآن برأيك فإن الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم في ما سواه من الأمور ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من هداه وبابه الذي جعله الله له فافهم إن شاء الله واطلب الأمر من مكانه تجده إن شاء الله.^١

الطوسي قال: روى عن أبي عبد الله عليه السلام: حق تلاوته الوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الأولى ويستجير من الأخرى.^٢

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والحويزي في نورالثقلين^٤ والمشهدى في كنز الدقائق^٥.
ابن شهر آشوب رفعه عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمْ
الْكِتَابَ﴾ قال: هم آل محمد.^٦

خبر الحسن بن أبي الحسن الديلمي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: يُرَتِّلُونَ آيَاتِهِ وَيَتَفَقَّهُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهِ وَيَرْجُونَ وَعْدَهُ وَيَخَافُونَ وَعِيدَهُ وَيَعْتَبِرُونَ بِقِصَصِهِ وَيَأْتَمِرُونَ بِأَوَامِرِهِ وَيَنْتَهُونَ بِنَوَاهِيهِ، ما هو - والله - حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سورة ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه واضاعوا حدوده وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه قال الله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾^٧.

١. المحاسن ١/ ٤١٧، ح ٣٦٢.

٢. التبيان ١/ ٤٤٢.

٣. مجمع البيان ١/ ١٩٨.

٤. نورالثقلين ١/ ١٤٩.

٥. كنز الدقائق ١/ ٣٢٨.

٦. المناقب ٤/ ٣٧٨.

٧. سورة ص/ ٢٩.

٨. إرشاد القلوب ١/ ٧٨.

﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾

«هذا خطاب من الله لبني إسرائيل الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ أمرهم الله ان يذكروا نعمته التي أنعم بها عليهم»^١.
مرّت بعينها في هذه السورة الآية ٤٧ فلا نعيدها.
وذكر الشيخ الطوسي^٢ في سبب تكريرها ثلاثة أقوال فراجعها إن شئت.

رواية

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله ﷻ: ﴿يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أن بعث موسى وهارون إلى أسلافكم بالنبوة فهديناكم إلى نبوة محمد ﷺ ووصيّه علي عليه السلام وإمامة عترته الطيبين وأخذنا عليكم بذلك العهود والمواثيق التي إن وفيتم بها كنتم ملوكاً في جنانه مستحقين لكراماته ورضوانه ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ هناك أي فعلته بأسلافكم فَفَضَّلْتُهُمْ دِيناً ودنياً أما تفضيلهم في الدين فلقبولهم نبوة محمد ﷺ وولاية علي عليه السلام وآلهما الطيبين وأما في الدنيا فبان ظلمت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المنّ والسّلوى وسقيتهم من حجر ماء عذباً وفلقت لهم البحر فانجيتهم وأغرقت أعداءهم فرعون وقومه وفضلتكم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طرائقهم وحادوا عن سبيلهم ثم قال الله ﷻ فإذا فعلت هذا بأسلافكم في ذلك الزمان لقبوهم ولاية محمد وآله فبالخري أن أزيدكم فضلاً في هذا الزمان إذا أنتم وفيتم بما أخذ من العهود والمواثيق عليكم^٣.

١. التبيان ١/ ٤٤٣.

٢. التبيان ١/ ٤٤٣.

٣. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٤٠، ح ١١٨.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا

شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

وقد مرّ نظيرها في هذه السورة الآية ٤٨ فلا نعيدها.

الروايات

العياشي رفعه عن يعقوب الأحمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العَدْلُ: الفريضة.^١

العياشي رفعه عن إبراهيم بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل في قول
أبي جعفر عليه السلام: الفداء.^٢

العياشي رفعه عن أسباط الزُّطِّي: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله: ﴿لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صِرَافًا وَلَا عَدْلًا﴾^٣ قال: الصَّرْفُ: النافلة، والعَدْلُ: الفريضة.^٤
في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تدفع عنه عذاباً قد استحقّه عند النزع ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ولا تشفع لها بتأخير الموت عنها ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ لا يقبل فداء مكانه يماز ويترك هو.

قال الصادق عليه السلام: وهذا يوم الموت فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني عنه وأمّا في
القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء.^٥

١. تفسير العياشي ١/١٥٣، ح ٨٩.

٢. تفسير العياشي ١/١٥٣، ح ٩٠.

٣. لم يرد في القرآن الكريم بهذا اللفظ.

٤. تفسير العياشي ١/١٥٣، ح ٩١.

٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / ٢٤١، ح ١١٩.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^١

بيان نصب إبراهيم الخليل عليه السلام بالإمامة في أواخر عمره وولادة ابنه إسماعيل وإسحاق في الشيخوخة المصراحة بها في قوله تعالى ناقلاً عن سارة زوجته في قصة بشارتها بالولد: ﴿قَالَتْ يَوَیْلَتَىٰ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^١ وبعد موفقية إبراهيم عليه السلام في الامتحانات الكثيرة والابتلاءات المتعددة نحو ذبح ولده إسماعيل: ﴿قَالَ يَبْنِيٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۖ قَالَ يَتَأَتَّىٰ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۖ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۖ وَنَدِيَّتُهُ أَنْ يَتِلَّاهُ يَبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا ۖ إِنَّا كَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ إِنَّ هَذَا هُوَ أَلْبَلَتُوا الْمُبِينَ﴾^٢ وبعد ورود إبراهيم عليه السلام في سن الكبر كما حكى الله تعالى عنه: لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ^٣.

ويستفاد من الآية الشريفة عصمة الإمام وبطلان إمامة مَنْ يدعي الإمامة من قبل نفسه من دون نصب من الله تعالى وأموراً كثيرة أخرى.

﴿وَ﴾ استثنائية.

﴿إِذِ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» في محل نصب مفعول به بفعل محذوف اذكر

﴿إِذِ﴾ أي حين.

﴿ابْتَلَىٰ﴾ فعل ماضٍ. الابتلاء: الاختبار والامتحان.

١. سورة هود / ٧٢.

٢. سورة الصافات / (١٠٦-١٠٢).

٣. سورة إبراهيم / ٣٩.

﴿إِزَاهَمَ﴾ مفعول به مقدم.

﴿رَبُّهُ﴾ فاعل مؤخر ومضاف إليه. والضمير يعود إلى ﴿إِزَاهَمَ﴾.

﴿بِكَلِمَتٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَبْتَلَى﴾. ﴿كَلِمَتٍ﴾: جمع كلمة والمراد بها قضايا ابتلى بها كابتلائه بالكواكب والأصنام والنار والهجرة وتضحية ابنه وغير ذلك.

﴿فَ﴾ حرف عطف دال على الفور في الامتثال.

﴿أَتَمَّهُنَّ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» ومفعول به. والضمير الفاعلي يمكن ان يرجع إلى إبراهيم عليه السلام فيكون المعنى: اتيانه عليه السلام ما أريد منه وامتناله لما أمر به، ويمكن ان يعود إلى الله تعالى فالمعنى: توفيقه لما أريد منه ومساعدته على ذلك.

والضمير المفعولي يعود إلى ﴿كَلِمَتٍ﴾.

﴿قَالَ﴾ بداية نصبه للإمامة من جانب الله تبارك وتعالى.

﴿إِنِّي﴾ حرف مشبهه بالفعل واسمه، تأكيد والضمير يعود إليه تعالى.

﴿جَاعِلُكَ﴾ اسم الفاعل، خبر ﴿إِنِّي﴾ ومضاف إليه. من اضافة اسم الفاعل لمفعوله والضمير يعود إلى إبراهيم عليه السلام واسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان بمعنى الحال والاستقبال وأما إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل.

﴿لِلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق باسم الفاعل ﴿جَاعِلُكَ﴾.

﴿إِمَامًا﴾ مفعول به ثانٍ لـ ﴿جَاعِلُكَ﴾. الإمام: هو الذي يُقْتَدَى به الناس ويتبعه في أقواله وأفعاله ويأتم به في جميع الأحوال.

﴿قَالَ﴾ بداية أمل إبراهيم عليه السلام ودعائه. ﴿و﴾ عاطفة.

﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. سأل الله تعالى أن يجعل الإمامة في ذريته وأولاده ونسله.

﴿قَالَ﴾ أجابه الله تعالى.

﴿لَا يَنَالُ﴾ فعل مضارع منفي، النيل واللاحاق والإدراك نظائر.

﴿عَهْدِي﴾ فاعل ومضاف إليه. والمراد بالعهد هنا الإمامة المذكورة والمعطية لإبراهيم عليه السلام.

﴿الظَّالِمِينَ﴾ مفعول به. والمراد بالظلم هنا مطلق المعصية وإن كانت في برهة من الزمن ثم تاب عنها وصلاح ومن عظيم الظلم الشرك ولو تاب عنه وآمن بالله الواحد. فمن صدر منه ظلم أي معصية لا يمكن أن يتصدى للإمامة، فالآية الشريفة تدل على شرطية العصمة في الإمام وبطلان إمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ العاصين المشركين ولو كان عصيانهم وشركهم في ما مضى من عمرهم. وللبحث صلة يأتي بعد نقل الروايات فانتظر.

الروايات

خبر هشام بن سالم ودرست بن أبي منصور قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات. فنبىّ منبأ في نفسه لا يعدوا غيرها ونبىّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام ونبىّ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفه قتلوا أو كثروا كيونس قال الله ليونس ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^١ قال يزيدون ثلاثين ألفا وعليه إمام والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقال الله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً.^٢

رواها الصفار في بصائر الدرجات^٣ والمفيد في الاختصاص^٤.

١. سورة إبراهيم / ١٤٧.

٢. الكافي / ١ / ١٧٤، ح ١.

٣. بصائر الدرجات / ٣٧٣، ح ٢٠.

٤. الاختصاص / ٢٢.

خبر زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وإن الله اتخذته نبياً قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذته رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وإن الله اتخذته خليلاً قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشياء قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال لا يكون السفيه إمام النقيي^١.

خبر جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً واتخذته نبياً قبل أن يتخذه رسولاً واتخذته رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً واتخذته خليلاً قبل أن يتخذه إماماً فلما جمع له هذه الأشياء وقبض يده قال له يا إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال يا رب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^٢.

خبر عبد الحميد بن نصر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ينكرون الإمام المفترض الطاعة ويحددون به والله ما في الأرض منزلة أعظم عند الله من مفترض الطاعة وقد كان إبراهيم دهرًا ينزل عليه الأمر من الله وما كان مفترض الطاعة حتى بد الله أن يكرمه ويعظمه فقال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فعرف إبراهيم ما فيها من الفضل ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فقال ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال أبو عبد الله: أي إنما هي في ذريتك لا يكون في غيرهم^٣.

العياشي رواه بأسانيد عن صفوان الجمال قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال أتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد

١. الكافي ١/ ١٧٥، ح ٢.

٢. الكافي ١/ ١٧٥، ح ٤.

٣. بصائر الدرجات / ٥٠٩، ح ١٢.

علي عليه السلام ، في قول الله ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١ ثم قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: يا رب ويكون من ذريتي ظالم؟ قال: نعم فلان وفلان وفلان ومن اتبعهم، قال: يا رب فعجل لمحمد وعلي ما وعدتني فيهما، وعجل نصرك لهما وإليه أشار بقوله ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۚ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٢ فاللغة الإمامة فلما أسكن ذريته بمكة قال ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ﴾^٣ فاستثنى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خوفاً أن يقول له لا كما قال له في الدعوة الأولى ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فلما قال الله ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۚ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^٤ قال: يا رب ومن الذين متعتهم؟ قال الذين كفروا بآياتي فلان وفلان وفلان.^٥

العياشي رفعه عن حريز عمن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يكون إماماً ظالماً.^٦

العياشي رفعه عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: فقال لو علم الله أن اسماً أفضل منه لسمانا به.^٧

فراة قال: حدثني محمد بن عيسى بن زكريا معنعنا عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: إن إبراهيم خليل الله عليه السلام دعا ربه فقال ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا

١. سورة آل عمران / ٣٤.

٢. سورة البقرة / ١٣٠.

٣. سورة البقرة / ١٢٦.

٤. سورة البقرة / ١٢٦.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٥٣، ح ٩٢.

٦. تفسير العياشي ١/ ١٥٤، ح ٩٣.

٧. تفسير العياشي ١/ ١٥٤، ح ٩٤.

وَأَجُنُّنِي وَنَيِّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ^١ فنالت دعوته النبي ﷺ فأكرمه الله بالنبوة ونالت دعوته علي بن أبي طالب عليه السلام فاختصه [فاستخصه] الله بالإمامة والوصاية وقال الله [تعالى] يا إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي^٢ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: الظالم [ظالم] من أشرك بالله وذبح للأصنام ولم يبق أحد من قريش والعرب من قبل أن يبعث النبي ﷺ إلا وقد أشرك بالله وعبد الأصنام وذبح لها ما خلا [أمير المؤمنين] علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه من قبل أن يجري عليه القلم أسلم فلا [يجوز أن] يكون إمام أشرك بالله وذبح للأصنام لأن الله تعالى قال ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^٣.

المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم. فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني ﷻ بقوله ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: يعني فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين.

قال المفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله ﷻ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾^٣. قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليه السلام وهما جميعاً ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنة؟ فقال عليه السلام إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب

١. سورة إبراهيم / ٣٥.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٢٢٢، ح ٢٩٨.

٣. الزخرف / ٢٨.

هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك وإنَّ الإمامة خلافة من الله ﷺ ليس لأحد أن يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله هو الحكيم في أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.^١

رواها في معاني الأخبار^٢ وكمال الدين^٣ وابن شهر آشوب في المناقب^٤ والطبرسي في مجمع البيان^٥ والديلمي في إرشاد القلوب^٦.

خبر عبدالعزيز بن مسلم قال: كنّا في أيام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم الجمعة في بدء مقدمنا فإذا رأي الناس أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها. فدخلت على سيدي ومولائي الرضا عليه السلام فاعلمته ما خاض الناس فيه فتبسّم عليه ثم قال: يا عبدالعزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء يبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه كملاً فقال ﷺ ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^٧ وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٨ وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض ﷺ حتى بين لأمتة معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد الحق وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله ﷻ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ﷻ ومن

١. الخصال ١/ ٣٠٤، ح ٨٤.

٢. معاني الأخبار / ١٢٦.

٣. كمال الدين ٢/ ٣٥٨.

٤. المناقب ١/ ٢٨٣.

٥. مجمع البيان ١/ ٢٠٠.

٦. إرشاد القلوب ٢/ ٤٢١.

٧. سورة الأنعام / ٣٨.

٨. سورة المائدة / ٣.

ردّ كتاب الله تعالى فهو كافر. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم أنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم، أن الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال ﷺ ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال: الله ﷻ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فابطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثمّ أكرمه الله ﷻ بأن جعلها ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال ﷻ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۚ وَجَعَلْنَاهُمْ أِمَّةً يَهُدُونَ ۖ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾^١ فلم يزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً قرناً حتى ورثها النبي ﷺ فقال الله ﷻ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً بأمر الله ﷻ على رسم ما فرضها الله ﷻ صارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله ﷻ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾^٣ فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال أن الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء إن الإمامة خلافة الله ﷻ وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات

١. سورة الأنبياء / ٧٢ و ٧٣.

٢. سورة آل عمران / ٦٨.

٣. سورة الروم / ٥٦.

وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحلّ حلال الله ويحرم حرام الله وبقيم حدود الله ويذُبُّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة. الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيد القفار ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجي من الردى والإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الحديث.^١

رواها الكليني في الكافي^٢ وتلميذه النعماني في الغيبة^٣ والصدوق نفسه في معاني الأخبار^٤ وكمال الدين^٥ وأماله^٦ وابن شعبة الحراني في تحف العقول^٧ وأبومنصور الطبرسي في الاحتجاج^٨ والنباطي في الصراط المستقيم^٩.

خبر عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : أنا دعوة أبي إبراهيم. قلنا: يا رسول الله: وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فاستخف إبراهيم الفرح، فقال يا رب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أئمة مثلي فأوحى الله ﷻ إليه أن يا إبراهيم إني لا أعطي لك عهداً لا أفي لك به. قال: يا رب ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك عهد الظالم من ذريتك. قال: يا رب ومن

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢١٦، ح ١.

٢. الكافي ١/ ١٩٨.

٣. الغيبة ٢١٦.

٤. معاني الأخبار ٩٦.

٥. كمال الدين ٢/ ٦٧٥.

٦. أمالي الصدوق، المجلس السابع والتسعون، ح ١/ ٧٧٣، رقم ١٠٤٩.

٧. تحف العقول ٤٣٦.

٨. الاحتجاج ٢/ ٤٣٣.

٩. الصراط المستقيم ١/ ٨٣ و ١١٥.

الظالم من ولدي لا ينال عهدي؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً ولا يصح أن يكون إماماً. قال إبراهيم ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَ * رَبِّ إِلَهِنَّ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾^١ قال النبي ﷺ فانتهدت الدعوة إلي وإلى أخي علي عليه السلام لم يسجد أحد منا لصنم قط فأتخذني الله نبياً وعلياً وصياً.^٢

وروى مثلها ابن المغازلي الشافعي في كتابه المناقب.^٣

الطوسي قال: المراد بالعهد هاهنا فيه خلاف... قال مجاهد: هو الإمامة وهو

المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: لا يكون الظالم إماماً.^٤

ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٥ والكاشاني في منهج الصادقين^٦. والمشهدي في كنز الدقائق^٧.

الطبرسي قال: وقوله ﴿يَكَلِّمْتُ﴾ فيه خلاف، فروي عن الصادق عليه السلام أنه ما ابتلاه الله في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي العرب فأتمها إبراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله فلما عزم، قال الله ثواباً له لما صدق وعمل بما أمره الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ثم أنزل الله عليه الحنيفة: وهي الطهارة وهي عشرة أشياء: خمسة منها في الرأس وخمسة منها في البدن، فأما التي في الرأس فأخذ الشارب واعفاء اللحي وطم الشعر والسواك وإخلال، وأما التي في البدن فحلق الشعر من البدن والختان وتقليم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء، فهذه الحنيفة الظاهرة التي جاء بها إبراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة وهو قوله: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٨.

١. سورة إبراهيم / ٣٥ و ٣٦.

٢. أمالي الطوسي، المجلس الثالث عشر، ح ٦٢ / ٣٧٨، رقم ٨١١.

٣. المناقب / ٢٧٦، ح ٣٢٢.

٤. التبيان / ١ / ٤٤٨.

٥. مجمع البيان / ١ / ٢٠٢.

٦. منهج الصادقين / ١ / ٢٩٥ و ٢٩٧.

٧. كنز الدقائق / ١ / ٣٣٣.

٨. سورة النساء / ١٢٥ ونحوها في سورة النحل / ١٢٣.

ذكره علي بن إبراهيم بن هاشم^١ في تفسيره^٢.
 الطبرسي قال: قيل: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهي أسماء
 محمد وأهل بيته عليه وعليهم السلام، عن الصادق عليه السلام^٣.
 قطب الدين الراوندي رفعه عن الحسن بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:
 أن جبرئيل عليه السلام أتى إلي بسبع كلمات وهي التي قال الله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
 بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يا الله يا رحمان يا رب يا ذا الجلال والإكرام يا نور السموات
 والأرض يا قريب يا مجيب الخبر بتمامه^٤.

تتميم

قال الفخر الرازي في تفسيره: «المسألة الرابعة: الروافض احتجوا بهذه الآية
 على القدح في إمامة أبي بكر وعمر من ثلاثة أوجه:
 الأول: أن أبابكر وعمر كانا كافرين، فقد كانا حال كفرهما ظالمين، فوجب أن
 يصدق عليهما في تلك الحالة أنهما لا ينالان عهد الإمامة البتة. وإذا صدق عليهما في
 ذلك الوقت أنهما لا ينالان عهد الإمامة البتة ولا في شيء من الأوقات ثبت أنهما لا
 يصلحان للإمامة.
 الثاني: أن من كان مذنبا في الباطن كان من الظالمين، فإذن ما لم يعرف أن أبابكر
 وعمر ما كانا من الظالمين المذنبين ظاهراً وباطناً وجب أو يحكم بإمامتهما وذلك إنهما
 ثبت في حق من ثبت عصمته، ولما لم يكونا معصومين بالاتفاق وجب أن لا تتحقق
 إمامتهما البتة.

١. تفسير القمي ١ / ٣٩١.

٢. مجمع البيان ١ / ٢٠٠.

٣. جوامع الجامع ١ / ٧٧.

٤. الدعوات ٤٨، ح ١١٧.

الثالث: قالوا: كانا مشركين وكلّ مشرك ظالم والظالم لا يناله عهد الإمامة فيلزم أن لا ينالهما عهد الإمامة أمّا أنّهما كانا مشركين فبالإتفاق، وأمّا أنّ المشرك ظالم فلقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^١ وأمّا أنّ الظالم لا يناله عهد الإمامة فلهذه الآية. لا يقال: أنّهما كانا ظالمين حال كفرهما، فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم. لأننا نقول: الظالم من وجد منه الظلم، وقولنا وجد منه الظلم أعم من قولنا وجد منه الظلم في الماضي أو في الحال بدليل أنّ هذا المفهوم يمكن تقسيمه إلى هذين القسمين، ومورد التقسيم بالتقسيم بالقسمين مشترك بين القسمين، وما كان مشتركاً بين القسمين لا يلزم انتفاؤه لانتفاء أحد القسمين فلا يلزم من نفي كونه ظالماً في الحال نفي كونه ظالماً.

والذي يدلّ عليه نظراً إلى الدلائل الشرعية: أنّ النائم يسمّى مؤمناً والإيمان هو التصديق والتصديق غير حاصل حال كونه نائماً، فدّل على أنّه يسمّى مؤمناً لأنّ الإيمان كان حاصلًا قبل، وإذا ثبت هذا وجب أو يكون ظالماً لظلم وجد من قبل، وأيضاً فالكلام عبارة عن حروف متوالية، والمشي عبارة عن حصولات متوالية في أحياز متعاقبة فمجموع تلك الأشياء البتة لا وجود لها، فلو كان حصول المشتق منه شرطاً في كون الاسم المشتق حقيقة وجب أن يكون اسم المتكلم والمأشئ وأمثالهما حقيقة في شيء أصلاً وأنّه باطل قطعاً فدّل هذا على أنّ حصول المشتق منه ليس شرطاً لكون الاسم المشتق حقيقة؟

والجواب: كلّ ما ذكرتموه معارض بما أنّه لو حلف لا يُسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلّا أنّه كان كافراً قبل بسنين متطاولة فإنّه لا يحث، فدّل على ما قلناه، ولأنّ التائب عن الكفر لا يسمّى كافراً والتائب عن المعصية لا يسمّى عاصياً

فكذا القول في نظائره، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^١ فإنه نهي عن الركون إليهم إلى إقامتهم على الظلم، وقوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^٢ معناه: ما أقاموا على الإحسان على أننا بينا أن المراد من الإمامة في هذه الآية: النبوة، فمن كفر بالله طرفة عين فإنه لا يصلح للنبوة^٣.

أقول: يرد عليه: أولاً: مناسبة الحكم والموضوع تقتضي بقاء الحكم - أي عدم لياقة الإمامة - لمن تلبس بمبداء الظلم، ولو كان المبدأ يزول عنه في ما بعد، لأن قدسية مقام الإمامة وكون الإمام أسوة للمؤمنين تنفيان إمكان تلبسه بمبداء الظلم ولو كان أنا ما. ولذا ذهب الفخر في آخر كلامه إلى أن: «فمن كفر بالله طرفة عين فإنه لا يصلح للنبوة».

وثانياً: الإتيان بصيغة المضارع وهي كلمة «لا ينال» وعدم توقيتها بوقت خاص فهي تدل على بقاء الحكم واستمرارها حتى بعد زوال التلبس.

وثالثاً: ما ورد من نظائر هذا الحكم في الشريعة المقدسة يدل بالأولوية القطعية على بقاء الحكم في الآية الشريفة وعدم زواله بزوال مبدأ الظلم. نحو ما ورد في عدة من الروايات^٤ في النهي عن الصلاة خلف المحدود والمجذوم والأبرص وولد الزنا والأعرابي، فتدل على أن المتلبس بأحد هذه العناوين لا يليق أن يتصدى منصب إمامة الجماعة في الصلاة، فبالأولوية القطعية تدل على أن المتلبس بالظلم وعبادة الأوثان والشرك بالله تعالى لا يليق أن يتقمص بقاء الخلافة وأن يجلس على كرسي الإمامة الكبرى.

١. سورة هود / ١١٣.

٢. سورة التوبة / ٩١.

٣. التفسير الكبير ٤ / ٤١ و ٤٢.

٤. منها: حسنة زارة راجع وسائل الشيعة ٨ / ٣٢٥، ح ٦، الباب ١٥ من أبواب صلاة الجماعة.

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم راجع وسائل الشيعة ٨ / ٣٢٤، ح ٣ وغيرهما من الروايات.

ورابعاً: ما ذكره الفخر من الحلف - وأخويه النذر والعهد - تابع لقصد الخالف - أو الناذر أو العاهد - في الكيفية والكمية وأجنيبني عن دلالة اللفظ وظهوره في شيء^١.

وخامساً: يرى الفخر دلالة الآية الشريفة على مقام العصمة للقائمين بهذا العهد الشريف وعدم تمامية انكاره فذهب إلى أن المراد الإمامة فيها هي النبوة في آخر كلامه، مع أنك تعرف أن إبراهيم عليه السلام بعد الوصول بمقام النبوة والخلة بلغ إلى مرتبة الإمامة فهي أرفع وأهم من النبوة. إبراهيم الذي كان نبياً سنين متوالية بعد الخروج من الامتحانات والابتلات بالموقفية بلغ إلى رتبة الإمام، هذا كَرَّ إلى ما قرَّ منه الفخر.

ولعلَّ مراد المحقق النائيني^٢ من أن الفخر اعترف بدلالة الآية الشريفة على عدم لياقة الخلفاء الثلاثة للخلافة الإلهية أبداً، هذا الكلام الأخير منه وإقراره من الفخر بأن منصب الإمامة لا يصل إلى من كان طرفه عين بالله كافراً. والحمد لله على ما أنعم.

وقال الفخر الرازي: «قال أبوبكر الرازي: ومن الناس من يظن أن مذهب أبي حنيفة أنه يجوز كون الفاسق إماماً وخليفة، ولا يجوز كون الفاسق قاضياً، قال: وهذا خطأ، ولم يفرق أبو حنيفة بين الخليفة والحاكم^٣ في أن شرط كل واحد منهما العدالة، وكيف يكون خليفة وروايته غير مقبولة وأحكامه غير نافذة وكيف يجوز أن يدعى ذلك على أبي حنيفة وقد أكرهه ابن هبيرة في أيام بني أمية على القضاء وضربه فامتنع من ذلك فحبس، فلح ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم أسواطاً، فلما خيف عليه، قال له الفقهاء: تول له شيئاً من عمله أي شيء كان حتى يزول عنك الضرب، فتول له عد أحمال التبن التي تدخل فخلاه، ثم دعاه المنصور إلى مثل ذلك حتى عدله اللبن الذي كان يضرب لسور مدينة المنصور إلى مثل ذلك، وقصته في أمر زيد بن علي

١. راجع: محاضرات في أصول الفقه ١ / ٣٠١، للمحقق آية الله السيّد الخوئي رحمته الله.

٢. أجود التقريرات ١ / ١٢١.

٣. أي القاضي.

مشهورة وفي حمله المال إليه وفتياه الناس سرّاً في وجوب نصرته والقتال معه، كذلك أمره مع محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن، ثم قال: وإنما غلط من غلط في هذه الرواية أنّ قول أبي حنيفة: أنّ القاضي إذا كان عدلاً في نفسه وتولى القضاء من إمام جائر فإن أحكامه نافذة والصلاة خلفه جائزة، لأنّ القاضي إذا كان عدلاً في نفسه ويمكنه تنفيذ الأحكام كانت أحكامه نافذة، فلا اعتبار في ذلك بمن ولّاه، لأنّ الذي ولّاه بمنزلة سائر أعوانه، وليس شرط أعوان القاضي أن يكونوا عدولاً، ألا ترى أنّ أهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتّى يكونوا أعواناً له على من امتنع من قبول أحكامه لكان قضاؤه نافذاً وإن لم يكون له ولاية من جهة إمام ولا سلطان، والله أعلم»^١.

أقول: لو كان هذه النسبة إلى أبي حنيفة صحيحة، فلماذا لم يقبل تولية القضاء من قبل بني أمية وبني العباس؟ وهذا مسافة الخلف بين القول والعمل!!

تذكرة

قال الزمخشري: «وكان أبو حنيفة يفتى سرّاً بوجوب نصره زيد بن علي رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمّى بالإمام والخليفة، كدوانقي وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على إبنني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبدالله بن الحسن حتّى قُتل. فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو ارادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ أجره لما فعلت»^٢.

١. التفسير الكبير ٤/ ٤٣.

٢. الكشف ١/ ١٨٤.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى
وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتًا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

وَالزُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

إشارة إلى تشريع الحج وفيها تدرج في ذكر مناقب إبراهيم الخليل عليه السلام.
﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿إِذْ﴾ عطف على ﴿وَإِذْ أَتَىٰ﴾ في الآية السابقة. وإعادة ﴿إِذْ﴾ للتنبيه على
استقلال ما يأتي بعدها.
﴿جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به أول، والمراد بالبيت هو بيت الله
الحرام.

﴿مَثَابَةً﴾ مفعول به ثانٍ. المثابة: المرجع والمقصود للعبادة وتطهير الذنوب
والآثام.

﴿لِّلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مَثَابَةً﴾.
﴿وَأَمْنًا﴾ معطوف على ﴿مَثَابَةً﴾. أي مأمنًا وموضع أمن. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿اتَّخِذُوا﴾ فعل أمر وفاعله، معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾.
﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. ﴿مِن﴾ للتبعية، ﴿مَقَامِ﴾
مفعول به أول لـ ﴿اتَّخِذُوا﴾.

﴿مُصَلًّى﴾ مفعول به ثانٍ. ﴿وَ﴾ عاطفة.
﴿عَهْدَنَا﴾ فعل ماضٍ وفاعله. العهد هنا الأمر.
﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَهْدَنَا﴾.
﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿أَنَّ﴾ تفسيرية.

﴿طَهَّرَا﴾ فعل أمر وفاعله. والمراد بالتطهير إمّا تنظيفه من الأقدار أو الأصنام أو الأوثان أو تخليصه للعبادة.

﴿بَيَّتَ﴾ مفعول به ومضاف إليه؛ والإضافة تشريفية.

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿طَهَّرَا﴾، الطائف: الدائر، «طاف يطوف طوافاً إذا دار حول الشيء»^١.

﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ معطوف على «الطائفين». العاكف هو المعتكف في المسجد وهو اللزوم والدوام والمكث فيه للعبادة.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ معطوف ونعته؛ والمراد بهما المصلين.

قال الشيخ: «وفي الآية دلالة على أن الصلاة جوف البيت جائزة»^٢.

الروايات

صحیحة أبي الصباح الكناني يقول: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أن يصلي الركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام في طواف الحج والعمرة؟ فقال: إن كان بالبلد صلى ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام فإن الله يقول ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وإن كان قد ارتحل فلا أمره أن يرجع.^٣

رواها العياشي في تفسيره^٤ والطوسي في التهذيب^٥ والاستبصار^٦.

صحیحة محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله يقول في كتابه و ﴿طَهَّرَا بَيْتَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فينبغي للعبد أن لا يدخل مكة إلّا وهو

١. التبيان ١/ ٤٥٤.

٢. التبيان ١/ ٤٥٦.

٣. الكافي ٤/ ٤٢٥، ح ١.

٤. تفسير العياشي ١/ ١٥٤، ح ٩٥.

٥. التهذيب ٥/ ١٣٩.

٦. الاستبصار ٢/ ٢٣٥.

طاهر قد غسل عرقه والأذى وتطهر.^١

ورواها الطوسي بسنده الصحيح في التهذيب.^٢

العباشي رفعه عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل طاف بالبيت طواف الفريضة في حج كان أو عمرة وجهل أن يصلي ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام؟ قال: يصليها ولو بعد أيام لأن الله يقول ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.^٣

العباشي رفعه قال الحلبي: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن البيت أكان يحج قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ قال: نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب، قال لموسى حيث تزوج ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَّجَ﴾؛ ولم يقل ثمانين سنين، وإن آدم ونوحاً حجاً وسليمان بن داود قد حج البيت بالجن والإنس والطير والريح وحج موسى على جبل أحرر يقول: لبيك لبيك، وإنه كما قال الله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^٤ وقال ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^٥ وقال ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وإن الله أنزل الحجر لآدم وكان البيت.^٦

العباشي رفعه عن المنذر الثوري عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الحجر؟ فقال عليه السلام: نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الأسود استودعه إبراهيم ومقام

١. الكافي ٤/ ٤٠٠، ح ٣.

٢. التهذيب ٥/ ٩٨.

٣. تفسير العبّاشي ١/ ١٥٤، ح ٩٦.

٤. سورة القصص / ٢٧.

٥. سورة آل عمران / ٩٦.

٦. سورة البقرة / ١٢٧.

٧. تفسير العبّاشي ١/ ١٥٦، ح ١٠٣.

إبراهيم وحجر بني إسرائيل.

قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله تعالى استودع إبراهيم عليه السلام الحجر الأبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس، فأسودّ من خطايا بني آدم.^١

رواها المشهدي في كنز الدقائق.^٢

مرفوعة جابر الجعفي قال: قال محمد بن علي عليه السلام: يا جابر أعظم فريّة أهل الشام على الله! يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد على السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبدٌ من عباد الله قدمه على حجر، فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مُصلّى. يا جابر، إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبهه، تعالى عن صفة الواصفين وجلّ عن أوهام المتوهمين واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين ولا يافلّ مع الآفلين، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع العليم.^٣

عبيد الله بن علي الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام أتغتسل النساء إذا أتين البيت؟ قال: نعم، إن الله تعالى يقول ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فينبغي للعبد أن لا يدخل إلّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذى وتطهّر.^٤

ورواها العياشي في تفسيره^٥ والطوسي بسنده الصحيح في التهذيب.^٦

خبر موسى بن القاسم البجلي عمن حدّثه عن مرّام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصلّة في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: صلّة في

١. تفسير العياشي ١/ ١٥٥، ح ٩٧.

٢. كنز الدقائق ١/ ٣٣٤.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٥٥، ح ٩٨.

٤. علل الشرايع ٢/ ٤١١، ح ١.

٥. تفسير العياشي ١/ ١٥٥، ح ٩٩.

٦. التهذيب ٥/ ٢٥١، ح ٨٥٢.

مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره وصلاة في مسجد الحرام تعدل ألف صلاة في مسجدي ثم قال: إن الله فضل مكة وجعل بعضها أفضل من بعض، فقال ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقال: إن الله فضل أقواماً وأمر باتباعهم وأمر بمودتهم في الكتاب.^١

القاضي نعمان المصري رفعه عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أهبط الله عليه السلام إلى الكعبة مائة وسبعين رحمة فجعل منها ستين للطائفين وخمسين للعاكفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين.^٢

الطوسي بإسناده عن صفوان بن يحيى عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس لأحد أن يصلي ركعتي طواف الفريضة إلا خلف المقام لقول الله عليه السلام ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فإن صليتهما في غيره فعليك إعادة الصلاة.^٣

الطوسي بإسناده عن أبي عبد الله الأزارقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي فصلّي ركعتي طواف الفريضة في الحجر؟ قال: يعيدهما خلف المقام لأن الله تعالى يقول ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة.^٤

صحيحة أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أن يصلي ركعتي طواف الفريضة خلف المقام، وقد قال الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حتّى ارتحل؟ فقال: إن كان ارتحل فإني لا أشق عليه ولا أمره أن يرجع ولكن يصلي حيث يذكر.^٥

١. كامل الزيارات / ٢٠، ح ٢.

٢. دعائم الإسلام ١ / ٢٩٤.

٣. التهذيب ٥ / ١٣٧.

٤. التهذيب ٥ / ١٣٨.

٥. التهذيب ٥ / ١٤٠.

ورواها في الاستبصار.^١

خبر الطوسي في قوله تعالى ﴿مَثَابَةٌ﴾: وقال أبو جعفر عليه السلام: يرجعون إليه لا يقضون منه وطراً، وبه قال مجاهد.^٢

خبر الطبرسي قال: وقد ورد في الخبر: إن من رجع من مكة وهو ينوي الحج من قابل، زيد في عمره، ومن خرج من مكة وهو لا ينوي العود إليها، فقد قرب أجله.^٣
ورواها الكاشاني في منهج الصادقين^٤ والمشهدى في كنز الدقائق^٥.

الطبرسي رفعه وقال: قال ابن عباس: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم وماتت هاجر استأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لأمرأته! أين صاحبك فقالت: ليس هو هاهنا ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصد ثم يرجع، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي شيء وما عندي أحد، فقال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم عليه السلام وجاء إسماعيل عليه السلام وجد ريح أبيه فقال لإمرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي إقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فطلقها، وتزوج أخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لإمرأته: أين صاحبك؟ قالت:

١. الاستبصار ٢/ ٢٣٥.

٢. التبيان ١/ ٤٥١.

٣. مجمع البيان ١/ ٢٠٣.

٤. منهج الصادقين ١/ ٣٠٧.

٥. كنز الدقائق ١/ ٣٣٤.

يتصيد وهو يجيئ الآن إن شاء الله فأنزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز برّاً وشعيراً وتمرّاً لكان أكثر أرض الله برّاً وشعيراً وتمرّاً، فقالت له: أنزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءت بالمقام فوضعت على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثمّ حوّلت المقام إلى شق رأسه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه، فقال لإمرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وقال لي كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام قال لها إسماعيل ذاك إبراهيم عليه السلام^١.

وقد روى هذه القصة بعينها علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان عن الصادق عليه السلام، وإن اختلفت بعض الفاظه وقال في آخرها: إذا جاء زوجك فقولي له: قد جاء هاهنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً، قال: فأكذب إسماعيل على المقام يبكي ويقبله. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إن إبراهيم استأذن سارة أن يزور إسماعيل، فأذنت له أن لا يلبث عندها وأن لا ينزل من حمارة، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: إن الأرض طويت له^٢.

سند المنقول من علي بن إبراهيم القمي في تفسيره صحيح وروى نحوها القطب الراوندي في قصص الأنبياء^٣ والرازي في روض الجنان^٤ والكاشاني في منهج الصادقين^٥ والمشهدى في

١. مجمع البيان ٣/ ١١٧، طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام (١/ ٢٠٣).

٢. مجمع البيان ٣/ ١١٨، طبعة مؤسسة آل البيت عليه السلام (١/ ٢٠٣).

٣. قصص الأنبياء / ١١١، ح ١٠٩.

٤. روض الجنان ٢/ ١٤٧.

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٠٤.

كنز الدقائق^١ والثعلبي في تفسيره^٢.

خبر الطبرسي في قوله تعالى ﴿مُصَلٍّ﴾ فيه أقوال: ... قيل: موضع صلاة فأمر أن يصلّ عنده عن قنادة والسدي وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام^٣.
الطبرسي رفعه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنَّ الله ﻻ يكلّ في كلِّ يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت، ستون منها للطائفين وأربعون للعاكفين^٤ وعشرون للناظرين^٥.

رواها الرازي في روض الجنان^٦ وفيها المصلّين بدل العاكفين والثعلبي في تفسيره^٧.

خبر الرازي قال: وفي الخبر: النظر إلى الكعبة عبادة^٨.

خبر الرازي قال: ورد في رواياتنا: أنَّ الجوار بمكة مكروه وبمدينة النبيّ مستحب^٩.

الكاشاني رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: جنبوا مساجدكم النجاسة^{١٠}.

١. كنز الدقائق ١ / ٣٣٥.

٢. الكشف والبيان ١ / ٢٧٠.

٣. مجمع البيان ١ / ٢٠٤.

٤. في نسخة بدل العاكفين المصلين.

٥. مجمع البيان ١ / ٢٠٤.

٦. روض الجنان ٢ / ١٤٩.

٧. الكشف والبيان ١ / ٢٧٢.

٨. روض الجنان ٢ / ١٤٩.

٩. روض الجنان ٢ / ١٥٠.

١٠. منهج الصادقين ١ / ٣٠٨.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^١

دعاء دعا به إبراهيم الخليل عليه السلام يسأل فيه الأمن على أهل مكة المكرمة والرزق لأهله وقد اجيبت دعوته.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْثًا﴾ في أول الآية السابقة.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلق بفعل محذوف «اذكر».

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله، وما بعده دعاء إبراهيم عليه السلام.

﴿رَبِّ﴾ «منادى مضاف إلى ياء المتكلم، أي: «يا ربِّي» وحذف حرف النداء، والياء للتخفيف ووضوح المعنى، وكسرت الباء للدلالة على ياء المتكلم المحذوفة»^١.

﴿اجْعَلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» في مقام الدعاء.

﴿هَذَا﴾ اسم إشارة، مفعول به أول، إشارة إلى مكة المكرمة لأن إبراهيم عليه السلام حين دعا بهذا الدعاء كان فيه.

﴿بَلَدًا﴾ مفعول به ثان. «والبلد والمصر والمدينة نظائر»^٢.

﴿ءَامِنًا﴾ نعت لـ ﴿بَلَدًا﴾؛ والمراد به تأمين أهلها من الغزاة والجبابة والطواغيت ومن القحط والجذب والزلازل والعواصف وبالجملة من أقسام البلايا.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿ارْزُقْ﴾ معطوف على ﴿اجْعَلْ﴾.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٠٠.

٢. التبيان ١/ ٤٥٧.

﴿أَهْلَهُ﴾ مفعول به ومضاف إليه والضمير يعود إلى ﴿بَلَدًا﴾.
 ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَرْزُقُ﴾. أي أعطهم من أنواع الرزق و
 ﴿الثَّمَرَاتِ﴾.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول بدل مِنْ ﴿أَهْلَهُ﴾ وهو كُلٌّ.
 ﴿ءَامَنَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿مَنْ﴾.
 ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوف مِنْ ﴿مَنْ﴾ أي حال كونه ﴿مِنْهُمْ﴾.
 ﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنَ﴾، أي ﴿ءَامَنَ﴾ ﴿بِاللَّهِ﴾ الواحد القهار.
 ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ معطوف على ﴿اللَّهِ﴾ ونعته؛ والبعث والنشور والمعاد.
 ﴿قَالَ﴾ جواب من الله تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام. ﴿وَ﴾ استئنافية.
 ﴿مَنْ﴾ «يجوز أن يكون محلّها النّصب على أن تكون مفعولاً لفعل محذوف
 تقديره قال الله: وارزق أيضاً من كفر، وفأمتعه معطوف على الفعل المحذوف، ويجوز
 أن تكون ﴿مَنْ﴾ هذه مرفوعة بالابتداء، وجملة ﴿فَأُمْتِعُهُ﴾ خبر، وجاز دخول الفاء على
 الخبر لشبه اسم الموصول باسم الشرط»^١.

﴿كَفَرَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». دعا إبراهيم عليه السلام في شأن
 المؤمنين واستجاب الله دعائه حتّى في حقّ الكافرين ولكن في الدنيا فقط.
 ﴿فَ﴾ حرف ربط.

﴿أُمْتِعُهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به أول، أي
 ﴿أُمْتِعُهُ﴾ بالآمن والرزق.

﴿قَلِيلًا﴾ مفعول به ثان. يعني في الدنيا لأن ﴿مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا﴾^٢.
 ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٠٠.

٢. سورة النساء / ٧٧.

﴿أَضْطَرُّهُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «أنا» ومفعول به.
 الاضطرار: افتعال من الضَّرَّ و «هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك
 منه، إذا كان من جنس مقدوره»^١.
 ﴿أَضْطَرُّهُ﴾: أي ألجأه.
 ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ ﴿أَضْطَرُّهُ﴾.
 ﴿و﴾ للاعتراض أو الحال. ﴿يَنْسِ﴾ فعل ماض لإنشاء الذم.
 ﴿الْمَصِيرُ﴾ فاعله؛ وحذف المخصوص بالذم وهو خبره لأنه مرّ في السابق وهي
 ﴿النَّارِ﴾.

الروايات

مرفوعة عن عبدالله بن غالب عن أبيه عن رجل عن علي بن الحسين عليه السلام قول
 إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ﴾ إِيَّانَا
 عَنِ بَذَلِك وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَةَ وَصِيَّهِ، ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ
 النَّارِ﴾ قَالَ: عَنِ بَذَلِك مَنْ جَحَدَ وَصِيَّهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَكَذَلِكَ وَاللَّهِ حَالُ هَذِهِ
 الْأُمَّةِ. ٢.

مرفوعة عن أحمد بن محمد بن محمد عنه عليه السلام : قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَمَّا أَنْ دَعَا رَبَّهُ أَنْ
 يَرْزُقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ قَطَعَ قِطْعَةً مِنَ الْأُرْدَنِ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ
 أَقَرَّهَا اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا، وَإِنَّهَا سُمِّيَتْ الطَّائِفُ لِلطَّوَّافِ بِالْبَيْتِ. ٣
 رواها الصدوق بسنده عن أبي الحسن عليه السلام والرضا عليه السلام في كتابه علل الشرايع؛ والفيض في

١. التبيان ١/ ٤٥٨.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٥٦، ح ١٠٠.

٣. تفسير العياشي ١/ ١٥٦، ح ١٠١.

٤. علل الشرايع ٢/ ٤٤٢، ح ١ و ٢.

الصافي^١ والأصفي^٢.

صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل: فقال إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت والحجّ ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال: من ثمرات القلوب أي حبّهم إلى الناس ليتتابوا إليهم ويعودوا إليهم.^٣

وروى مثلها الطبرسي في مجمع البيان^٤ والكاشاني في منهج الصادقين^٥.

انتاب الرجل القوم انتياباً: إذا قصدهم وأتاهم مرّة بعد مرّة.

خبر الطوسي قال: قال مجاهد عن ابن عباس، وأبوشريح الخزاعي: كان آمناً لقول النبي ﷺ حين فتح مكة: «هذه حرم حرّمها الله يوم خلق السموات والأرض»، وهو الظاهر في رواياتنا.^٦

خبر الطوسي قال: روى أن النبي ﷺ قال: إن إبراهيم عليه السلام حرّم مكة وإني حرّمت المدينة.^٧

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٨ والكاشاني في منهج الصادقين^٩ والمشهدي في كنز الدقائق^{١٠}.

الطوسي رفعه عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾^١ أي تحمل

١. الصافي / ٥٠، طبع الحجري.

٢. الأصفي / ٥٣.

٣. تفسير القمي / ١ / ٦٠.

٤. مجمع البيان / ١ / ٢٠٦.

٥. منهج الصادقين / ١ / ٣٠٩.

٦. التبيان / ١ / ٤٥٦.

٧. التبيان / ١ / ٤٥٦.

٨. مجمع البيان / ١ / ٢٠٦.

٩. منهج الصادقين / ١ / ٣٠٩.

١٠. كنز الدقائق / ١ / ٣٣٨.

١. سورة إبراهيم / ٣٧.

إليهم من الآفاق.^١

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٢ والكاشاني في منهج الصادقين^٣.

الطبرسي رفعه إلى رسول الله ﷺ إنه قال يوم فتح مكة: إن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحد بعدي ولم تحلّ لي إلا ساعة من النهار.

ثم قال الطبرسي: فهذا الخبر وأمثاله المشهورة في روايات أصحابنا تدلّ على أنّ الحرم كان آمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام وإنما تأكّدت حرمة بدعائه عليه السلام.^٤

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٥ والمشهدى في كنز الدقائق^٦.

خبر الطبرسي قال: رُوي عن الصادق عليه السلام من قوله: من دخل الحرم مستنجراً به فهو آمن من سخط الله ﷻ، ومن دخله من الوحوش والطيور كان آمناً من أن يهاج أو يؤذي حتّى يخرج من الحرم.^٧

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٨ والمشهدى في كنز الدقائق^٩.

١. التبيان ١/ ٤٥٩.

٢. مجمع البيان ١/ ٢٠٦.

٣. منهج الصادقين ١/ ٣٠٩.

٤. مجمع البيان ١/ ٢٠٦.

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٠٩.

٦. كنز الدقائق ١/ ٣٣٧.

٧. مجمع البيان ١/ ٢٠٦.

٨. منهج الصادقين ١/ ٣٠٩.

٩. كنز الدقائق ١/ ٣٣٧.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

تذكر تجديد بيت الله الحرام على يدي إبراهيم الخليل وإسماعيل الذبيح عليهما السلام
ودعائهما بعده.

﴿وَ﴾ عطف على الآيات الماضية الواردة في مناقب إبراهيم عليه السلام.

﴿إِذْ﴾ بمعنى «حين» متعلق بـ«اذكر».

﴿يَرْفَعُ﴾ فعل مضارع، حكاية الحال الماضية لمن يشاهد الآن لأنه على سبيل
الحكاية المباشرة. «الرفع والاعلاء والاصعاد نظائر»^١.

فظهر أن أصول البيت كان موجوداً من زمن آدم أو قبله كما يظهر من الروايات
الآتية.

﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ فاعله.

﴿الْقَوَاعِدَ﴾ مفعول به، جمع قاعدة. «قواعد البناء: أساسه الذي بُني عليه»^٢.

﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ«يَرْفَعُ» والمراد به الكعبة المقدسة.

﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾. ﴿رَبَّنَا﴾ منادى.

﴿تَقَبَّلْ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» في مقام الدعاء والتضرع أي

﴿تَقَبَّلْ﴾ هذا العمل.

﴿مِنَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ«تَقَبَّلْ». ﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل واسمه.

﴿أَنْتَ﴾ ضمير فصل تأكيد للضمير المتصل ﴿كَ﴾.

١. التبيان ١/ ٤٦٠.

٢. التبيان ١/ ٤٦٠.

﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبران لـ ﴿إِنَّكَ﴾. سميعٌ بدعائنا وعلیمٌ بأفعالنا وأعمالنا ونوايانا.

الروايات

خبر أبي خديجة قال: إنَّ الله ﷻ أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله ﷻ إلى السماء وبقي أسّهُ وهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله ﷻ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنائ البيت على القواعد.^١

الرواية مقطوعة ولكن رواها الصدوق في الفقيه^٢ عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام. خبر أبان بن تغلب قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس تراهبا فلما صاروا إلى بنائها فارادوا ان يبنوها خرجت عليهم حيّة فمנعت الناس البناء حتّى هربوا فأتوا الحجاج فاخبروه فخاف ان يكون قد منع بناءها فصعد المنبر ثمّ نشد الناس وقال انشد الله عبداً عنده ممّا ابتلينا به علم ممّا أخبرنا به قال فقام إليه شيخ، فقال: ان يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثمّ مضى فقال الحجاج: من هو؟ قال: علي بن الحسين عليه السلام. فقال: معدن ذلك فبعث إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء؟ فقال: له علي بن الحسين عليه السلام: يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فالقيته في الطريق وانتهبته كأنك ترى أنّه تراث لك أصعد المنبر وأنشد الناس ان لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردّه. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى منهم أحد عنده شيء إلّا ردّه. قال: فردّوه فلما رأي جمع التراب أتى علي بن الحسين صلوات الله عليهما فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا. قال: فتغيبت عنهم الحية وحفروا حتّى انتهوا إلى موضع القواعد. قال لهم علي بن

١. الكافي ٤/ ١٨٨، ح ٢.

٢. الفقيه ٢/ ٢٤٢، ح ٢٣٠٢.

الحسين عليه السلام: تنحوا فتنحوا فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة. فقال: ضعوا بناءكم فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج.^١

خبر الكليني عن علي بن إبراهيم وغيره بأسانيد مختلفه رفعوه قالوا: إننا هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلا مكة فيدخلها فانصدعت وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر وكان حائطها قصيراً وكان ذلك قبل مبعث النبي ﷺ بثلاثين سنة فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة وبينوها ويزيدوا في عرصتها ثم اشفقوا من ذلك وخافوا أن يضعوا فيها المعاول أن تنزل عليهم عقوبة. فقال الوليد بن المغيرة: دعوني ابدء فان كان لله رضي لم يصبني شيء وان كان غير ذلك كففنا فصعد على الكعبة وحرك منه حجراً فخرجت عليه حيه وانكسفت الشمس فلما رأوا ذلك بكوا وتضرعوا وقالوا: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح فغابت عنهم الحية فهدموا ونحو حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام فلما أرادوا أن يزيدوا في عرصته وحركوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة وظلمه فكفوا عنه وكان بنيان إبراهيم الطول ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسّمك تسعة أذرع فقالت قريش: نزيد في سمكها فبنوها فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه. فقال كل قبيله نحن أولى به، نحن نضعه، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه فطلع رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم كساء طاروني كان له ووضع الحجر فيه، ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم وقيس بن عدي من بني سهم فرفعوه ووضعوه

النبي ﷺ في موضعه وقد كان بعث ملك الروم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعله إلى الحبشه ليبني له هناك بيعة فطرحتها الريح إلى ساحل الشريعة فبطحت فبلغ قريشاً خبرها فخرجوا إلى الساحل فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشب وزينة غير ذلك فأبتاعوه وصاروا به إلى مكة فوافق ذرع ذلك الخشب البناء ما خلا الحجر فلما بنوها كسوها الوصائد وهي الأردنية.^١

خبر عقبة بن بشير عن أحدهما عليه السلام قال: إن الله ﷻ أمر إبراهيم ببناء الكعبة وأن يرفع قواعدها ويرى الناس مناسكهم فبني إبراهيم وإسماعيل البيت كل يوم سافاً حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود قال أبو جعفر عليه السلام فنأدى أبو قبيس إبراهيم عليه السلام أن لك عندي وديعة، فأعطاه الحجر فوضعه موضعه ثم إن إبراهيم عليه السلام إذن في الناس بالحج فقال: أيها الناس إني إبراهيم خليل الله إن الله يأمركم أن تحجوا هذا البيت فحجوه فأجابه من يحج إلى يوم القيامة وكان أول من أجابه من أهل اليمن قال: وحج إبراهيم عليه السلام هو وأهله وولده فمن زعم أن الذبيح هو إسحاق فمن هاهنا كان ذبحه. وذكر عن أبي بصير أنه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام يزعمان أنه إسحاق فأما زرارة فزعم أنه إسماعيل.^٢

الساف: كل صف من اللبن.

خبر سعد الأعرج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قريشاً لما هدموا الكعبة وجدوا في قواعده حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قرائته حتى دعوا رجلاً فقرأه فإذا فيه: أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والأرض ووضعتها بين هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حفاً.^٣

١. الكافي ٤/ ٢١٧ ح ٤.

٢. الكافي ٤/ ٢٠٥، ح ٤.

٣. الكافي ٤/ ٢٢٥، ح ١.

خبر محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل عليه السلام أنا الله الرحمن الرحيم وإني قدر رحمت آدم وحواء لما شكيا إلى ما شكيا فاهبط عليهما بخيمه من خيم الجنة وعزهما عني بفراق الجنة وأجمع بينهما في الخيمة فإني قد رحمتها لبكائهما ووحشتها في وحدتها وأنصب الخيمة على الترعة التي بين جبال مكة. قال: والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة قبل آدم. فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، وأنزل جبرئيل آدم من الصفا وأنزل حواء من المروة وجمع بينهما في الخيمة قال: وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر فضاء نوره وضوؤه جبال مكة وما حولها قال: وامتد ضوء العمود. قال: فهو مواضع الحرم اليوم من كل ناحية من حيث بلغ ضوء العمود. قال: فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنها من الجنة قال: ولذلك جعل الله ﷻ الحسنات في الحرم مضاعفة والسيئات مضاعفة. قال: ومدت اطناب الخيمة حولها فمتمت أوتادها ما حول المسجد الحرام. قال: وكانت أوتادها من عقيان الجنة وأطنابها من صفائر الأرجوان. قال: وأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل عليه السلام إهبط على الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها منردة الشياطين ويؤنسون آدم ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة. قال: فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها منردة الشياطين العتاه ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كل يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور. قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الذي في السماء. ثم قال: إن الله ﷻ أوحى إلى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك أن أهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد بيتي وأرفع قواعد بيتي لملائكتي ثم ولد آدم فهبط جبرئيل على آدم وحواء فأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن ترعة البيت ونحى الخيمة عن موضع الترعة. قال: ووضع آدم على الصفا وحواء على المروة فقال: آدم: يا جبرئيل أبسخط من الله ﷻ حولتنا وفرقت بيننا أم برضي وتقدير علينا. فقال لهما: لم

يكن ذلك بسخط من الله عليكما ولكن الله لا يسأل عما يفعل يا آدم إن السبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفوا حول أركان البيت المعمور والخيمة سألوا الله أن يبنّي لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع التربة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور. فأوحى الله ﷻ إلى أن أنحيك وأرفع الخيمة. فقال آدم: قد رضينا بتقدير الله ونفذ أمره فينا فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو ظهر الكوفة وأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله ﷻ من مواضعهنّ بجناحة فوضعها حيث أمر الله ﷻ في أركان البيت على قواعد التي قدّرها الجبار ونصب أعلامها ثمّ أوحى الله ﷻ إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه بحجارة من أبي قبيس واجعل له بايين باباً شرقياً وباباً غربياً. قال: فأتته جبرئيل ﷺ فلما أن فرغ، طافت حوله الملائكة فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة اشواط ثمّ خرجا يطلبان ما يأكلان.^١

العياشي رفعه عن أبي سلمة عن أبي عبد الله ﷺ: إنّ الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم ﷺ وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت.

وقال: يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل ﷺ أن يبنيا البيت على القواعد.^٢

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٣ والكاشاني في منهج الصادقين^٤.

العياشي رفعه عن أبي الورقاء قال: قلت لعلي بن أبي طالب ﷺ: أوّل شيء نزل

١. الكافي ٤/ ١٩٥، ح ٢.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٥٦، ح ١٠٢.

٣. مجمع البيان ١/ ٢٠٧.

٤. منهج الصادقين ١/ ٣١٧.

من السماء ما هو؟ قال: أول شيء نزل من السماء إلى الأرض فهو البيت الذي بمكة، أنزله الله ياقوته حمراء ففسق قوم نوح في الأرض فرفعه حيث يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^١.

رواه الطبرسي في مجمع البيان^٢ والكاشاني في منهج الصادقين^٣.

صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام فلما ولد له من هاجر إسماعيل عليه السلام اغتمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد. وكانت تؤذي إبراهيم في هاجر فتغمّه فشكا إبراهيم ذلك إلى الله عز وجل. فأوحى الله إليه إنّا مثل المرأة مثل الضلع العوجاء. إن تركتها استمعت بها وإن اقمتهّا كسرتها ثم أمره أن يخرج إسماعيل عليه السلام وأمه عنها. فقال: يا رب إلى أي مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة. فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليه السلام وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلّا وقال: يا جبرئيل إلى هاهنا إلى هاهنا. فيقول جبرئيل: لا أمض أمض حتّى وافي به مكة، فوضعه في موضع البيت وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلوا تحته فلما سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الإنصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: يا إبراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع. فقال إبراهيم: الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم. ثم إنصرف عنهم فلما بلغ كدي وهو جبل بذى طوى، التفت إليهم إبراهيم فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا

١. تفسير العياشي ١/ ١٥٧، ح ١٠٤.

٢. مجمع البيان ١/ ٢٠٧.

٣. منهج الصادقين ١/ ٣١٧.

الْصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِّنَ النَّاسِ يَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ وَارْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ^١.

ثم مضى وبقيت هاجر، فلما إرتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع السعي فنادت هل في الوادي من أنيس؟

فغاب إسماعيل عنها فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت، فلما بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل عليه السلام ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات، فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجلية، فعدت حتى جمعت حوله رملاً فإنه كان سائلاً فزمت به جعلته حوله فلذلك سميت زمزم.

وكانت جُرهم نازله بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان واتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة وقد ظهر الماء لهما فقالوا لهاجر: من أنت؟ وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ فقالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا هاهنا. فقالوا لها: أيتها المباركة أفتأذني لنا أن نكون بالقرب منكما؟

فقالت لهما: حتى يأتي إبراهيم عليه السلام. فلما زارهما إبراهيم عليه السلام اليوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله، إن هاهنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم. فأذنت هاجر لجرهم، فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم.

فلما زارهم إبراهيم في المرة الثالثة، نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً، فلما ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد

منهم شاة أو شاتين، فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان [بها].

فلما بلغ إسماعيل عليه السلام مبلغ الرجال، أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت؛ فقال: يا رب في أي بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم. فلم تزل القبة التي أنزلها الله على آدم عليه السلام قائمة حتى كان أيام الطوفان أيام نوح عليه السلام، فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا إلا موضع البيت، فسميت البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق.

فلما أمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت، لم يدر في أي مكان بينه، فبعث الله ﷻ جبرئيل عليه السلام فخط له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنة، وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم عليه السلام أشد بياضاً من الثلج!

فلما مسسته أيدي الكفار أسود! فبنى إبراهيم عليه السلام البيت، ونقل إسماعيل عليه السلام الحجر من ذي طوى، فرفعه إلى السماء تسعة أذرع، ثم دله على موضع الحجر.

فاستخرجه إبراهيم عليه السلام ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن، وجعل له بابين، باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب؛ والباب الذي إلى المغرب يسمى المستجار، ثم ألقى عليه الشجر والإذخر، وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها، وكانوا يكتنون تحته.

فلما بناه وفرغ منه، حج إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام، ونزل عليهما جبرئيل عليه السلام يوم التروية لثمان من ذي الحجة، فقال: يا إبراهيم! قم فارتو من الماء. لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء، فسميت التروية لذلك.

ثم أخرجه إلى منى فبات بها، ففعل به ما فعل بآدم عليه السلام.

فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت والحج: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^١ قال: من ثمرات القلوب، أي

حبّهم إلى النَّاس ليتتابوا إليهم ويعودوا إليهم.^١

ورواها الطبرسي في مجمع البيان^٢ والكاشاني في منهج الصادقين^٣ والمشهدي في كنز الدقائق^٤.

الطوسي قال: وهل كانت للبيت قواعد قبل إبراهيم؟ فيه خلاف، فقال ابن عباس وعطاء: قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفى أثره، فجذّده إبراهيم. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام.^٥

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٦ والكاشاني في منهج الصادقين^٧ والمشهدي في كنز الدقائق^٨.

خبر الطوسي قال: وقد روى في أخبارنا أنّ أول من حجّ البيت آدم، وذلك يدلّ على أنّه قد كان قبل إبراهيم.^٩

رواها الطبرسي والكاشاني والمشهدي في مجمع البيان^{١٠} ومنهج الصادقين^{١١} وكنز

خبر الطوسي قال: رُوي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تعالى وضع تحت العرش أربع أساطين وسماه الصراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة: طوفوا به، ثمّ بعث ملائكة، فقال: ابنوا في الأرض بيتاً بمثاله وقدره، وأمر من في الأرض أن

١. تفسير القمي ١/ ٦٠.

٢. مجمع البيان ١/ ٢٠٧.

٣. منهج الصادقين ١/ ٣١١.

٤. كنز الدقائق ١/ ٣٤٠.

٥. التبيان ١/ ٤٦٢.

٦. مجمع البيان ١/ ٢٠٧.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣١٦.

٨. كنز الدقائق ١/ ٣٣٩.

٩. التبيان ١/ ٤٦٧.

١٠. مجمع البيان ١/ ٢٠٧.

١١. منهج الصادقين ١/ ٣١٦.

١٢. كنز الدقائق ١/ ٣٣٩.

يطوفوا بالبيت. ١.

رواه الطبرسي في مجمع البيان^٢ والكاشاني في منهج الصادقين^٣.

الطوسي رفعه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: إسماعيل أول من شقّ لسانه بالعربية وكان أبوه يقول: وهما بيننا البيت: يا إسماعيل هابي ابن، أي أعطني حجراً، فيقول له إسماعيل بالعربية، يا أبي هاك حجراً - وإبراهيم يني وإسماعيل يناوله الحجارة. ٤.

رواه الطبرسي في مجمع البيان^٥ والكاشاني في منهج الصادقين^٦.

خبر الطبرسي قال: روي أنّ إبراهيم عليه السلام كان يني وإسماعيل يناوله الحجارة. ٧.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾



دعا إبراهيم ربّه أن يجعله وابنه مسلمين وكذا ذريته ودعا للبقاء والثبات على الإسلام وهو تمام العبوديّة وتسليم العبد كلّ ما له إلى ربّه. ﴿رَبَّنَا﴾ منادى وتكرارها يفيد اظهار التضّرّع إلى الله تعالى وأنّ كل هذه الدّعوات مقصودة بالذات.

١. التبيان / ١ / ٤٦٧.

٢. مجمع البيان / ١ / ٢٠٧.

٣. منهج الصادقين / ١ / ٣١٦.

٤. التبيان / ١ / ٤٦٣.

٥. مجمع البيان / ١ / ٢٠٧.

٦. منهج الصادقين / ١ / ٣١٧.

٧. جوامع الجامع / ١ / ٧٩.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾^١.
 ﴿اجْعَلْنَا﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» ومفعول به أول في مقام الدعاء
 والتضرّع إلى الله تعالى.

﴿مُسْلِمِينَ﴾ مفعول به ثان، وقد مرّ معنى الإسلام في أول الآية.
 ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿مُسْلِمِينَ﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ جار ومجرور ومضاف إليه. متعلق بـ﴿اجْعَلْنَا﴾ أو متعلق بمفعول
 محذوف. ﴿مِنْ﴾ للتبعية.

﴿أُمَّةٌ﴾ مفعول به ثان. ﴿مُسْلِمَةً﴾ نعت لـ﴿أُمَّةٌ﴾.
 ﴿لَكَ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿مُسْلِمَةً﴾. ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿أَرَانَا﴾ معطوف على ﴿اجْعَلْنَا﴾. رؤية بصرية وقلبية بمعنى اعلما.
 ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ مفعول به ثان ومضاف إليه. جمع المنسك وهو النسك بمعنى
 العبادة. رجل ناسك أي عابد.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿تُبَّ﴾ معطوف على ﴿اجْعَلْنَا﴾، أي ارجع ﴿عَلَيْنَا﴾ بالرحمة والمغفرة.
 ﴿عَلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿تُبَّ﴾.
 ﴿إِنَّكَ﴾ حرف مشبه بالفعل تأكيد واسمه.
 ﴿أَنْتَ﴾ ضمير فعل تأكيد لـ﴿كَ﴾.

﴿التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ خبرا ﴿إِنَّكَ﴾. ﴿التَّوَابُ﴾ مبالغة في القابل للتوبة هاهنا وفي
 العبد فاعل التوبة دفعة بعد أخرى، وقد مرّ معنى ﴿الرَّحِيمُ﴾ فلا أعيد.

الروايات

العياشي رفعه عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن أمة محمد ﷺ من هم؟ قال أمة محمد بنو هاشم خاصة، قلت: فما الحجة في أمة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^١ فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمة مسلمة وبعث فيها رسولا منها يعني من تلك الأمة، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^٢ ردف إبراهيم دعوته الأولى بدعوة الأخرى فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم، فقال ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ * رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ^٣ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ^٤ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^٥ فهذه دلالة على أنه لا تكون الأئمة والأمة المسلمة التي بعث فيها محمد ﷺ إلا من ذرية إبراهيم لقوله ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ^٤.

الطبرسي رفعه عن الصادق عليه السلام أنه قال: أن المراد بالأمة بنو هاشم خاصة.^٥

رواها المشهدي في كنز الدقائق.^٦

الرازي رفعه عن البراء بن عازب عن رسول الله ﷺ أنه قال في يوم

-
١. سورة البقرة / ١٢٧ و ١٢٨.
 ٢. سورتا: آل عمران / ١٦٤، الجمعة / ٢.
 ٣. سورة إبراهيم ٣٥ و ٣٦.
 ٤. تفسير العياشي ١/ ١٥٧، ح ١٠٥.
 ٥. مجمع البيان ١/ ٢١٠؛ جوامع الجامع ١/ ٧٩.
 ٦. كنز الدقائق ١/ ٣٤٣.

الأضحى: أول نسكنا في يومنا هذا الصلوة ثم الذبح.^١

المجلسي نقلاً من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى معاوية لعنة الله عليه كتاباً فيه:

فنحن آل نبينا محمد ﷺ . ألم تعلم يا معاوية ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢ ونحن أولوا الأرحام قال الله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^٣ نحن أهل بيت اختارنا الله واصطفانا وجعل النبوة فينا والكتاب لنا والحكمة والعلم والإيمان وبيت الله ومسكن إسماعيل ومقام إبراهيم فالملك لنا. ويلك يا معاوية ونحن أولى بإبراهيم ونحن آله وآل عمران وأولى بعمران وآل لوط ونحن أولى بلوط وآل يعقوب ونحن أولى بيعقوب وآل موسى وآل هارون وآل داود وأولى بهم وآل محمد أولى به ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ولكل نبي دعوة في خاصته نفسه وذريته وأهله ولكل نبي وصية في آله. ألم تعلم أن إبراهيم أوصى بابنه يعقوب ويعقوب أوصى بنيه إذ حضره الموت وأن محمداً أوصى إلى آله سنة إبراهيم والنبيين اقتداء بهم كما أمره الله ليس لك منهم ولا منه سنة في النبيين وفي هذه الذرية التي بعضها من بعض قال الله لإبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ فنحن الأمة المسلمة وقالوا ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾^٤ فنحن أهل هذه الدعوة ورسول الله منا ونحن منه بعضنا من بعض وبعضنا

١. روض الجنان ٢/ ١٧٠.

٢. سورة آل عمران / ٦٨.

٣. سورة الأحزاب / ٦.

٤. سورة البقرة / ١٢٩.

أولى ببعض في الولاية والميراث ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^١ وعلينا نزل الكتاب وفينا بعث الرّسول وعلينا تليت الآيات ونحن المنتحلون للكتاب والشهداء عليه والدعاة إليه والقوام به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^٢ أفغير الله يا معاوية تبغي ربّاً أم غير كتابه كتاباً أم غير الكعبة بيت الله ومسكن إسماعيل ومقام أبينا إبراهيم تبغي قبله أم غير ملّته تبغي ديناً؟ أم غير الله تبغي ملكاً؟! الحديث.^٣

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

دعاء آخر لإبراهيم الخليل عليه السلام في شأن بعثة رسول في ذريته الساكنة في البلد الأمن وهو مستجاب في شأن الرسول الخاتم محمد ﷺ .
﴿رَبَّنَا﴾ منادى. ﴿و﴾ عاطفة.
﴿ابْعَثْ﴾ معطوف على ﴿وَأَجْعَلْنَا﴾ في الآية السابقة.
﴿فِيهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ابْعَثْ﴾، والضمير يعود إلى ذرية إبراهيم عليه السلام الساكنين في مكة المكرمة.
﴿رَسُولًا﴾ مفعول به. وهو ليس إلا محمد المصطفى رسول الله ﷺ .
﴿مِنْهُمْ﴾ «من» بياني والضمير يعود إلى نفس الذرية. جار ومجرور متعلق بصفة محذوفة لـ﴿رَسُولًا﴾.

١. سورة آل عمران / ٣٤.

٢. سورة الأعراف / ١٨٥.

٣. بحار الأنوار ٣٣ / ١٣٦.

﴿يَتْلُوا﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿رَسُولًا﴾، ﴿يَتْلُوا﴾: يقرأ، والفعل المضارع يدل على الاستمرار.
 ﴿عَلَيْهِمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتْلُوا﴾.
 ﴿ءَايَاتِكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه. أي ﴿ءَايَاتِكَ﴾ التي توحى بها إليه.
 ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ معطوف على ﴿يَتْلُوا﴾. فعل مضارع وفاعل ومفعول به أول.
 ﴿الْكِتَابِ﴾ مفعول به ثان. والمراد به القرآن العظيم.
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ معطوف على ﴿الْكِتَابِ﴾. والمراد بالحكمة هي حقيقة الأشياء كما هي، كما ورد في الدعاء: اللَّهُمَّ ارنا الأشياء كما هي.
 ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ معطوف على ﴿يَتْلُوا﴾. التزكية: التطهير من النقائص والمعائب وهو من موجبات النمو والبركة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مرّت إعرابها في الآية السابقة.
 ﴿الْعَزِيزُ﴾: «القادر الذي لا يعجزه شيء»^١ ولا يُغلب.
 ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي أفعاله وأقواله مطابق للواقع والمصلحة.

الروايات

علي بن إبراهيم القمي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: أنا دعوة
 أبي إبراهيم عليه السلام.^٢
 خبر جعفر بن أحمد معنعناً عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ﴾ قال: الكتاب القرآن والحكمة ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.^٣
 خبر أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة

١. التبيان ١/ ٤٦٨.

٢. تفسير القمي ١/ ٦٢.

٣. تفسير فوات الكوفي / ٤٨٣، ح ٦٢٩.

أبي إبراهيم وبشرى عيسى بن مريم، ورأت أمي أنه خرج منها شيء أضاءت منه قصور الشام.^١

الرواية عامية رواها أحمد في مسنده.^٢

خبر الطوسي قال: روى عن النبي ﷺ أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام وبشارة عيسى عليه السلام.^٣

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٤ والرازي في روض الجنان^٥.

الطبرسي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي.^٦

الرازي رفعه عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمتجدد في طيئته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام.^٧

الكاشاني رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وأنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي.^٨

١. الخصال ١/١٧٧، ح ٢٣٧.

٢. مسند أحمد ٤/١٢٧ و ١٢٨ و ٥/٢٦٢.

٣. التبيان ١/٤٦٦.

٤. مجمع البيان ١/٢١٠.

٥. روض الجنان ٢/١٧٢.

٦. جوامع الجامع ١/٨٠.

٧. روض الجنان ٢/١٧٣.

٨. منہج الصادقين ١/٣٢٠.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

«بعد ما ذكر سبحانه وتعالى جملة من مجاهدات إبراهيم عليه السلام، وما عهد إليه من بناء البيت وجعله معبداً، وأنه كان يدعو إلى توحيد الله تعالى والعمل الصالح وإخلاص العمل له، فصارت ملته مطابقة للفطرة التي يحكم بها العقل.

عقب سبحانه وتعالى - كالنتيجة لما سلف - أنه إذا كانت ملته كذلك، فليس للعاقل أن يرغب عن ملته، إلا إذا كان سفيهاً معرضاً عن حكم العقل والفطرة»^١.

﴿وَ﴾ استنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام معناه التوبيخ والجدد، مبتدأ.

﴿يَرْغَبْ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «هو»، خبر، «الرغبة: المحبة لما فيه للنفس منفعة... نقيض الرغبة الرهبة»^٢.

﴿عَنْ مِلَّةٍ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿يَرْغَبْ﴾، «الرغبة إذا عدت بـ﴿عَنْ﴾ أفادت معنى الإعراض والنفرة، وإذا عدت بـ﴿فِي﴾ أفادت معنى الشوق والميل»^٣.
الملة: الشريعة والدين.

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه، ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر.

﴿مَنْ﴾ اسم موصول بدل من الضمير الفاعلي في ﴿يَرْغَبْ﴾.

﴿سَفِهَ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو». «السفه والسفاهة بمعنى

١. مواهب الرحمن ٦٦/٢.

٢. التبيان ٤٦٨/١.

٣. الميزان ٣٠٠/١.

ضعف العقل وخفّته، سواء أكان في الأمور الدنيوية، أم الأخروية، أم هما معاً.
وعن بعض الأدباء والمفسرين: أنّ السفه إن استعمل متعدّياً - كما في المقام،
وقولهم: سَفِهَ رأيه - يكون بالكسر، وإن استعمل لازماً يكون بالضم، لأنّه من أفعال
السجاياء فلا يتعدّى»^١.

وبعبارة أخرى: «أصل السفة الاستخفاف والاستهتار، وكل من تصرّف في
نفسه أو ماله تصرّفاً مضراً به، وخارجاً عما هو مألوف عند العقلاء فهو سفيه مستهتر،
ولكن ضرر السفيه يختصّ به وحده»^٢.

﴿نَفْسَهُ﴾ مفعول به لِـ ﴿سَفِهَ﴾ بناء على تعديته وبناء على أن يكون لازماً يصير
تمييزاً كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾^٣ وحاصل المعنى إلى هنا: «إنّ
الاعراض عن ملة إبراهيم من حماقة النفس وعدم تمييزها ما ينفعها ممّا يضرّها»^٤.

﴿وَ﴾ عاطفة على الجمل التي قبلها الدالة على رفعة مقام إبراهيم عليه السلام.

﴿لَ﴾ الابتداء، تأكيد. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق، تأكيد آخر.

﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾ فعل ماضٍ وفاعله ومفعول به. الاصطفاء: الاختيار والانتفاء

والاجتباء.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾.

ويظهر معنى الاصطفاء «بالنظر إلى مقامات الولاية على خلوص العبودية وهو
أن يجري العبد في جميع شئونه على ما يقتضيه مملوكيته وعبوديته من التسليم الصّرف
لربّه، وهو التحقّق بالدين في جميع الشّئون فإنّ الدين لا يشتمل إلّا على مواد العبوديّة

١. مواهب الرحمن ٢/ ٦٧.

٢. التفسير الكاشف ١/ ٢٠٧.

٣. سورة النساء / ٤.

٤. الميزان ١/ ٣٠٠.

في أمور الدنيا والآخرة وتسليم ما يرضيه الله لعبده في جميع أموره^١.

﴿وَ﴾ عاطفة، عطف على سابقتها.

﴿إِنَّهُ﴾ حرف مشبهة بالفعل واسمه، الضمير يعود إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ﴿إِنَّهُ﴾. ﴿لَ﴾ المرحلة، تأكيد.

﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ جار ومجرور خبر ﴿إِنَّهُ﴾. عده ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾

لأن الصلاح الواقعي الحقيقي يظهر بالنجاة في الآخرة والدخول في الجنة بإذن الله تعالى.

الروايات

الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل: ولما قال الله ﷻ لجميع أرواح بني آدم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَى^٢ قال: أول من قال بلى محمد ﷺ فصار بسبقه إلى بلى سيد الأولين والآخرين وأفضل النبيين والمرسلين فمن لم يجب عن هذه المسألة بجواب إبراهيم فقد رغب عن ملته قال الله ﷻ ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ثم اصطفا الله ﷻ إياه في الدنيا ثم شهادته في العاقبة إنه من الصالحين في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والصالحون هم النبي والأئمة صلوات الله عليهم الآخذون عن الله أمره ونهيه والمستمسون للصلاح من عنده والمجتنبون للرأي والقياس في دينه في قوله ﷻ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^٣ ثم اقتداء من بعده من الأنبياء ﷺ في قوله ﷻ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبَىٰ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ آلَ الدِّينِ

١. الميزان ١/ ٣٠٠.

٢. سورة الأعراف / ١٧٢.

٣. سورة البقرة / ١٣١.

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^١ وفي قوله ﷺ لَنَبِيٍّ ﷺ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٢ وفي قوله ﷺ ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^٣، الحديث^٤.

خبر الطبرسي قال: روى أن عبد الله بن سلام دعا إني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال: لقد علمنا أن صفة محمد في التوراة، فأسلم سلمة وأبي مهاجر أن يسلم فأنزل الله هذه الآية^٥.

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٦ والمشهدي في كنز الدقائق^٧ ونحوها في تفسير الثعلبي^٨ والزمخشري في الكشاف^٩ والبيضاوي في تفسيره^{١٠}.

خبر الإربلي قال: من المناقب عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: يا فاطمة زوجتك سيداً في الدنيا ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لما أراد الله أن أملكك من عليّ أمر الله جبرئيل فقام في السماء الرابعة وصف الملائكة صفوفاً ثم خطب عليهم فزوجك من عليّ ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي والحلل ثم أمرها فنثرت على الملائكة فمن أخذ منها شيئاً أكثر مما أخذه غيره أفتخر به

١. سورة البقرة / ١٣٢.

٢. سورة النحل / ١٢٣.

٣. سورة الحج / ٧٨.

٤. الخصال / ١، ٣٠٨، ح ٨٤.

٥. مجمع البيان / ١، ٢١٢.

٦. منهج الصادقين / ١، ٣٢١.

٧. كنز الدقائق / ١، ٣٤٥.

٨. تفسير الثعلبي / ١، ٢٧٨.

٩. الكشاف / ١، ١٩١.

١٠. تفسير البيضاوي / ٤٢ من طبع الحجري.

إلى يوم القيامة.^١

خبر الإربلي قال: وعن شرحبيل بن سعيد الأنصاري قال: لما كانت صبيحة العرس أصاب فاطمة عليها السلام رعدة، فقال لها رسول الله ﷺ: زوجتك سيِّداً في الدنيا **﴿وإنَّهُ في الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾**.^٢

الكاشاني رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: أعرفكم بنفسه أعرفكم برَّبِّه.^٣

رواها الرازي في روض الجنان.^٤

خبر الكاشاني رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: من عرف نفسه فقد عرف ربَّه.^٥

رواها الرازي في روض الجنان^٦ والثعلبي في تفسيره^٧.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 

هذه الآية بمنزلة التفسير لقوله تعالى: **﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾** في الآية السابقة.

﴿إِذْ﴾ ظرف زمان بمعنى «حين» متعلّق بـ **﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾** وتقديره: **﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَهُ﴾** حين **﴿قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾**.

﴿قَالَ﴾ الله والظاهر صدور هذه المقالة قبل نبوة إبراهيم عليه السلام واصطفائه.

١. كشف الغمة ١/ ٣٤٩.

٢. كشف الغمة ١/ ٤٧٢.

٣. منهج الصادقين ١/ ٣٢١.

٤. روض الجنان ٢/ ١٧٤.

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٢١.

٦. روض الجنان ٢/ ١٧٤.

٧. تفسير الثعلبي ١/ ٢٧٩.

﴿لَهُ﴾ لإبراهيم.

﴿رَبُّهُ﴾ فاعل ومضاف إليه. أي رب إبراهيم عليه السلام.

﴿أَسْلِمَ﴾ فعل أمر وفاعله ضمير مستتر «أنت» خطاباً لإبراهيم الخليل.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم، مشعر بأنه بادر بالفور على هذا الجواب.

﴿أَسْلَمْتُ﴾ فعل ماض وفاعله، والإيتان بالفعل الماضي يدلّ على وقوعه بالجزم

والقطع.

﴿لَرَبِّ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

﴿أَعْلَمِينَ﴾ مضاف إليه.

«والإسلام واجب على كلّ مكلف، وإن اختلفت شرائع الأنبياء في ما يتعبّدون: من الحلال، والحرام. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^١ وإنّ الإسلام إنّما هو الإخلاص لله بالعمل بطاعته، واجتناب معصيته وذلك واجب على كل متعبّد. وكله إسلام»^٢.

الروايات

خبر عبدالله بن مسكان عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما الإسلام؟ فقال: دين الله إسمه الإسلام وهو دين الله قبل ان تكونوا حيث كنتم وبعد ان تكونوا فمن أقرّ بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله ﷻ به فهو مؤمن.^٣

خبر أحمد بن محمد بن خالد عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلّا بمثل ذلك، إنّ الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق

١. سورة آل عمران / ١٩.

٢. التبيان / ١ / ٤٧٢.

٣. الكافي / ٢ / ٣٨، ح ٤.

والتّصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الاداء. إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه، إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله فو الذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.^١

خبر مدرك بن عبدالرحمن عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الإسلام عريان، فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت.^٢

صحيحة عبدالعظيم بن عبدالله الحسني عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن أبيه عن جده صلوات الله عليهم قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً فأما عرصته فالقرآن وأما نوره فالحكمة وأما حصنه فالمعروف وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنّه لما أُسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله حبّي وحبّ أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا أمّتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة. ألا فلو أنّ الرجل من أمّتي عبد الله ﷻ عمره أيام الدنيا ثمّ لقي الله ﷻ مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي ما فرّج الله صدره إلّا عن النفاق.^٣

خبر الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله ﷻ

١. الكافي ٢/ ٤٥، ح ١.

٢. الكافي ٢/ ٤٦، ح ٢.

٣. الكافي ٢/ ٤٦، ح ٣.

إرتضى لكم الإسلام ديناً، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.^١
الروايات الواردة حول الإسلام متعددة فإن شئت راجع كتابي موسوعة أحاديث أهل
البيت عليه السلام.^٢

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنْبَىٰ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ آلَ الدِّينِ

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ 

«لما بين عز اسمه دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته، وحكم بالسّفه على من رغب عن
ملّته ذكر اهتمامه بأمر الدّين وعهده به إلى بنيّه في وصيته، فقال...»^٣.
﴿و﴾ عاطفة.

﴿وَصَّى﴾ فعل ماض «مادة (و ص ي) تأتي بمعنى الوصل والعهد، لأنّ الموصي
يعهد بشيء في ما بعد موته، ويوصل تصرّفاته وأعماله في زمان حياته وبعد وفاته
أيضاً»^٤. والوصية: هي «الدعاء إلى الطاعة»^٥.

﴿بِهَا﴾ جار ومجرور محلاً متعلّق بـ﴿وَصَّى﴾؛ والضمير عائِد إلى ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾^٦.
﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ فاعل ﴿وَصَّى﴾.
﴿بَنِيهِ﴾ مفعول به ومضاف إليه؛ والضمير عائِد إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. أي أبناء
إبراهيم. وقيل^٧ إنّهم ثمانية.

١. الكافي ٥٦/٢، ح ٤.

٢. موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام ١/٢٥٦.

٣. مجمع البيان ٣/١٦٠، طبعة آل البيت عليه السلام.

٤. مواهب الرحمن ٧١/٢.

٥. التبيان ١/٤٧٣.

٦. سورة البقرة / ١٣٠.

٧. والقائل ابن عاشور ١/٧٠٨.

﴿وَ﴾ عاطفة.

﴿يَعْقُوبُ﴾ معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾، يعني الوصية المشتركة بين إبراهيم وحفيده
﴿يَعْقُوبُ﴾.

﴿يَا﴾ أداة نداء. ﴿بَنِي﴾ اسم منادى.

﴿إِنْ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

﴿أَصْطَفَى﴾ فعل ماضٍ وفاعله ضمير مستتر «هو» عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾. خبر ﴿إِنْ﴾.

﴿لَكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَصْطَفَى﴾ والضمير عائد إلى بني إبراهيم وبني
يعقوب.

﴿الَّذِينَ﴾ مفعول به. وهو الإسلام بدلالة الآية الماضية.

﴿فَ﴾ تفرعية. ﴿لَا تَمُوتُنَّ﴾ فعل نهي وفاعله ونون التأكيد الثقيلة.

﴿إِلَّا﴾ أداة حصر. ﴿وَ﴾ حالية. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ.

﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبره. أي ﴿لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا﴾ مسلمين؛ أو «أثبتوا على الإسلام حتى
الموت كي تُبعثوا عليه وتقابلوا الله به»^١.

«وفي هذه الآية دلالة على التَّغْيِبِ في الوصية عند الموت، وأنه ينبغي أن يوصي
الإنسان من يلي أمرهم بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة»^٢.

الروايات

صحیحة عبدالرحمن بن الحجاج عن موسى بن جعفر في وصية
أمير المؤمنين عليه السلام: ... ثم اني أوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي
بتقوى الله ربكم و ﴿لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، الوصية^٣.

١. التفسير الكاشف ١/ ٢٠٩.

٢. مجمع البيان ٣/ ١٦٢، طبعة آل البيت عليه السلام.

٣. الكافي ١٣/ ٤٥٣، ح ٧ (٥١/٧).

صحيحة عبدالأعلى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ أبي عليه السلام استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبدالله بن عمر. فقال: اكتب، هذا ما أوصى به يعقوب بنيه ﴿يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمعة وأن يعممه بعمامته وأن يربع قبره ويرفعه دربع أصابع وأن يحل عنه أطماره عند دفنه. ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله. فقلت له: يا أبت بعد ما انصرفوا ما كان في هذا بأن تشهد عليه. فقال يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال إنَّه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجة.^١

رواها أيضاً في الكافي الشريف^٢ بسند صحيح والمفيد في الإرشاد^٣ والإربلي في كشف الغمة^٤.
 خبر جعفر بن محمد بن عمار عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص توأمين، فولد عيص ثم ولد يعقوب، فسمى يعقوب لأنَّه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو إسرائيل ومعنى إسرائيل عبدالله، لأنَّ إسرا هو عبد وإيل هو الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام.^٥

نقله الطبرسي مختصراً في مجمع البيان^٦ عن ابن عباس، والرازي في روض الجنان^٧ والثعلبي في تفسيره^٨.

١. الكافي ١/ ٣٠٧، ح ٨.

٢. الكافي ١/ ٣٧٨ في ضمن ح ٢.

٣. الإرشاد ٢/ ١٨١.

٤. كشف الغمة ٢/ ١٦٧.

٥. علل الشرايع ١/ ٤٣، ح ١.

٦. مجمع البيان ١/ ٢١٣ (٣/ ١٦١ من طبعة آل البيت عليه السلام).

٧. روض الجنان ٢/ ١٧٨.

٨. تفسير الثعلبي ١/ ٢٨٠.

٧٠٦..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

القاضي نعمان المصري رفعه عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: بولاية علي عليه السلام ١.

رواه ابن شهر آشوب في المناقب^٢ والأسترآبادي في تأويل الآيات الطاهرة^٣ والشمهدي في كنز الدقائق^٤.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

«الخطاب لأهل الكتاب إنكاراً عليهم حيث زعموا أن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام كانا على ملّتهم... وقد أبطل الله تعالى حجّتهم، بأنّه إن كان بدعوى حضورهم عند موت يعقوب ووصيته، فهذه يبطلها الحسّ والوجدان، وإن كان لأجل وصوله إليهم من التوراة والإنجيل، فما أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده، فاليهودية والنصرانية حدثتا من بعده بقرون، وإن كان لأجل أمر آخر، فهو مردود عليهم»^٥.

﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى «بل» وألف الاستفهام. كأنّه قيل: بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ ومعناها هنا الجحد، أي: ما ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾.

١. شرح الأخبار ١/ ٢٣٦، ح ٢٣٨.

٢. المناقب ٢/ ٢٥٣ و ٩٥/ ٣.

٣. تأويل الآيات الطاهرة ١/ ٧٩، ح ٥٩.

٤. كنز الدقائق ١/ ٣٤٩.

٥. مواهب الرحمن ٢/ ٧٣.

﴿كُنْتُمْ﴾ فعل ماض ناقص واسمه، والضمير عائد إلى أهل الكتاب.
 ﴿شُهَدَاءَ﴾ خبر ﴿كُنْتُمْ﴾ على وزن فعلاء ممنوع من الصرف. جمع شهيد بمعنى الشاهد وهو الحاضر. «وأصل الباب الحضور: خلاف الغيبة»^١. والمعنى: إنكم لم تحضروا.

﴿إِذْ﴾ ظرف بمعنى «حين» متعلق بـ ﴿شُهَدَاءَ﴾.
 ﴿حَضَرَ﴾ فعل ماض. ﴿يَعْقُوبَ﴾ مفعول به مقدم.
 ﴿أَلَمَوْتُ﴾ فاعل ﴿حَضَرَ﴾. ﴿إِذْ﴾ مَرَّ آنفًا، متعلق بـ ﴿حَضَرَ﴾.
 ﴿قَالَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو» يعود إلى ﴿يَعْقُوبَ﴾.
 ﴿لِبَنِيهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿قَالَ﴾.
 ﴿مَا﴾ اسم استفهام، مفعول به مقدم لـ ﴿تَعْبُدُونَ﴾. بداية مقول القول.
 ﴿تَعْبُدُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.
 ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ ﴿تَعْبُدُونَ﴾.
 ﴿قَالُوا﴾ جواب بني يعقوب.
 ﴿نَعْبُدُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».
 ﴿إِلَهُكَ﴾ مفعول به ومضاف إليه؛ والضمير الخطاب عائد إلى ﴿يَعْقُوبَ﴾.
 ﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِلَهُ﴾ معطوف على ﴿إِلَهُكَ﴾.
 ﴿ءَابَائِكِ﴾ مضاف إليه ومضاف إليه ثان.
 ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ بدل من ﴿ءَابَائِكِ﴾، بدل مفصل من مجمل.
 ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عم يعقوب اطلق عليه الأب لتداول هذا الاطلاق.
 ﴿إِلَهَآ﴾ بدل من ﴿إِلَهُ ءَابَائِكِ﴾ أو حال من ﴿إِلَهُكَ﴾.
 ﴿وَاحِدًا﴾ نعت لـ ﴿إِلَهَآ﴾. ﴿وَ﴾ حالية، وما بعدها حال من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾.

﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بالخبر. ﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبر.

الروايات

العياشي رفعه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية من قول الله ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ قال: جرت في القائم عليه السلام ١.

قال الصدوق عليه السلام: قد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق، ولا سبيل إلى ردّ الأخبار متى صحّ طرقها، وكان الذبيح إسماعيل، لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه، فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله ذلك من قلبه فسماه الله عليه السلام بين ملائكته ذبيحاً لتمنيته لذلك.

وحدثنا بذلك محمد بن علي البشاري القزويني عليه السلام قال حدثنا المظفر بن أحمد القزويني قال حدثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن عبد الله بن داهر عن أبي قتادة الخراي عن وكيع بن الجراح عن سليمان بن مهران عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وقول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم لأن العم قد سماه الله عليه السلام أباً في قوله ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وكان إسماعيل عم يعقوب فسماه الله في هذا الموضع أباً وقد قال النبي ﷺ العم والد فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي ﷺ أن ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز وإستحقاق الثواب على النية والتّمني فالنبي ﷺ هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه وللذبيح العظيم وجه آخر. ٢

١. تفسير العياشي ١/١٥٨، ح ١٠٦.

٢. الخصال ١/٥٧، ذيل ح ٧٨.

خبر الطوسي قال: وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: رُدُّوا عليَّ أبي، يعني العباس عمه، فسمي العمَّ أباً كما سمي الجدُّ أباً من حيث يجب له التعظيم، نحو ما يجب للأب.^١

رواها الطبرسي في مجمع البيان^٢ والرازي في روض الجنان^٣ وفيه: أن رسول الله ﷺ قاله يوم بدر. وتبعه الكاشاني في منهج الصادقين^٤ والثعلبي في تفسيره^٥.

القطب الراوندي بإسناده عن محمد بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ، يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم توكلت على الله، فقال كفيت وقال: لما قال الله تعالى للنار ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^٦ لم تعمل يومئذ نار على وجه الأرض ولا انتفع بها أحد ثلاثة أيام. قال: ونزل جبرئيل يحدثه وسط النار. قال نمروود: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم. فقال: عظيم من عظمائهم اني عزمت على النيران أن لا تحرقه. قال: فخرجت عنق من النار فأحرقته وكان نمروود ينظر بشرفه على النار.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، قال نمروود لأزر: اصعد بنا حتى ننظر، فصعدا، فإذا إبراهيم في روضة خضراء ومعه شيخ يحدثه. قال: فالتفت نمروود إلى أزر. فقال: ما أكرم ابنك على الله. والعرب تسمي العمَّ أباً. قال تعالى في قصة يعقوب ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وإسماعيل كان عمَّ يعقوب عليه السلام وقد

١. التبيان ١/ ٤٧٦.

٢. مجمع البيان ١/ ٢١٤.

٣. روض الجنان ٢/ ١٨٢.

٤. منهج الصادقين ١/ ٣٢٤.

٥. تفسير الثعلبي ١/ ٢٨٢.

٦. سورة الأنبياء / ٦٩.

٧١٠..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

سمّاه أبا في هذه الآية. ١

الكاشاني رفعه عن النبي ﷺ أنه قال: عم الرجل صنو أبيه. ٢

رواها المشهدي في كنز الدقائق ٣ وقال في توضيحه: أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة.

والرواية عامية رواها أحمد بن حنبل في مسنده ٤ والزمخشري في الكشاف ٥ والبيضاوي في تفسيره ٦.

﴿تِلْكَ أُمّةٌ قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ^ط﴾

وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

ذكرت الآية الشريفة قاعدة عامة وهي بمنزلة النتيجة للآيات السابقة من أنّ المناط كلّ على عملٍ كلّ فردٍ فردٍ من آحاد الناس وأنّ نتائج الأعمال وآثارها تعود غداً على العامل بها وحده فلا يفيد الاعتماد على صلاح الآباء ومنزلتهم عند الله كما لا يتضرر وهذا مبدأ عام قرّره الإسلام بأساليب شتى نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرَوْا وَزَرَ أُخْرَى﴾ ٧ وقوله ﷻ: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ٨.

١. قصص الأنبياء / ١٠٥، ح ٩٨.

٢. منهج الصادقين / ١ / ٣٢٤.

٣. كنز الدقائق / ١ / ٣٤٨.

٤. مسند أحمد / ٤ / ١٦٥.

٥. الكشاف / ١ / ١٩٣.

٦. تفسير البيضاوي / ٤٢ طبع الحجري.

٧. سورة الأنعام / ١٦٤.

٨. سورة النجم / ٣٩.

﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة، مبتدأ، إشارة إلى إبراهيم النبي ﷺ وأولاده.
 ﴿أُمَّةٌ﴾ خبر. والمراد بها هنا: الجماعة. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.
 ﴿خَلَّتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» تعود إلى ﴿أُمَّةٌ﴾، نعت
 لـ ﴿أُمَّةٌ﴾. ﴿خَلَّتْ﴾: مضت.
 ﴿لَهَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم. وتقديمه يفيد الحصر.
 ﴿مَا﴾ موصولة، مبتدأ مؤخر.
 ﴿كَسَبَتْ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هي» عائد إلى ﴿أُمَّةٌ﴾. «الكسب:
 العمل الذي يُجلب به نفع أو يُدفع به ضرر عن النفس»^١.
 ﴿وَ﴾ عاطفة.
 ﴿لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ معطوف على ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾. والخطاب لليهود والنصارى
 ويمكن شموله للمسلمين ولكل أمة.
 ﴿وَ﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها على قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.
 ﴿لَا تَسْأَلُونَ﴾ فعل مضارع منفي مبني للمجهول ونائب فاعله.
 ﴿عَمَّا﴾ مركبة من «عن» حرف جرّ و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ ﴿لَا
 تَسْأَلُونَ﴾.
 ﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.
 ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله. يعني: «يطالب كل إنسان بعمله دون عمل
 غيره»^٢.

والحاصل: «يقول الله تعالى لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى دعوا
 ذكر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهل به؛

١. التبيان ١/ ٤٧٧.

٢. التبيان ١/ ٤٧٨.

ولا تنسبوا إليهم الكفر، واليهودية والنصرانية، ولا تضيفوها إليهم وإِثْمًا ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ﴾ أنتم ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١.

«وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة: إنَّ الأبناء يؤخذون بذنوب الآباء. ويؤخذ الطفل بذنب أبيه، لأنَّ الله تعالى نفى ذلك»^٢.

روايتان

خبر ابن طاوس الحسيني نقلاً من الكتاب المسمى حجة التفصيل تأليف ابن الأثير عن محمد بن الحسين الواسطي عن إبراهيم بن سعيد عن الحسن بن زياد الأنباطي عن محمد بن عبيد الأنصاري عن أبي هارون العبدي عن ربيعة السعدي قال كان حذيفة والياً لعثمان على المدائن فلما صار علي أمير المؤمنين كتب لحذيفة عهداً يخبره بما كان من أمره وبيعة الناس إياه فاستوى حذيفة جالساً وكان عليلاً فقال: قد والله ولاكم أمير المؤمنين حقاً قالها ثلاثاً. فقام إليه شاب من الفرس متقلداً سيفاً فقال: أيها الأمير أتأذن في الكلام. قال: نعم، قال: اليوم صار أمير المؤمنين أو لم يزل أمير المؤمنين. فقال حذيفة: بل لم يزل والله أمير المؤمنين. قال: وكيف لنا بما تقول قال: بيني وبينكم كتاب الله ﷻ وإن شئت حدثتك ذلك لعهد عليّ بيني وبينك. فقال الشاب: حدثنا يا أبا عبد الرحمن. فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إذا رأيتم دحية الكلبي عندي فلا يدخلن عليّ أحد وإني أتيت رسول الله ﷺ يوماً في حاجة فرأيت شملة^٣ مرخاة على الباب فرفعت الشملة فإذا أنا بدحية الكلبي فغمضت عيني فرجعت، قال: فلقيتُ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لي: يا أبا عبد الرحمن من أين أقبلت؟ قلت: أتيت رسول الله ﷺ في حاجة فلما أتيت منزلة رأيت شملة مرخاة على الباب فرفعت الشملة

١. التبيان ١/ ٤٧٨.

٢. التبيان ١/ ٤٧٨.

٣. الشملة: كساء دون القطيفة.

فإذا أنا بدحية الكلبي فرجعت، قال: فقال لي علي عليه السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وردّ دحية، فقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين من أنا؟ قال: أظنك دحية الكلبي، قال: اجل خذ رأس ابن عمك فأنت أحقّ به مني فما كان بأسرع من أن رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه، فقال: يا علي من حجر من أخذت رأسي؟ وغاب دحية، فقال: أظنه من حجر دحية الكلبي، قال: أجل فأني شيء، قيل لك؟ قال: قلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد علي وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: طوبى لك يا علي سلّمت عليك الملائكة بأمر المؤمنين من عند ربّ العالمين، قال: فخرج علي عليه السلام فقال يا حذيفة أسمعت؟ قلت: نعم، قال: فكيف سمعت؟ قال: قلت: كالذي سمعت قال: فقال الفارسي: فأين كانت أسيافكم ذلك اليوم؟ يعني يوم بيعة أبي بكر، قال ويحك تلك قلوب ضرب عليها بالغفلة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١. المشهدي رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: يا بني هاشم لا يأتيني الناس

بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم^٢.

رواها الزمخشري في الكشف^٣.

١. اليقين في إمرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام / ٣٨٤؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٣٧/ ٣٢٥، ح ٦٣ (١٥/ ٨٠٠).

٢. كنز الدقائق ١/ ٣٤٩.

٣. الكشف ١/ ١٩٤.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا^ط

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

«لما بين [الله] تعالى أنّ الدّين الحقّ الذي كان عليه أولاد إبراهيم من إسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده كان هو الإسلام الذي كان عليه إبراهيم حنيفاً، استنتج من ذلك أنّ الاختلافات والانشعابات التي يدعو إليها فرق المنتحلين من اليهود والنصارى، أمور اخترعتها هوساتهم، ولعبت بها أيديهم لكونهم في شقاق، فتقطعوا بذلك طوائف وأحزاباً دينية، وصبغوا دين الله سبحانه - وهو دين التوحيد ودين الوحدة، بصبغة الأهواء والأغراض والمطامع، مع أنّ الدّين واحد كما أنّ الإله المعبود بالدّين واحد وهو دين إبراهيم، وبه فليتمسك المسلمون وليتركوا شقاق أهل الكتاب»^١.

﴿وَ عَاطِفَةً، عطف ما بعدها على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^٢.

﴿قَالُوا﴾ الضمير الفاعلي عائد إلى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى.
﴿كُونُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. والخطاب للمسلمين.
﴿هُودًا﴾ خبر ﴿كُونُوا﴾، يدعون اليهود إلى دينهم وهو اليهودية ويعتقدون أنّ الهداية محصورون فيها.

﴿أَوْ﴾ حرف عطف للتنويع.
﴿نَصَارَى﴾ معطوف على ﴿هُودًا﴾، يدعون النصارى إلى دينهم وادعت كذلك.

١. الميزان ١/ ٣١٠.

٢. سورة البقرة / ١٣٠.

«بل إنَّ ذلك معتقد كلِّ ذي دين أنَّ دينهم خير الأديان، وأنَّ كتابهم أبدي لا يقبل التغيير والتبديل، وطرق الهداية منحصرة في دينه، ومقتضى ذلك أن يدعو كلَّ واحد من الفريقين الناس إلى دينه.

وهذا النوع من المنهج من الفطريات لكلِّ مَنْ يعتقد بشيء ويرى صحته، وهو من الجهل المركب، وداء ابتلي به جميع الأمم حتَّى بعض فرق المسلمين، الذي يعتقد صحَّة مذهبه أو عقيدته وبطلان غيرهما، وقد أبطل سبحانه مدَّعاهم بدليل إلزامي لهم، فقال مخاطباً لنبيِّه ﷺ إتماماً للحجَّة والبيان، وتلقيناً للبرهان، وتشبيهاً لشريعته ونبوته، بل إظهاراً للوحدة بين أصل الوحي وقول الموحى إليه في الحجَّة، وتوطئة لأمر المسلمين بهذا المقال»^١.

﴿تَهْتَدُوا﴾ فعل مضارع مجزوم وفاعله لأنه جواب الأمر. وفيه معنى الشرط، أي أن تكونوا على اليهودية والنصرانية ﴿تَهْتَدُوا﴾. أي تكونوا على هذه الملة ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحقِّ وتصيبوا طريقه.

﴿قُلْ﴾ خطاباً للنبي الأعظم ﷺ، جردت من العاطف لوقوعها في مقام الحوار مجاوبة لهم.

﴿بَلْ﴾ حرف اضراب. ﴿مِلَّةٌ﴾ مفعول به لفعل محذوف تقديره: نتَّبِع. ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مضاف إليه. ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية. ﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. «الحنيف: هو المائل من الأديان الباطلة إلى دين الحق»^٢. «الحنيفية فهي الاستقامة»^٣ وأصله: الميل.

﴿و﴾ حالية والجملة بعدها هي حالة ثانية لِـ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿مَا﴾ نافية.

١. مواهب الرحمن ٨٦/٢.

٢. مجمع البيان ١٦٧/٣، طبعة آل البيت عليه السلام.

٣. التبيان ٤٧٩/١.

﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص واسمه محذوف وهو ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾.

حاصل الجواب: ﴿قُلْ﴾ لهم «﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ فإِذَا الملة الواحدة الَّتِي كان عليها جميع أنبيائكم، إبراهيم، فمن دونه، وما كان صاحب هذه الملة وهو إبراهيم من المشركين ولو كان في ملته هذه الانشعابات، وهي الضمائم الَّتِي ضمَّها إليها المبتدعون، من الاختلافات لكان مشركاً بذلك، فَإِنَّ ما ليس من دين الله لا يدعو إلى الله سبحانه، بل إلى غيره وهو الشُّرك، فهذا دين التوحيد الذي لا يشتمل على ما ليس من عند الله تعالى»^١.

شأن نزولها

عن ابن عباس: أَنَّ ابن عبد الله بن صوريا، وكعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف^٢ وجماعة من اليهود، ونصارى أهل نجران خاصموا أهل الإسلام؛ كُلَّ فرقة تزعم أَنَّها أحقُّ بدين الله من غيرها: فقالت اليهود: نبيُّنا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وقالت النصارى: نبيُّنا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وكلُّ فريق منهما قال للمؤمنين: كونوا على ديننا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.^٣

١. الميزان ١/ ٣١٠.

٢. مالك بن الضيف، وقيل: ابن الضيف أخو بني قَيْنُقَاع، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين بُعث وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه: والله ما عهد إلينا في مُحَمَّد عهد، وما أخذ علينا ميثاق، فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿أَوْكَلَمَا عَهْدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (سورة البقرة / ١٠٠)، وله مواقف معادية أخرى، أنظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٦١/ ٢ و ١٩٦ و ٢١٧ و ٢١٩.

٣. أنظر: تفسير مقاتل ١/ ١٤١؛ تفسير السمرقندي ١/ ١٦١؛ الكشف والبيان ٤/ ١٤٩؛ الوسيط ٢١٨/ ١؛ أسباب النزول للواحدي ١٤٨؛ التهذيب في التفسير ١/ ٢٩٩؛ معالم التنزيل

وقيل: إنّ ابن صوريا قال لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلّا ما نحن عليه! فاتَّبِعْنَا يا محمّد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله هذه الآية^١ ٢.

الروايات

العياشي رفعه عن الوليد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الحنفية هي الإسلام^٣.
العياشي رفعه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما أَبَقَتِ الحنفية شيئاً حتّى أنّ منها: قصّ الشارب وقلم الأظفار والختان^٤.
خبر الطوسي قال: وفي الحديث: أحبّ الأديان إلى الله الحنفية السمحة^٥.
وهي ملّة إبراهيم عليه السلام لا حرج فيها ولا ضيق^٦.
رواها الطبرسي في مجمع البيان^٧ وبَدَّلَ إبراهيم عليه السلام بالنبي ﷺ.

١٦٢ / ١.

١. تفسير مقاتل ١ / ١٤١؛ السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٨؛ تفسير الطبري ٢ / (٥٩٠-٥٨٩)؛
تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٢٤١، ح ١٢٩٠؛ تفسير السمرقندي ١ / ١٦١؛ الهداية إلى بلوغ النهاية
١ / ٤٦٣؛ الوسيط ١ / ٢١٨؛ التهذيب في التفسير ١ / ٢٩٩؛ معالم التنزيل ١ / ١٦٢.

٢. مجمع البيان ٣ / ١٦٩.

٣. تفسير العياشي ١ / ١٥٨، ح ١٠٧.

٤. تفسير العياشي ١ / ١٥٨، ح ١٠٨.

٥. الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٣٩٥؛ مسند أحمد ٢ / ٥٢٣، ح ٢١٣٨؛ عن ابن عباس، قال: قيل
يا رسول الله ﷺ أي الأديان أحبّ إلى الله؟ قال: «الحنفية السمحة»؛ صحيح البخاري ١ / ٢٦
(كتاب الإيمان - باب أنّ الدين يُسر): وفيه: أحبّ الدين... المعجم الكبير للطبراني ١١ / ٢٢٧،
ح ١١٥٧٢؛ ذكر أخبار إصفهان ١ / ٣٣٦؛ المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ٣٨٣.

٦. التبيان ١ / ٤٨٠.

٧. مجمع البيان ٣ / ١٦٨ (١ / ٢١٥).

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾



لما حكى في الآية السابقة ما يأمر اليهود والنصارى المسلمين به من إتباع مذهبهم ذكر في هذه الآية ما هو الحق عندهم وهو الإيثار بالله والأنبياء كلهم وتفصيل لقوله: ﴿بَلْ مَلَّةٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

﴿قُولُوا﴾ الخطاب للمسلمين. ﴿ءَامَنَّا﴾ فعل ماض وفاعله.
﴿بِاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ءَامَنَّا﴾؛ وهذا هو الشهادة على الإيثار ﴿بِاللَّهِ﴾.
﴿و﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ موصولة معطوف على اسم الجلالة.
﴿أُنْزِلَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول ونائب فاعله ضمير مستتر «هو».
﴿إِلَيْنَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ والمراد به هو القرآن الكريم.
﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ معطوف على ﴿مَا أُنْزِلَ﴾ السابق.
﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ جار ومجروره متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾. ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ممنوع من الصرف للعجمة والعلمية.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ معطوفات بالواو على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ والكل ممنوع من الصرف لما مر. والأولان ابنا إبراهيم النبي ﷺ والآخر ابن إسحاق وحفيد إبراهيم عليه السلام.

﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ معطوف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾. ﴿الْأَسْبَاطِ﴾ جمع سبط وهم أولاد يعقوب من اثني عشر ابناً فهم اثنا عشر سبطاً. «السبط: الجماعة يرجعون إلى أب

واحد^١، «والسبط من لايهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب»^٢، و «أصل الباب: السبط وهو التابع»^٣.

﴿وَمَا﴾ معطوف بالواو على ﴿مَا﴾ الأول.
 ﴿أُوتِيَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، أي أُعطي.
 ﴿مُوسَى﴾ نائب فاعله، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ هو التوراة الواقعي.
 ﴿وَعِيسَى﴾ معطوف على ﴿مُوسَى﴾، «وما أُوتِيَ عيسى» هو الإنجيل الواقعي.
 ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ معطوف على ﴿مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾. نحو الزبور النازلة على داود وغيرها من الكتب الأنبياء السابقة.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه، متعلّق بـ﴿أُوتِيَ﴾.
 ﴿لَا﴾ نافية. ﴿نُفِرَ قُ﴾ فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر «نحن».
 ﴿بَيْنَ﴾ ظرف مكان، مفعول فيه. ﴿أَحَدٍ﴾ مضاف إليه.
 ﴿مَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلّق بصفة محذوفة من ﴿أَحَدٍ﴾؛ والضمير عائد إلى ﴿النَّبِيُّونَ﴾.

﴿وَ﴾ حالية. ﴿حَنُ﴾ مبتدأ.
 ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿مُسْلِمُونَ﴾ والضمير عائد إلى ﴿اللَّهِ﴾.
 ﴿مُسْلِمُونَ﴾ خبر. أي خاضعون بالطاعة.

الروايات

خبر سلام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ قال: إنما عنى بذلك علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام

١. قاله الزجاج كما في التبيان ١/ ٤٨٢.

٢. التبيان ١/ ٤٨٢.

٣. التبيان ١/ ٤٨٢.

ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾ يعني الناس ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام ﴿فَقَدْ أَهْتَدَوْا^١ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ ٢.١

رواها العياشي في تفسيره. ٣

معتبرة سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان وُلد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنهم كانوا أسباط أولاد الأنبياء، ولم يكونوا يفارقوا الدنيا إلا سعداء، تابوا وتذكروا ما صنعوا وإنَّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعوا بأمر المؤمنين عليهم السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ٤

رواها العياشي في تفسيره ٥ والطبرسي في مجمع البيان ٦ والكاشاني في منهج الصادقين ٧ والمشهدى في كنز الدقائق ٨ إلى قوله: «وتذكروا ما صنعوا».

الصدوق بإسناده إلى وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية أنه قال في حديث: وفرض على اللسان الإقرار والتعبير عن القلب بما عقد عليه فقال عليه السلام: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وقال عليه السلام: ﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ٩ الحديث ١٠.

١. سورة البقرة / ١٣٧.

٢. الكافي ٢ / ٣٧١، ح ١٩ (٤١٥ / ١).

٣. تفسير العياشي ١ / ١٥٩، ح ١١١.

٤. الكافي ١٥ / ٥٦٠، ح ٣٤٣ (٢٤٦ / ٨).

٥. تفسير العياشي ١ / ١٥٩، ح ١٠٠ و ١ / ٣٢١، ح ٨٣.

٦. مجمع البيان ١ / ٢١٧.

٧. منهج الصادقين ١ / ٣٢٧.

٨. كنز الدقائق ١ / ٣٥٠.

٩. سورة البقرة / ٨٣.

١٠. الفقيه ٢ / ٦٢٧.

سند الصدوق إلى هذه الرصية صحيح ورواها ابن شعبة الحراني مرسلًا في تحف العقول.^١
 الصدوق بإسناده إلى حديث أربعمائة لأمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إذا قرأتم
 ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ فقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ حتى تبلغوا إلى قوله: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ الحديث.^٢
 خبر الثعلبي قال: سبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام
 سبطا رسول الله ﷺ.^٣
 وذكره الزمخشري في الكشاف^٤ والفخر الرازي في تفسيره.^٥

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
 فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾



«أخبر الله تعالى إن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به، فقد
 اهتدوا إلى طريق الجنة»^٦.

«الآية الشريفة من البرهان العقلي الذي قرره القرآن الكريم، بأن يقال: الإيمان
 بالأنبياء والرسل سبب للهداية، فكل من كان على إيمانهم فهو مهتد، فاليهود
 والنصارى إن كانوا على إيمانهم فهم مهتدون، ثم نقول إنهم ليسوا على إيمان الأنبياء
 والرسل، وكل من كان كذلك فهو في شقاق مع الله ورسوله، فاليهود والنصارى في

١. تحف العقول / ١١٨.

٢. الخصال / ٢ / ٦٢٩.

٣. الكشف والبيان / ١ / ٢٨٣.

٤. الكشاف / ١ / ١٩٥.

٥. تفسير الكبير / ٤ / ٨٣.

٦. التبيان / ١ / ٤٨٣.

شقاق مع الله ورسله، وكذا كل من يكون مثلها في المخالفة الاعتقادية أو العملية مع الله ورسله، هذا بالنسبة إلى أصل ثبوت الموضوع.

وأما الأثر المترتب عليه، فهو أن الله تعالى يكفي أنبياءه ورسله والمؤمنين بهم من كيد أهل الشقاق ونفاقهم، كما يقتضيه نظام التكوين والتشريع.

وفي الآية المباركة تسليية للمؤمنين بالنصر، ووعدهم بالكفاية، ولن يخلف الله وعده، وقد ظهر صدقه مراراً، وشيظل كذلك في ما بعد إلى آخر الزمان.

كما أن هذه الآية المباركة من أدلة نبوة نبينا الأعظم ﷺ ورسالته^١.

﴿فَ﴾ تفريع على قوله ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾^٢. ﴿إِنْ﴾ شرطية جازمة.

﴿ءَامَنُوا﴾ فعل ماض وفاعله. فعل الشرط.

﴿بِ﴾ للملابسة وليست للتعدية.

﴿مِثْلِ﴾ مجرور به حرف جرّ، الجار والمجرور متعلّق بـ﴿ءَامَنُوا﴾. أتى بلفظ المثل

لقطع اللجاج والجدال «فإنّه لو قيل لهم أن آمنوا بما آمنّا به أمكن أن يقولوا كما قالوا،

بل نؤمن بما أنزل علينا ونكفر بما ورائه، لكن لو قيل لهم، إنّّا آمنّا بما لا يشتمل إلّا على

الحقّ فآمنوا أنتم بما يشتمل على الحق مثله، لم يجدوا طريقاً للمراء والمكابرة، فإن الذي

بيدهم لا يشتمل على صفوة الحق»^٣.

﴿مَا﴾ موصولة، مضاف إليه. ﴿ءَامَنْتُ﴾ فعل ماض وفاعله.

﴿بِهِ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿ءَامَنْتُ﴾؛ والضمير عائد إلى ﴿مَا﴾.

﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط. ﴿قَدْ﴾ حرف تحقيق.

﴿أَهْتَدَوْا﴾ فعل ماض وفاعله، جواب الشرط.

١. مواهب الرحمن ٩٤ / ٢.

٢. سورة البقرة / ١٣٦.

٣. الميزان ٣١٢ / ١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿إِنْ﴾ معطوف على ﴿إِنْ﴾ في أوّل الآية.
 ﴿تَوَلَّوْا﴾ فعل ماضٍ وفاعله، فعل الشرط، التولي: الإعراض.
 ﴿فَ﴾ واقعة في جواب الشرط، والجملة بعدها جواب الشرط.
 ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. ﴿هُمُ﴾ مبتدأ.
 ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ جار ومجرور، خبر. الشقاق: شدة المخالفة، والمفارقة والمنازعة والمشاجرة والمباينة.
 ﴿فَ﴾ تفرّيع على قوله: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾.
 ﴿سَ﴾ حرف تسويف للمستقبل القريب.
 ﴿يَكْفِي﴾ فعل مضارع، كفى يأتي بمعنى بلوغ الغاية والمراد في الأمر، وكفاية شرّهم.
 ﴿كَ﴾ مفعول به أوّل مقدم. عائد إلى الرسول الأعظم ﷺ.
 ﴿هُمُ﴾ مفعول به ثانٍ مقدم. عائد إلى الذين ﴿هُمُ فِي شِقَاقٍ﴾.
 ﴿اللَّهُ﴾ فاعل. وعد للرسول ﷺ بالنصرة عليهم.
 ﴿وَ﴾ استئنافية. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ.
 ﴿الَّذِينَ أَلْهَمُوا لَكُمْ ظُلُمَاتٍ﴾ خبران. ﴿الَّذِينَ أَلْهَمُوا لَكُمْ ظُلُمَاتٍ﴾ بأعمالهم وما في ضمائرهم.

الروايات

العياشي رفعه عن الفضل بن صالح عن بعض أصحابه في قوله ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾^١ أما قوله

٧٢٤..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

﴿قُولُوا﴾^١ فهم آل محمد ﷺ ، وقوله ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾
سائر الناس.^٢

معتبرة عن عبد الأعلى بن أعين عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال:
ليس هذا الأمر معرفته وولايته فقط حتى تستره عمن ليس من أهله وبحسبكم ان
تقولوا ما قلنا وتصمتوا عما صمتنا فإنكم إذا قلتم ما نقول وسلمتم لنا في ما سكتنا عنه
فقد آمنتكم بمثل ما آمنا به قال الله تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾
قال علي بن الحسين عليه السلام : حدثوا الناس بما يعرفون ولا تحملوهم ما لا يطيقون
فتغروهم بنا.^٣

الطبرسي رفعه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ أنه قال: يعني في
كفر.^٤

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٥ والمشهدي في كنز الدقائق^٦ وفي تفسير القمي من دون
النسبة إلى الإمام عليه السلام.^٧

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَخُنْ لَهُ عَبِيدُونَ﴾

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ هي التوجة إلى الله تعالى والانقطاع عن غيره و «ترجع إلى ارتباط

١. سورة البقرة / ١٣٦.

٢. تفسير العياشي ١/ ١٥٨، ح ١٠٩.

٣. الغيبة / ٣٥؛ ونقل عنه في بحار الأنوار ٢/ ٧٧.

٤. مجمع البيان ٣/ ١٨٠ (١/ ٢١٨).

٥. منهج الصادقين ١/ ٣٢٨.

٦. كنز الدقائق ١/ ٣٥٣.

٧. تفسير القمي ١/ ٩٧.

العبد مع الله تعالى بنحو ما يشاء الله تعالى ويريده، لا بما يشاءه العبد ويريده، كما يدل عليه صدر الآية المباركة وذيلها، فإن قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾، بيان اللصبة والعلة لتحقيقها، والإيمان والعبودية إنها يتحققان بما يشاء الله المعبود بالحق، لا بما يشاءه العابد»^٢.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: صُبغنا ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ومضاف إليه، ﴿صِبْغَةَ﴾ بكسر الصاد أصلها صبغ وهو الشيء الذي يصبغ به بزنة فعل الدال معنى المفعول واتصاله بعلامة التأنيث لإرادة الوحدة^٣. والمراد به، فطرة الله ودين الله الذي طابقتها فيجتمع مع العقل والطهارة عن كل دنسٍ روحيٍّ ومعنويٍّ وملة إبراهيم والإسلام وولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده المعصومين عليهم السلام.

﴿و﴾ استئنافية. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ.
 ﴿أَحْسَنُ﴾ خبر. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحْسَنُ﴾.
 ﴿صِبْغَةَ﴾ تمييز، والمعنى: «ومن صبغته أحسن من صبغه الله»^٤.
 ﴿و﴾ حرف تفسير وما بعده تفسير ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾.
 ﴿نَحْنُ﴾ مبتدأ أو حال لها. ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿عَبِيدُونَ﴾.
 ﴿عَبِيدُونَ﴾ خبر.

الروايات

خبر عبدالرحمن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله ﷻ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ

١. سورة البقرة / ١٣٦.

٢. مواهب الرحمن ٢ / ٩٥.

٣. راجع تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١ / ٧٢١.

٤. التفسير الكاشف ١ / ٢١١.

مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً^١ قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق.

رواها فرات الكوفي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسيره.^٢

صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الإسلام، وقال في قوله ﷻ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٣ قال: هي الإيثار بالله وحده لا شريك له.^٤

خبر حمران عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الصبغة هي الإسلام.^٥

صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال الصبغة هي الإسلام، وقال في قوله ﷻ ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٦ قال: هي الإيثار.^٧

العياشي رفعه عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام وحمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبغة: الإسلام.^٨

العياشي رفعه عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي - مولى أبي جعفر - عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق.^٩

١. الكافي ١/٤٢٢، ح ٥٣.

٢. تفسير فرات الكوفي / ٦١، ح ٢٥.

٣. سورة البقرة / ٢٥٦.

٤. الكافي ٢/١٤، ح ١.

٥. الكافي ٢/١٤، ح ٢.

٦. سورة البقرة / ٢٥٦.

٧. الكافي ٢/١٤، ح ٣.

٨. تفسير العياشي ١/١٥٩، ح ١١٢.

٩. تفسير العياشي ١/١٥٩، ح ١١٣.

معتبرة أبان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: هي الإسلام.^١

الصدوق بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني: يا أبا الطفيل العلم علمان: علم لا يسع الناس إلا النظر فيه وهو صبغة الإسلام، علم يسع الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله ﷻ.^٢
الطبرسي قال في قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: وما روى عن الصادق عليه السلام قال: يعني به الإسلام.^٣

رواها المشهدي في كنز الدقائق.^٤
الرازي رفعه إلى رسول الله ﷺ أنه قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه.^٥

رواها الكاشاني في منهج الصادقين^٦ مع زياده: «ويمجسانه»، ومثلها في تفسير الثعلبي.^٧

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا

وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾



أمر الله سبحانه نبيه ﷺ في هذه الآية أن يقول لهؤلاء اليهود والنصارى

١. معاني الأخبار / ١٨٨.

٢. الخصال / ١ / ٤١، ح ٣٠؛ ونقلت عنه في موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام / ٦ / ٢٦، ح ٥.

٣. مجمع البيان / ١ / ٢١٩.

٤. كنز الدقائق / ١ / ٣٥٤.

٥. روض الجنان / ٢ / ١٨٨.

٦. منهج الصادقين / ١ / ٣٢٩.

٧. تفسير الثعلبي / ٢ / ٥.

وغيرهما من الكفار الجاحدين لنبوّة نبينا محمد ﷺ .

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله محمد لهم . ﴿أ﴾ حرف استفهام للتعجب والتوبيخ .

﴿تَحَايُونَنَا﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعول به . الحاجة : المخاصمة والمجادلة .

﴿فِي اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَحَايُونَنَا﴾ . «أَنَّ حَاجَةَ كُلِّ تَابِعِينَ فِي مَتَبُوعِهَا وَمَخَاصِمَتِهَا فِيهِ إِنَّمَا تَكُونُ لِأَحَدٍ أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ: إِمَّا لاختصاص كل من التابعين بمتبوع دون متبوع الآخر، فيريدان بالحاجة كل تفضيل متبوعة وربّه على الآخر، كالحاجة بين وثني ومسلم، وإمّا لكون كل واحد منهما أو أحدهما يريد مزيد الإختصاص به، وإبطال نسبة رفيقه، أو قربه أو ما يشبه ذلك، بعد كون المتبوع واحداً، وإمّا لكون أحدهما ذا خصائص وخصال لا ينبغي أن ينتسب إلى هذا المتبوع وفعاله ذاك الفعال، وخصاله تلك الخصال لكونه موجباً، لهتكه أو سقوطه أو غير ذلك، فهذه علل الحاجة والمخاصمة بين كل تابعين»^١ .

﴿و﴾ حالية . ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، عائد إلى ﴿اللَّهُ﴾ .

﴿رَبُّنَا﴾ خبر ومضاف إليه . ﴿و﴾ عاطفة .

﴿رَبُّكُمْ﴾ معطوف على ﴿رَبُّنَا﴾ ومضاف إليه والضمير عائد إلى أهل الكتاب .

﴿و﴾ عطف على الحال .

﴿لَنَا﴾ جار ومجرور، خبر مقدم . اللام للاختصاص والضمير عائد إلى المسلمين .

﴿أَعْمَلْنَا﴾ مبتدأ مؤخر ومضاف إليه . ﴿و﴾ عاطفة .

﴿لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ خبر مقدم ومبتدأ مؤخر . ﴿و﴾ عاطفة على الحال .

﴿خَنَ﴾ مبتدأ . ﴿لَهُ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿مُحْلِصُونَ﴾ .

﴿مُحْلِصُونَ﴾ خبر . احتجاج بأن المخلص لله أولى بالحق من غيره بالله تعالى .

الروايات

خبر علي بن إسباط عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص الله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره.^١

الصدوق بإسناده إلى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما أخلص عبدٌ لله ﷻ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه إلى لسانه.^٢

خبر علي بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال الله ﷻ: أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمله، لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً.^٣

الطبرسي رفعه عن حذيفة بن اليمان قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبرئيل عليه السلام عن ذلك، قال: سألت رب العزة عن ذلك، قال: هو سرٌّ من سرّي استودعته قلب من أحببته من عبادي.^٤

رواها الرازي في روض الجنان^٥ وثاني الشهيدان في منية المريد^٦ والكاشاني في منهج الصادقين^٧ والقرطبي في تفسيره^٨ والثعلبي في تفسيره^٩.

١. الكافي ١٦/٢، ح ٣.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٦٩، ح ٣٢١.

٣. المحاسن ١/٣٩٢، ح ٢٧٦.

٤. علم التصوف ٧٩ (باب في الإخلاص)؛ البياض والسواد للسيرجاني ٢٦١ (باب في الإخلاص)، طبعة طهران، ١٣٩٠؛ تهذيب الأسرار لأبي سعد الواعظ الخركوشي / (١٥٨-١٥٧)؛ الرسالة القشيرية / ٣٢٥؛ البسيط ٣/ (٣٦٤-٣٦٣)؛ إحياء علوم الدين ٤/٣٧٦؛ مجمع البيان ٣/ ١٨٨ (١/ ٢٢٠).

٥. روض الجنان ٢/ ١٩٠.

٦. منية المريد / ١٣٣.

٧. منهج الصادقين ١/ ٣٣١.

٨. تفسير القرطبي ٢/ ١٤٦.

٩. تفسير الثعلبي ٢/ ٦.

الطبرسي قال: روى ابن إدريس الحولاني^١ عن النبي ﷺ قال: إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حقيقة، وما بلغ عبدٌ حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمّد على شيء من عمل الله.^٢ رواها الرازي مرفوعاً عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ في روض الجنان^٣ ولكن الكاشاني رواها عن الحولاني في منهج الصادقين^٤ والثعلبي في تفسيره^٥. ابن فهد الحلي رفعه إلى سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء أنّها قالت: من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله ﷻ إليه أفضل مصلحته^٦. الروايات حول الإخلاص متعددة فإن شئت راجع الكافي^٧ والمحاسن^٨ البرقي وبحار الأنوار^٩ وكتابي موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ^{١٠}.

-
١. هو عائذ بن عبد الله الحولاني، ولد في حياة النبي محمد ﷺ يوم حنين، وسمع من الصحابة، وروى عن الزهري وأهل الشام، ولّاه عبد الملك القضاء بدمشق، مات سنة ٨٠ هـ.
 - أنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٤٨؛ الجامع الكبير للترمذي ٤/٤٦٣، ح ٢٣٤٠؛ الكامل لابن عدي ٥/١٧٦٩؛ علم التصوف ٨١؛ حلية الأولياء ٥/١٢٢، ح ٣١٠؛ الاستيعاب ٤/١٥٩٤، ح ٢٨٣٤؛ الأنساب للسمعاني ٢/٤١٩؛ سير أعلام النبلاء ٤/٣٧٢، ح ٩٩.
 ٢. مجمع البيان ٣/١٨٨ (١/٢٢٠).
 ٣. روض الجنان ٢/١٩١.
 ٤. منهج الصادقين ١/٣٣١.
 ٥. تفسير الثعلبي ٢/٦.
 ٦. عُدة الدّاعي ٢٦٧، طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤٢٥ ق (١٢٣)، طبع الهند.
 ٧. الكافي ٢/١٥.
 ٨. المحاسن ١/٣٩١.
 ٩. بحار الأنوار ٦٧/٢١٣.
 ١٠. موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ١/١٢٧.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

يقول اليهود والنصارى «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده وأحفاده كانوا هوداً أو نصارى، وإنَّ اليهودية أو النصرانية هما المرضيتان عند الله، ولا ينجو أحد إلا بهما، وإنَّ ما عداهما كفرٌ وضلالٌ! كيف، وقد كان إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبناءه وأحفاده على الملة الحنفيّة المرضيّة - التي بدأت بخليل الرحمان وختمت بسيد المرسلين - الدّاعية إلى أصول المعارف الإلهيّة في المبدأ والمعاد.

والأحكام الشرعية، والبداية والبرهان تدلّان على كذبهم، وأنَّ اليهودية والنصرانية إنّما حدثتا بعد إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده وأحفاده بقرون، وهذا ادّعاء باطل، [كما] قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٢.١. ﴿أَمْ﴾ «منقطعة بمعنى بل وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض وفيها تقدير استفهام وهو استفهام للتوبيخ والإنكار» ٣.

﴿تَقُولُونَ﴾ الضمير الفاعلي عائد إلى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى. ﴿إِنَّ﴾ حرف مشبه بالفعل، تأكيد. ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾.

١. سورة آل عمران / ٦٥.

٢. مواهب الرحمن ١٠١ / ٢.

٣. التفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٧٢٦ / ١.

٧٣٢..... أجود البيان في تفسير القرآن / الجزء الأول

﴿وَاسْمَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ معطوفات على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾
بواوات العطف.

﴿كَانُوا﴾ فعل ماض ناقص واسمه.

﴿هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ خبرا ﴿كَانُوا﴾، ﴿كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ في محل رفع خبر
﴿إِنَّ﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعله «أنت» مستتر خطاباً للرسول الأعظم ﷺ.

﴿ءَ﴾ حرف استفهام للتوبيخ. ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ. خطاباً لليهود والنصارى.

﴿أَعْلَمُ﴾ خبر. ﴿أَمْرٍ﴾ متصلة، حرف عطف.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، وحذف خبره وتقديره ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ أعلم أو معطوف على ﴿أَنْتُمْ﴾.

لأنَّ «الله أخبرنا وأخبركم في الكتاب أنَّ موسى وعيسى وكتايبهما بعد إبراهيم ومن
ذكر معه»^١.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام، مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾ خبر.

﴿مِمَّنْ﴾ مكوّنة مِنْ «مِنْ» و «مَنْ». حرف جر واسم موصول. جار ومجرور
متعلّق بـ﴿أَظْلَمُ﴾.

﴿كَتَمَ﴾ فعل ماض وفاعله ضمير مستتر «هو». يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿كَتَمَ﴾: أي
ستر.

﴿شَهَدَةً﴾ مفعول به، والظاهر أنَّ المراد بها شهادة أداء، لأنَّهم تحملوا آيات الله
ثمَّ انكروها.

﴿عِنْدَهُ﴾ ظرف مكان متعلّق بـ﴿كَتَمَ﴾ ومضاف إليه.

﴿مِنْ﴾ حرف جر ابتدائية أي ﴿شَهَدَةً عِنْدَهُ﴾ بلغت من جانب الله على
رسله.

﴿اللَّهُ﴾ مجروره، جار ومجرور متعلق بـ﴿كَتَمَ﴾.

﴿وَ﴾ عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية.

﴿اللَّهُ﴾ اسم ﴿مَا﴾ على لغة أهل الحجاز ومبتدأ على لغة بني تميم.

﴿بِغَفْلٍ﴾ حرف جر زائد لتأكيد النفي ومجروره، خبر ﴿مَا﴾ أو خبر المبتدأ.

﴿عَمَّا﴾ حرف جر «عن» و «ما» موصولة، جار ومجرور متعلق بـ﴿غَفْلٍ﴾.

﴿تَعْمَلُونَ﴾ فعل مضارع وفاعله.

الروايات

خبر يزيد بن سليط الزيدي، قال في حديث طويل فيه النص على أبي الحسن الرضا عليه السلام: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام - ونحن نريد العمرة - إلى أن قال: قال عليه السلام: يا يزيد إنها ودیعة عندك فلا تخبر بها إلا عاقلاً أو عبداً تعرفه صادقاً وإن سئلت عن الشهادة فاشهد بها وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^١ وقال لنا أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، الحديث^٢.

صحيحة هاشم بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا سمع الرجل الشهادة ولم يشهد عليها فهو بالخيار إن شاء شهد وإن شاء سكت، وقال: إذا أشهد لم يكن له إلا أن يشهد^٣.

ونحوها صحيحتي محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام^٤.

الصدوق بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث النص على الرضا عليه السلام أنه قال: وإن سئلت عن الشهادة فأدّها، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ

١. سورة النساء / ٥٨.

٢. الكافي ١ / ٣١٥، ح ١٤.

٣. الكافي ٧ / ٣٨١، ح ١.

٤. الكافي ٧ / ٣٨١، ح ٣ و ٧ / ٣٨٢، ح ٥.

إِلَى أَهْلِهَا^١ وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾^٢.

صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: عورة المؤمن على المؤمن حرام، وقال: من أطلع على مؤمن في منزله فعيناه مباحتان للمؤمن في تلك الحال، ومن دمر^٣ على مؤمن في منزله بغير إذنه فدمه مباح للمؤمن في تلك الحال، ومن جحد نبياً مرسلًا نبوته وكذبه فدمه مباح، قال: قلت له: أرايت من جحد الإمام منكم ما حاله؟ فقال: من جحد إماماً براً من الله وبراً منه ومن دينه فهو كافر مرتد عن الإسلام، لأن الإمام من الله ودينه دين الله، ومن براً من دين الله فهو كافر، ودمه مباح في تلك الحال إلا أن يرجع ويتوب إلى الله تعالى مما قال، قال: ومن فتك بمؤمن يريد ماله ونفسه فدمه مباح للمؤمن في تلك الحال.^٤

وروى نحوها النعماني بسنده الصحيح في الغيبة.^٥

الدلمي رفعه إلى حذيفة بن اليمان - في حديث طويل يذكر فيه حال المنافقين بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم ومنصرفه من حجة الوداع - قال: فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسير أتوه، فقال لهم: فيم كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟ فقالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملياً، ثم قال لهم: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ^٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ^٧ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ^٨﴾.

١. سورة النساء / ٥٨.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٣، ح ٩.

٣. أي دخل بغير إذن.

٤. الفقيه ٤ / ١٠٤، ح ٥١٩٢.

٥. الغيبة / ١٢٩، ح ٣.

٦. إرشاد القلوب / ٣٣٣.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ^ط﴾

﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾



أقول: قد مرّت الآية آنفاً تحت الرقم ١٣٤ من هذه السورة فلا نعيدها.
وقد ذكر الطوسي في التبيان^١ والطبرسي في مجمع البيان^٢ وجوهاً للتكرار فراجعها إن شئت.

وإلى هنا تمّ الجزء الأوّل من القرآن الكريم وبه تمّ الجزء الأوّل من هذا التفسير المسمى بـ «أجود البيان في تفسير القرآن» وقد فرغت من تحريره الأوّل صبيحة يوم الخميس الثالث من شهر شوال المكرّم عام ١٤٢٤ ومن تحريره الثاني يوم السبت العشرين من جمادي الأخرى ١٤٤١ يوم ولادة سيّدتنا ومولاتنا سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها أمّ أئمة النجباء النّقباء عليه السلام، على يد مؤلّفه العبد هادي النجفي ببلدة إصبهان صانها الله تعالى عن الحدثان والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وأهل بيته الأطهار الأئمة الأبرار.

١. التبيان ١/ ٤٩١.

٢. مجمع البيان ٣/ ١٩٤ (١/ ٢٢٢).

فهرس

تمهيد.....	٣	الآية (٦).....	٥٦
الاستعاذة.....	٥	الروايات.....	٦٠
رواية.....	٦	الآية (٧).....	٦٤
سورة الفاتحة / ٧			
فضلها.....	١٠	تنبيه.....	٦٧
الآية (١).....	١٥	علة عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه.....	٦٨
أدلة جزئية البسملة للقرآن.....	١٦	تذكرة: لا يجوز التأمين في الصلاة.....	٦٩
١- أدلة أحاديث أهل البيت عليه السلام.....	١٦	الروايات.....	٦٩
٢- أحاديث أهل السنة.....	١٨	الروايات الواردة حول تفسير جميع سورة الحمد.....	٧٢
الروايات.....	٢٧	سورة البقرة / ٧٧	
الآية (٢).....	٣٤	فضلها.....	٧٩
الروايات.....	٣٦	الآية (١).....	٨٨
الآية (٣).....	٤٢	الروايات.....	٩٣
الروايات.....	٤٣	لطيفة.....	١٠٣
الآية (٤).....	٤٦	الآية (٢).....	١٠٤
الروايات.....	٤٧	الروايات.....	١٠٤
الآية (٥).....	٤٩	الآية (٣).....	١٠٦
تنبيه.....	٥٣	الروايات.....	١٠٧
الروايات.....	٥٤		

الآية (٤) ١٠٩	الآية (١٦) ١٥٥
رواية ١١٠	روايتان ١٥٦
الآية (٥) ١١١	الآية (١٧) ١٥٧
روايتان ١١٢	الروايات ١٥٩
الآية (٦) ١١٣	الآية (١٨) ١٦١
الروايات ١١٤	الروايات ١٦٢
الآية (٧) ١٢٠	الآية (١٩) ١٦٣
الروايات ١٢٢	الروايات ١٦٥
الآية (٨) ١٢٧	الآية (٢٠) ١٧٠
الروايات ١٢٩	رواية ١٧٢
الآية (٩) ١٣١	الآية (٢١) ١٧٤
تنبيه ١٣٢	رواية ١٧٦
الروايات ١٣٣	الآية (٢٢) ١٧٨
الآية (١٠) ١٣٥	روايتان ١٨٠
الروايات ١٣٦	الآية (٢٣) ١٨٢
الآية (١١) ١٤٠	الروايات ١٨٤
الآية (١٢) ١٤٢	الآية (٢٤) ١٨٨
رواية ١٤٣	الروايات ١٩٠
الآية (١٣) ١٤٣	الآية (٢٥) ١٩١
رواية ١٤٥	الروايات ١٩٤
الآية (١٤) ١٤٦	الآية (٢٦) ١٩٧
روايتان ١٤٨	الروايات ٢٠١
الآية (١٥) ١٤٩	الآية (٢٧) ٢٠٢
الروايات ١٥٠	روايتان ٢٠٤

فهرس ٧٣٩

الآية (٢٨)	٢٠٥	الآية (٤٠)	٢٩٣
الروايات	٢٠٧	الروايات	٢٩٥
الآية (٢٩)	٢٠٩	الآية (٤١)	٢٩٩
الروايات	٢١١	الروايات	٣٠١
الآية (٣٠)	٢١٤	الآية (٤٢)	٣٠٣
الروايات	٢١٦	الروايات	٣٠٤
الآية (٣١)	٢٣٠	الآية (٤٣)	٣٠٦
الروايات	٢٣٢	الروايات	٣٠٧
الآية (٣٢)	٢٣٦	الآية (٤٤)	٣١١
روايتان	٢٣٧	الروايات	٣١٣
الآية (٣٣)	٢٣٨	الآية (٤٥)	٣١٦
الروايات	٢٤٠	الروايات	٣١٧
الآية (٣٤)	٢٤٣	الآية (٤٦)	٣٢٢
الروايات	٢٤٥	الروايات	٣٢٣
الآية (٣٥)	٢٥٢	الآية (٤٧)	٣٢٧
الروايات	٢٥٥	الروايات	٣٢٨
الآية (٣٦)	٢٦٨	الآية (٤٨)	٣٢٩
الروايات	٢٧٠	الروايات	٣٣٢
الآية (٣٧)	٢٧٤	الآية (٤٩)	٣٣٥
الروايات	٢٧٥	الروايات	٣٣٧
الآية (٣٨)	٢٨٤	الآية (٥٠)	٣٤٣
الروايات	٢٨٦	الروايات	٣٤٣
الآية (٣٩)	٢٩٠	الآية (٥١)	٣٤٧
الروايات	٢٩١	الروايات	٣٤٨

٤١١	الآية (٦٣)	٣٥٢	الآية (٥٢)
٤١٢	الروايات	٣٥٢	الروايات
٤١٥	الآية (٦٤)	٣٥٤	الآية (٥٣)
٤١٥	رواية	٣٥٥	روايتان
٤١٦	الآية (٦٥)	٣٥٧	الآية (٥٤)
٤١٧	الروايات	٣٥٩	الروايات
٤٢٥	الآية (٦٦)	٣٦١	الآية (٥٥)
٤٢٥	الروايات	٣٦٢	تنبيه
٤٢٧	الآية (٦٧)	٣٦٣	الروايات
٤٢٩	الروايات	٣٦٦	الآية (٥٦)
٤٣٦	الآية (٦٨)	٣٦٧	الروايات
٤٣٨	رواية	٣٧١	الآية (٥٧)
٤٣٨	الآية (٦٩)	٣٧٢	الروايات
٤٣٩	الروايات	٣٧٧	الآية (٥٨)
٤٤٠	الآية (٧٠)	٣٧٨	الروايات
٤٤١	رواية	٣٨٢	الآية (٥٩)
٤٤٢	الآية (٧١)	٣٧٣	الروايات
٤٤٣	الروايات	٣٨٥	الآية (٦٠)
٤٤٦	الآية (٧٢)	٣٨٨	الروايات
٤٤٦	رواية	٣٩٥	الآية (٦١)
٤٤٧	الآية (٧٣)	٣٩٩	الروايات
٤٤٨	رواية	٤٠٥	الآية (٦٢)
٤٤٩	الآية (٧٤)	٤٠٦	تنبيه
٤٥٢	الروايات	٤٠٨	الروايات

٥٠١ الآية (٨٦)	٤٥٤ الآية (٧٥)
٥٠٢ الروايات	٤٥٦ الروايات
٥٠٣ الآية (٨٧)	٤٥٨ الآية (٧٦)
٥٠٥ الروايات	٤٦٠ شأن نزولها
٥٠٨ الآية (٨٨)	٤٦١ روايتان
٥٠٩ روايتان	٤٦٢ الآية (٧٧)
٥١٠ الآية (٨٩)	٤٦٣ رواية
٥١٢ شأن نزولها	٤٦٣ الآية (٧٨)
٥١٢ الروايات	٤٦٤ رواية
٥١٥ الآية (٩٠)	٤٦٥ الآية (٧٩)
٥١٧ الروايات	٤٦٦ الروايات
٥١٩ الآية (٩١)	٤٧٠ الآية (٨٠)
٥٢١ الروايات	٤٧١ رواية
٥٢٤ الآية (٩٢)	٤٧٢ الآية (٨١)
٥٢٥ رواية	٤٧٤ الروايات
٥٢٥ الآية (٩٣)	٤٧٧ الآية (٨٢)
٥٢٧ الروايات	٤٧٨ تنبيه
٥٣٠ الآية (٩٤)	٤٧٨ الروايات
٥٣١ الروايات	٤٨٠ الآية (٨٣)
٥٣٥ الآية (٩٥)	٤٨٣ الروايات
٥٣٦ الروايات	٤٨٨ الآية (٨٤)
٥٣٨ الآية (٩٦)	٤٨٩ الروايات
٥٤٠ الروايات	٤٩٥ الآية (٨٥)
٥٤١ الآية (٩٧)	٤٩٩ الروايات

الروايات ٥٤٣	الآية (١٠٩) ٥٩٩
الآية (٩٨) ٥٤٩	الروايات ٦٠١
الروايات ٥٥٠	الآية (١١٠) ٦٠٣
الآية (٩٩) ٥٥٣	الروايات ٦٠٤
شأن نزولها ٥٥٤	الآية (١١١) ٦٠٦
رواية ٥٥٤	الروايات ٦٠٧
الآية (١٠٠) ٥٥٥	الآية (١١٢) ٦٠٨
رواية ٥٥٦	روايتان ٦٠٩
الآية (١٠١) ٥٥٦	الآية (١١٣) ٦١٠
الروايات ٥٥٨	رواية ٦١٢
الآية (١٠٢) ٥٦٢	الآية (١١٤) ٦١٤
الروايات ٥٧٠	الروايات ٦١٧
الآية (١٠٣) ٥٧٨	الآية (١١٥) ٦٢١
الروايات ٥٧٩	الروايات ٦٢٢
الآية (١٠٤) ٥٨٠	الآية (١١٦) ٦٢٩
الروايات ٥٨٢	الروايات ٦٣٠
الآية (١٠٥) ٥٨٦	الآية (١١٧) ٦٣١
الروايات ٥٨٨	الروايات ٦٣٣
الآية (١٠٦) ٥٩٠	الآية (١١٨) ٦٣٦
الروايات ٥٩١	الروايات ٦٣٧
الآية (١٠٧) ٥٩٣	الآية (١١٩) ٦٤٠
رواية ٥٩٤	الروايات ٦٤١
الآية (١٠٨) ٥٩٥	الآية (١٢٠) ٦٤٢
روايتان ٥٩٧	الروايات ٦٤٤

فهرس ٧٤٣

الآية (١٢١)..... ٦٤٥	الروايات..... ٧٠١
الروايات..... ٦٤٧	الآية (١٣٢)..... ٧٠٣
الآية (١٢٢)..... ٦٤٩	الروايات..... ٧٠٤
رواية..... ٦٤٩	الآية (١٣٣)..... ٧٠٦
الآية (١٢٣)..... ٦٥٠	الروايات..... ٧٠٨
الروايات..... ٦٥٠	الآية (١٣٤)..... ٧١٠
الآية (١٢٤)..... ٦٥١	روايتان..... ٧١٢
الروايات..... ٦٥٣	الآية (١٣٥)..... ٧١٤
تتميم..... ٦٦١	شأن نزولها..... ٧١٦
تذكرة..... ٦٦٥	الروايات..... ٧١٧
الآية (١٢٥)..... ٦٦٦	الآية (١٣٦)..... ٧١٨
الروايات..... ٦٦٧	الروايات..... ٧١٩
الآية (١٢٦)..... ٦٧٤	الآية (١٣٧)..... ٧٢١
الروايات..... ٦٧٦	الروايات..... ٧٢٣
الآية (١٢٧)..... ٦٧٩	الآية (١٣٨)..... ٧٢٤
الروايات..... ٦٨٠	الروايات..... ٧٢٥
الآية (١٢٨)..... ٦٨٩	الآية (١٣٩)..... ٧٢٧
الروايات..... ٦٩١	الروايات..... ٧٢٩
الآية (١٢٩)..... ٦٩٣	الآية (١٤٠)..... ٧٣١
الروايات..... ٦٩٤	الروايات..... ٧٣٣
الآية (١٣٠)..... ٦٩٦	الآية (١٤١)..... ٧٣٥
الروايات..... ٦٩٨	فهرس..... ٧٣٧
الآية (١٣١)..... ٧٠٠	